hjansen

الجمع الصوتي الأول

للقرآن الكريم

أو

المصحف المرتل

بواعثه ومخططاته

بقلم

صاحب الفكرة والمخطط لها

لبيب السعيد

المدير العام

لتخطيط الدعوة الإسلامية وتدريب الدعاة

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

بالقاهرة

تصدير

تصدير

بقلم الأستاذ
الدكتور حسن الساعاتي
عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

صديقي « لبيب السعيد » هو صاحب فكرة « المصحف المرتل » ، أو الجمع الصوتيّ الأوّل للقرآن الكريم ، بكل رواياته المتواترة وغير الشاذّة . وستظلّ ماثلةً في سمعي وفي قلبي أحاديث الأمل والعمل والحزم والقلق التي كان يتحدث بها عن مشروعه العظيم قبل إعلانه للناس بعام أو بعض عام : كانت فكرة الجمع الصوتي ، منذ ذلك الوقت ، مادة حديثه الأولى ، وكانت — فيما لمستُ ولمس المتصلون به وقتئذ — هي شغل قلبه ، ومحتوى دمه وعصبه ، وموضوع جدّه ودأْبه .

ولئن راعتْني الفكرة آنئذ كلمحة من لمحات الإلهام ، لقد بهرتْني أيضاً كعمل علميّ يحتاج المخطّط له إلى المعرفة الدقيقة بقراءات القرآن ورواياته ، والتبحّر في علوم القرآن ، ثم إلى العزيمة التي لا تنال منها الصعوبات ولا الأيام .

* * *

وَوُلد المشروع سريعاً ، وأحسَنت الدّنيا استقبالَه ، وعرفت له خطره وجلاله ، واحتضنه صاحبه وفيًّا له غاية الوفاء ، ولكنّه ما لبث أن أدرك أنه غير قادر بذاته على أن يكفل مشروعَه ماليًّا بما يضمن له النّماء فضلاً عن البقاء ، فَحمَلَه يأتي به كلّ جهة مأمولةِ العونْ ، وقاسى في هذا حَرَجاً شديداً ؛ وأخيراً رحّبت وزارة الأوقاف بالمشروع ، ومَضَت تُنفق عليه من مالها تاركةً لصاحب المشروع كلّ ما وراء الإنفاق من تخطيط وتنفيذ .

وسدَّد الله على المدى خُطى هذا الرجل ، وحقّق به للإنسانية والمسلمين والعرب عامة خيراً كثيراً ، وحقّق به لجمهوريتنا خاصة شرفاً ومجداً باذخين ، فكنت أقول لـ « لبيب السعيد » : « إن نجاح مشروعك — وإن كان فوق الكفاية حقاً — لا يكفى المجتمع المتطلّع إلى كلام مفصّل عن المشروع ، وإنّ على عاتقك أنت أن تؤرخ لمشروعك الذى سيظل — على تعاقب القرون — مِلء الأفواه والأسماع ، وإنه أولى بالإنتاج الإسلامى الذى تخرجه أن يشمل هذا المشروعَ الفذّ ، فكان « لبيب السعيد » يخرج حيناً بالصمت عن القبول أو الرفض ، وحيناً يجيب فى تصريح قريب من التلميح بأنه يتهيّب الكتابة المطلوبة ، لأنها — بالضرورة — ستتناول شخصه ، وعندئذ — فيما يحسب — قد يظن الظانّون أنه يزكّى نفسَه ، أو يَتيه بعمله .

وبقى « لبيب السعيد » على العزوف واستشعار الغضاضة .

* * *

وفى سنة ١٩٦٤ ، لقى « لبيب السعيد » بسبب مشروعه ، ومن بعض العاملين معه فيه ، صعوبات يبدو أنها كانت عليه جبّارة ، وجَثَم الضيق عليه وقتئذ فترة غير قصيرة ، فكانت فرصتى السانحة والناجحة لاستنهاض همّته ، كى يسجل كل شىء عن المشروع ، فيكون ذلك أليقَ بصاحب الفكرة الجليلة ، وأنفعَ للعلم ، وأحزمَ فى كفّ جماح المعتدى ، والردّ على المسىء .

* * *

وأحمد الله على ما وفّق ، فالكتاب الذى كان لى فخر الحضّ على إخراجه جاء مُوفياً على الغاية منه . . . جاء عملاً علمياً جليلاً يُضيف جديداً نفيساً إلى ثروتنا العلمية فى ميدان القرآن أصل كلّ الأصول عندنا . وأظنه بموضوعه

الرفيع جداً ، ومنهجه الدقيق جداً ، ومادته الغزيرة جداً ، سيظل — مثل مشروع « المصحف المرتل » نفسه — عملا ماجداً باقياً على الزمن .

وسيرى القراء معى أنّ مؤلفنا لم يُعْنَ إلا بالحق ، وأنه فى بحثه متعمق مثابر ، وقوىٌّ أمين ، وأنه — فى تهدّيه للحقيقة وابتغائه طريقها — يتحاكم دائماً إلى المنطق والعقل والنصوص الممحّصة ، ولا يحيد أبداً عن المحجّة المستقيمة التى لا أمْت فيها ولا اعوجاج ، كما لا يحيد عن الموضوعية الكاملة التى يحترمها العدو الشانئ ، والولىّ الحميم . وبهذه الطريقة ناقش المؤلف أئمة كبارا وعلماء أعلاماً ، قدامى ومحدثين ، فكانت له فى مناقشتهم نظرات أحسب أن فيها أقوم الرأى وأحقه بالإعتبار .

وسيرى القراء معى أيضاً أن من فصول هذا البحث الدقيق فصولا تجلو للدارسين أشياء كثيرة لم يكن أغلبهم يعرفها ، وتسهّل عليهم أشياء كثيرة أيضاً كان أغلبهم يراها غاية فى الصعوبة .

وحواشى الكتاب التى يصل عددها إلى قرابة ألفين ، مليئةٌ بمعارف وشروح وتعليقات هى وحدها ثروة غنية مبذولة للقارئ فى سخاء . وإنّ كل باحث مكابد ليعرف أن كتابة الحواشى على هذا النحو الأكاديمىّ المثالىّ تقتضى صاحبها جهداً هائلا يتضاءل فى جانبه كل ثناء .

وقد عرفت لصديقى « لبيب السعيد » ـ منذ قديم ـ خصيصةً علميةً فائقة ، هى قدرته العجيبة على التقاط النفائس المخبوءة فى طوايا كل إنتاج عربى قديم ، والإفادة من هذه النفائس فيما يعالج من بحث مهما يكن غريب الموضوع والشكل والإتجاه . وقد وجّه إلى هذا دفعات من طلبته بقسم الإجتماع فى كليتنا . وهذه الخصيصة الجليلة القدر تتجلّى فى هذا الكتاب على النحو الذى يقتضينا الإكبار والإعجاب .

ولئن كان الفلك الذى سارت فيه ثقافة « لبيب السعيد » ليس أزهريًا ، لقد أضحى بمادته العلمية القرآنية الخارقة ، وضميره العلمى القوى الحىّ ، ومثابرته الصابرة الكادحة ، وخدماته الإسلامية الكبرى ، أضحى — حتى من الناحية الرسمية — عَلَماً من أعلام الإسلام ، ولساناً من أجهر وأقوى ألسنة الدعوة الإسلامية .

وقد قيل إن الجمع الكتابىّ الذى فعل أبو بكر كأنما استحيا به طائفة من القراء الذين استحرّ بهم القتل فى المواطن التى شهدوها ، وأحسبنى لست مسرفا ولا خاضعا لسلطان الصداقة التى بينى وبين « لبيب السعيد » إذا قررت أن فكرة المصحف المرتل — عندما يكمل تنفيذها على النحو الذى خطط له صاحبها — ستكون استحياء للمبرزين من القراء ، والرواة ، وأصحاب الطرق ، وأصحاب الأوجه ، ثم لملايين القراء الآخذين منهم .

وفى الحديث الشريف : « من سنّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها . . . » ، ومن مُقْتَضَى هذا أنه ما سَجَّل إنسان أو جَمْعٌ من الناس القرآن صوتيا ، وما أفاد من هذا التسجيل إنسان أو جَمْعٌ من الناس إلا كان لـ « لبيب السعيد » مثل أجورهم إلى يوم القيامة .

« ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

حسن الساعاتى

عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس

مقدمة

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فأظن أنّ التّصدير البليغ المشكور الذى كتبه عالمنا الأستاذ الدكتور حسن السّاعاتى عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس يُغْنِى عن سرد قصّة هذا الـكتاب .

وأظن التمهيد الذى سَيَلى هذه المقدمة يُغْنى أيضا عمّا تواضع المؤلّفون عليه فى المقدمات من التّنبيه على أهمية ما يتناولونه من موضوعات .

وهذا الـكتاب المتواضع هو — من مشروع الجمع الصّوتىّ الأول للقرآن أو المصحف المرتل — بمثابة الدّليل الموضّح، أو الملحق الشارح .

وسيرى القارئ أنى أخذت نفسى بالموضوعيّة إلى أبعد مَدى استطعتهُ ، وأنىّ فى مناقشتى لـكثير من الآراء — لم أنفعل قطّ ،ولم أتعصّب ؛ كما سيرى أنى — على ماتعوّده منى فى كل إنتاجى المتواضع — أعزو كلّ شىء أوردته للإستشهاد أو للإعتضاد إلى صاحبه فى أمانة وتحرّز بالغين .

وسيرى أنّ مراجعى لم تقفْ عند كتب العلوم القرآنية ، وإنمـا تعدّتْها إلى المتفرقات المبعثرة والشوارد البعيدة فى كتب التاريخ والفقه والأصول واللغة والأدب والشعر وغيرها .

هذا ، وفى كل رأى أحببتُ أن يُشاركنى فيه القارئ ، عرضت عليه — بادئ ذى بدء — من المعارف الموثّقة ما أظنه يُرضى حاجته و يَشفى غلّته ، ولم أدَعْه يُلِمّ بهذه المعارف إلمامة المتعجّل الخاطف ، بل لعلّى مكّنته من أن يقف وقفة المطمئنّ المُستأنى .

وأظنّنى — فى ثنايا كتابتى — جلوتُ فى الموضوعات القرآنية كثيراً مما يَخْفَى مثلُه على الكثيرين ، وسهّلتُ ما يصعب مثلُه على غير المتخصّصين .

* * *

والكتاب من قسمين ، يسبقهما التّمهيد الذى أشرتُ إليه آنفا ، وتليهما الخاتمة .

فأمّا القسم الأول فهو تاريخ مفصّل للمرات الثلاث لجمع القرآن : جمع أبى بكر ، وجمع عثمان ، ثم هذا الجمع الصوتى الأول .

وأظنّ هذا القسم قد استنبط — فى توفيق — منْهاجى الجمعين المكتوبين وأبطل دعاوى الطاعنين عليهما ، بما لا حاجة بعده — غالباً — إلى مزيد .

وفى الحديث عن الجمع الثالث أو الصوتىّ الأول أو المصحف المرتّل : فكرته ، وتنفيذه ، وردت تفاصيلُ كثيرةُ أرجو أن لاينكرها القارئ ، فانّ ذِكْرها هو من مقتضيات الأمانة التاريخية ، وإسقاطها — عند أصحاب أصول البحث — ليس سديداً .

وأما القسم الثانى وهو الخاصّ بالأغراض التى يقصدها مشروع الجمع الصوتى الأول للقرآن فهو فى أبواب ثلاثة : (أولها) عن حفظ القرآن فى ذاته ، و (ثانيها) عن الغاية التعليمية للمشروع ، و (ثالثها) عن مهمته الدفاعية .

وأظنّ الباب الأول ، فى شأن التّلقّى الشفوىّ كوسيلة للحفظ السليم ،

وفى شأن القراءات المتواترة والمشهورة ، والتى يجب الحرص عليها ، والإكثار من حفّاظها حتى لا يقلّ عددهم — فى كل بلد به مسلمون — عن عدد التواتر ، وفى شأن المنع من القراءة بالشواذّ ... أظنّ ذلك البابَ ، فى كلّ هذه الشئون ، مع التزامه النصوصَ السليمة والإجماعَ المستفيض ، أزال عن الحقائق كلّ الأستار : كثيفها ، فضلا عن خفيفها ، ولم يدعْ شيئاً مهمّاً فى تاريخ القراءات إلاّ أورده .

وقد أبدى المؤلف أن من الواجب تقرير منع القراءات الشواذّ منعاً باتّاً من أن تسجّل صوتيا ، حتى لايَقْرأ بها مسلم ، أو يُظَنّ أنها والقراءات المتواترة والمشهورة على سويّة من الأمر ، وحسْبُ القراءات الشواذ أنها فى الكتب يَرجع إليها أصحاب الدّراسات الأكاديمية .

* * *

وفى باب التعليم ،تحدثت عن المصاحف المرتّلة كنماذج صوتية ممتازة للأداء الشرعىّ الذى تستطيعه الكافة ، ووددت لو صادف الجهد هنا قبولا ، ثم تحدثت عن تيسير هذه المصاحف لتعلّم القرآن ، وكيف أنها الحلّ الوحيد لمشكلة اختلاف الرّسم العثمانى الإصطلاحى عن الرسم الإملائى .

* * *

وأما باب الدفاع عن القرآن وعن الإسلام كهدف من أهداف المشروع ، فقد استقصى أحد فصول هذا الباب — ضِمْناً — أهم المطاعن التى وُجّهت إلى القرآن ، ثم استحضرها ، ثم لَقِفَها جميعا ، وإنّها لمطاعن مختلَقة طالما ضاق بها الدارسون ، وانخدع بها بعض البسطاء .

وتكلّم فصل آخر عن درء التّحريف عن القرآن ؛ وعندما تكلم عن الكتب الدينية الأخرى ، التزم الحياد ، ولم يفعل غالباً سوى أن نَقَلَ عن نَفْس أتباع هذه الكتب .

وأخيرا ، تكلّم فصل « التمكين للغة العربية وللوحدة الإسلامية » عن أثر المصحف المرتل فى هذا التمكين .

* * *

وتكلمت « الخاتمة » عن تقييم المشروع كحدث له فى تاريخ المسلمين أثر بعيد ، وذكرَتْ — فى شيء من التفصيل كيف ارتضاه النّاس ، وعرفوا له جلاله وخطره .

وأوردَت هذه « الخاتمة » فى تقدير المشروع نصوصاً لم يكن من إيرادها بدٌّ ، وهى حرّية أن تدلّ فى صدق على موقف المسلمين من المشروع ، وليس إيرادها — على أية حال — انحرافا عن الجادّة العلمية ، حتى مع ما تضمّنته من حديث عن صاحب المشروع .

* * *

وبعدُ ، فإنّ الفضل من الله وإليه . وأمنيّة هذا العبد الضعيف أن يتفضل المولى بمنّه فيجعل هذا العمل كلّه خالصاً لوجهه ، وأن يتقبله بإحسانه .

« رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

« رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

لبيب السعيد

تمهيد

تمهيد

— ١ —

القرآن أساس الإسلام وقاعدته ، وهو كتاب العربية الأول والأكبر ، وعليه يتوقّف دين المسلمين ودنياهم : هو — عندهم — سبيلهم إلى الفوز العظيم فى الآخرة التى إليها معادهم ، وهو — عندهم — سبيلهم إلى الإمامة والسعادة فى الدنيا التى فيها معاشهم . هو أساس وجودهم السّياسىّ والاجتماعىّ واللغوىّ والأدبىّ ، ولديه — فيما يعتقدون — حلول كلّ مشكلات هذا الوجود . يقول الشافعى : « فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها »(١) .

* * *

وعظّم الله حال القرآن « تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَىٰ »(٢) ، ففى التنويه بعظمته ذِكْرُ عظمة منزّله القادر الذى خلق الأرض ، وهى بما فيها من بَشَر لا يُحْصَوْنَ مختلفى الصفات البدنية والنفسية والذهنية ، وما فيها من وحوش ودوابّ وأنعام وطير ، وما فيها من سهول وجبال وزروع ومناجم ، وما فيها أيضا من أجواء وأزمان وحياة وموت ، هى — بهذا كلّه — ما هى سَعَةً وعجائبَ ؛ وخَلَق السّموات التى لا حصْر لكواكبها ونجومها وتوابعها وأجرامها ، ولم يَؤُدْه رفعها جميعا إلى ما هى فيه من علو(٣) .

---

(١) الرسالة ص ٢٠ (٢) سورة طه / ٤

(٣) انظر : محمد بن الحسن الإسكندرانى : كشف الأسرار النورانية القرآنية ج٢ ص ٧٦

والقرآن — فيما يؤمن به المسلمون — أنزله الله مفصحا عن جلاله، وحجّة لرسوله باقية الإعجاز على الأحقاب، وبيّنة على أمانته فيما بلّغ من وحى.

وهم يعدّونه كتاب العقائد السّامية، وأولها عقيدة التوحيد.

ويعدّونه كتاب الفرائض والعبادات، حيث هو الذى يقرّرها(1).

ويعدّونه كتاب الأخلاق، إذ يحثّ على الفضائل كلّها ويحذّر من الرّذائل كافّتها.

وهم يعدّونه كتاب التّشريع بعامة: الجنائىّ، والمدنىّ، والاقتصادىّ، والاجتماعىّ، والسياسىّ، والحربىّ، ويعدّونه «حجّة الله عليهم وميثاقه الذى واثقهم به»(2).

وهم — بالضرورة — يؤمنون به إذ يقول عن نفسه: «قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ. يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ سُبُلَ السَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ»(3). «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ.»(4) «إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ

(1) ولا يطامن من هذا أنه يدع للرسول أن يبين للناس بعض أحكام هذه الفرائض والعبادات، بل أن يدع للاجتهاد فرصة هذا التبيين «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم» (سورة النحل/٤٤)، «ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» (سورة النساء/٨٣)

(٢) انظر خطبة منسوبة إلى على بن أبى طالب فى «نهج البلاغة» ج٢ ص١٩٩ و٢٠٠

(٣) سورة المائدة/١٥ و١٦

(٤) سورة النحل/٨٩

يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا.»(1)

والقرآن يعرض على النّاس أحوال أمم أو فرق غبرت بحسناتها أو بقبائحها، ويذكر ما انتهى إليه أمرها من خير إن كانت عملت خيرا ومن سوء إن كانت عملت سوءا. وكما يعبّر: «لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ.»(2)، «لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى الْأَلْبَٰبِ.»(3)

ويقول على بن أبى طالب فى القرآن: «ألا إنّ فيه علمَ ما يأتى، والحديثَ عن الماضى، ودواءَ دائكم، ونظمَ ما بينكم»(4)

وكان ابن مسعود يقول: «من أراد علم الأولين والآخرين فليتلُ القرآن(5)»، وهذا يمثّل غالبا اعتقاد المسلمين فيما حواه هذا الكتاب من نفع علمى شامل.

* * *

والقرآن — من الناحية الموضوعية البحت، وبنصّ آياته الصريحة — يحرّر النّاس من ذلّة الخضوع لغير جلال الله وسلطانه، ولا ينافر العلم ولا يخاصمه، بل يُعلى سلطانه وسلطان العقل، ويحفز الناس إلى النظر والتفكير، ويحفظهم من مزالق الأوهام والخرافات، ويعتقهم من الجمود

(١) سورة الإسراء/٩

(٢) سورة الأنفال/٤٢

(٣) سورة يوسف/١١١

(٤) نهج البلاغة ج٢ ص١٣١

(٥) الألوسى: روح المعانى ج١ ص٧

والرقّ ، ويسوّى بينهم ، ويبثّ فيهم الشعورَ بحقوقهم والإيمان بكرامتهم . وفى ظلّه عرفت البشريةُ العدل الأمثل حقيقة واقعة لا حلماً ولا أمنيةً يحلّق بها خيال فيلسوف ، ولا نظنّ أن هناك من يردّ هذا ومعه حجّة علمية .

* * *

والقرآن — وهذه حقائق تاريخية واقعةٌ وقائمة — أنجب عبقريات كثيرة أفاءت على الإنسانية خير نتاج فى الميادين الشرعية والأخلاقية والعقلية والإنسانية والاجتماعية والرياضية والفلكية والفنون التطبيقية ، وأوجد أدباء وخطباء ووعّاظا ، وهو الذى أوجد علماء القراءة والنحو والبلاغة والأصول والفقه والكلام ؛ وهيّأ العقول لفهم حضارات الأمم الأخرى وفلسفاتها ونقلها عَبْرَ القرون مزيدةً مهذّبة . ولقد نشر القرآن لغته وآدابها فى أصقاع ما كانت لتروّدها لولاه . وقد صفّى هذه اللغة من شوائب اللهجات الضعيفة ، ولولاه لاختلفت لغات الشعوب العربية اختلاف فروع اللاتينية أو الجرمانية مثلا .

والقرآن ، بهذه الخصائص كلّها ، ولأنه أطول من الكتب السماوية التى تقدّمته ، وبكون الإعجاز فيه يفوق سائر معجزات النّبيين ، لأنه — على عكسها — لم ينقرض بانقراض عصر النبى ، وبكون هذا الإعجاز لا ينحصر فى الإخبار عن المغيّبات والإعلام بالأحكام كما هو الشأن فى تلك الكتب ، وإنما يشمل النطق والأسلوب ... القرآن ، بهذا كلّه ، يعلو هذه الكتب جميعاً ، وكما يقرر هو : « وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ . »(1) ، « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . »(2)

(1) سورة الزخرف/4 (2) سورة المائدة/48

ومن الواضح الذى لا تجافيه نتيجة أىّ استقصاء أن الدنيا لم تعرفْ — منذ كانت — كتابا تجرّد أتباعه لحفظه ، وبذلُوا أنفسهم فى إتقانه وتفهّمه ، وعُنوا به حرفاً حرفاً ، كما فعل أتباع القرآن .

وقد قيل ـ فى الهجوم عليه ، وفى محاولة صرف أتباعه عنه ـ إنه مكتوب بلغة ميّتة لا يستطيع المسلم أن يفهمها إلاّ بدراسة خاصة(1) ، ولكنّ الواقع الذى يلمسه كلُّ ذى بَصَر بالتاريخ أن الدنيا لم تشهد كتاباً يُدانى القرآن فى إقبال أتباعه عليه واستمدادهم به ، وتقريرهم — فى صدق — أنهم دائما يقرأونه ويكتبونه ويسمعونه ، وهم — مع ذلك — لا يملّونه(2) .

والمشاهد : أنهم — عرباً وغير عرب — سواء فى تعلّقهم بالقرآن ، برغم الجهود المعادية المختلفة الألوان ، والتى كانت وما برحت تُبذل لصرفهم عنه . ومن المؤثر حقا : أن نرى المسلمين غير العرب يردّدون آيات القرآن مغالبين لُكْنتَهم فى محاولات غير هيّنة ، حتى إذا سمعوه من أخ لهم عربىّ أصغَوا إليه بملء قلوبهم وأسماعهم ، وعدّوها فرصة ثمينة يستديمونها ويستزيدون منها .

وكذلك لم تشهد الدنيا كتاباً يُدانى القرآن فى اعتقاد أتباعه الخير فيه ، وطلبهم النفع عنده ، وأخذهم بأوامره وانتهائهم عن نواهيه . وهم — مع توزّعهم فى أرجاء الأرض واختلاف ألسنتهم وأصولهم — يدَعونه يترك فيهم انطباعاته الموحّدة غالباً .

ولقد وَضَح هذا كلّه للولىّ والعدوّ ، فقال قائل المستعمرين « جلادستون » الإنجليزى ، فى أخريات القرن الماضى ، فى مجلس اللوردات البريطانى ، وهو

(1) André Servier : Islam and the Psychology of the Musulman ,p. 197.
(2) الحصرى القيروانى : زهر الآداب وثمر الألباب ج 1 ص 101

يمسك بالمصحف : « مادام هذا الكتاب على الأرض فلا سبيل لنا إلى إخضاع المسلمين[1] » . ومن قبلُ ، وبُعَيْد سنة ١٥١٦ التى طبع فيها الزّبور للمرة الأولى فى إيطاليا ، طُبِعَ القرآن الكريم فى البندقية ، ثم مالبث النصارى أن أعدموا طبعته خوفا من تأثيره على معتقداتهم[2] .

— ٣ —

وإقراء القرآن هو — وهذا شىء طبيعى — أوّلُ ما عمد إليه النبى فى إبلاغ دعوته الكبرى . وقد كان مبعوثوه إلى مختلف الجهات يقومون — أولَ ما يقومون — بإقراء الناس القرآن :

كتب النبى لعمرو بن حزم ، حين وجّهه إلى اليمن ، كتابا أمَرَه فيه بأشياء منها أن « يعلّم الناس القرآن ويفقّههم فيه »[3]

وروى البخارى عن أبى إسحق ، عن البراء ، قال : « أول من قدم علينا من أصحاب النبى — صلّى الله عليه وسلّم — مصعب بن عمير ، وابن أمّ مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن »[4] . وكان مصعب يسمّى المقرىء[5] .

(١) هذه القصة ثابتة مستفيضة .
(٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية حـ ٤ ص ٤٣
(٣) ابن هشام : سيرة النبى حـ ٤ ص ٢٠٥
(٤) أنظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ص ٢٦١ والفراء (البغوى الحسين بن مسعود) : مصابيح السنة حـ ٢ ص ١٩١
(٥) ابن هشام : المرجع السابق حـ ٢ ص ٤٢
وانظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى حـ ٨ ص ١١٧ و ١١٨ (ط . بيروت)
وشرح الزرقانى على المواهب اللدنية حـ ١ ص ٣٧٩

وكان الرجل من المسلمين إذا هاجر إلى المدينة دفعه النبى إلى رجل من الحفظة ليعلّمه القرآن[1] .

ولما فتح النبى مكّة خلّف عليها معاذ بن جبل يقرئهم القرآن ويفقّههم[2] .

وعن أنس بن مالك ، قال : جاء ناس إلى النبى — صلّى الله عليه وسلّم — فقالوا : أن ابعث معنا رجالا يعلّمونا القرآن والسّنّة ، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار ، يقال لهم القراء . . . الخ[3] .

وأوصى النبى بإكرام أهل القرآن ، وسمّاهم أسماءً يفيض بأعظم المعانى : سمّاهم : « أهل الله وخاصّته »[4] ، وقال فيهم : « أشراف أمتى حملة القرآن »[5] ، وقال : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه »[6] . ومن أجل هذا الحديث ، قعد أبو عبد الرحمن السلمى أربعين عاما يقرىء الناس بجامع

(١) انظر : أبو على القالى : شرح المقبلة — الورقة ٦ (مخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، رقمها ٢٣ قراءات)
(٢) انظر نفس المرجع .
(٣) انظر : مسلم : الجامع الصحيح حـ ٦ ص ٤٥ — باب ثبوت الجنة للشهيد .
(٤) رواه ابن ماجه ، وأحمد ، والدارمى ، من حديث أنس
وانظر : المناوى : فيض القدير شرح الجامع الصغير حـ ٣ ص ٦٧
وعلى بن سلطان القارى : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح حـ ٢ ص ٥٧٣
(٥) عن ابن عباس ، ورواه الطبرانى فى : « الكبير »
وانظر : المناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٥٢٢
(٦) رواه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب فضائل القرآن — كتاب ٦٦ باب ٢١
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٦١ وما بعدها
وأبو داود : كتاب ٨ باب ١٤
الترمذى . كتاب ٤٢ باب ١٥
وابن ماجه : حـ ١ ص ٩٢ و ٩٣
والدارمى : كتاب ٢٣ باب ٢
والطيالسى : حديث ٧٣

الـكوفة ، مع جلالة قدره وكثرة علمه[1] .

وقد سئل سفيان الثورى عن الجهاد وتعليم القرآن ، فرجّح الثانى ، واستدلّ بهذا الحديث[2] .

بل إن النبيّ يُعْلى مرتبة أصحاب القرآن أيّما إعلاء ، إذ يقول إنهم يكادون يحوزون فى صدورهم ما حاز الأنبياء ، لولا أنهم لا يتلقَّوْن وحى السّماء ؛ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النّبوة بين جَنْبَيْه ، غير أنه لا يُوحَى إليه »[3] .

والنبي يؤثر أهل القرآن بإمامة الصلاة ، فيقول : « يؤمُّ القومَ أكثرهم قرآناً ، فإن كانوا فى القرآن واحداً فأقدمهم هجرةً ، فإن كانوا فى الهجرة واحداً فأفقههم فقها ، فإن كانوا فى الفقه واحداً فأكبرهم سنّاً »[4] .

وكان القراء أصحابَ مجلس عمر بن الخطاب وأصحابَ مشاورته[5] .

والقرآن يغنى صاحبه عن كلّ حسب و نسب ، وشرفُ التّفقّه فيه فوق كلّ شرف ، ألا ترى أنه لا يصدّ واحداً من أهل القرآن عن إمامة الناس أن يكون أعرابياً أو عبداً مملوكاً أو حتى ولد زنا[6] .

---

(١) ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٣ ، وأبو نعيم : حلية الأولياء ج ٤ ص ١٩٤

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٤

(٣) انظر : الحاكم النيسابورى : المستدرك ج ١ ص ٥٥٢

(٤) انظر : نفس المرجع ج ١ ص ٢٤٣
والفراء (البغوى الحسين بن مسعود) : مصابيح السنة ج ١ ص ٥٥ و ٥٦

(٥) صحيح البخارى ، كتاب ٦٥ باب ٥ ، وكتاب ٩٦ باب ٢

(٦) هذا قول أبي حنيفة ، وبه يأخذ صاحبه محمد بن الحسن الشيبانى
وانظر : محمد بن الحسن الشيبانى : كتاب الآثار ص ١٧

والقيام على خدمة المصحف وتعليمه للناس هو فخر الفاخرين . يقول العجّاج فى رَجَزه :

ثم رأى أهل الدّسيع الأعظم   خندف والجدّ الخِضَمّ الخضم
وذروة النّاس وأهل الحكَم   ومستقرّ المصحف المرقّم
عند كريم منهم مكرّم   معلّمٍ آىَ الهدى معلّم
مباركٍ للأنبياء خاتمٍ   لخندف هامة هذا العالم[1]

* * *

وسمّى الله القرآن ذكراً ، وتوعّد المعرض عنه ، فقال : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ . »[2]

وخوّف النبيّ المسلمين من نسيان القرآن تخويفاً قَتّالا ، فقال : « ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلاّ لقىَ الله يوم القيامة أجذم »[3] .

وكما أنّ الناس مُتعبّدون باتّباع أحكام القرآن وحفظ حدوده ، فهم متَعبّدون بتلاوته وحفظ حروفه[4] ، بل إنّه ورد فى الحديث « أفضل العبادة قراءة القرآن »[5] ، كما ورد « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن »[6]

---

(١) مجموعة أشعار العرب ، وهو يشتمل على ديوانى الأراجيز للعجاج والزّفيان ص ٦٠ الأبيات ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧

(٢) سورة طه/١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦

(٣) انظر : الفراء : مصابيح السنة ج ١ ص ١٠٥

(٤) ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٣٨

(٥) المناوى : فيض القدير ج ٢ ص ٤٤

(٦) أخرجه البيهقى فى « شعب الإيمان » ، وانظر المرجع السابق .

وقد أثنى الله على من كان دأبه تلاوة القرآن ، فقال « يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ »[1] ، « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ . لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ . »[2]

والنبي يحض على حفظ القرآن ودوام تلاوته والعمل به ، فيقول : « مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأترجّة[3] : ريحها طيبٌ ، وطعمها طيبٌ ؛ ومَثَل المؤمن الذي لايقرأ القرآن مَثَل الثمرة : لاريح لها ، وطعمُها طيّب حلو ؛ ومَثَل المنافق الذي يقرأ القرآن مَثَل الريحانة : ريحها طيّب ، ولاطعم لها ؛ ومَثَل المنافق الذي لايقرأ القرآن كمَثَل الحنظلة : ليس لها ريح وطعمها مرّ »[4] .

وفى صحيح مسلم[5] عن عائشة قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السَّفَرَةِ[6] الكرام البَرَرَةِ ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع[7] فيه ، وهو عليه شاقّ له أجران »[8] .

* * *

وقد جاز التبديل والتغيير على أهل الكتب الدينية الأخرى ، فقد

---

(١) سورة آل عمران/١١٣

(٢) سورة فاطر/٢٩ و ٣٠

(٣) هى ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون

(٤) أخرجه البخارى فى ٧٠ — كتاب الأطعمة : ٣ — باب ذكر الطعام ، (رواه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، عن أبى موسى الأشعرى)
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٥٤ و ٥٥

(٥) حـ ٦ ص ٨٤

(٦) يعنى : فى منازل الملائكة ، لأنه يحمل - مثلهم - كتاب الله تعالى .

(٧) يتردد فى تلاوته لضعف حفظه .

(٨) أجر القراءة ، وأجر المشقة .

حرّفوا الكلم من بعد مواضعه[1] ، وشهد شهود منهم أنّ بعضهم كتبوا الكتاب بأيديهم ، وكما عبّر القرآن — « وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »[2] .

واندرست على الأيام الكتب القديمة التى ذكرها الله فى كتابه فى قوله : « إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ . »[3] ولا يُعرف اليومَ منها شىء ، أما القرآن فمحفوظ أبداً فى الصدور ، وفى السطور ، « لا يغسله الماء » كما جاء فى حديث قدسى[4] .

— ٣ —

ويقول « يوسف على » مترجم معانى القرآن إلى الإنجليزية : « ليس فى الدنيا كتاب وُضِعت فى خدمته مثل هذه الكثرة من المواهب التى وُضِعَت فى خدمة القرآن ، ولا مثل هذه الوفرة من العمل والوقت والمال »[5] . وهذا حقّ ، فقد عنى المسلمون بالقرآن عناية لم يظفر بها — على مدى التاريخ — أىّ كتاب سماوى أو غير سماوى . ولعلّ من مصاديق هذه العناية هذه الأعداد الضخمة من الكتب الجليلة التى خَدَمَتْ علوم القرآن منذ أقدم القرون الإسلامية ، وهذه البحوث والفنون التى كان القرآن دائماً موضوعها[6] .

---

(١) سيكون لنا فى أحد فصول الكتاب حديث مفصل فى هذا الشأن ، إن شاء الله .

(٢) سورة آل عمران/٨٧

(٣) سورة الأعلى/١٨ و ١٩

(٤) أى أن محوه من الصحف بالماء لا يؤثر فيه ولا يزيله .
وانظر : مسلم بن الحجاج : الجامع الصحيح حـ ٨ ص ١٥٨ و ١٥٩ ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار .
وانظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٦

(٥) Commentaries on the Quran. p. IX

(٦) نقلا عن : السيوطى : الإتقان جـ ٢ ص ١٢٦ و ١٢٧ بتصرف .

(ا) فقد عنى القراء بضبط لغات القرآن ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه ، وعددها ، وعدد كلماته وآياته ، وسوره وأحزابه ، وأنصافه ، وأرباعه ، وعدد سجداته ، وحصر الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة .

(ب) واشتغل النحاة بالمعرب منه من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها ، وتكلموا فى الأسماء وتوابعها ، وضروب الأفعال ، واللازم ، والمتعدى ، ورسوم خطّ الكلمات ، وتوسّعوا فى شواهده ، حتى لقد أحصوا منها — فيما قيل — ثلاثمائة ألف بيت من الشعر . يقول « مصطفى صادق الرافعى » تعقيباً على هذا : « ولعمر أبيك إنها لمعجزة فى فنها[1] » . وبلغ من عناية بعضهم بالقرآن أن أعربه كلمة كلمة[2] .

(ح) والتفت المفسرّون إلى ألفاظه وإلى معانيه ، فأوضحوا الخفى منها ، وخاضوا فى ترجيح المعانى التى يختارونها للألفاظ . وقد ذكر «حاجى خليفة» من تفاسير القرآن وكتب معانيه ومشكله ومجازه وغريبه ولغاته وقراءاته ، ذكرَ من هذا بعض ماعرف فى زمنه ، فبلغ ما ذكره مئات كثيرة[3] .

= ويذكر السيوطى أن أبا بكر بن العربى ذكر فى قانونه «التأويل» أن علوم القرآن ٧٧٤٥٠ ، على عدد كلم القرآن مضروبة فى ٤ ، على أساس أن لكل كلمة ظهراً وبطنا وحداً ومطلعا ، وذلك فى المفردات وحدها ، فأما إذا اعتبرت التراكيب ومابينها من روابط كان ما لا يحصيه إلا الله تعالى (نفس المرجع ص ١٢٨ .)

وانظر أيضاً الكتب المصنفة فى الموضوعات القرآنية فى : ابن النديم : الفهرست ص ٣٣ — ٣٥ (ط ، أوربا)

(١) إعجاز القرآن — هامش ص ١١٩

(٢) انظر مثلا :

العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه إعراب القرآن .

وابن خالويه : كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم .

(٣) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٣ — ٣٦

(ى) واتجه الأصوليون إلى القرآن يستنبطون مما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية علم أصول الدين ، كما يستنبطون منه أحكام اللغة : من الحقيقة ، والمجاز ، والتخصيص ، والإخبار ، والنص ، والظاهر ، والمحتمل ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمر ، والنهى ، والنسخ ، إلى غير ذلك من الأقيسة ، واستصحاب الحال ، والاستقراء .

(هـ) وتخصص علماء الفروع فى إحكام النظر والفكر فيما فى القرآن من الحلال ، والحرام ، وسائر الأحكام .

(و) وأخذ أهل التاريخ والقصص من معين القرآن تاريخَ الأمم الخالية وقصص القرون السالفة .

(ز) واعتمد الخطباء والوعاظ فى وعظهم على مافى القرآن من الوعد ، والوعيد ، والتحذير ، والتبشير ، وذكر الموت ، والميعاد ، والحشر ، والحساب ، والعقاب ، والثواب ، والجنة ، والنار .

(ع) وأقام علماء الفرائض علمهم على نصوص القرآن وشروحها .

(ط) كما استخرج أصحاب علم المواقيت قواعد علمهم من آيات القرآن .

(ى) وكذلك استنبط البلاغيوّن علوم المعانى والبيان والبديع من نظرهم إلى مافى القرآن من جزالة اللفظ وبديع النظم ، وحُسْن السّياق ، والمبادىء ، والمقاطع ، والمخالص ، والتلّوين فى الخطاب ، والإطناب ، والإيجاز ، وغير ذلك .

(ك) ومن معانى القرآن ودقائقه أخذ الصوفية مصطلحات فنّهم ، وقبسوا أنوار طريقهم .

— ٤ —

والقرآن فى كل بلد إسلامى هو دستوره الحى الأصيل . ومصر الجمهورية

العربية المتحدة بالذات تأخذ بالقرآن منذ دخلها الإسلام . وقد نصت دساتيرها المتعاقبة فى العصر الحديث على أن دينها الرسمى هو الإسلام دين القرآن ، وأن لغتها الرسمية هى اللغة العربية لغة القرآن ؛ وهذه الجمهورية — فوق ذلك — هى الآن ، من بين بلاد الدنيا ، موئل الدراسات الإسلامية والآداب العربية ، وكلها تستمد — أولَ ما تعتمد — على القرآن .

* * *

وقد يعترض معترض على الأخذ بالقرآن بإطلاق ، وعلى اتخاذه دستوراً وسبيلاً إلى الإمامة فى الأرض ، فيقول إن الأعصر الحديثة غير العصر الذى جاء فيه ، ولكن هذا الإعتراض محجوج بما ذكرنا مضمونه فى أكثر من كتاب من كتبنا ، وهو أن للقرآن منهجاً خاصاً فى تقرير الأحكام ، فهو يضع — بما يناسب روحه ويساير وجهته — الأصول الكلية والمبادىء العامة ، ثم يدع للسنّة تفسير هذه الأصول والمبادىء ، ويدع للمجتمع — بعد الرسول — تطبيقها بما يكفل مواجهة ظروف الحياة المتجددة ومطالب الأزمنة والبيئات المتغيرة .

وعندنا — فى غير خروج على الموضوعية — أنه ليس يصعب على أهل القرآن — إذا عرفوا الأشباه ، وقاسوا الأمور بنظائرها ، ورجعوا إلى أعراف الناس ، فى الإستطابة والإستخباث ، وانتفعوا بالاستدلالات ، والتفريعات ، وسائر قوانين الاستمداد ، وقوانين الاستنباط ، مما عُنى به علم الأصول ... ليس يصعب — إذا فعلوا ذلك — أن يستخلصوا من آى الكتاب ، ومن السنّة الشارحة ، ومن تطبيقات السلَف : مبادىء مثالية على الدوام ، تواثم أحوالهم ، وتحقق مصالحهم ، وأن يطبقوها متميزين ، آخذين من كتابهم : نصوصه وروحه ومعقوله ، مسيغين ما يأخذون ، متبوعين لا تابعين[1] .

(١) انظر لبيب السعيد : العلاقات العالمية الإنسانية وأيديولوجيتها فى المجتمع العربى ص ١٩١ .

القسم الأول

تسجيل القرآن كتابياً وصوتياً

الباب الأول

الجمعان الكتابيان

الفصل الأول : جمع أبي بكر

الفصل الثاني : جمع عثمان

الفصل الأول

جمع أبي بكر

الفصل الأول

جمع أبي بكر

— ١ —

يطلق « الجمع » — في كلام أهل القرآن — إما على حفظه جميعه عن ظهر قلب ، ومنه قوله تعالى : « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْءَانَه »[١] ، وإما على جمع متفرّقه في صحف ، ثم جمع تلك الصحف في مصحف واحد ، مرتب الآيات والسوَر على النحو الذي تلقته الأمة من النبي[٢] .

والجمع بالمعنى الثاني هو الذي نقصده هنا .

— ٢ —

والثابت أن القرآن لم يُجمع على عهد النبي في مصحف واحد :

عن زيد بن ثابت ، قال: « قُبِضَ النبي — صلى الله عليه وسلم — ولم يكن القرآن جُمِع في شيء »[٣] .

وربما كان ذلك لأنَّ القرآن ظلّ عشرين سنةً أو يزيد ينزل منجّماً ، ولأنَّ النسخ كان يرد على بعض الآيات ، فلو جُمِعَ القرآنُ وقتئذ ، ثم رُفِعَتْ

---

(١) سورة القيامة/١٧

(٢) عن ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ٨ (بتصرف)

(٣) نقله ابن حجر عن الجزء الأول من فوائد الدير عاقولي — انظر : فتح الباري ج ٩ ص ٩ ، وانظر : السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٧

تلاوة بعضه « لأدّى إلى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله فى القلوب إلى انقضاء زمان النسخ »[1] .

وقيل فى هذا أيضاً إن الله تعالى كان أمَّن النّبي من النسيان بقوله : « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ »[2] ، أى ما شاء الله أن يُرفع حُكْمُه بالنسخ ، فلما تُوفّىَ النبي أصبح النسيانُ ممكنَ الوقوع من الناس ، ومن هنا أصبحت الحاجة ماسّة إلى جمع القرآن وحفظه وتدوينه[3] .

والنبي — فى حياته — كان بين ظهرانى المسلمين ، يقرأون القرآن بين يديه ، ويملكون الإسترشاد به هو نفسه فى شأن هذا الكتاب ، وفى كل شأن ، ولذلك كان الخطأ فى القرآن — على عهده — مأموناً تماماً .

وفى ذلك العهد ، كان الإسلام الناشىء لا يزال محدود الرقعة ، فلم تكن الحاجة إلى جمع القرآن فى نفس شدّتها على عهد أبى بكر ثم على عهد عثمان .

على أن الثابت أنّ النبيّ كان يستحفظ أصحابه ما ينزل عليه من القرآن عَقِب نزوله ، وكان له كتّاب ، يكتبون — بين يديه ، وبأمره ، وإقراره — ما ينزل عليه ،

---

(1) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ج 1 ص ٢٣٥

(2) سورة الأعلى/٦

(3) انظر : الزركشى : البرهان ج 1 ص ٢٣٨

وعلى ذكر النَّسْخ ، نذكر أنه ثبت فى الصحاح ، عن عائشة وابن عباس ، أن جبريل كان يعارض النبي — صلى الله عليه وسلم — بالقرآن ، فى كل عام مرة ، فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه به مرتين ، والعرضة الأخيرة هى قراءة زيد بن ثابت وغيره ، وهى التى أمر الخلفاء الراشدون بكتابتها فى المصاحف (ابن تيمية : فى قول النبي — صلى الله عليه وسلم — نزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة ص ٥٠ و ٥١)

وقد شهد زيد بن ثابت العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى ، وكتبها لرسول الله ، وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات ، ولهذا اختير لجمعين الكتابيين البكرى والعثمانى (انظر : الزركشى : المرجع السابق ص ٢٣٧)

وكانوا — على ما اعتاد العرب — يكتبونه فى اللِّخاف[1] والعُسُب[2] والأكتاف[3] والرقاع[4] والأقتاب[5] وقِطَع الأديم[6] .

روى البخارى عن البَرَاء قال : لما نزلت « لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »[7] ، قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أُدع لى زيدا (يريد زيد بن ثابت) ، وليجىء بالكتف والدواة » .

والمسلمون مجمعون على أن الصحابة ما كانوا يكتبون إلا ما كانوا يقطعون بسماعه من النبي ، صلى الله عليه وسلم[8] .

والثابت أيضا أنه ، فى زمن النبي ، كان تأليف ما نزل من الآيات المفرّقة فى سورها ، وجمعها فيها بإشارة منه . أخرج الحاكم — بسند على شرط الشيخين —

---

(1) واحدتها لخفة — بضم اللام وسكون الخاء — وهى الحجارة الدقاق . وقال الخطابى : صفائح الحجارة الرقاق ، وقال الأصمعى : فيها عرض ودقة . وفسره أبو ثابت أحد شيوخ ابن حجر بالخزف ، وهى الآنية التى تصنع من الطين المشوى (ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ١١ . وانظر : السيوطى : الإتقان ج ١ ص ٥٨ و ٥٩)

(2) جمع عسيب ، وهو جريد النخل . كانوا يكشطون الخوص ، ويكتبون فى الطرف العريض (السيوطى : نفس المرجع ص ٥٨)

(3) جمع كَتِف ، مثل كَذِب وكَذْب ، أنثى ، وهو العظم العريض الذى للبعير أو الشاة ، كانوا إذا جف كتبوا عليه . وفى الحديث : « إيتونى بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً » (أنظر : ابن منظور : لسان العرب . مادة (ك ت ف) وانظر : السيوطى نفس المرجع ص ٥٩)

(4) جمع رقعة . وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد (ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ١١ . والسيوطى : المرجع السابق)

(5) مفرده قِتب وقَتَب ، وقد يؤنث ، والتذكير أعم ، وهو إكاف البعير ، أى الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه (انظر : لسان العرب — مادة (ق ت ب) وانظر : السيوطى : المرجع السابق)

(6) الجلد المدبوغ (المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير — مادة (أدم))

(7) سورة النساء/٩٥

(8) أنظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٤٨

عن زيد بن ثابت ، قال : كنا عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نؤلف القرآن من الرقاع [1] . قال البيهقي : الشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرّقة في سورها ، وجمعها فيها ، بإشارة من النبي ، صلى الله عليه وسلم [2] .

وقد كان كل ما يكتب من القرآن — على عهد النبي — يحفظ في بيته .

والشيعة يروون في هذا « أن رسول الله — صلى الله عليه وآله — قال لعليّ — عليه السلام — : ياعليّ ، إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس ، فخذوه ، واجمعوه ، ولا تضيّعوه . . . الخ » [3]

ولئن قيل إن الثابت المتواتر هو ما ألمعنا إليه قبلا ، وهو أن النبي لحق بالرفيق الأعلى والقرآن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السوّر [4] ، لقد علمنا أن هذا كان من حيث الكتابة فقط لا من حيث الحفظ في الصدور .

— ٣ —

وتوفى النبي ، فقام بالأمر بعده أبو بكر ، وارتدّ بعض العرب عن الإسلام ، وظهر مسيلمة وأصحابه يدّعون النبوة ، فتصدى أبو بكر لقتال هؤلاء جميعا ، وقُتِلَ من الصحابة وقتئذ ممن حَفِظَ القرآنَ جمعٌ كبير ، فأثار ذلك الخوفَ على القرآن ، فكان أوّل جمع كتابي له .

يروي البخاري في صحيحه قصة هذا الجمع ، فيقول [5] :

« . . . عن زيد بن ثابت ، قال :

(١) المستدرك ج ٢ ص ٦١١

(٢) السيوطي : المرجع السابق ج ١ ص ٥٧

(٣) الكاشاني ملا حسن فيض : الصافي ص ٩

(٤) السيوطي : المرجع السابق

(٥) انظر : كتاب فضائل القرآن ، وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ٨ — ١٢

أرسل إليّ أبو بكر — مقتل أهل اليمامة [1] ، فإذا عمر بن الخطاب عنده .

قال أبو بكر — رضى الله عنه — :

إن عمر أتاني ، فقال : إنّ القتل قد استحرّ يومَ اليمامة بقرّاء القرآن ، وإني أخشى أن يستحرّ القتل في المواطن [2] ، فيذهب كثير من القرآن [3] ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن .

قلت لعمر :

كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال عمر :

هذا والله خير .

فلم يزل عمر يراجعني ، حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك رأى عمر .

قال زيد :

وقال أبو بكر :

إنك رجلٌ شابٌ [4] عاقلٌ لا نتهمك ، وقد كُنتَ تكتب الوحي لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فتتبعْ القرآنَ واجمْعه .

(١) اليمامة واقعة اشتبك فيها المسلمون بمسيلمة الكذاب ، في أهل اليمامة ، زمن الرِّدّة ، وفيها استشهد من الصحابة نحو ٤٥٠ ، وقيل ٧٠٠ ، وقيل : أكثر ، وجملة القتلى من المسلمين ٩٦٠ أو يزيدون .

(انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٥٢ ، في حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة) .

(٢) المراد : الأماكن التي يقع فيها القتال .

(٣) يعني بموت حفاظه ، ونقص من يبقون عن عدد التواتر في نقل القرآن - مما يجعله ظنيا لا يؤمن الغلط فيه .

(٤) كان زيد وقتها في الثانية والعشرين ، ذلك أنه كان ابن إحدى عشرة سنة ، حين قدم النبي المدينة (أبو الفدا : البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٦)

قال زيد :

فوالله لو كلّفونى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علىّ مما أمرونى به من جمع القرآن !

قلت :

كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟

فقال :

هو والله خير .

فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب ، واللِّخاف ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة « لَقَدْ جَاءَكُمْ . . . »[1] مع أبى خزيمة الأنصارى الذى جعل النبى، صلى الله عليه وسلم، شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره ، فألحقتها فى سورتها .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قُبض ، ثم عند حفصة بنت عمر »[2] .

وحفصة هى إحدى زوجات الرسول ، وكانت تحفظ القرآن ، وكانت قارئة كاتبة ، وكان أبوها عمر أوصى إليها .

---

(١) سورة التوبة/١٢٨

(٢) انظر : مكى بن أبى طالب : الإبانة عن معانى القراءات ص ٢٣ و ٢٤ والزركشى : البرهان ج ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ والسيوطى : الإتقان ج ١ ص ٥٧

ومع أن الصحابة كانوا قد شاهدوا تلاوة القرآن من النبى عشرين سنة ؛

ومع أن القرآن كان — كما قلنا — مكتوباً فعلاً على عهد النبى إلاّ أنه كان مفرّقاً ؛

ومع أنّ تزوير ما ليس منه كان مأموناً ؛

ومع أنّ هذا الجمع جمعَ أبى بكر كان — كما قال الحارث المحاسبىّ فى كتاب « فهم السنن »[1] — « بمنزلة أوراق وُجِدَتْ فى بيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منتشراً ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط ، حتى لا يضيع منها شىء » ؛

ومع أنّ زيد بن ثابت — الذى كان فى حكم رئيس لجنة الجمع — كان هو وغيره من الصحابة يحفظون القرآن ؛

ومع أنهم كانوا حرّاساً أمناء على القرآن ؛

فقد اتُّبِعَ فى هذا الجمع منهجٌ دقيق حريص متحرِّج أعان على وقاية القرآن من كلّ ما لحق النصوصَ الأخرى من مظنّة الوضع والإنتحال ، وعوامل النسيان والضّياع :

١ — كان كلّ من تلقّى من رسول الله شيئاً من القرآن يأتى به[2] .

ومعلوم أن ذلك كان بكلّ الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، والتى سنبسط القول فيها فى موضع آخر من هذا البحث .

---

(١) انظر : السيوطى : الإتقان ج ١ ص ٥٨

(٢) انظر : ابن الجوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ص ٩٤

٢ — وكانوا يكتبون ذلك فى الصُّحف والألواح والعُسُب[١] .

٣ — وكان لا يُكتب إلا :

(ا) من عين ما كُتب بين يدى النبى ،صلى الله عليه وسلم ، لامن مجردّ الحفظ[٢] ، مع المبالغة فى الاستظهار والوقوف عند هذا[٣] .

(ب) وماثبت أنه عرض على النبى ،صلى الله عليه وسلم، عام وفاته ، دون ما كان مأذونا فيه قبلها[٤] .

(حـ) وما ثبت أنه من الوجوه التى نزل بها القرآن[٥] .

٤ — وكانت كتابة الآيات والسوّر على الترتيب والضبط اللذين تلقّاها المسلمون عن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم[٦] .

٥ — وكان لا يقبل من أحد شىء حتى يشهد شهيدان ، أى أنه لم يكن يُكتفى بمجرد وجدان الشىء مكتوبا حتى يشهد به من تلقّاه سماعا[٧] .

٦ — وكان عمر وزيد يقعدان على باب المسجد — بأمر أبى بكر — ليكتبا مايشهد عليه الشاهدان[٨] .

---

(١) انظر : نفس المرجع

(٢) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٠

(٣) نفس المرجع ص ١٢

(٤) انظر : القسطلانى : لطائف الإشارات . الورقة ٦ من المخطوطة رقم ٤٦ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٥) السيوطى : المرجع السابق

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٢

(٧) قال ابن حجر : وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب (فتح البارى : جـ ٩ ص ١١)

(٨) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٨

والتزمت اللجنة بهذه القواعد ، حتى قيل إن عمر نفسه أتى بما سمّوه بآية الرجم ، فلم يكتبها زيد ، لأن عمر كان وحده[١] .

وكذلك من دلائل الالتزام بتلك القواعد ، ما أخرجه ابن الأنبارى فى (المصاحف) ، ونقله السيوطى فى تفسيره للآية : « حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ »[٢] من أنّ حفصة أمّ المؤمنين وابنة عمر بن الخطاب — كما أسلفنا — قالت : إذا انتهيتم إلى هذه الآية فأخبرونى ، فلما بلغوا إليها ، قالت : اكتبوا : « والصلاة الوسطى وهى صلاة العصر » ، فقال لها عمر أبوها : ألك بيّنة بهذا ؟ قالت : لا . قال : فوالله لا نُدخل فى القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بيّنة[٣] .

— ٥ —

وحَظِيَ عمل أبى بكر هذا برضى المسلمين : أخرج ابن أبى داود فى (المصاحف) بسند حسن عن عبد خير ، قال : سمعت علياً يقول : أعظم

---

(١) نفس المرجع

وقد أخرج أحمد ، والطبرانى فى «الكبير» ، من حديث أبى أمامة بن سهل ،عن خالته العجماء : « إن فيما أنزل الله من القرآن : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة» ، وأخرجه ابن حبان ،فى صحيحه ،من حديث أبىّ بن كعب بلفظ : « كانت سورة الأحزاب توازى سورة البقرة ، وكان فيها آية الرجم : « الشيخ والشيخة . . . الحديث » (انظر : الشوكانى : نيل الأوطار جـ ٧ ص ٩١)

والشك فى قرآنية هذا القول كبير جداً ،وله ما يبرره . يقول مصطفى صادق الرافعى تعقيباً عليه : « فانظر أى نظم هذا . . ونحن لا نتحرج أن نقسم أن (الشيخ والشيخة) و (فارجموهما البتة) مما لا يمكن بحال أن يكون من نظم القرآن ، وأن ذلك من اللفظ القبح والكلام الفسول الذى لا يشابه القرآن فى جزالته ، وقوة أسره ، ودقة نظمه ، وصلابة معجمه ، وأولى لمن جاء بها ثم أولى » (إعجاز القرآن ص ٢٩)

(٢) سورة البقرة/٢٣٨

(٣) انظر : السيوطى : الدر المنثور جـ ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣

الناس فى المصاحف أجراً : أبو بكر ، رحمة الله على أبى بكر ! هو أول من جمع بين اللوحين[1] .

— ٦ —

ولقد اعترض بعض الروافض بعدُ على جمع القرآن . ولعلّ ابن حجر العسقلانى أن يكون قد جمع كلّ الرّدود على هذا الاعتراض .

قال ابن حجر :

« سُوِّل لبعض الروافض أن يوجّه الاعتراض على أبى بكر بما فعل من جمع القرآن فى المصحف ، فقال : كيف جاز أن يفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال :

والجواب عن ذلك :

أنه لم يفعل ذلك إلاّ بطريق الإجتهاد السّائغ النّاشئ عن النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامّتهم .

وقد كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أذن فى كتابة القرآن ، ونهى أن يكتب معه غيره ، فلم يأمر أبو بكر إلاّ بكتابة ما كان مكتوباً ، ولذلك توقف زيد عن كتابة الآية من آخر سورة « براءة » حتى وجدها مكتوبةً ، مع أنه كان يستحضرها ومن ذكر معه .

وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم أنه يُعدّ فى فضائله ، وينوّه بعظم منقبته ، لثبوت قوله،صلى الله عليه وسلم : «من سنّ سنّةً حسنة فله

(١) ص ٥

أجرها وأجر من عمل بها » ، فما جمع القرآنَ أحدٌ بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة .

وقد كان لأبى بكر من الاعتناء بقراءة القرآن ما اختار معه أن يردّ على ابن الدّغنة جواره بجوار الله ورسوله[1] .

وقد أعلم الله تعالى فى القرآن أنه مجموع فى الصحف فى قوله : « يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً »[2] .

وكان القرآن مكتوباً فى الصُّحف، لكن كانت مفرّقة ، فجمعها أبو بكر[3] ».

— ٧ —

وقد قيل إنّ آخرين من الصحابة سبقوا أبا بكر إلى جمع القرآن . ونحن مناقشو هذه الروايات : !

١) روى الشيعة أن علياً ، لما أراه النبي القرآن خلف فراشه فى الصّحف والحرير والقراطيس ، وطلب إليه جمعه ، انطلق فجمعه فى ثوب أصفر ، ثم ختم عليه فى بيته ، وقال : لا أرتدى حتى أجمعه .

وقال راوى الخبر :

إنْ كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه[4] .

ويردّ هذه الرواية أنّ فى أعقابها — فى مصدرها — قصةً لم يروها غير

(١) انظر هذه القصة فى : ابن هشام : سيرة النبى ج ١ ص ٣٩٥ و ٣٩٦
(٢) سورة البينة /٢
(٣) انظر : فتح البارى ج ٩ ص ١٠ . وانظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٢١
(٤) الكاشانى ملا حسن فيض : الصافى ص ٩

غلاة الشيعة ، ومؤدّاها أنّ عليًا جَمَع القرآن ، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار ، « فلما فتحه أبو بكر ، خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر ، وقال : يا علىّ ! اردده ، فلا حاجة لنا فيه » . وتقول القصّة : إن عمر دبّر فى قتل علىّ على يد خالد بن الوليد ، وإن عليًا قال لعمر لما سأله إحضار مصحفه : « إنّ القرآن الذى عنـدى لا يمسّه إلاّ المطهّرون والأوصياء من وُلْدى » . فقال عمر : « فهل وقتٌ لإظهاره معلوم ؟ » قال علىّ : « نعم ، إذا قام القائم من وُلْدى يُظهره ، ويحمل الناس عليه ، فتجرى ألسّنة به »[1] .

والوضع ظاهر فى هذه القصـة الحاشدة بالأقوال الخطيرة ، وذات اللّون الشيعىّ الفاقع ، والتى سنناقشها فى فصل تالٍ فنجدها تحمل أسباب رفضها .

وثمّة رواية أخرى بأن عليًا جَمَع القرآن عقب وفاة النبى مباشرة ، وأن ذلك شَغَلَه عن بيعة أبى بكر[2] ، ولـكن التحقيق يثبت أن بعض طرق هذه الرواية — وهو ما أخرجه أبو داود عن طريق ابن سيرين — ضعيف ، وبعض طرقها — وهو ما أخرجه غير واحد من رواية أبى حيان التوحيدى — موضوع . أما الذى صحّ — كرواية أبى الضريس فى فضائل علىّ فمحمول على الجمع فى الصّدر ، أى على الحفظ عن ظهر قلب[3] .

هذا ، وقد قيل إن جمع علىّ كان أشبه بكتاب علم ، وكانت فيه أشياء كالناسخ والمنسوخ ، وإذن فصورته غير صورة الجمع البـكرى ، وغرضه غير غرضه[8] .

---

(١) نفس المرجع ص ١٠

(٢) ابن أبى داود السجستانى : المصاحف جـ ١ ص ١٠ ، والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٧ و ٥٨

(٣) انظر : الألوسى : روح المعانى جـ ١ ص ٢١

(٤) انظر : نفس المرجع

على أن وجود هذا الـكتاب مشكوك فيه أصلاً ، فابن سيرين يقول : « تطلّبتُ ذلك الـكتاب ، وكتبتُ فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه[1] » .

وربّما عضّد أوليّة جمع أبى بكر ما أوردناه آنفا عن علىّ نفسه ، حيث يقول : « أعظم الناس فى المصاحف أجراً أبو بكر ، رضى الله عنه ! رحمة الله على أبى بكر ! هو أول من جمع بين اللوحين[2] » .

٢) ورواية أخرى أخرجها ابن أبى داود من طريق الحسن ، ونصّها : « أن عمر سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : كانت مع فلان ، فقُتِل يوم اليمـامة ، فقال : إنّا لله ! وأمر بجمع القرآن ، فـكان أول من جمعـه فى الصحف[3] » .

ولـكن إسناد هذه الرواية منقطع[4] . والظن أنها لا تعدو رواية البخارى التى أسلفناها ، والتى تقرر أن عمر هو فعلاً صاحب فكرة الجمع الأول ، وأنه أشار بها على أبى بكر ، ولم يزل يراجعه حتى شرح الله لها صدره[5] .

٣) وروى عن أبى بريدة أنه قال :

« أول من جمع القرآن فى مصحف سالمٌ مولى أبى حذيفة : أقسم لا يرتدى برداء حتى يجمعه ، فجمعه[6] » .

---

(١) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٨

(٢) نفس المرجع ، وانظر : ابن أبى داود السجستانى : المصاحف جـ ١ ص ٥

(٣) نفس المرجع ، وبهذا عبر القرمانى فى مختصره ، وابن الجوزى فى « تاريخ عمر بن الخطاب » .

وانظر : ابن أبى داود : المصاحف ص ١٠

والسيوطى : الدر المنثور جـ ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣

وابن عساكر : التاريخ الـكبير جـ ٥ ص ١٣٣ .

(٤) السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٨

(٥) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٠

(٦) السيوطى : المرجع السابق

والشك يحيط بهذه الرواية أيضاً إحاطة تُسقطها :

ففي رأى السيوطى — كما يذكر الألوسى — أنّ قول أبي بريدة ، مع غرابته وانقطاعه ، محمول على أنّ سالماً هو أحد الجامعين بأمر أبي بكر .

ولكن الألوسيّ يصف قول السّيوطيّ بأنه عثرة لا يقال لها : لعاً ، لأنّ سالماً قتل فى وقعة اليمامة التى كان موت الحفّاظ فيها هو سبب الجمع [١] .

٤) وقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام [٢] فى أول كتابه فى القراءات أسماء من نُقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة ، فذكر منهم ابن عباس ، وذكر ذلك ابن الجزرى فى «النشر» [٣] فقال آرثر جفرى [٤] (Arthur Jeffery) فى غير تثبت ، إن اسم ابن عباس ورد فى قوائم الذين جمعوا القرآن فى حياة النبى . ولكن هذه الرواية — بهذا الفهم الخاطئ — تتعرض للشك إذا عرفنا أن ابن عباس وُلِدَ — على الأثبت — قبل الهجرة بثلاث ، وكان له ثلاث عشرة سنة عند وفاة الرسول [٥] ، وهذه سنّ لا يقوى صاحبها — غالبا — على مثل هذه المهمّة الدقيقة . وقد عبّر جفرى نفسه عن مثل هذا الشك [٦] . ولكن بعد أن قال ما قاله .

* * *

تلك بواعث الجمع الأول للقرآن ، وتلك مخطّطاته ، فماذا عن الجمع العثمانى ؟

---

(١) روح المعانى جـ ١ ص ٢٢

(٢) كان أبو عبيد مقدَّما فى القرآن والفقه والأخبار والعربية ، حسن الرواية ، صحيح النقل . وكان أول أمره جمالا . وعرف من كتبه نيف وعشرون كتابا ، وهو أول من استقصى وجوه القراءات فى كتاب ، وقد روى القراءة عن الأعمش . مات بمكة سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤ عن ٦٧ سنة ، وقيل سنة ٢٣٠ : (انظر السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة جـ ٢ ص ٢٥٣ و ٢٥٤ ، وابن النديم : الفهرست ص ٧١ ، وابن الجزرى : طبقات القراء جـ ١ رقم ٢٥٢٢) .

(٣) جـ ١ ص ٦

(٤) انظر : Materials for the History of the Text of the Quran, p. 193.

(٥) ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤ ص ٩٠

(٦) Jeffery, p. 193.

الفصل الثانى

جمع عثمان

الفصل الثانى

جمع عثمان

— ١ —

تلقّى الصحابة القرآن ، عن النبى ، ثم انتشروا بعيداً عن منزل الوحى ، يلقّنون الناس القرآن على النحو الذى تلقّوه من النبى ، فوقعت بينهم اختلافات يسيرة :

(ا) إما بألفاظ مختلفة فى السّمع لا فى المعنى ، كقراءة «جذوة» مثلثة الجيم [١] .

(ب) وإما فى السمع والمعنى ، كقراءة « يُسَيِّرُكُمْ » و« يَنْشُرُكُمْ » [٢]

(حـ) وإما مخالفة الخط وغير مخالفة :

١ — بزيادة ونقص ، نحو : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى » [٣] بنقص لفظ « وَمَا خَلَقَ » [٤]

---

(١) سورة القصص ، من الآية ٢٩ .

ويقرأ عاصم بفتح الجيم ، ويفتحها حمزة وخلف ، ويكسرها الباقون .

(انظر : ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ج ٢ ص ٣٤١)

(٢) سورة يونس ، من الآية ٢٢ .

والثانية قراءة ابن عامر وأبى جعفر (انظر : ابن الجزرى : نفس المرجع ج٢ ص٢٨

(٣) سورة الليل / ٣ .

(٤) رُوى أن ابن مسعود وأبا الدرداء كانا يسقطان «وما خلق» (انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٨١)

٢ — واختلافات حركات وأبنية ، نحو « فَيَقْتُلُونَ »[1] مبنية للفاعل فى إحدى الكلمتين ، و « يُقْتَلُونَ » مبنية للمفعول فى الكلمة الأخرى[2] .

٣ — واختلاف حروف فى موضع أحرف أخر ، مثل : « طَلْحٍ مَنْضُودٍ »[3] و « طلع منضود »[4] .

وكما يقول مكّى بن أبى طالب : « وكان ذلك قد تعارف بين الصحابة على عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — فلم يكن ينكر أحدٌ ذلك على أحد ، لمشاهدتهم من أباح ذلك ، وهو النبى — صلى الله عليه وسلّم — ، فلما انتهى ذلك الاختلاف إلى مالم يعاين صاحبَ الشرع ، ولا علم بما أباح من ذلك ، أنكر كلُّ قوم على الآخرين قراءتهم ، واشتدّ الخصامُ بينهم »[5] .

على أنه من الواضح أن الاختلاف فى القرآن يُفضِى إلى مخالفته ، ويُسهِّل تحريفَه وتبديلَه ، فوق ما يؤدّى إليه من المناقضة والملاحاة بين المسلمين .

(١) سورة التوبة: من الآية ١١١ .

(٢) أهل الكوفة — غير عاصم — يقرأون : « فيقتلون » بضم الياء ، ويقتلون بفتح الياء . والباقون يقرأون : الأولى بفتح الياء ، والثانية بضمها . (انظر : الطبرسى: مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٠ ص ١٤٥ و ١٤٦ ، وانظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٦ ص ٢٠٠)

(٣) سورة الواقعة / ٢٩

(٤) رُوى أن على بن أبى طالب قرأ : « وطلع » بالعين ، ثم عاد فرجع إلى ما فى المصحف ، وعلم أنه هو الصواب . (القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧ ص ٢٠٨ و ٢٠٩

(٥) انظر : الإبانة عن معانى القراءات ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

وفى سنة ٢٥ من الهجرة : السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان ، بعد أن قُبِض الرسولُ بخمس عشرة سنة ، فُتحت أرمينية ، وكان عثمان أمَرَ أهلَ الشام وأهلَ العراق أن يجتمعوا على ذلك[1] ، وكان حذيفة ابن اليمان[2] من جملة من غزا معهم ، وكان هو على أهل المدائن ، وهى من جملة أعمال العراق .

« وتنازع أهل الشام وأهل العراق فى القرآن : أهل الشام يقرأون بقراءة أُبىّ بن كعب ، فيأتون بمالم يسمع أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود ، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام ، فيكفّر بعضهم بعضاً »[3] .

ورأى حذيفة ناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المِقداد ، ورأى أهلَ البصرة يقولون مثل ذلك ، وأنهم قرأوا على أبى موسى ، ويسمّون مصحفه « لباب القلوب »[4]

وغضب حذيفة لما سمع ، و « احمرّت عيناه » كما تقول الرواية[5] .

وقيل فى سبب غضبه إنّ اثنين اختلفا فى آية من سورة البقرة : قرأ هذا :

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٣

(٢) صحابى مشهور ، وشهد أحداً مع أبيه ، وروى عنه جماعة من كبار الصحابة ، وكان صاحب سر رسول الله فى المنافقين ، يعلمهم وحده ، وكان يكتب خرص ثمر الحجاز .
وانظر ترجمته فى :
ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة جـ١ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ .
والنووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥
والثعالبى : لطائف المعارف ص ٤٠

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٤

(٤) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٨٥ و ٨٦

(٥) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى جـ ٩ ص ١٤

« وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ »[1] ، وقرأ هذا : « وأتموا الحج والعمرة للبيت »[2] .

فقام حذيفة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : هكذا كان مَنْ قَبْلَكُم ، اختلفوا ! والله لأركبن إلى أمير المؤمنين . .

وجاء مفزعاً إلى المدينة ، ولم يدخل بيته حتى أتى عثمان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ![3] ، أو قال : أنا النذير العريان ! فأدركوا الأمة[4] .

وصادف أن عثمان أيضاً كان وقع له نحو ذلك : « كان المعلم يعلّم قراءة الرجل ، والمعلم يعلّم قراءة الرجل ، فجعل العلماء يتلقونه فيختلفون ، حتى كفّر بعضهم بعضاً ، فبلغ ذلك عثمان ، فتعاظم في نفسه ، فقال : أنتم عندي تختلفون ؟ ! فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً ! »[5] .

وهكذا لما جاء حذيفة عثمان ، وأعلمه باختلاف أهل الأمصار تحقق عند عثمان ماظنه من ذلك[6] .

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٩٦ ، وهكذا هي في المصحف العثماني .

(٢) قيل إنها كانت هكذا في قراءة : عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وعلقمة .
(انظر : الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ١٢٠)

(٣) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٤ و ١٥

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٨٦

(٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٤

(٦) روى مسلم أن حذيفة قال : أخبرني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة (الجامع الصحيح ج ٨ ص ١٧٢ و ١٧٣)
وقد قيل — بناء على ذلك — إنه لا يبعد أن يكون النبي قد أسرّ إلى حذيفة بدعوة عثمان إلى جمع القرآن على حرف واحد إذا رأى اختلاف الناس في قراءته ، فكتم حذيفة هذا الأمر حتى جاء وقته (انظر : محمد طاهر بن عبد القادر الكردي : تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه — هامش ص ٣٢)

واستشار عثمان الصحابة ، قال : ماتقولون في هذه القراءة ، فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفرا ؟

قال الصحابة[1] :

فما ترى ؟

قال : أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف .

قال الصحابة : فنعم ما رأيت ![2] .

— ٣ —

هنالك أرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، يريد ما كان أبو بكر قد أمر زيد بن ثابت بجمعه[3] .

وتقول بعض الروايات إن حفصة أبَتْ ، حتى عاهدها عثمان ليردّنّ المصحف إليها ، فنسخ منها ، ثم ردّها[4] .

واللافت أن المحافظة على هذه الصحف كانت بالغة ، فقد كانت عند أبي بكر لم تفارقه في حياته ، ثم عند عمر أيامه ، ثم كانت عند حفصة لا تُمكِّنُ منها كما أوضحنا[5] .

---

(١) الرواية هنا رواية علي بن أبي طالب الذي حكى أن عثمان ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ من الصحابة .

(٢) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٥

(٣) نفس المرجع

(٤) فلم تزل عندها ، وكان مروان أمير المدينة من جهة معاوية يسألها هذه الصحف فتأبى أن تعطيه . فلما توفيت حفصة ، ورجعوا من دفنها ، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه تلك الصحف ، فأرسل بها إليه ، فأمر بها مروان فشققت . وقال : إنما فعلت هذا لأني خشيت — إن طال بالناس — زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب (ابن حجر العسقلاني : نفس المرجع ص ١٦)

(٥) انظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٢٣٩

وأمر عثمانُ زيدَ بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص[١] ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٢] ، فنسخوا هذه الصّحف فى المصاحف .

وفى رواية مصعب بن سعد بن أبي وقاص أن عثمان قال : مَنْ أكْتَبُ الناس ؟

قالوا : كاتب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زيد بن ثابت .

قال : فأى الناس أعرب ؟ (وفى رواية : أفصح) .

قالوا : سعيدبن العاص .

قال عثمان : فَلْيُمْلِ سعيد ، وليكْتُبْ زيد[٣] .

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريشْ ، فإنما نَزَلَ بلسانهم[٤] .

كان اختيار زيد وسعيد للمعنى المذكور فيهما فى رواية مصعب ، ثم احتاجوا إلى من يساعد فى الكتابة ، بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التى تُرسَل إلى الآفاق ، فأضافوا إلى زيد جماعة ، منهم : مالك بن أبي عامر جدّ مالك بن أنس ، وكثير بن أفلح ، وأُبيّ بن كعب ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس[٥] .

وعن محمد بن سيرين : أن عثمان جمع اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار ، فيهم أُبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت فى جمع القرآن[٦] .

(١) فى البرهان للزركشى (جا ص ٢٣٦) : سعد بن أبي وقاص . ولعله خطأ فى النسخ

(٢) أنظر : ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٧

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ١٥

(٤) نفس المرجع ص ١٦

(٥) نفس المرجع ص ١٥ و ١٦

(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى — فى ترجمة أبيّ بن كعب ج ٣ ص ٦٣ (ط . ليدن سنة ١٣٢١ هـ) .

بيد أن الذهبي يقول : « وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أبيًّا ، ولو كان كذلك لاشتهر ، ولكان الذِّكْرُ لأبيّ لا لزيد »[١] .

وتفيد بعض الروايات أن هذه اللجنة ضمّت أيضاً عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبانَ بن سعيد[٢] .

وفى شأن «أبان» ، تذكر بعض الروايات أن عثمان قال لزيد : «إنى جاعل معك رجلا لبيباً فصيحاً ، فما اجتمعتما عليه فاكتباه ، وما اختلفتما فيه فارفعاه إلىّ » ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص[٣] .

وربما كان القصد من كل هذه الجماعة المساعدة المشتهر أعضاؤها بالضبط والمعرفة أن ينضمّ العدد إلى العدالة ، وإلا فقد كان زيد قادراً بذاته على هذه المهمة[٤] .

وهكذا — كما قال القاضى أبو بكر فى « الانتصار » — : « لم يقصد عثمانُ قصدَ أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصدَ جَمْعَهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخْذَهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشُّبْهة على من يأتى بعدُ »[٥] .

(١) سير أعلام النبلاء ص ٢٨٧

(٢) انظر : الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٢١

(٣) انظر : الطحاوى : مشكل الآثار ج ٤ ص ١٩٣

(٤) أنظر : الحداد خلف الحسينى : الكتاب السابق ص ٢١ و ٢٢

(٥) نقلا عن الزركشى : البرهان ج ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ ، والسيوطى : الإتقان ج ١ ص ٦٠ .

— ٤ —

وقد أثار تشكيل لجنة الجمع على ذلك النحو عبدَ الله بن مسعود الذى شقّ عليه صرفه عن كتابة المصحف ، حتى قال : يامعشر المسلمين ! أُعزل عن نسخ كتابة المصاحف ، ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفى صُلْبِ رجل كافر يريد زيد بن ثابت [1]

وابن مسعود حقيق أن يكون حاضرَ لجنة تجمع القرآن :

١ — فهو أول من جَهَرَ به ، بعد رسول الله ، بمكة ، أيام شدّة المسلمين وضعفهم . روى ابن اسحق :

« اجتمع يوماً أصحاب رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — ، فقالوا : والله ما سَمِعَتْ قريش هذا القرآن يُجهر لها به قطّ ، فمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوه ؟

فقال عبد الله بن مسعود : أنا

قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه .

قال : دعونى ، فإنّ الله سيمنعنى .

قال راوى القصة عروة بن الزّبير : فغدا ابنُ مسعود حتى أتى المقام فى الضُّحى ، وقريش فى أنديتها ، حتى قام عند المقام ، ثم قرأ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » ، رافعاً بها صوته ، « الرَّحْمٰنُ ، عَلَّمَ الْقُرْءَانَ » [2] .

قال : ثم استقبلها يقرؤها .

قال : فتأملوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أمّ عبد ؟

(١) انظر : فتح البارى ج ٩ ص ١٦ ، وانظر أقوالا أخرى من هذا القبيل فى : ابن أبى داود : المصاحف ج ١ ص ١٣ — ١٨

(٢) سورة الرحمن/١ و ٢

قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربونه فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثّروا فى وجهه .

فقالوا : هذا الذى خشينا عليك .

فقال : ما كان أعداء الله أهونَ علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غدا .

قالوا : لا ! حسبك ! قد أسمعتهم ما يكرهون . » [1]

٢ — وقد أُعطى ابن مسعود حظًّا عظيماً فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله ، حتى لقد كان النبى نفسه يقول : « من أحبّ أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأه قراءة ابن أمّ عبد . » يعنى : عبد الله بن مسعود [2] .

وقد أحبّ النبى أن يسمع القرآن منه ، ولما قرأ أبكى رسول الله [3] .

٣ — بل إن النبى أمر بتعلّم القرآن من أربعة : أولهم عبد الله بن مسعود . روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت النبىّ — صلى الله عليه وسلّم — يقول : استقرِئُوا القرآن من أربعة : عبد الله

(١) انظر : ابن هشام : سيرة النبى ج ١ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ .
والمقريزى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٠

(٢) انظر : مسند أحمد بن حنبل ، باب فضل القراءة على قراءة عبد الله بن مسعود ، وانظر : أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ج ١٨ ص ٢١ .

(٣) أخرجه البخارى فى : ٦٦ — كتاب فضائل القرآن و ٣٥ — باب البكاء عند قراءة القرآن ، وانظر : الفتح الربانى ج ١٨ ص ٢١ .

ابن مسعود (فبدأ به) ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأُبيّ بن كعب ، ومعاذ ابن جبل[1] .

٤ — وكان ابن مسعود يقول : « لقد أخذت من فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سبعين سورة ، وإنّ زيد بن ثابت لصبيّ من الصبيان »[2] وفى رواية : « وزيدٌ له ذؤابةٌ يلعب مع الغلمان »[3] . وكان يقول : « والله الذى لا إله غيره ! ما أُنزلت سورةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أُنزلت ، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أُنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلمَ منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه »[4] .

٥ — وثمة رواية تقرر أنّ ابن مسعود شهد ، عقب العرضة الأخيرة ، ما نُسخ من القرآن وما بُدّل[5] .

٦ — وكان ابن مسعود — فيما يذكر الرّواة — « ممن يتحرّى فى الأداء ،

(١) أخرجه البخارى فى : ٦٢ — كتاب فضائل أصحاب النبي — صلى الله عليه وسلم — و٢٦ — باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة . وسالم قتل يوم اليمامة شهيداً . (وانظر : النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٠٦ رقم ١٩٥ .)

أما أُبيّ بن كعب فقد روى البخارى أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال له : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك : « لم يكن الذين كفروا » قال : وسمانى ؟ قال : نعم ، فبكى . (أخرجه البخارى فى : ٦٣ — كتاب مناقب الأنصار : ١٦ — باب مناقب أُبيّ بن كعب .

وأما معاذ بن جبل ، فأحد الذين كانوا يفتون على عهد الرسول ، وظفر منه بالثناء الكثير (انظر : الفتح الربانى جـ ١ ص ٩٩ رقم ١٤٣)

(٢) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٦

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ص ٣٣٩

(٤) أخرجه البخارى فى : ٦٦ كتاب فضائل القرآن : ٨ — باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٢٢

ويشدّد فى الرواية ، ويزجر تلامذته عن التّهاون فى ضبط الألفاظ »[1] .

ولكن ، لعلّ لعثمان عذراً فى هذا الشأن :

(ا) فقد جُمع القرآن بالمدينة ، وعبد الله بن مسعود وقتئذ بالكوفة ، ولم يؤخّر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر[2] .

(ب) وأيضا ، فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التى كانت جُمعت فى عهد أبى بكر ، وأن يجعلها مصحفا واحداً ، وكان الذى نسخ ذلك فى عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت ، لكونه كان كاتب الوحى ، فكانت له فى ذلك أوّلية ليست لغيره[3] . وكما قيل : فهلاّ عتبتَ على أبى بكر ؟[4]

(حـ) وزيد شهد — بيقين — العرضة الأخيرة التى بيّن فيها ما نسخ وما بقى ، وكتبها لرسول الله ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات[5] .

(د) وكان زيد معروفا بكمال الدين ، وحسن السيرة ، والعدالة ، والعلم . وَصَفه النبي — فيما روى أحمد ، والنسائى من حديث أبى قلابة ، عن أنس — بأنه أعلم أصحابه بالفرائض[6] .

(١) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٣
وانظر ترجمة ابن مسعود فى :
النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩
وابن الأثير : أسد الغابة جـ ٣ ص ٢٥٦ — ٢٦٠
وابن حجر العسقلانى : الإصابة جـ ٢ ص ٨٩٠ — ٨٩٣
وابن الجزري : غاية النهاية ١٩١٤

(٢) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ١٦

(٣) نفس المرجع .

(٤) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ص ٣٤٩

(٥) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٥٠ ، والزركشى : البرهان جـ ١ ص ٢٣٧

(٦) انظر : أبو الفدا الدمشقى : البداية والنهاية فى التاريخ جـ ٥ ص ٣٤٦

وكان زيد بن ثابت — مثل ابن مسعود — من السِّتة الصَّحابة أصحاب الفتوى ، وهم : عمر ، وعليّ ، وابن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، وأبو موسى ، وزيد بن ثابت[1] .

ويقول سعد بن أبي وقاص في شيء من القضاء : ما عرفناه حتى عَلَّمَنَاه زيد بن ثابت[2] .

(هـ) وكان زيد يكتب «للنبيّ» إلى الملوك ، مع ما كان يكتبه من الوحي[3] .

وقد اختصَّه النبي بمهمٍ خطير هو أن يتعلم لغة اليهود ، ليكتب — للنبي — إليهم ، وليقرأ له ما يكتبون[4] ، وهذا دليل ثقة النبي بفهم زيد وأمانته .

(و) وأعطاه النبي — يوم تبوك — راية بني النجار ، وقال : القرآن مُقدَّم ، وزيدٌ أكثر أخذاً للقرآن[5] .

(ز) وكان عمر يستخلفه إذا حجّ ، وكان معه حين قدم الشام[6] .

(ح) وزيد هو الذي تولى قَسْم غنائم اليرموك ، واشترك في واقعة اليمامة ، ورُمِيَ فيها بسهم لم يضرَّه[7] .

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني : الإصابة ج ٣ ص ٢٣ .
وانظر : وكيع محمد بن خلف بن حيان : أخبار القضاة ج ١ ص ١٠٥
(٢) وكيع محمد بن خلف بن حيان : المرجع السابق ج ١ ص ١٠٧
(٣) الثعالبي : لطائف المعارف ص ٤٠
(٤) انظر : البخاري : الصحيح — باب ترجمة الحكام ج ٦ ص ٩٤ .
وانظر : الحاكم النيسابوري : المستدرك ج ١ ص ٢٧٥
والبلاذري : فتوح البلدان — ١١١٥ القسم الثالث ص ٥٨٣ .
(٥) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٠١ . وانظر : وكيع محمد بن خلف ابن حيان : أخبار القضاة ج ١ ص ١٠٨
(٦) المرجعان السابقان .
(٧) المرجعان السابقان .

(ط) ولزيد عند الصحابة منزلته الكريمة كعالم :

روى الشعبي : وضع زيد بن ثابت رِجْله في الرِّكاب ليركب ، فأمسك له ابن عباس ، فقال له : تنحّ يا بن عمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : إنا هكذا نصنع بالعلماء . أو قال : بأهل بيت نبينا[1] .

وكان ابن عباس يقول عن زيد : إنه من الراسخين في العلم[2] . ولعل مما يزيد من قيمة هذا التكريم أن ابن عباس ، فوق كونه ابن عمّ النبي ، كان له من الشأن في الإسلام ما جعله يُلقَّب بربَّانيّ الأمة ، وقد دعا له النبي أن يفقهه الله في الدين ، ويعلّمه التأويل[3] . وقد كان ابن عباس هذا وأبو عبد الرحمن السلمي ممن قرأوا على زيد[4] .

(ى) ويفيد قول أبي بكر ، وهو يخاطب زيداً يوم طلب إليه الجمع الأول : « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي » أن لزيد — كما يقول ابن حجر العسقلاني[5] — أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك :

كونه شابا ، فيكون أنشط لما يطلب منه
وكونه عاقلا ، فيكون أوعى له
وكونه لا يتهم ، فتركن النفس إليه
وكونه كان يكتب الوحي ، فيكون أكثر ممارسة له[6] .

---

(١) انظر : أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، المجلد الأول ص ١١٢
(٢) انظر : الحداد خلف الحسيني : الكواكب الدرية ص ١٨
(٣) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧ و ٢٨
(٤) نفس المرجع ص ٢٩
(٥) فتح الباري ج ٩ ص ١٠ .
(٦) لكثرة ما تعاطى زيد الكتابة للنبي ، أطلق عليه « الكاتب » بلام العهد .
(أنظر : نفس المرجع ج ٩ ص ١٨)

وهذه الصفات التى اجتمعت له قد توجد فى غيره لكن مُفرّقة .

(ك) ولئن كان النبى أثنى على ابن مسعود قارئ القرآن ، كما أثنى على غيره ، إن ذلك لا يمنع أن يكون زيدٌ أحفظ وأوثق .

وثمة روايتان جديرتان — لو صحّتا — أن تردّا ابنَ مسعود عن مهمة الجمع :

يقول القرطبى : « فالشائع الذائع المتعالم عند أهل الرواية والنقل : أنّ عبدالله ابن مسعود تعلّم بقيّة القرآن ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ويقول : « وقد قال بعض الأئمة : مات عبد الله بن مسعود قبل أن يختم القرآن »(١) .

— ٥ —

وأرسل عثمان إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف ، والمشهور أن هذه المصاحف خمسة ، وقيل : أربعة . قال أبو عمرو الدانى فى « المقنع » :
« أكثر العلماء على أنّ عثمان ـ رضى الله عنه ـ لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ ، وبعث إلى كل ناحية من النواحى بواحدة منهن : فوجّه إلى الكوفة إحداهن ، وإلى البصرة أخرى ، وإلى الشام الثالثة ، وأمسك عند نفسه واحدة . وقد قيل إنه جعله سبع نسخ ، وَوَجّه من ذلك أيضاً نسخةً إلى مكة ، ونسخةً إلى اليمن ، ونسخة إلى البحرين . والأول أصحّ ، وعليه الأئمة »(٢) .

وأمر عثمان بما سوى مصحفه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق ، وبعث إلى الأمصار أنّى قد صنعتُ كذا وكذا ، ومحوتُ ما عندى ، فامحُوا ما عندكم(٣) . يقول ابن قيّم الجوزية فى هذا التحريق إنه « كان رأيا اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة »(٤) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٣
(٢) النسخة المخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة رقم ٢٦٣ قراءات ص ١٠ و ١١ ، والنسخة المطبوعة ص ٩
(٣) فتح البارى ج ص ١٧ (٤) الطرق الحكمية ص ١٤

ورضى الناس هذا .

قال زيد بن ثابت : فرأيت أصحاب محمد يقولون : أحسن والله عثمان ! أحسن والله عثمان !(١) .

وروى ابن أبى دواد ، بإسناد صحيح ، عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال : « أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمانُ المصاحف ، فأعجبهم ذلك ، ولم ينكر عليه أحد(٢) . »

ويقول الذهبى فى عثمان بن عفان : « مَن نَظَر فى تحرّيه — وقت أمره بجمع القرآن — عَلِم مرتبته وجلالته(٣) . »

ويقول الزّركشى ، فى حديثه عن صنيع عثمان أيضا : « ولقد وُفّق لأمر عظيم ، ورفعَ الاختلاف ، وجَمعَ الكلمة ، وأراحَ الأمة »(٤) .

وقد ردّ الزركشى أيضا على اعتراض بعض الروافض على هذا العمل بقوله :

« وأما تعلّق الروافض بأنّ عثمان أحرق المصاحف فإنه جهلٌ منهم وعمًى ، فإن هذا من فضائله وعلمه ، فإنه أَصلحَ ، ولمّ الشّعَثَ ، وكان ذلك واجباً عليه »(٥) .

ويقول :

« وفى الجملة ، إنه إمام عدل غير معاند ، ولا طاغ فى التنزيل ، ولم يحرق

(١) انظر : نظام الدين النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج ١ ص ٢٧ .
(٢) المصاحف ص ١٢
(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩
(٤) البرهان ج ١ ص ٢٤٠
(٥) نفس المرجع ج ١ ص ٢٤٠

إلا ما يجب إحراقه ، ولهذا لم ينكر عليه أحد ذلك ، بل رضوه ، وعدّوه من مناقبه »(1) .

وقد ألمعنا قبلا إلى تحيف عليّ لهذا الصنيع، ونضيف أنه قال : « لو وليتُ ما وَلِيَ عثمان لَعمِلتُ بالمصاحف ما عمل »(2) . وفي رواية : « لو لم يصنعه هو لصنعته »(3) .

وقد نُقل عن ابن مسعود أنه قال ، لما أُحرق مصحفه : « لو مَلَكْتُ كما مَلَكُوا لصنعتُ بمصحفهم كما صنعوا » . والألوسي يرى هذا كذبا ، شأنه شأن ما زعمه الشيعة من سوء معاملة عثمان معه حين أخذ الصّحف منه(4) .

— ٦ —

وربما انضاف إلى مبررات رضى الناس عن تصرف عثمان ، إذ جمع النّاسَ على مصحف واحد ، أن الضرورة الوقتية — التي كان القرآن قد نزل، من أجلها، على سبعة أحرف — كانت قد ارتفعت ، فارتفع حكمها ، ولهذا بيان أطول في مواضع أخرى من هذا البحث . يقول الطحاوي ، في شأن تلك الضرورة :

« فكانت هذه السَّعة للناس ، في هذه الحروف ، لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها مما لا يقدرون عليه . . . فكانوا على ذلك حتى كثر من يكتب منهم ، وحتى عادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقرأوا بذلك — على تحفّظ — القرآن ، بالألفاظ التي نزل بها ، فلم يسَعْهم حينئذ أن يقرأوه بخلافها ، وبان — بما ذكرنا — أن تلك السّبعة الأحرف إنما كانت

(1) نفس المرجع .
(2) انظر : نفس المرجع .
(3) ابن أبي داود : المصاحف ص ١٢
(4) روح المعاني ج ١ ص ٢٢

في وقت خاص ، لضرورة دعَتْ إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يُقرأ به القرآن على حرف واحد »(1) .

على أنّ ابن حزم يردّ على من يقولون بأن عثمان — إذ كتب المصحف الذي أجمع النّاس عليه — أسقط ستة أحرف من الأحرف المنزلة ، واقتصر على حرف منها ، بأن قولهم باطل « ببرهان كالشمس ، وهو أن عثمان — رضي الله عنه — لم يك إلا وجزيرة العرب كلّها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد ، والقرّاء يعلّمون الصّبيان والنّساء ، وكلّ من دَبَّ وهَبَّ ، واليمن كلّها ، وهي في أيامه مدن وقرى ، والبحرين كذلك ، وعمان كذلك ، وهي بلاد واسعة : مدنٌ وقرى ، وملكها عظيم ، ومكة ، والطائف ، والمدينة ، والشام كلها كذلك ، والجزيرة كذلك ، ومصر كلّها كذلك ، والكوفة ، والبصرة كذلك ، في كلّ هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يُحصي عددَهم إلا الله تعالى وحده ، فلو رام عثمانُ ما ذكروا ما قدرَ على ذلك أصلاً »(2) .

ويردّ ابن حزم أيضا على من يقولون إن عثمان جمع النّاسَ على مُصحف ، فيقول : « وأما قولهم كذا فباطل ، ما كان يقدر على ذلك لما ذكرناه ، ولا ذهب عثمان قطّ إلى جمع الناس على مصحف كتَبَهَ ، إنما خَشِيَ — رضي الله عنه — أن يأتي فاسقٌ يسعى في كيد الدين ، أو أن يَهِمَ واهم ، فيكونَ اختلاف يؤدّي إلى الضلال ، فكتب مصاحف مُجتَمعاً عليها ، وبعث إلى كلّ أفق مصحفا ، لكي — إن وَهِمَ واهمٌ أو بَدّلَ مبدّلٌ —

(1) مشكل الآثار ج ٤ ص ١٩٠ و ١٩١
(2) الفصل في الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧

رُجع إلى المصحف المجتمع عليه ، فانكشف الحقُّ ، وبَطل الكيدُ والوهم ، فقط »[1] .

ويقول ابن قيم الجوزية ، وهو يعرض سياسة الإسلام فى بعض النواحى :

« ومن ذلك جمع عثمان — رضى الله عنه — الناسَ على حرف واحد ، من الأحرف السبعة التى أطلق لهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلّم — القراءةَ بها ، لما كان ذلك مصلحة .

فلما خاف الصحابة — رضى الله عنهم — على الأمة أن يختلفوا فى القرآن ، ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الإختلاف ، فعلوا ذلك ، ومنعوا الناس من القراءة بغيره . وهذا كما لو كان للناس عدّة طرق إلى البيت ، وكان سلوكهم فى تلك الطرق يوقعهم فى التفرّق والتشتّت ، ويُطمع فيهم العدوّ ، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد ، وترْك بقية الطرق ، جاز ذلك ، ولم يكن فيه إبطال لها ، لكون تلك الطرق موصّلةً أيضا إلى المقصود ، وإن كان فيه نهى عن سلوكها لمصلحة الأمة »[2] .

ويصف طه حسين عمل عثمان هذا بأنّ فيه كثيرا من الجراءة ، ولكن فيه من النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجراءة[3] ، ثم يقول : « فلو قد ترك عثمان الناس يقرأون القرآن قراءات مختلفة بلغات متباينة فى ألفاظها لكان هذا مصدر فُرقة لا شكّ فيها ، ولكان من المحقّق أنّ هذه الفُرقة حول الألفاظ ستؤدّى إلى فُرقة شرٌ منها حول المعانى ، بعد أن كان الفتح ، وبعد أن استعرب الأعاجم ، وبعد أن أخذ الأعراب يقرأون القرآن »[4] .

(١) نفس المرجع .
(٢) الطرق الحكمية ص ٢٠
(٣) الفتنة الكبرى — عثمان ص ١٨٢
(٤) نفس الكتاب ص ١٨٣

ويمكن أن يتّسق لنا — فيما يلى — منهج الجمع العثمانى :

١ — الإعتماد على عمل اللجنة الأولى التى تولّت الجمع على عهد أبى بكر ، أى على رَبْعة حفصة التى أشرنا إليها[1] ، والتى هى — كما يستفاد من منهج جمعها آنفا — مستندة إلى الأصل المكتوب بين يدى النبىّ بأمره ، وبذلك ينسدّ باب القالة[2] ، فلا يزعم زاعم أنّ فى الرَّبْعة شيئا لم يكتب فى المصحف العثمانى ، أو أنه كُتِب فى هذا مالم يكن فى تلك[3] .

٢ — أن يتعاهد اللجنةَ خليفةُ المسلمين نفسه[4] .

٣ — أن يأتى كلّ مَن عنده شىء من القرآن سمعه من الرسول بما عنده[5] ، وأن يشترك الجميع فى علم ما جُمِعَ ، فلا يغيب عن جمع القرآن أحدٌ عنده منه شىء ، ولا يرتاب أحد فيما يودَعُ المصحف ، ولا يُشكّ فى أنه جُمِع عن ملأ منهم[6] .

٤ — إذا اختلفوا فى آية آية ، قالوا : هذه أقرأها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلّم — فلانا ، فيُرسَل إليه ، وهو على رأس ثلاث من المدينة ، فيقال له : كيف أقرأك رسول الله — صلى الله عليه وسلّم — آية كذا

(١) فتح البارى ج ٩ ص ١٥
(٢) انظر : الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٢١
(٣) انظر : على سلطان القارى : شرح المقبلة — المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، الورقة ١٤
(٤) انظر : السيوطى : الإتقان ج ١ ص ٥٩
(٥) ابن أبى داود : المصاحف ج ١ ص ٢٤
(٦) الزركشى : البرهان ج ١ ص ٢٣٩

وكذا ؟ فيقول : كذا وكذا . . . فيكتبونها ، وقد تركوا لذلك مكاناً[١] .

٥ — يقتصر — عند الإختلاف — على لغة قريش[٢] .

٦ — والمقصود من الجمع على لغة واحدة : الجمع على القراءة المتواترة المعلوم عند الجميع ثبوتها عن النبي ، وإن اختلفت وجوهها ، حتى لا تكون فُرقة واختلاف ، فإنّ ما يَعلم الجميع أنّه قراءة ثابتة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلّم — لا يختلفون فيها ، ولا يُنكر أحدٌ منهم مايقرأه الآخر[٣] .

٧ — وعند كتابة لفظٍ تواتر — عن النبي — النطق به ، على أكثر من وجه ، تُبقِى اللجنة هذا اللفظ خاليا من أية علامة تَقْصِر النُّطق به على وجه واحد ، « لتكون دلالة اللفظ الواحد على كلا اللفظين المنقولَيْن المسموعَيْن المتلوَّيْن شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولَيْن المفهومَيْن »[٤] .

٨ — وخشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعدُ ، يمنع عن كتابة ما يأتى ، فضلا عن قراءته وسماعه :

(١) أبو عمرو الدانى : المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار — المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ص ٨ و٩ ، والنسخة المطبوعة ص ٧ ، والسيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٥٩ .

(٢) احتجّ عثمان فى هذا بأن القرآن نزل بلغة قريش ، وإن كان قد وُسِّع فى قراءته بلغة غيرهم ، رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت ، فاقتصر على لغة واحدة (السيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٦٠) .

وقد اختلفوا فى كتابة كلمة «التابوت» فقال زيد : «التابوه» بالهاء ، وقال القرشيون : « التابوت » بالتاء المفتوحة ، لأنه كذلك فى لغة قريش (ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ١٦) ، فرفعوا ذلك إلى عثمان ، فقال : اكتبوه : « التابوت » ، فإنما أنزل القرآن على لسان قريش (انظر : أبو عمرو الدانى : المقنع ص ٤ ط . دمشق) .

(٣) انظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٢٨

(٤) ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٣٣

(أ) ما نُسخت تلاوته[١]

(ب) ومالم يكن فى العرضة الأخيرة[٢]

(حـ) ومالم يثبت من القراءات ، وما كانت روايته آحادا[٣]

(د) ومالم تُعلم قرآنيته ، أو ما ليس بقرآن ، كالذى كان يكتبه بعض الصحابة فى مصاحفهم الخاصّة ، شرحاً لمعنى أو بياناً لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك[٤]

٩— فيما خلا مايختلف فيه أعضاء اللجنة ، وما تصدر تعليمات الخليفة المعبّرة عن رأى الصحابة صريحة بالإقتصار فيه على حرف قريش ، يشتمل الجمع على الأحرف التى نزل عليها القرآن ، وذلك على النحو الآتى :

(أ) الكلمات التى اشتملت على أكثر من قراءة تحمل — حسبما أوضحنا آنفا — خالية من أية علامات ضابطة تحدد طريقة واحدة للنطق بها ؛ وبذلك تكون هذه الكلمات محتملة لما اشتملت عليه من القراءات ، وتُكتب برسم واحد فى جميع المصاحف ، مثل :

١ — « فَتَبَيَّنُوا »[٥] التى رُوِيَتْ أيضاً « فَتَثَبَّتُوا »[٦]

٢ — « نُنْشِزُهَا »[٧] التى رويت « نَنْشُرُهَا »[٨]

(١) انظر : السيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٦٠
والزركشى : البرهان حـ ١ ص ٢٣٥و٢٣٦

(٢) السيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٥٩

(٣) نفس المرجع ص ٦٠

(٤) انظر : الزركشى : البرهان حـ ١ ص ٢٣٥و٢٣٦

(٥) سورة الحجرات / من الآية ٦

(٦) هكذا يقرؤها حمزة ، والكسائى ، وخلف (ابن الجزرى : النشر حـ ٢ ص ٢٥١

(٧) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩

(٧) قرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف ، بالزاى المنقوطة ، وقرأ الباقون بالراء المهملة (انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ٢ ص ٢٣١)

٣ — « هَيْتَ لَكَ »[1] التى قرئت بسبع قراءات ، مع بقاء رسمها كما هو[2] .

٤ — « أُفٍّ »[3] التى قرئت بثلاث قراءات دون تغيير فى رسمها[4] .

(ب) الكلمات التى تضمنت قراءتين أو أكثر ، والتى لم تنسخ فى العرضة الأخيرة ، والتى لايجعلها تجريدها من العلامات الضابطة محتملة لما ورد فيها من القراءات لاتكتب برسم واحد فى جميع المصاحف ، بل تُرسم فى بعض المصاحف برسم يدلّ على قراءة ، وفى بعضها برسم آخر يدلّ على القراءة الأخرى[5] .

والأمثلة على هذا :

١ — « وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا »[6] ، تُكتب فى أحد المصاحف (وهو الشامى) بغير واو[7] .

---

(١) سورة يوسف / من الآية ٢٣

(٢) انظر : ابن الجزرى : النشر حـ ٢ ص ٢٩٣و٢٩٤

(٣) سورة الإسراء / من الآية ٢٣ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٦٧ ، وسورة الأحقاف / من الآية ١٧ .

(٤) انظر : النشر حـ ٢ ص ٣٠٦

(٥) انظر : على محمد الضباع : سمير الطالبين — مبحث ما فيه قراءتان ، وورد برسمين على حسب كل منهما ص ١٠١ — ١٠٦

ويستبعد القلقشندى ، عند حديثه عن نقط المصاحف الذى كان أبو الأسود الدؤلى قد وضعه ، أن تكون حروف القرآن — قبل ذلك — مع تشابه صورها ، ظلت عريّة عن النقط إلى حين نقط المصحف (انظر : صبح الأعشى حـ ٣ ص ١٥١) .

(٦) سورة البقرة / ١١٦

(٧) النشر حـ ١ ص ١١ =

٢ — « وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ »[1] تُرسم ، فى بعض المصاحف ، بواوين قبل الصاد ، من غير ألف بين الواوين ، وفى بعضها ، بإثبات ألف بين الواوين[2] .

٣ — « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ »[3] ، تُرسم ، فى بعض المصاحف ، بواو قبل السين ، وفى بعضها ، بحذف الواو[4] :

٤ — « وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ »[5] ، بزيادة الباء فى الاسمين أى « وبالزُّبُرِ وبالْكِتَابِ » يثبت ذلك فى أحد المصاحف (وهو الشامى[6] .)

٥ — « جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ »[7] ترسم بأحد المصاحف

= وعلى أساس ما ورد فى المصحف الشامى ، يقرأ ابن عامر « قالوا » بغير واو ، أما الباقون فيقرأون بالواو (الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن حـ ١ ص ٤٣٣)

(١) سورة البقرة / ١٣٢

(٢) أبو عمرو الدانى : المقنع ص ١٠٢ فى النسخة المطبوعة .

ونتيجه هذا الاختلاف ، يقرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن عامر : (أوصى) من الإيصاء ، والباقون يقرأون : (وصّى) بالتشديد . (انظر : نظام الدين النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان حـ ١ ص ٤٤٨)

(٣) سورة آل عمران / ١٣٣

(٤) ونتيجة هذا الاختلاف ، يقرأ نافع ، وابن عامر : « سارعوا » ، بغير واو ، وكذلك هو فى مصاحف أهل المدينة وأهل الشام ، ويقرأ باقى السبعة « وسَارِعُوا » بالواو . وكذلك هو فى مصاحف مكة والعراق

(انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن حـ ٤ ص ٢٠٣ .

والفخر الرازى : التفسير الكبير حـ ٩ ص ٤

والطبرسى : مجمع البيان حـ ٤ ص ١٩٧

(٥) سورة آل عمران / ١٨٤

(٦) النشر حـ ١ ص ١١

يقول الطبرسى : « ... ويقرأ ابن عامر الشامى بالباء ، وكذلك هى فى مصاحف الشام ، والباقون بغير باء . » (مجمع البيان حـ ٤ ص ٢٨٧) .

(٧) سورة التوبة / ١٠٠

(وهو المكى) بزيادة « من » قبل « تحتها » ، وفى بقية المصاحف بحذفها[1].

٦ — « مِنْهَا مُنْقَلَباً »[2] ، تثبت فى بعض المصاحف بالتثنية[3].

٧ — « فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد »[4] ، تُثْبَتُ فى أحد المصاحف (وهو المكى أيضا) بحذف « هو »[5].

١٠ — فى شأن ترتيب آيات كل سورة يلتزم ما كان النبي قد اتبعه فى العرضة الأخيرة ، فى السنة التى توفى فيها ، ويعتبر هذا الترتيب توقيفاً من الله[6].

وكذلك تلتزم اللجنة فى ترتيب السور ما كان فى عهد النبي .

ولما لم يكن النبي قد أفصح بأمر سورة براءة ، ولم تكن مبدوءةً بالبسملة ، وهى علامة بدء كل سورة ، فإنّ هذه السورة تضاف إلى سورة الأنفال اجتهاداً من الخليفة[7].

---

(١) النشر ج ١ ص ١١
وهذا ، قرأ ابن كثير بزيادة « من » ، وكذلك هو فى مصاحف مكة ، وقرأ الباقون بغير « من » ، وعليه سائر المصاحف (الطبرسى ج ١٠ ص ١٢٦)

(٢) سورة الكهف / من الآية ٣٦

(٣) النشر ج ١ ص ١١
وفى مصاحف مكة والمدينة والشام « منهما » . وفى مصاحف أهل البصرة والكوفة « منها » ، على التوحيد (القرطبي ج ١٠ ص ٤٠٤ ، والفخر الرازى : ج ٢١ ص ١٢٦)

(٤) سورة الحديد / من الآية ٢٤

(٥) النشر ج ١ ص ١١ .
ونتيجةً لهذا الاختلاف ، يقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، بحذف «هو» ، والباقون يثبتونها . ومصاحف أهل المدينة والشام على الحذف . (انظر : الفخر الرازى : ج ٢٩ ص ٢٤٠ ، والقرطبي : ج ١٧ ص ٢٦٠)

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ٣٢ ـ ٣٦

(٧) انظر نفس المرجع ص ٣٥

١١ — بعد الفراغ من كتابة المصحف الإمام ، وقبل حمل الناس على كتابة المصاحف على نمطه ، يراجعه زيد بن ثابت ثلاث مرات ، ثم يراجعه خليفة المسلمين بنفسه ، أماناً من النسيان والخطأ .

(وقد حدث بعد المراجعة الأولى من زيد أنه لم يجد فيه آية « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً »[1] قال زيد : « فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها ، فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضتُ الأنصار أسألهم عنها ، فلم أجدها عند أحد منهم ، حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت ، فكتبتها »[2].

وبعد المراجعة الثانية ، لم يجد زيد هاتين الآيتين : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ » إلى آخر السورة[3] ، قال زيد أيضاً : « فاستعرضت المهاجرين ، فلم أجدها عند أحد منهم ، حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضاً ، فأثبتها فى آخر براءة » إلخ[4].

أما المراجعة الثالثة فلم تكشف عن شيء[5] .)

* * *

---

(١) سورة الأحزاب / ٢٣

(٢) ابن أبي داود : المصاحف ج ١ ص ١٩

(٣) سورة التوبة / ١٢٨ و ١٢٩

(٤) انظر : « محمد طاهر بن عبد القادر الكردى : تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ٥٤ ــ ٥٦ .

(٥) نفس الكتاب .

هذا هو منهج الجمع العثمانى فيما اتسق لنا ؛ ومن قبل أوضحنا — بطريقة مماثلة — منهج الجمع البكرى ؛ والحق أن المنهجين كليهما — بدقتهما ، وإخلاص القائمين عليهما ؛ وبما أديا من خدمة بالغة العظمة للقرآن — حقيقان بأن يكون منهما قدوة للتخطيط والعمل فى الجمع الصوتى الأول للقرآن : الجمع الذى يعتبر الثالث فى الترتيب التاريخى لمرات جمع هذا الكتاب العظيم.

فإلى مشروع هذا الجمع الأخير . . .

الباب الثانى

الجمع الصوتى الأول
أو
المصحف المرتل

الفصل الأول : **الفكرة**

الفصل الثانى : **التنفيذ وتاريخه**

الفصل الأول

الفكرة

الفصل الأول

الفكرة

— ١ —

لفظ « المصحف »[1] اسم مجموعة صحائف القرآن مرتّبةَ الآيات والسّوَر على الوجه الذي تلقته الأمة الإسلامية من النبي.

حكى المظفري في تاريخه، قال:

لما جمع أبو بكر القرآن، قال: سمّوه.

فقال بعضهم: سمّوه إنجيلا، فكرهوه.

وقال بعضهم: سمّوه: السِّفْر، فكرهوه من يهود.

فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف، فسمّوه به[2].

وأخرج ابن أشته، في كتاب « المصاحف »، من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب، قال:

لما جمعوا القرآن، فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسما، فقال بعضهم: السِّفْر، وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمّونه « المصحف ».

وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله، وسماه « المصحف »[3].

* * *

(١) المصحف بضم الميم وكسرها، والأصل والأشهر هو الضم لأنه مأخوذ من (أصحف)، أي جمعت فيه الصحف (أنظر: ابن منظور: لسان العرب — مادة ص ح ف

(٢) أنظر: السيوطي: الإتقان جـ ١ ص ٥١

(٣) المرجع السابق

على أن هذا اللفظ ، وإن يكن — حسب هذه الرواية — معربًا عن الحبشية [1] ، كان — منذ ما قبل الرواية — مما استعمل العرب . يقول امرؤ القيس في إحدى قصائده :

أتت حجج بعدى عليها فأصبحت   كخط زبور في مصاحف رهبان

بل لايبعد أن يكون لفظ « المصحف » مما تداول المسلمون أنفسهم قبلا بنفس المعنى الذى قصدته التسمية البكرية، بل لعله الأقرب والأكثر قبولا:

فعن أبي هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: الغرباء في الدنيا أربعة، (وعدّ منها مصحفا في بيت لا يقرأ فيه)[2] .

وروى ابن ماجه ، وغيره ، عن أنس ـ مرفوعا ـ : سبعٌ يجرى للعبد أجرهنّ بعد موته وهو في قبره (وعدّ منهم أيضا من ورّث مصحفا)[3] .

وعن نافع ، عن ابن عمر ، قال : نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدوّ مخافة أن ينالوها ، وفي رواية : مخافة أن يُتناول منه شيء ، وفي رواية أخرى : مخافة أن يناله العدوّ[4] .

---

(١) الكلمة الحبشية Mashaf ، وهي في رأى بعض الباحثين ، دخلت العربية مع اصطلاحات دينية أخرى مثل : (الحواريين) و (المنافق) و (المشكاة) وما إليها . ومما يستدل به على حبشية هذا اللفظ أنه ليس في العربية فعل ثلاثي من مادة (صحف) يمكن أن تشتق منه كلمة (المصحف) ، بينما في الحبشية يستعملون الفعل (صحف) بمعنى (كتب) . (انظر : بول كراوس : بحث بعنوان (المصحف) بمجلة الثقافة ع ١١ مايو سنة ١٩٤٣).

(٢) أنظر : المناوى : فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٤ ص ٤٠٩

(٣) أنظر : ابن أبي داود : المصاحف جـ ٥ ص ١٨٠ و ١٨١
والسيوطى : الإتقان جـ ٢ ص ١٧٣

وذكر السيوطى هذا الحديث في « الجامع الصغير » ، ورمز له بالصحة . ولكن المناوى في « شرح الجامع الصغير المسمى بالتيسير » قال عن هذا الحديث إن إسناده ضعيف ، وإن المصنف وَهِمَ حيث رمز لصحته (جـ ٢ ص ٥٢) .

وذكر المناوى أيضا في شرح حديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » إنه وَرَدَت ـ في أحاديث أخر ـ زيادة على هذه الثلاثة تتبّعها ، فبلغت أحد عشر نظمها في خمسة أبيات منها :

وراثة مصحف ، ورباط ثغر   وحفر لبئر أو إجراء نهر

(٤) أنظر : ابن أبي داود : المصاحف جـ ٥ ص ١٨٠ و ١٨١

وكما طلب أبو بكر اسما للجمع القرآني المكتوب ، كان ضروريا أن يحتاج صاحب فكرة الجمع الصوتي إلى اسم لهذا الجمع . وكان طبيعيا جدًا أنه آثر تسميته (بالمصحف) : نفس الاسم الذى ورد في الأحاديث النبوية ، أو الذى اختاره المسلمون — على عهد الخليفة الأول ، لمجموعة القرآن المكتوبة المرتّبة الآيات والسوّر ، على الوجه الذى تلقته الأمة من النبيّ ، مع زيادة الصفة الجوهرية التي تميزه عن المصحف المكتوب ، وهي أنه « المسموع » . وذكر صاحب الفكرة هذا الإسم في كل ما أذاع ونشر عن فكرته في مستهل عهدها .

وواضح أنّ هذه التّسمية مأخوذة مما ورد في القرآن نفسه في شأن سماع الوحى :

« أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ »[1]

« وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ »[2]

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ »[3]

« وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا »[4]

« وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى »[5]

---

(١) سورة البقرة/ ٧٥
(٢) سورة المائدة/ ٨٣
(٣) سورة الأنعام/ ٢٥
(٤) سورة الأعراف/ ٢٠٤
(٥) سورة طه/ ١٣

« مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ »(1)

« إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ »(2)

« وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا »(3)

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ »(4)

« يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا »(5)

« وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ »(6)

« قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ »(7)

« وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا »(8)

« وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ »(9)

« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا »(10)

« وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ »(11)

---

(1) سورة الأنبياء /2 — (2) سورة النحل /81 — (3) سورة لقمان /7

(4) سورة فصلت /26 — (5) سورة الجاثية /8 — (6) سورة الأحقاف /29

(7) سورة الأحقاف /30 — (8) سورة محمد /16 — (9) سورة القلم /51

(10) سورة الجن /1 — (11) سورة الجن /13

ومنذ أوائل القرن الخامس الهجرىّ ، قال إمام الحرمين الجوينى (٤١٩ — ٤٧٨ هـ) :(1) « كلام الله تعالى مسموع فى إطلاق المسلمين ، والشاهد لذلك ـ من كتاب الله تعالى ـ قوله تعالى : « وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ »(2) .

وقال عن لفظة « السماع » : فقد يُراد بها الإدراك ، وقد يُراد بها الفهمُ والإحاطة ، وقد يُراد بها الطاعةُ والإنقياد ، وقد يُراد بها الإجابة(3) .

وقال : فإذا سُمّى كلامُ الله تعالى مسموعاً ، فالمعنىّ به كونه مفهوماً معلوماً عن أصوات مُدْرَكة ومسموعة . . الخ(4) .

— ٣ —

على أنه بدا لنا ، بعد مولد المشروع بقليل ، لسبب سنذكره تفصيلا فى الفصل التالى ، استبدال كلمة « المرتّل » بكلمة المسموع ، فحمَل مشروعُ الجمع الصوتىّ الأول منذ وقتئذ اسم « مشروع المصحف المرتّل »(5) .

والمرتّل مأخوذ من (رَتِلَ) الثغر ، فهو رَتِلٌ — من باب تَعِبَ — إذا استوى نباتُه وحَسُنَ تنضيده ، وكان مُفَلَّجاً لا يركب بعضه على بعض . ومن المجاز : « رتّلَ القرآنَ ترتيلا » إذا ترسّل فى تلاوته ، وأحسن تأليف حروفه . وهو يترسّل فى كلامه ويترتّل(6) .

---

(1) أنظر كتابه : « الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الإعتقاد » بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد

(2) سورة التوبة /6 — وانظر : الجوينى : المرجع السابق ص ١٣٣

(3) الجوينى : نفس المرجع ص ١٣٣

(4) نفس المرجع ص ١٣٤

(5) أبدى المرحوم الشيخ محمود شلتوت خوفه من أن يفهم بعض العامة كلمة « المسموع » بمعناها الغالب عندهم وهو المشهور .

(6) أنظر : الزمخشرى : أساس البلاغة : (ر ت ل) ، وفخر الدين الطريحى النجفى : مجمع البحرين فى غريب القرآن والأحاديث ص ٤٣٦ .

والقرآن نفسه يقول :

« كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا »[1]

« أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا »[2]

والتّرتيل — اصطلاحاً — هو القراءة بتؤدة واطمئنان ، وإخراج كلّ حرف من مخرجه ، مع إعطائه حقّه ومستحقّه ، ومع تدبّر المعانى .

وقيل : هو رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف .

وقيل أيضا : هو خفض الصوت والتّحزين بالقراءة[3] .

والترتيل — بهذا ، وبما هو الكيفية التى نزل بها القرآن «وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا »[4]— هو أفضل مراتب القراءة الأربع : الترتيل ، ثم التحقيق الذى هو أكثر اطمئنانا ، والذى يُؤخذ به فى مقام التعليم ، ثم الحدْر الذى هو الإسراع فى القراءة مع مراعاة الأحكام ، ثم التدوير الذى هو مرتبة متوسطة بين الترتيل والحدْر[5] .

---

(١) سورة الفرقان / ٣٢

(٢) سورة المزمّل / ٤

قال ابن عباس فى تفسيره : « وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا » : بيّنه .

وقال مجاهد : تأنّ فيه .

وقال الضحاك : انبذه حرفا حرفا ، يقول الله تعالى : تثبّت فى قراءته وتمهّل فيها ، وافصل الحرف من الحرف الذى بعده (انظر : ابن الجزرى : النشر ﺟ ١ ص ٢٠٨)

وعن علىّ : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف (نفس المرجع ص ٢٠٩)

(٣) أنظر : على الجرجانى : التعريفات ص ٥٧

(٤) سورة الفرقان / ٣٢

(٥) الترتيل مذهب ورش ، وعاصم ، وحمزة .

والحدْر مذهب ابن كثير ، وأبى عمرو ، وقالون .

والتدوير مذهب ابن عامر ، والكسائى .

(التهانوى : كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ﺟ ١ ص ١٩٦)

والنبى نفسه كانت قراءته ترتيلاً ، فقد كان — فيما ذكر أبو داود والنسائى من حديث أُبَىّ بن كعب — يقطع قراءته ، ويقف عند كل آية ، فيقول : « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ[1] » ، ويقف . « ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ »[2] ويقف . وثابت أنه كان يرتّل السورة حتى تكون أطول منها ، وأنه قام بآية يردّدها حتى الصباح[3] . وهو يحبّب فى الترتيل ، فيقول : يقال لصاحب القرآن : اقرأ ، وارق ، ورتّل ، كما كنت تُرتّل فى الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها[4] .

يقول الشافعى : « أقلّ الترتيل : ترك العجلة فى القرآن عن الإبانة ، وكلما زاد على أقل الإبانة فى القرآن كان أحبّ إلىّ ، ما لم يبلغ أن تكون الزيادة فيه تمطيطاً[5] » .

ويقول الغزالى : « واعلم أن الترتيل مستحبّ لا لمجرد التّدبُّر ، فإنّ العجمىّ الذى لا يفهم معنى القرآن يُستحبّ له أيضاً فى القراءة الترتيل والتُّؤدة ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام[6] » .

ويقول الوصّابى الحبشى المتوفى سنة ٧٨٢ ﻫ : « ويسنّ ترتيل القرآن ولو لمن لا يفهم[7] » .

* * *

---

(١) سورة الفاتحة / ١ (٢) سورة الفاتحة / ٢

(٣) أنظر : شرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى ﺟ ١ ص ٣٢٥ و ٣٢٦

(٤) أنظر : القسطلانى : لطائف الإشارات ﺟ ١ الورقة ٤ — المخطوطة رقم ٤٠٦ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، والورقة ٥ من المخطوطة رقم ٤٩ قراءات بنفس الدار .

وانظر : الفراء (البغوى الحسين بن مسعود) : مصابيح السنّة ﺟ ١ ص ١٠٣

(٥) أنظر : كتاب أحكام القرآن للشافعى — جمعه البيهقى ﺟ ١ ص ٦٤

(٦) أنظر : ابن الجزرى : النشر ﺟ ١ ص ٢٠٩

(٧) أنظر كتابه : البركة فى فضل السعى والحركة ص ١٦

وقد استهزئ بمشروع المصحف المرتل غداة الإعلان عنه ، وعُدَّ بدعة محدثة لا يجرؤ عليها إلا عابث أو مأجور[1] .

والردُّ أنَّ كتابة المصحف نفسها ، على نحو ما فصلناه آنفا ، كان عملاً مستحدثاً لم يفعله النبي ، ولكنَّ الصحابة — لمُطلق المصلحة — فعلوه . وقد أصبحت هذه الكتابة المثل المختار لمن يؤكدون العمل بالمصلحة المرسلة :

يتكلم الشاطبي صاحب « الموافقات » و« الإعتصام » عن المصالح المرسلة ، « وهي التي يرجع معناها إلى اعتبار المناسب الذي لا يشهد له أصل معيّن » ، ويبسطها بأمثلة أوّلها : « أن أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اتفقوا على جمع المصحف ، وليس ثمّ نصٌ على جمعه وكَتْبه أيضاً ، بل قد قال بعضهم : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله — صلى الله عليه وسلم[2] — » . ثم يقول الشاطبي في هذا الشأن : « ولم يَرِدْ نصٌ عن النبي — صلى الله عليه وسلم — بما صنعوا من ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشّرع قطعاً ، فإن ذلك راجع إلى حفظ الشريعة ، والأمرُ بحفظها معلوم ، وإلى منع الذريعة للإختلاف في أصلها الذي هو القرآن ، وقد عُلِمَ النهي عن الإختلاف في ذلك بما لا مزيد عليه »[3] .

(١) نشر في صحيفة « الجمهورية » ، يوم ١٩٥٩/٣/١٤ ، ما مؤداه أن البحث عن طريقة جديدة للمحافظة على القرآن تعني أن المصاحف أصبحت « موضة » قديمة ، وأن الحفظ « ما فيش حدّ يضمنه »

وجاء بعد هذا ما نصه :

« ويقول الشيخ أبو زهره : إن هذا عبث لا يجب أن يقول به أحد . إن الذين يقومون بهذه الدعوات ناس مأجورون ، فقراءة القرآن هي التي تجعل الإنسان يحسّ بروحانيته » .

(٢) الإعتصام جـ ٢ ص ٢٨٧

(٣) نفس المرجع ص ٢٩٠

وسيظل هذا الاجتهاد محل التفات المسلمين وإعجابهم[1] .

— ٤ —

وقد رأى بعضهم في سنة ١٩٦٤م ، أن يطلق — على مجموعة « اسطوانات » القرآن — اسم « القرآن المرتّل » ، بدلا من « المصحف المرتل » .

ونودّ أن نذكّر أصحاب هذا الرأى بأنّ المسلمين الأوّلين لمّا جمعوا القرآن كتابةً احتاجوا إلى اسم لهذا الجمع ، فكان أن اختاروا له اسم « المصحف » على نحو ما قدّمنا . وهم — بدهيّاً — لم يفُتْهم أنّ ما جمعوه هو القرآن ، ولو استساغوا إطلاق اسم « القرآن » على الورق المادىّ الذى سُجّل فيه القرآن لفعلوا ، ولكنهم لاحظوا — بالضرورة — أنّ القرآن هو كلام الله القائم بذاته ، وأنه — كما عبّر القسطلانى بعدهم بقرون — « غير مخلوق ولا حالّ فى المصاحف ولا فى القلوب والألسنة والآذان ، بل معنى قائم بذات الله . . . وهذا كما يقال : النار جوهر محرق ، يُذْكَرُ باللفظ ويُكْتَبُ بالقلم ، ولا يلزم منه كون حقيقة النار صوتاً وحروفا »[2] .

وأحمد بن حنبل يقول[3] : إنّ الله أبطل أن يكون القرآن شيئاً غير الوحى ، لقوله : « إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ »[4] ، وقوله : « فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ »[5] .

(١) أنظر مثلا : محمد الخضر الجكنى الشنقيطى مفتى المالكية بالمدينة المنورة : قمع أهل الزيغ والإلحاد عن الطعن فى تقليد أئمة الاجتهاد ص ٥٤

(٢) لطائف الإشارات ـ الورقة ٥ من المخطوطة رقم ٤٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٣) أنظر كتابه : « الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله » ص١٦

(٤) سورة النجم /٤

(٥) سورة النجم /١٠

والسبكي — في تلخيصه لكلام الأشعري والمسلمين غير المبتدعين عن القرآن — يقول : « ولا يجوز الإنفصال — على القرآن — عن ذات الله ، ولا الحلول في المحالّ ، وكون الكلام مكتوباً على الحقيقة في الكتاب لا يقتضي حلوله فيه ، ولا انفصاله عن ذات المتكلّم »(1) .

والفخر الرازي يقرر أيضاً — في شدّة — أنّ الأصوات التي نقرأ بها ليست كلام الله . يقول :

« زعمت الحشوية أن هذه الأصوات التي نسمعها من هذا الإنسان عين كلام الله تعالى ، وهذا باطل ، لأنّا نعلم — بالبديهة — أن هذه الحروف والأصوات التي نسمعها من هذا الإنسان صفة قائمة بلسانه وأصواته ، فلو قلنا بأنها عين كلام الله تعالى لزمنا القول بأنّ الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى ، وحالّة بدن هذا الإنسان . وهذا معلوم الفساد بالضرورة .

وأيضاً ، فهذا عين ما يقوله النصارى من أن أقنوم الكلمة حلّت في ناسوت صريح ، وزعموا أنها حالّة في ناسوت عيسى عليه السلام .

ومع ذلك فهي صفة الله تعالى ، وغير زائلة عنه .

وهذا عين ما يقوله الحشوية من أن كلام الله تعالى حالّ في لسان هذا الإنسان،مع أنه غير زائل عن ذات الله تعالى ، ولا فرق بين القولين ، إلا أنّ النصارى قالوا بهذا القول في حق عيسى وحده ، وهؤلاء الحمقى قالوا بهذا القول الخبيث في حقّ كلّ الناس من الشّرق إلى الغرب(2) » .

وينفي أبو الحسين الخياط المعتزلي المعروف عن فرقته ما نُسب إليهم

(1) طبقات الشافعية ج ٣ ص ٤١٧ و ٤١٨ (بتحقيق الطناحي والحلو)
(2) الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ١ ص ٣١ و ٣٢

من أنهم قالوا إن الناس لم يسمعوا القرآن على الحقيقة ، وإنّ ما في المصاحف ليس بكلام الله إلا على المجاز(1) .

* * *

وشيءٌ اصطلح عليه الذين شاهدوا نزول القرآن ، ورأوه ضروريا ، وتبيّن صوابه للمسلمين جيلا بعد جيل ، ولم يخالف فيه عامّة فقهائهم وعلمائهم ، ووردت روايات بأن النبي قاله ، لماذا نعدل عنه ؟

ثم إنه لا ضير — ديناً وذوقاً — أن نقول في شؤون « أسطوانات » المصحف : مشروع المصحف ، وبيع المصحف ، وشراء المصحف ، ومخزن المصحف ، وإيراد المصحف ، وسرقة المصحف ، والخطأ في المصحف . . إلى آخر التعبيرات التي هي من لوازم المخلوقات والمحدثات ، بينما الواضح كل الوضوح أن استعمال كلمة « القرآن » في هذه المجالات غير سديد ، ومجانف للدين والذوق . وكم يؤذي القرآن وأتباعه أن يُعلَن عن المصحف المرتّل ، فيقال : إن « لجنة القرآن المرتّل » تعلن عن بيع كذا وكذا في « مخازن القرآن المرتل ! »

والظن أن أصحاب هذا الإستعمال يجهلون أنه هو نفسه استعمال الطاعنين على القرآن ، والظانّين به ظن السَّوْء ، فقد عثر أحد المستشرقين — كما هو موضّح في موضع آخر من هذا الكتاب — على أوراق من مصاحف قديمة ، فنشرها بعنوان : أوراق من ثلاثة قرآنات !! قديمة .

ثم إنّ ذلك الإستعمال يجرّ قطعا إلى مشكلة ياطالما أثارت الفتنة،وكانت لبعض أئمة المسلمين مصدر محنة ، وهي مشكلة : هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق(2) .

(1) أنظر : الإنتصار والردّ على ابن الراوندي الملحد ص ٨٢
(2) أنظر : السخاوي : جمال القراء ص ٣٤ و ٣٥ — المخطوطة رقم ٢٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .
والسبكي : طبقات الشافعية (بتحقيق الطناحي والحلو) ج ٣ ٤١٧ و ٤١٨

عن وكيع قال : من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أنه محدث ، ومن زعم أنه محدث فقد كفر(١) .

وإذا كانت القراءة نفسها التي هي عند المسلمين أصواتُ القراء ونغماتُهم ليست هي نفس كلام الله تعالى ، لأنها « هي التي تُستطاب من قارىءٍ وتُستبشع من آخر ، وهي التي قد تكون ملحونة ، وقد تكون قويمة مستقيمة ، وهي الجَهْوَرية حينا والخفيّة حينا آخر »(٢) .

. . . إذا كان هذا من أصول الإعتقاد عند المسلمين ، أفلا تكون الأسطوانات المادية أولى بأن لا تسمّى القرآن المرتل ؟ أليس الواجب أن ننزّه القرآن عن أن يكون متصلا بالأجسام وقائما بالأجرام ؟

— ٥ —

وقد عرفنا من الباب الأول بواعث الجمعين الكتابيين ، فما هي بواعث التفكير في الجمع الصوتي ؟

لعل أول هذه البواعث اقتضاء المحافظة على القرآن ، وذلك ـ في رأينا ـ عن طريق :

(ا) تحقيق التلقّي الشفهيّ الذي لا محيص عنه لطالب القرآن ، والذي من غيره لا يؤْمن التصحيف .

(ب) المحافظة على القراءات التي نزل بها القرآن ، وأجمع عليها المسلمون ، وثبت لهم — منذ زمن النبي — تواترها وعدم شذوذها .

(ج) المنع من القراءة بالشواذ التي تعلّق بها أفرادٌ من القرّاء ، والتي ترى

(١) أحمد بن حنبل : كتاب السنة ج ١ ص ٢٠٢

(٢) أنظر : الجويني : المرجع السابق ص ١٣٠ و ١٣١

— مع أغلب المسلمين — أنها مجرّد وسيلة من وسائل تفسير القرآن ، وتبيين معانيه ، وترجيح تأويلاته ، والتي نرى أن التلاوة بها تُفضي إلى الإختلاف والبلبلة والفتنة .

ومن هذه البواعث الحاجةُ الماسّة إلى تيسير تحفيظ القرآن وتعليمه ، وأحسب أن الجمع الصوتيّ الأول سدّ هذه الحاجة :

(ا) لأن المصاحف المرتلة نماذج صوتية ممتازة للترتيل الشرعي الذي تستطيعه الكافة .

(ب) ولأنها تيسّر القرآن للحفظ والتعليم ، وخاصّة في المجتمعات الإسلامية غير العربية التي يعْوزُها غالبا الملمّ الضابط المتقن .

(ج) ولأنها تطبّ لمشكلة اختلاف الرسم العثمانيّ للمصحف المكتوب عن الرسم الإملائيّ المألوف .

وثمة بواعث أخرى دعتنا إلى الجمع الصوتي ... هي ضرورة الذود عن القرآن ضدّ الطاعنين عليه ، والمتشككين فيه من قدامى ومحدثين ، وضدّ كلّ محاولة لتحريفه ، وكلّ عقبة توضع أمام لغته ، أو أمام وحدة أتباعه .

وأظن أنّ مشروعي يحقّق أيضاً :

(ا) معاضدة المصحف العثماني الذي أجمع المسلمون عليه .

(ب) درء أيّ تحريف عن القرآن .

(ج) نشر لغة القرآن وتوطيد الوحدة بين المؤمنين به .

وفي الأبواب والفصول الآتية تفصيل هذا الإجمال ، مع ذكر لمخطّطات المشروع .

الفصل الثانى

التنفيذ وتاريخياته

الفصل الثاني

التنفيذ وتاريخياته

— ١ —

هنا الشبهة التي قد تُوهِم أني أشير إلى شخصي وعملي مزكيًا ، فإنّ الحديث عن مشروع الجمع الصوتي للقرآن برواياته المتواترة والمشهورة سيتضمن بالضرورة إشارات كثيرة أو قليلة إلى شخص صاحب المشروع وعمله . ولذلك كان طبيعيا أنّي لبثت سنين أوجب على نفسي التحرّج من هذ الحديث .

وقد نصح لي أصدقاء علماء بأن أكتب عن مشروعي : بواعثه كما استشعرتها ، ومخطّطاته كما وضعتُها ، وكيف سار تنفيذ المشروع إداريا وفنيا ، وماذا لاقى من ميسرّات،وماذا عانى من معوّقات . وأشهد أن نُصْح أصدقائي كان حافزا قويًّا لي على الكتابة التي أنا بسبيلها ، بيد أني لا أكذب الحقّ إذا قررت أنّ رأس الحوافز كان حرصي على أداء واجب تجلّت لي أهميته الكبرى ، وأخافني إثم تركه .

نعم ، بدا لي أنّ حدثًا كهذا عظيمَ الشأن في تاريخ القرآن ، فضلا عن التاريخ العام ، حريٌّ جدًّا أن يستجْليَ المسلمون كلَّ شيء عنه ، وبدا لي أن مسؤولية هذا تقع — أوّلَ ما تقع — على صاحب فكرة هذا الحَدَثِ التاريخي ، وهي مسؤولية تناقشه حسابها الأجيال إلى يوم القيامة ، سيما إذا كان هو وحده

أقدر الناس على ذكر التفاصيل الصحيحة والدقيقة ، بحكم أنّ الفكرة عاشت فى خَلَده أمداً تتغذى من عقله وقلبه وضميره ، ثم بحكم أنه هو الذى بشّر بها ، وحمل أمانة الدعوة إليها ، والتخطيط لها ، ثم حمل طويلاً أمانة تنفيذها عاملاً ومُشْرِفا .

ويتضاف إلى هذا أنى أمّلت فى هذه الأجيال — إذا ما بسطت لها الأمر كاملاً أميناً — أن يتبيّنوا أشياء ربما أعانتهم على إكمال بناء أو إتمام خطة ، وأخذ أسلوب فى العمل أو ردّ أسلوب .

وقد رأى القارىء أن الطريق إلى معرفة الحقائق المفصّلة عن الجمعين الكتابيين لم يكن كلّه سهلا ، ولا تثريب فى هذا على معاصرى هذين الجمعين ، فانّ زمنهم نفسه كان شحيحا عليهم بإمكانيات التسجيل المفصّل للتاريخ ، أما الأجيال القادمة التى ستدرس مشروع الجمع الصوتى الأول للقرآن برواياته المتواترة والمشهورة ، هذه الأجيال التى ستعرف ما وفّرته لنا أيامنا من وسائل ومعارف ... ستكون فى حلّ من أن تُنْحِى علينا باللائمة إذا بخسناها حقها فى الوقوف على كلّ شىء .

وقد جرت على أعين الناس — فى شأن مشروع المصحف المرتل بالذات — عجائب جريئة ، وصاحب المشروع حىّ يروح بين الناس ويغدو : يدعو لفكرته ، ويناضح عنها ، ويخطّط لها ، ويتولاّها بالتنفيذ والمراجعة ، فكيف ستكون الحال فى يوم قريب أو بعيد ؟ ألا فلتعرف أجيال المسلمين الحقائق عن هذا المشروع فى غير تلوين أو تزييف ، وليس على صاحب المشروع جُناح أو بأسٌ أن يُشار قليلا أو كثيرا إلى شخصه وعمله المتواضعَيْن ، ما دام لا يبغى غير وجه الحقّ والعلم .

على أننا لن نتوسّع فى بيان أشياء يحتمل أن تقطعنا عما نقصد إليه ، وسنجتزىء من ذلك بالإلماع دون الإفاضة والإسهاب .

ورجائى أن أتعلّق بأسباب الله وحده ، لعلّه أن يهدينى المحجّة المستقيمة .

— ٢ —

وأعود إلى ما قبل إعلانى عن مشروع المصحف المرتل ببضع سنين لا أستطيع تحديدها بدقة .

منذ يومئذ وأنا أحسّ أن جمع القرآن جمعا صوتيا بكل قراءاته المتواترة والمشهورة أمر يجب أن ينهض به أهل هذا الزمان .

وكنت أتابع ، فى المقارىء الكبيرة بالقاهرة ، الممتازين من علماء القراءات ، وكان يؤلمنى أنه كان إذا مات منهم أستاذ حاذق خَلَفَه أحيانا من لا يعدله أستاذية وحذقا ، وضاعت على المسلمين — إلى الأبد — مواهب الميّت لأنها لم تُسَجَّل .

ما كان أعظم شعورى بالخسارة الفادحة المستمرة على مدى الزمن فى القراء الذين يموتون ! ذلك أن إنتاجهم — بطبيعته — غير إنتاج غيرهم من أصحاب العلوم والفنون ، فهؤلاء يستطيع الواحد منهم — بفضل الكتابة — أن يواصل — بعد موته — الحياة فى إنتاجه ، أما أصحاب التراث الصوتى ، وفى مقدمتهم القراء ، فكان تراثهم يفنى بفنائهم ، لأن العلم لم يكن اهتدى بعدُ إلى طرائق تسجيل هذا التراث . وحتى بعد الاهتداء ، تأخر تسجيل المصحف أمداً غير قصير .

كان هذا الشعور ، ومعه شعور قوىّ آخر بمدى الحاجة إلى تحقيق كل الأغراض التى سنعقد لها هنا فصولا طويلة ، وهى أغراض خطيرة الشأن ، كان ذلك كله مبعث أمشاج من الأفكار سوّيت ، فيما بعد ، فكانت فكرة جمع القرآن صوتياً بكل رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة .

— ٣ —

ولا أكتم أنى كنت أعلم أن مشروع الجمع القرآنى الذى أنشده هو سيرٌ فى الطريق التى نهجها ــ قبل ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن ــ الخليفة الأول أبو بكر بمشورة عمر ، ونهجها بعده عثمان بن عفان ، بمشورة الصحابى حذيفة ابن اليمان ، فكنت أستهوِل جراءتى على الطموح إلى محاولة تقليدهما فى أمر القرآن ، وكان الحياء الشديد أحياناً يبهرنى ، وكانت جلالة المشروع تبهرنى . ولكنى — مع ذلك ، ومع ضعفى وتخلّفى وسوء حالى — مضيت أرسم لمشروعى أحسن ما قدرت عليه من منهج .

وكنت أحدّث بالفكرة بعض أقربائى وأصدقائى ، وبعض زملائى فى الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم التى كنت أحد المسؤولين فيها ، ثم كنت رئيساً لها ، فكنت أجد من بعض مَنْ أُحدِّثهم تقديراً واستبشاراً .

— ٤ —

وتقدمت فى أواخر فبراير ، أو أوائل مارس ١٩٥٩ إلى مجلس إدارة الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم باقتراح أسجله هنا بنصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتراح مقدم إلى مجلس إدارة الجمعية من رئيسها

لبيب السعيد

بشأن تسجيل القرآن الكريم صوتياً بكل رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة

يمكن الآن أن يتجاوز المسلمون التسجيل الكتابى للقرآن الكريم

إلى تسجيله صوتياً ، فيصبح لديهم التسجيلان كلاهما . وقديماً تطور تسجيل الكتاب العزيز من الكتابة على العِظام واللِّخاف وعَسِيبِ النخل إلى تسطيره على الجلد والقماش ثم الأوراق بأنواعها . وكما تطورت طريقة كتابة المصحف بأن أضيف إليه النَّقْط والتشكيل والضوابط والمحسنات الخطية تطورت أيضاً طريقة التسجيل من الكتابة باليد إلى الطباعة .

على أن أهم وسيلة لنقل القرآن الكريم عَبْر الدهور كانت وما زالت روايته وتلقينه مباشرة وشفاهاً ، فَماً لفَمٍ ، وهذا هو المعتمد عند علماء القرآن ، لأنّ فى القراءة ما لا يمكن إحكامه إلا عن طريق السماع والمشافهة .

ومتابعةً للتطور ، وتأكيداً لطريقة النقل الشفوى ، وتطويراً لها ، يمكن الآن الاتجاه إلى تسجيل القرآن الكريم تسجيلاً صوتياً . ولعلّ هذا الأسلوب أن يكون هو أصلح أساليب العصر وأكثرها تيسيراً على المسلمين فى تلقِّى الكتاب العزيز مجوّداً ومتلُوًّا بمختلف القراءات .

* * *

ومعلوم أن لدى دور الإذاعة تسجيلات من آى الذكر الحكيم من ترتيل بعض القارئين ، ولكن التسجيلات التى نريدها هى من طراز آخر ، فالتطريب ليس من أغراضها ، وإنما التعليم هو غرضها الأول . ومفهوم أن الفرد العادىّ لا يستطيع ، ولا يجب عليه ، فى حياته العملية ، أن يقرأ القرآن بالطريقة التلحينية التى يذيعه بها الآن القراء ، فى دور الإذاعة ، وفى المحافل .

والملاحظ الآن أن كثيراً من المسلمين لا يُحسنون — مع الأسف — أداء الكتاب العظيم حسب أصول التجويد ، مع أنهم بالضرورة يؤمنون

بهذا الكتاب ، ويحبونه ، ويستهدونه . والملاحظ أيضا أن أغلب حفاظ القرآن الكريم لا يعرفون غير قراءة « حفص » . وهذا وذاك أمران بالغا الخطورة ، ويتمين تلقاءهما على الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم وهى التى تعمل ليظل ميراث القرآن محفوظاً أحسن حفظ على مدى الزمن أن تطبّ لهذه الحال عاجلا . وربما كان مشروع تسجيل القرآن صوتياً من كبار علماء القرآن هو السبيل العملية السهلة إلى العلاج المنشود .

ولست هنا بصدد التنويه بفضل القرآن الكريم على العالمين ، ولا الإشارة إلى ما يُرْجى من وراء تعلمه واتباعه وتلاوته حق التلاوة من خير يعم البشرية ، ويهيء للمسلمين والعرب الإمامة فى الأرض ، فهذا كله أوضح من أن يوضح . ولكن الذى أشير إليه هو أن المسلمين — فى مختلف البقاع — يتلهفون على وسيلة ميسورة يتعلمون عن طريقها كتابهم الأقدس ، ويتلونه على نسقها تلاوة صحيحة يقوى عليها الفرد العادىّ . ولا ريب أن الحاجة إلى هذه الوسيلة — بالنسبة للدول الإسلامية غير العربية — أمسّ ، وأن إنتشار القرآن بفضل هذه الوسيلة سيكون أوسع ، وطلابه سيكونون أكثر ، وأن المصحف المسموع سيكون سبباً خطيراً لزيادة توثق العلاقات بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولتوكيد القومية العربية ، على النحو الذى ينشده ويدعو إليه الرئيس العظيم جمال عبد الناصر .

* * *

ولقد عُنِيَتْ الهيئات الثقافية فى الإقليم المصرى بتسجيل الأغانى ، ولذلك ليس غريباً أن نسمع فِتْياننا وفَتَياتنا يُكثرون تَرْديدها ، مع ما فى عباراتها — أحياناً — من معان غير باعثة ولا نظيفة . ولا ريب أن كلام الله المكنون أحق بهذه العناية ، وبما هو أكثر منها .

وهذه الجمعية ، بحكم رسالتها وتخصصها وإمكانياتها القرآنية ، هى أولى الهيئات بالقيام على مشروع التسجيل ، على أن لا نحرم الهيئات الأخرى القادرة على المعاونة من شرف الإسهام فى هذا المشروع البالغ الجلالة .

* * *

وفيما يختص بالتسجيل نفسه ، أقترح أن يشمل تلاوة الكتاب العزيز كله بقراءة حفص ، ثم بمختلف القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، على أن لا تُرَدَّدَ الآية الواحدة بأكثر من قراءة واحدة فى التلاوة الواحدة ؛ كما يشمل التسجيل دروساً عملية فى أحكام التجويد بطريقة سهلة ميسرة تمكن الجمهور العادى من الإنتفاع بها .

أما فيما يختص بمن يتولَّوْن القراءة والتدريس العملى ، فيجب أن يكونوا من أعلم علماء القرآن ، مع مناسبة أصواتهم للتسجيل ، وأن تختارهم لجان لها خبرتها القرآنية العظمى ، ويشارك فيها الأزهر الشريف والهيئات العلمية واللغوية والثقافية الأخرى .

وأقترح تشكيل لجنة من أعضاء الجمعية تضم إليها من تشاء ممَّنْ يُرْجى نفعهُ لأعمالها ، وتضع هذه اللجنة منهاجا كاملا مفصلًا لتنفيذ المشروع سواء من الناحية القرآنية ، أو ناحية التسجيل الفنى ، أو من الناحيتين التمويلية والإدارية ، كما تحدد المعاونات الممكن الحصول عليها من الجهات الحكومية والشعبية المختلفة . وكذلك تتولى اللجنة ترشيح أعضاء اللجان التى يعهد إليها باختيار علماء القرآن الكريم ممن سيناط بهم التسجيل .

وأقترح التماس وضع هذا المشروع المبارك تحت رعاية السيد الرئيس القرآنىّ السيرة جمال عبد الناصر التماسا لأسباب النجاح بمشيئة الله » .

وقررت الجمعية المبادرة إلى تنفيذ اقتراحي ، على أن تتصل فوراً بالجهات الحكومية التي أشار إليها المشروع من أجل الأغراض المفصّلة فيه ، وأُلّفت لذلك لجنة برياستي .

ودعوت إلى اجتماع عامٍّ بمقر الجمعية (شارع الشيخ ريحان — عطفة زاوية أبي الوفا رقم ٥ بعابدين) ، في مساء ١٤ من رمضان ١٣٧٨ (٢٣ من مارس ١٩٥٩) ، وكان ضمن الحاضرين مندوب عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي(١) ، وممثل لهيئة الإذاعة(٢) ، ومندوب عن الإدارة العامة للمعاهد الدينية بالأزهر(٣) ، ومندوب عن الإدارة العامة للثقافة بالأزهر أيضاً(٤) .

وفي هذا الاجتماع ، ذكر أحد الحاضرين(٥) أن شيخ الأزهر كلفه إبلاغنا خَشْيَتَه من أن يقع للقراءة المقترحة للتسجيل ، وهي غير المنغمة ، ماوقع للأذان الخالي من التطريب ، حيث اختلف الناس فيه : فريق يؤيده ، وفريق لايرضاه بديلا بالطريقة التطريبية ، وأثبت المتكلم كتابةً نصها : «وإن الأستاذ الأكبر طلب أن يظلّ القرآن بجلاله فلا تكثر الاقتراحات حوله» .

أما مندوب وزارة الثقافة والإرشاد القومي فكتب أنه كبير الأمل في أنّ وزارته ستولى المشروع رعايتها بعد أن يقرّه الأزهر .

وأما كبير المهندسين بالإذاعة فاقترح — كتابةً — لتمويل المشروع إحدى طريقتين :

(١) هو الأستاذ عبده بدوي
(٢) هو كبير مهندسي الإذاعة وقتئذ المهندس طه نصر
(٣) هو الأستاذ الشيخ على جعفر
(٤) هو الأستاذ عبد الرحمن العدوي .
(٥) وهو الأستاذ الشيخ حسن مصطفى وهدان ، وكان عضوا بالجمعية وقتئذ .

(الأولى) : تكوين شركة مساهمة للتنفيذ .

(والثانية) : ترك التنفيذ لإحدى الشركات التجارية تلقاء ربح تستفيد به الجمعية التي يرأسها صاحب المشروع .

واقترح من الناحية الفنّية أن يكون الامتياز في صوت القارئ المسجّل مقدّما على باقي الشروط بما فيها جودة الحفظ ودقة الأداء ، لأن هذين — فيما يرى — يمكن تعهدهما بالتوجيه من جانب المتخصصين .

وأيد مندوب المعاهد الدينية بالأزهر المشروع بالشرط الوارد فيه ، وهو أن يكون القرّاء والمدرسون من أعلم علماء القرآن ، وتختارهم لجان لها خبرتها القرآنية العظمى . . . الخ .

وأما مندوب الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ، فأيّد فكرة البدء بتسجيل رواية حفص ، وطلب — فيما يختصّ بتسجيل دروس التجويد المقترحة — الإكثار — عند تعليم الأداء — من الأمثلة المنطوقة .

* * *

وعقدتُ مؤتمرا صحفيا في صبيحة اليوم التالي ، ورجوت ممثلي الصحف دعوة رجال الفكر إلى موافاتي بتوجيهاتهم وملاحظاتهم ، حتى يتحقق لفكرة المصحف المسموع ما هي كفاؤه من تنفيذ دقيق سليم . وتحدثتُ إليهم عن بعض تفاصيل المشروع ، وكتبتْ الصُّحف بعدها عن المشروع منوّهةً مشجعةً ، ولكن محررا في إحداها ، وهي «الجمهورية» عرّض بالمشروع ، وذكر أنه سألَ أحد أساتذة الشريعة بكلّية الحقوق(١) رأيه في الفكرة ، فقال إنها عبث لايفعله إلا عابث أو مأجور . واتصلت بأستاذ الشريعة شارحا ، فاعتذر بأنه إنما قال الذي قاله لأنّه كان يظن المشروع يرمي إلى تلحين القرآن .

(١) هو الأستاذ الشيخ محمد أبو زهره

وأبلغني زميلٌ في الجمعية[1] أن شيخ الأزهر يعترض أيضاً على اسم المشروع ، ويقول إن العامة تجعل « المسموع » مرادفا لـ « المشهور » ، ولذلك يرى تغيير الاسم .

وفكرت في التغيير ، ووردت على خاطرى هذه الصفات : المرتل — الناطق — الصائت — فاخترت أوّلها .

وقصدتُ ومعى بعض أصدقائى[2] ، إلى شيخ الأزهر في بيته ، وكان قد أبَلّ من مرض شديد ، وتحدثتُ إليه في شأن المشروع والتخطيط له ، وأبلغته أنى اخترت كلمة « المرتل » بدل « المسموع » ، فتلقى الشيخ مشروعى بالرضى الأتمّ ، وأصدر بيانا نشرتْه كافة الصحف في ٣ و ٥ أبريل ١٩٥٩ ، و نشرته مجلة الأزهر في أول عدد صدر منها بعد هذا التاريخ[3] .

* * *

وأردت أن يأنس الرأى العام إلى التلاوة المرسلة التى سيسجّل بها الجمع الصوتى ، فطلبتُ إلى الشيخ محمود الحصرى أن يقرأ بها في حفل الجمعية الذى أقيم بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر يوم ٤ يونيه ١٩٥٩ ، فلاقت هذه التلاوة — من أغلب الحاضرين — استحساناً ، وقرروا أنها تصرفهم إلى تتبّع آيات القرآن نفسها دون تتبّع النغم .

---

(١) هو أيضا الأستاذ الشيخ حسن مصطفى وهدان ، وكان وقتها دائم الاتصال بشيخ الأزهر

(٢) أذكر منهم المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد أحمد على الأستاذ بكلية أصول الدين

(٣) ع شوال ١٣٧٨ (إبريل ١٩٥٩) . وهذا نص البيان .

المصحف المرتل

قدم السيد الأستاذ لبيب السعيد رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم اقتراحا إلى فضيلة الأستاذ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر يتلخص في أن يسجل القرآن الكريم تسجيلا صوتيا مجودا ، وذلك لتمكين المسلم العادى من تلاوة آى الذكر الحكيم تلاوة مجودة في سهولة ويسر . ومعنى الترتيل المرسل : القراءة على نحو ما يكون في الصلاة .

وقد أبدى فضيلة الأستاذ الأكبر ارتياحه ورضاه عن هذه الفكرة ، لأنها طريقة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والصحابة من بعده ؟

وفاوضت مصنع الشرق للأسطوانات في شأن التنفيذ[1] ، وطالت المفاوضات حتى انتهت إلى « مشروع عقد » بعث به المصنع إلىّ في ٥/٩/١٩٥٩ .

وعجزت عن تدبير « استوديو » للتسجيل فيه بالمجان ، فرغبتُ إلى نائب وزير الدولة لشؤون رياسة الجمهورية[2] ، وإلى المدير العام للإذاعة أن يأذنا لى بالتسجيل في استوديوهات الإذاعة ، وسعيت في ذلك سعياً ، حتى استُجيب لطلبى ، بشرطٍ أصرّت عليه الإذاعة ، وهو أن يكون لها الحق المطلق في أن تذيع من « محطاتها » ما يتم تسجيله لديها ، ولعلّ سرورى بهذا الشرط وأنا أقدّم به إقراراً كتابيًا كان أكبر من سرور الإذاعة .

ودعوت جهات كثيرة إلى تمويل المشروع ، عن طريق تلك الجمعية ، فلم تتلقّ — فيما أذكر — غير مبالغ قليلة جداً ابتلعتْها بنودٌ أخرى في ميزانيتها المتواضعة ، كانت شديدة العطش .

ودعوت مع ذلك إلى التسجيل ثلاثةً من أشهر القراء والعلماء[3] ، فبدأوا فعلا عملهم في استوديوهات الإذاعة .

---

(١) وأعانني فيها ، وزودني بالمعلومات الهندسية السيدان : المرحوم المهندس عز الدين فؤاد ، والمهندس طه نصر .

(٢) السيد القائمقام محمد عبد القادر حاتم

(٣) م : الشيخ محمود الحصرى ، وكان وقتئذ وكيل مشيخة المقارىء بوزارة الأوقاف ، واتُّفق على أن يسجّل القرآن برواية حفص عن عاصم ، والمرحوم الشيخ مصطفى اللوانى ، وكان شيخ مقرأة بوزارة الأوقاف ، وكان حاذقا في القراءات ، واتُّفق على أن يسجّل رواية خلف عن حمزة ، والشيخ عبد الفتاح القاضى ، من علماء الأزهر ، ورئيس لجنة مراجعة المصاحف ، واتُّفق على أن يسجّل برواية ابن وردان عن أبى جعفر ، مع الإشراف الفنىّ على التسجيل .

غير أن العجز عن تمويل المشروع كان يجعل العمل بطىء الخطى ، ويبدا أن لا مناص من تكرار التماس العون المالى من كل مقتدر ، بيد أنى — لطبيعة خاصة فىّ — أعوزتنى القدرة على هذا الإلتماس . ولست أنسى يوما من أيام رجب سنة ١٣٧٩ (يناير ١٩٦٠) سعيت فيه ، بناء على نصيحة أحد المخلصين للمشروع[1] ، إلى ثرى كبير هو وزير فى إحدى الدول العربية ، وكان يقيم فى مصر فى حىّ الدقى ، فتلقى هذا الثرى حديثى عن المشروع بعدم الإكتراث ، وخرجتُ يومها من لدنه خجلان آسفاً نادما .

— ٧ —

وحفزنى الإخفاق فى تمويل المشروع إلى التفكير فى وضعه تحت الرعاية المالية للدولة نفسها .

وفى يوم الأربعاء ٢٤ من فبراير ١٩٦٠ ، قابلت وزير الأوقاف[2] ، ورجوته مساعدة المشروع ماليا ، فاستجاب فوراً وفى حماسة ، وكانت استجابته مبعث طمأنينة واستبشار وأمل .

وأصبح العمل شغل الوزير نفسه ومحلّ اهتمامه ، فأفاد ذلك كثيراً .

* * *

واقترحت على الوزير ، فى ٣ مارس سنة ١٩٦٠ ، تشكيل لجنة عامة للإشراف على تنفيذ المشروع ، فأخذ باقتراحى[3] .

---

(١) وهو صديقى المرحوم المهندس عز الدين فؤاد ، أجزل الله ثوابه .

(٢) كان وقتئذ هو السيد أحمد عبد الله طعيمه .

(٣) شكّلت هذه اللجنة من :

صاحب المشروع ، ويكون مقرراً للجنة

المرحوم الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى المستشار الفنى للوزارة وقتئذ =

ورغبت إليه فى توقيع خطاب لوزير الإقتصاد[1] ، للسماح بتحويل ثمن الأشرطة والخامات اللازمة للمشروع إلى الخارج ، مع إعفائها من العلاوات والرسوم النقدية التى كانت مقررة وقتئذ ، فاستجاب الوزيران لرغبتى .

واتُّخِذت — عن طريق الوزيرين — إجراءات استصدار قرار جمهورى بإعفاء مستلزمات المشروع من كلّ الرسوم الجمركية .

وعدت إلى مفاوضة مصنع الشرق للأسطوانات ، على أساس تخفيض التكاليف بما يناسب المزايا الجديدة التى ستصبح للعقد بعد أن يصير حكوميا ، واشترك معى فى المفاوضات الجديدة — بناء على طلبى — الفنيون فى دار الإذاعة ، وفى وزارة الصناعة .

وكان لابدّ من موافقة مجلس الدولة ، ووزارة الخزانة ، وديوان المحاسبات على العقد الجديد ، فأنابنى الوزير فى شرح الأمر لدى هذه الجهات ، والرد على أسئلتها ، واستنجازها موافقتها .

وكتب الوزير رسميًا إلى الإذاعة والمصنع بأنى مفوض عن الوزارة فى كافة شؤون المشروع ، وأن لهما الرجوع إلىّ فى أى شأن من هذه الشؤون.

= الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة

الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة سابقا

الأستاذ الشيخ محمد الغزالى مدير المساجد بوزارة الاوقاف (وقتئذ)

الأستاذ الشيخ سيد سابق مدير إدارة الثقافة بوزارة الاوقاف (وقتئذ)

الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى رئيس لجنة مراجعة المصاحف

الأستاذ الشيخ عامر عثمان المدرس بمعهد القراءات

المرحوم المهندس عزّ الدين فؤاد المدير العام بالاذاعة (وقتئذ)

المهندس طه نصر كبير مهندسى الاذاعة (وقتئذ أيضا)

وقد عدّل هذا التشكيل مرات بعد هذا .

(١) وكان وقتئذ هو السيد الأستاذ حسن عباس زكى

ورأيت أن يمضى الشيخ محمود الحصرى فى تسجيل رواية حفص ، على التفصيل الذى سنذكره فى فصل القراءات .

— ٨ —

ولم يسترح فى ذلك الوقت بعض كبار القراء لفكرة التسجيل بالقراءة المرسلة غير التطريبية ، وربما كان ذلك لأسباب :

(أولها) الخوف من أن تمّ هذه الطريقة التى لم يألفوها فى حياتهم العملية ، فيقلّ الإقبال عليهم .

(وثانيها) أنّ تسجيل القرآن،من أوله إلى آخره،وبكل الروايات المتواترة والمشهورة،يقتضيهم دراسة جديدة شاقة وطويلة ، وهو مالا تسمح به ظروفهم كقراء مشاهير يصعب عليهم تدبير الوقت والطاقة لمثل هذه الدراسة ، ثم إنهم — على الأغلب — تعوّدوا الإقتصار فى قراءتهم بالمحافل على مواضع معينة عرفوا جيّداً قراءاتها ، وأساليب التغنى بها ، وهم لذلك لا يشعرون بحاجة ماسّة إلى هذه الدراسة المجهدة التى يتولاها غالباً مدرّسون أقل منهم كثيراً مالاً وشهرةً .

(وسبب ثالث) هو أن القراءة المرسلة النموذجية المطلوبة تعتمد قبل كل شئ على دقة الأداء ، وعمق المعرفة النظرية والعملية بقواعد التجويد ، وطرق القراءات ، أما نصيب الصوت الحلو فى نجاحها فيقع فى المرتبة الثانية ، وهذا — فيما يحسب بعضهم — غير القراءة التنغيمية التى تجعل لحسن الصوت المحلّ الأول .

وقد أوضحت لمن استكشفتُ فيه مثل هذا الخوف أن مشروع المصحف المرتل لا يحارب أبداً الطريقة التنغيمية فى القراءة ، إلا إذا خَرَجَتْ عن قواعد

الأداء القرآنى السليم المأثور ، وأوضحت أن عملهم كقرّاء هو أسمى من أن يقف — ولو مدة يسيرة — عن التزوّد بالعلم المتخصّص .

— ٩ —

وأحسست بجلال المسؤولية الفنية تلقاء تسجيلات يراد أن تكون مصاحف مرتلة أئمة ، كما كانت المصاحف الأئمة التى كتبها الصحابة على عهد عثمان ، فطلبْتُ إلى أعضاء لجنة التسجيل[1] :

١ — اقتضاء كل قارئ غاية الدقة فى الأداء ، مع إلغاء كل تسجيل لا يصل الأداء فيه إلى حدّ الإمتياز ، واعتبار هذا مبدأً لا يجوز أبداً الترّخص فيه .

٢ — الاستماع جميعاً إلى الحصة القرآنية المراد تسجيلها للتأكد — مقدّما — من دقّة أداء القارئ ومراعاته الأحكام ، وتزويده بما قد يلزمه من توجيهات ، وبصفة خاصّة لتحديد مواضع الوقف بحسب السّنّة ، وبحسب ما تقتضيه المعانى ، وما اتفق عليه علماء القرآن .

* * *

ومضى العمل فى تسجيلات رواية حفص عن عاصم ، بصوت الشيخ الحصرى الذى كنت اخترته لتسجيل هذه الرواية ، منذ ما قبل وضع المشروع تحت الرعاية المالية لوزارة الأوقاف ، حسبما أوضحت آنفا .

ولم يكن التسجيل شيئاً هيّناً ، فمع امتياز القارئ ، وكونه قد أصبح آنئذ شيخ المقارئ ، كانت اللجنة تستوقفه كثيراً ليعيد التسجيل على النحو النموذجى المطلوب .

(١) كانت مشكّلة وقتئذ من الأساتذة المشايخ :
عبدالفتاح القاضى (وقد استعفى من اللجنة فى وقت مبكر، لأسباب منها بُعْدُ محله عن القاهرة) ، عامر عثمان ، وعبد العظيم الخياط ، ومحمد سليمان صالح ، ومحمود حافظ برانق ، والأربعة الأخيرون من مدرّسى معهد القراءات التابع للأزهر .

وبدأ الطبع في مايو سنة ١٩٦٠ ، وأمكن الانتهاء من الطبعة الأولى في ٢٣ يوليو ١٩٦١ : عيد الثورة التاسع ، حيث بدئ بتوزيع المصحف المرتل للمرة الأولى في تاريخ الإسلام .

— ١٠ —

وأعقب هذا ، في سنة ١٩٦٢م ، تسجيل قراءة أبي عمرو ، برواية الدوري . وهذه القراءة هي الأكثر ذيوعاً الآن في السودان ، ونيجيريا ، وأواسط أفريقية بصفة عامة[١] ، وكانت هي الأكثر انتشاراً في مصر ، حتى جاء الحكم التركي ، ففاقتها في الانتشار رواية حفص .

وقد أشرتُ بأن لا يستأثر قارئ واحد بتسجيل المصحف كاملا ، دفعا للملل السامعين ، واستفادةً بأكبر عددٍ من أصحاب المواهب ، وتحقيقاً لتكافؤ الفرص ، فاختير لتسجيل هذه الرواية ثلاثة من القراء[٢] . وبَذَلْتُ — مع زملائي — في هذا التسجيل نفس الجهود الفنية الضخمة التي بذلناها في سابقه .

* * *

بيد أنه أثناء هذا التسجيل ، بعثت مشيخة الأزهر[٣] إلى وزير الأوقاف

(١) رغب إليّ عدد من العلماء في هذه البلاد المبادرة إلى تسجيل رواية الدوري ، وأبدوا أن ذلك سيكون عوضا لسائر البلاد التي تقرأ بهذه الرواية عن أمنية سموا لها عند مصر — قبل الثورة — فأخفق سعيهم . وقد بعث السودان بنسخة خطية من المصحف مضبوطة بالشكل وَفْق هذه الرواية ، للانتفاع بها أثناء التسجيل الصوتي . وقد رأيتُ تصويرها قبل إعادتها ، وتولت هذا دار الكتب المصرية (الآن : دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة) لحساب وزارة الأوقاف

وقد استجبت فعلا — ومعي زملائي أعضاء لجنة المصحف المرتل — لهذه الرغبة ، وتولّى التسجيل القراء المشايخ : فؤاد العروسي ، ومحمد صديق المنشاوي ، ويوسف كامل البهتيمي .

(٢) هم المشايخ المذكورون آنفا .

(٣) بتوقيع المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

والأزهر[١] كتاباً تطلب فيه منع ما سوى رواية حفص من الروايات ، وما سوى صوت الشيخ الحصري من الأصوات ، حتى لا يثير ذلك — حسبما قرر كتاب المشيخة — اختلاف المسلمين حول أيّ القراءات أَوْلى ، وأيّ الأصوات أحلى[٢] .

وفزع صاحبُ المشروع من هذا المنع ، وقابل في شأنه شيخ الأزهر ، وكان من أَوْجُهِ الاحتجاج في تلك المقابلة الطويلة التي تحمّلها الشيخ ، وكان وقتئذ مريضاً ، رحمه الله :

١ — أن مرجع الاختلاف بين القراءات هو — على الأغلب — نزول القرآن على سبعة أحرف ، حسبما قرر النبي ، فيما روى البخاري[٣] ، ومسلم[٤] ، وابن جرير ، وابن حبان ، والبيهقي[٥] ، وفيما روى أحمد[٦] ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي[٧] ، والطيالسي[٨] ، وغيرهم[٩] ، فالقراءات المتواترة

(١) وكان هو الأستاذ الدكتور محمد البهي

(٢) أو كما قال كتاب المشيخة

(٣) كتاب ٤٤ باب ٤ ، وكتاب ٦٦ باب ٤ و٢٧ ، وكتاب ٨٨ باب ٩ ، وكتاب ٩٧ باب ٥٣

(٤) كتاب ٦ حديث ٢٧٠ — ٢٧٤

(٥) انظر : السيوطي : الدر المنثور جـ٥ ص ٦٢

(٦) انظر : مسند أحمد بن حنبل ، بتحقيق أحمد شاكر جـ ١ ص ٢٤ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٣

(٧) انظر : النابلسي : ذخائر المواريث جـ ٣ ص ٤٢ و ٤٣

(٨) انظر : مسند الطيالسي ، حديث ٣٩ و ٥٤٣

(٩) يقول السيوطي : ورد حديث : « نزل القرآن على سبعة أحرف ... » من رواية جمع من الصحابة : أُبيّ بن كعب ، وأنس ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة ابن جندب ، وسلمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمرو بن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ ابن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبي بكرة ، وأبي جهم ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي طلحة الأنصاري ، وأبي هريرة ، وأبي أيوب ، فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا . وقد نص أبو عبيد على تواتره (الإتقان جـ ١ ص ٤٥) =

والمشهورة وغير الشاذة هي — بيقين — مما نزل، وتضمنته العرضة الأخيرة، ووافق خط المصحف، فكيف تمنع؟

* * *

٢ — ثم إن النبي — عليه الصلاة والسلام — لم يوافق الصحابة الذين عارضوا بعض القراءات التي تخالف ما لُقّنوه[١]:

(ا) سمع عمرُ بن الخطاب هشاماً بن حكيم يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئ النبي بها عمر، فقاد هشاماً إلى النبي محتكما، فسمع النبي الاثنين،

= وقال ابن الجزري: « وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك، فرويناه من حديث: عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم بن خزام، وعبد الرحمن ابن عوف، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي بكرة، وعمرو ابن العاص، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وسمرة بن جندب، وعمرو بن أبي سلمة، وأبي جهم، وأبي طلحة الأنصاري، وأم أيوب الأنصارية، رضي الله عنهم »

(النشر: ج ١ ص ٢١)

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير: « أن عثمان بن عفان — رضي الله عنه — قال يوما، وهو على المنبر: أذكر الله رجلا سمع النبي — صلى الله عليه وسلم — قال: « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لما قام.

فقاموا حتى لم يحصوا.

فشهدوا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ».

فقال عثمان — رضي الله عنه —: وأنا أشهد معهم

(نفس المرجع)

وانظر أيضاً في هذا الموضوع:

الباقوري: ألف باء ص ٢١٠ — ٢١٧

ابن تيمية: الفتاوى الكبرى ج ١ ص ٣١٢ وما بعدها.

ابن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن — المقدمة ص ٩ — ٢٥

ابن قتيبة الدينوري: القرطين (جمع ابن مطرف) ص ١٥٠ — ١٥٤

(١) أشرنا إلى هذا إجمالا في موضع آخر

وقال عن قراءة كل منهما: هكذا أُنزلت، ثم قال: إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسّر منه[١].

(ب) أنكر أبيّ بن كعب على اثنين من المسلمين قراءتهما، فدخل معهما إلى النبي، فحسّن النبي شأنهما، ولما غشيت أبيًا خلجات شكّ ضَرَبَ النبيُّ في صدره، ليصرفه بشدة عن الإشتغال بهذه الخلجات، وقال له: يا أبيّ، أُرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أنْ هَوِّن على أُمتي، فردّ إليّ الثانية: إقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هوّن على أمتي، فردّ إليّ الثالثة: إقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردّة رددتَها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخّرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم، حتى إبراهيم، صلى الله عليه وسلم[٢].

(حـ) وسمع ابن مسعود رجلا يقرأ حروفاً ما يقرؤها، فانطلقا إلى رسول الله، فأخبراه، فتغيّر وجهه، وقال: إنما أهلك من قبلكم الاختلاف، ثم أسرّ النبي إلى عليّ شيئاً، فقال عليّ: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم[٣].

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ج ١٣ ص ٤٤٦
والكرماني: شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٢١٦
ومسلم: الجامع الصحيح ج ٢ ص ٢٠٢
ومسند الطيالسي ص ٩
وعلي القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج ٢ ص ٦١٩ و ٦٢٠

(٢) مسلم: الجامع الصحيح ج ٢ ص ٢٠٣

(٣) رواه الحاكم، وابن حبان، وانظر: علي القاري: مرقاة المفاتيح ج ٢ ص ٦٢١ — ٦٢٣.

(د) وسمع عمرو بن العاص رجلا قرأ آية من القرآن ، فقال عمرو : إنما هى كذا وكذا ، فذكر ذلك للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأىّ ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا[(١)] .

* * *

٣ — أن الدين نهى عن المماراة فى القراءات ، وأن الفقهاء ذهبوا إلى أن منكر قراءة هو منكر للقرآن ، ومن ثم فهو كافر[(٢)] .

على أن اختلاف القراء كلّه حقٌّ وصوابٌ ، نزل من عند الله ، أو أذن فيه الله لنبيّه ، ولا ينكره أحدٌ على أحد . وليس كاختلاف الفقهاء ... اختلافا اجتهاديا ، هو بالنسبة لصاحبه مجرّد صواب يحتمل الخطأ . ولا تعنى إضافة قراءة إلى قارئٍ ، أو رواية إلى راوٍ إلا أن ذلك المضاف إليه اختار هذه القراءة أو الرواية ، وكان أضبطها ، وأدوم ، وألزم قراءة وإقراء بها ، حتى نُسبت إليه أو نُسب إليها ، فهى إضافة اختيار ، ودوام ، ولزوم ، لا إضافة اختراع ، ورأى ، واجتهاد[(٣)] .

٤ — أن القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة كلّها صحيحة ، وكلها مقروء بها واقعياً ، منذ كان الوحى ، « وإلا كانوا — أى المسلمون — جميعاً عصاة مخطئين فى ترك ما تركوه منه . كيف ، وهم معصومون من ذلك ، ولم يدخل الشكّ أو التكذيب قلب أحد ؟[(٤)] » . والأمة مخيّرة فى القراءات « كتخييرها

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ٩ ص ٢١
وانظر : الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١ ص ٩ — ٢٥

(٢) أنظر فى تكفير المارى فى القراءات :
الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٤
والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ : المقدمة
وشرح الجمل على تفسير الجلالين : الخاتمة .

(٣) انظر ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٥٢

(٤) نفس المرجع ص ٣٣

— إذا هى حنثت فى يمين وهى موسرة — بأن تكفّر بأىّ الكفّارات شاءت : إما بعتق ، وإما بإطعام ، وإما بكسوة »[(١)] .

ولا شك أن إهمال ما عدا رواية حفص — كما أراد كتاب شيخ الأزهر — هو سبيل إلى تطرق الظنون إلى باقى الروايات والارتياب فيها .

ومصر التى تسود فيها الآن رواية حفص لم تكن ، فى وقت من الأوقات ، — كما حكى بعضهم — تعرف غير قراءة ورش ، بطريق أبى يعقوب الأزرق[(٢)] .

والقراءة بالقراءات الثابتة الصحة — فضلا عن المتواترة وغير الشاذة — أمر اتبعه المسلمون ، منذ عهد بعيد . وقد كان سعيد بن جبير — وهو من التّابعين — « يؤمّ الناس فى شهر رمضان ، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله (يعنى ابن مسعود) ، وليلة بقراءة زيد بن ثابت »[(٣)] .

ومما يؤكد تداول القراءات بين المسلمين فى مختلف البلاد الإسلامية ما قاله مكىّ بن أبى طالب من أن الناس بالبصرة — على رأس المائتين — كانوا على قراءة أبى عمرو ، ويعقوب ؛ وبالكوفة على قراءة حمزة ، وعاصم ؛ وبالشام على قراءة ابن عامر ؛ وبمكة على قراءة ابن كثير ؛ وبالمدينة على قراءة نافع .

(١) أبو عمرو الدانى : جامع البيان فى القراءات السبع المشهورة — الورقة ٣ — مخطوطة ٣ م قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) فى ترجمة «الأزرق» المتوفى فى حدود الأربعين ومائتين ، وأحد تلاميذ ورش . يروى السيوطى ، عن أبى الفضل الخزاعى قوله : أدركت أهل مصر والمغرب على أبى يعقوب — يريد الأزرق — وورش ، لا يعرفون غيرهما (السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جـ ١ ص ٢٧٧ و٢٧٨ ط ، سنة ١٢٩٩ هـ)

(٣) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٣٠٥ و٣٠٦

واستمرّوا على ذلك ، «لما كان على رأس الثلاثمائة ، أثبت ابن مجاهد اسم الكسائى ، وحَذَفَ يعقوب »[1] .

وفى مصر بالذات ، يرفع المسلمون من شأن علماء هذه القراءات وقرائها . وقد أقيم للقراءات — علاوة على دُورِ الإقراء المنتشرة فى الريف والمدن والتى يديرها غالباً مقرئون حاذقون — معهد خاص ملحق بالأزهر .

* * *

٥ — أن الجمهورية العربية المتحدة ، بما هى زعيمة البلاد الإسلامية ، ومقرّ أكبر عدد من علماء القرآن منذ قرون ، وفيها أكبر عدد من دور الإقراء ، تملك ، إذا هى تولت الجمع الصوتى للقرآن ، بمختلف رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، أن تبذل له من الإمكانيات مالا تستطيعه الآن أية دولة ، فإن انصرفت هى عن هذا الواجب ، فإما أن تنصرف عنه أيضاً الدول الإسلامية الأخرى ، وإما أن تتولاه بعضَه أو كلَّه على نحو تعوزه غالباً الإمكانيات العلمية ، والمسلمون — فى الحالين — هم الخاسرون .

ولماذا تدع جمهوريتنا مشروعاً يكسب الوطنَ بل الزمنَ أعظم مجد ؟

* * *

٦ — وإذا كان المجتمع العربى مهتماً الآن بحفظ تراثه : غاليه ورخيصه ، فمِنْ واجبه — لا ريب — أن لا يتقاعس أبداً عن تسجيل روايات القرآن التى أخذها المجتمع بالتواتر عن الرسول نفسه ، عن طريق صحابته الذين ثبت تلقيهم القرآن عنه حرفاً حرفاً .

وإذا كنا نجود بالمال والجهد أسخياء على تسجيل اللهجات الغابرة ، بل الأغانى الدائرة ، بل الرقصات البائرة ، أفلا يجب علينا أن نجود بمثل

(١) أنظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ٢٦

هذا لروايات القرآن المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ؟ والقرآن هو ما هو فى تاريخ البشرية على مدى الدهور .

ثم أليست هذه الروايات المنزلة من عند الله أولى بالحفظ من كل ضروب « الفولكلور » ؟ أليست أجدى نفعاً ، وأشرف غاية ، وأقدس حقاً ؟

* * *

وأيد الشيخ — رحمه الله — كل أقوالى ، وكان — فى تأييده — يسبق أحياناً إلى إتمام بعض عباراتى ، وبادر فكتب — رسمياً — لوزير الأوقاف بأن القراءات التى لا يوافق على تسجيلها هى فقط : القراءات الشاذة وغير المتواترة ، وأنه يودّ أن يظل التسجيل سائراً على قاعدة عدم خلط القراءات بعضها ببعض ، وأن تكون دقة الأداء ومراعاة الأحكام مقدَّمتين على حُسْن الصوت ، ورجا أن توجه كل قراءة إلى البلاد التى تختارها ، وبناء على طلب المسلمين فيها .

وأشار فى كتابه — رحمه الله — إلى أن بعض زعماء المسلمين فى البلاد التى تتداول فيها روايات غير رواية حفص شكوا إليه من ذلك المنع .

— ١١ —

ومع أن تعدّد القراءات أمر اشتهر بين المسلمين ، فآمنوا به ، ولم يختلفوا فيه ، على نحو ما رأينا قبلُ ، وما سوف نرى ، فى دراسات تالية تشغل صفحات كثيرة من هذا البحث ؛

ومع أن الفروق بين القراءات يسيرة ، ومحصورة ، كلها ، ومضبوطة ، ومعلومة ، ولا زيادة فيها ولا نقص ، ولا تجهد عامة الناس فى الفهم والتدبّر ، فضلا عن أن تجهد الدارس المدقق أو القارىء المتخصص ؛

مع هذا ، يبدو أن بعض المسلمين ما يفتأون يظنون أن وراء الجمع الصوتى

للقراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة محذوراً يُخاف أو خطراً يُخشى .

ومن الأمثلة : أن أحد المسلمين[1] كتب إلى محافظ القاهرة يقول : « إنه حَسَنٌ جداً أن يسجّل المصحف المرتل بجميع القراءات ، إذا كان سيذاع على سكان البلاد الإسلامية التي تتحدث العربية ، وتفهمها بسهولة ، لأنّ هذا سيمكنهم من لغة القرآن ، ويعرّفهم بلهجاتها المختلفة (كذا) . أما سكان البلاد الأخرى التي كاد الاستعمار يقضي على تراثهم الديني واللغوي ، فإنه يخاف عليهم أن تتشتت أفكارهم إذا سمعوا إلى عدة قراءات » ، ولذلك يرى أنه « يكفيهم تسجيل وطبع القرآن الكريم بقراءة واحدة من القراءات التي تناسبهم ، وتقارب لهجاتهم القومية (كذا) ، لتتركز عقولهم وجهودهم في تلاوتها وتفهمها » .

وحوّل المحافظ الكتاب إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي التي أحالته إلى وزارة الأوقاف ، وهذه أحالته إلى صاحب المشروع .

وقد جاء ضمن إجابتي الرسمية على هذا الكتاب[2] ما أورد بعض نصوصه هنا ، لأنه في صميم موضوع هذا الباب .

« والقراءات التي دعا مشروعي إلى تسجيلها هي القراءات العشر برواياتها التي تواترت — كما يقول ابن الجزري — « في أصلها ، وأجزائها ، وفي وضعها وترتيبها ، إلى يومنا هذا ، في الأعصار والأمصار ، بالأسانيد الصحيحة ، عن أئمة القراءة والحديث والفقه المشهورين بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم ، والمتصلة أسانيدهم العادلة الضابطة بالنبي — صلى الله عليه وسلم — ، وهو تواتر مقطوع به ، وشامل للأصول والفَرْش كما قرر المحققون جميعاً .

وهذه القراءات — على خلاف القراءات الشاذة — ليس فيها زيادة كلمة

(١) واسمه : محمود أحمد خليفة ـ بالمعاش

(٢) وهي مؤرخة في ٥ من أغسطس سنة ١٩٦٤

أو نقصانها ، وتقديمها أو تأخيرها ، وليس فيها إعمال رأي ، أو اجتهاد ، في إثبات شيء لم يثبت أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قرأ به » .

وواضح من هذا ، ومن اشتهاره عند أئمة هذا الشأن ، أنه لا وجه أبداً للمنع من التسجيل بهذه الروايات ، لأنه يُفهم من المنع الإنكار ، وهو ما لا يحلّ .

ويرمي مشروع الجمع الصوتي للقرآن الكريم ، برواياته المتواترة وغير الشاذة ، إلى الآتي :

(ا) تحقيق المقاصد التي من أجلها وُضعت الموازين للقراءات منذ قديم ، وهي مواجهة الملابسات التي أحدثها تفرّق القراء الذين تلقّوا عن صحابة متعددين في البلاد ، وقلة الضبط ، والتخليط ، واشتباه المتواتر بالفاذّ ، والمشهور بالشاذّ .

(ب) التعريف بما يقرأ به كل من أئمة القراءة ، والتمييز بين ما يُقرأ به وما لا يُقرأ ، وكفالة العصمة للمسلمين من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير .

(حـ) ضمان وجود الحفّاظ لكل رواية في كل بلد إسلامي بالعدد الذي يصحّ معه اعتبار الرواية متواترة .

ولا شك أن الاقتصار على تسجيل رواية واحدة يعطّل تلك المقاصد . »

— ١٢ —

ووفق الله تعالى ، فنجحتُ في الاتفاق على طبعة جديدة ، بشروط جديدة أقرها مجلس الدولة ووزارة الخزانة ، ووقّع عقدها وزير الأوقاف[1] ، ورئيس مجلس إدارة المؤسسة المشرفة على المصنع المتعاقد معه[2] .

(١) الأستاذ الدكتور محمد البهي

(٢) المهندس صلاح عامر

ومن هذه الشروط : أن تكون الماتريسات (أمهات الطباعة) مِلْكاً خالصاً لوزارة الأوقاف تستعملها وقتما تشاء فى أىّ مصنع تشاء . ومنها : إعادة ملء الأسطوانات إلى الحدّ الذى يناسب مساحتها ، وذلك تحت الإشراف الفنى لوزارة الأوقاف،لتضمن مناسبة المواضع القرآنية التى تنتهى عندها التلاوة فى كل أسطوانة ، على أن يتحمل المصنع كلَّ نفقات هذه الإعادة (أى المونتاج) . وسيؤدى هذا إلى إنقاص عدد أسطوانات المصحف المرتل من ٤٤ أسطوانة إلى ٢٨ أسطوانة .

ونتيجة لهذا كله ، ولأن كل مستلزمات المشروع ،حسبما قدمنا،معفاة فعلا — بقرار جمهورى — من كل الرسوم الجمركية ، فإن الوزارة لن تدفع — فيما لو نفذت هذا العقد— غير ثمن الخامات ، وأجر الكبس فى المصنع . وسينزل هذا— يقينا — بسعر المصحف المرتل ، فى الطبعات التالية ، إلى نحو جنيهين على أكثر تقدير ، بدلا من حوالى ٢٢ جنيها .

* * *

وأعيد طبع رواية حفص غير مرة .

والمأمول ، إن مدّ الله لى العمر ،أن أمضى — بتوفيقه وبعونه— فى إتمام الجمع الصوتى للقرآن ، بتسجيل سائر رواياته وطرقه وأوجهه ، على النحو الذى سأذكره تفصيلا فى فصل آخر .

والله أسأل أن يجعله عملا صالحا متقبّلا .

القسم الثانى

البواعث والمخططات

الباب الأول

الحفظ

الفصل الأول : تحقيق التلقي الشفوي

الفصل الثاني : المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة

الفصل الثالث : المنع من القراءة بالروايات الشواذ

الفصل الأول

تحقيق التلقى الشفوى

الفصل الأول

تحقيق التلقي الشفوى

— ١ —

المعتمد عند المسلمين أن يكون تلقّي العلم النقليّ بعامة والقرآن بخاصّة من الأفواه .

وهذا قديم :

فابن مسعود أحد كبار الصّحابة وأعلام رواة القرآن وتجويده وتحقيقه وترتيله يقول : حفظت من فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بضعة وسبعين سورة[١] .

وعن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأبيّ[٢] : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » ، قال : آلله سمّانى لك ؟ قال : « نعم » ... إلى آخر الرواية[٣]

وكان النبي يقول عن أبيّ هذا : أقرأ أمتى أبيّ[٤]

---

(١) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية حـ ١ ص ٤٥٨و٤٥٩

(٢) يعنى : الصحابيّ « أبيّ بن كعب » ، وهو من أشهر من حفظوا القرآن على عهد النبيّ ، وكان رأساً فى العلم والعمل (الذهبي : سير أعلام النبلاء ص ٢٨٠ — ٢٨٨)

(٣) مسلم : الجامع الصحيح حـ ٨ ص ١٥٠ ، وانظر : الذهبي : المرجع السّابق ص ٢٨١ .

(٤) الذهبي : المرجع السابق

وليس بعيداً أن يكون سبب هذه الأفضلية أنّ النبي نفسه هو الذى علّمه القراءة .

* * *

وأصبحت قاعدة متبعة — بالنسبة لطالب القرآن — أن يتلقاه من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين ، وأن لا يعتدّ أبداً بالأخذ من المصاحف المكتوبة بدون معلّم ، لما قد يقع فى ذلك من تصحيف يتغير به وجه الكلام. وهم يقولون : لا تأخذوا القرآن من مصحفىٍّ ، ولا العلم من صَحَفىٍّ(١) .

ومن أشهر ما يُروى فى هذا :

أن حمزة الزيات أحد أئمة القراءة السبعة كان يتعلم القرآن من المصحف ، فقرأ، وأبوه يسمع : « الم ذلك الكتاب لازيت فيه » بدلا من « لَا رَيْبَ فِيهِ »(٢) ، فقال له أبوه: دع المصحف ، وتلقّنْ من أفواه الرجال(٣) .

ويحكى عن آخر(٤) أنه قرأ — من مصحف — الصادَ ضاداً فى قوله تعالى : « ص ، وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ(٥) » .

ورُوى أنّ حماد بن الزبرقان كان حفظ القرآن من مصحف ، ولم يقرأه على أحد ، فصحّف ألفاظا فى القرآن ، منها :

« بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ »(٦) ، قرأها : (فى غرة)

---

(١) انظر : العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٠

(٢) سورة البقرة / ٢

(٣) العسكرى : المرجع السابق ص ١٢و١٣

(٤) نفس المرجع ص ١٣

(٥) سورة ص / ١ ، والصاد فى المصحف العثمانى مهملة

(٦) سورة ص / ٢

ومنها : « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »(١) ، قرأها : (يعنيه) .

ورُوى أن عثمان بن أبى شيبة(٢) قرأ :

« فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » (فظلٌّ) بدلا من : « فَطَلٌّ »(٣)

وأنه قرأ : « مِنَ (الخوارج) مُكَلِّبِينَ » مصحّفةً من: « الْجَوَارِحِ »(٤)

وقرأ : « وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ (خبازين) » يريد قوله : « جَبَّارِينَ »(٥)

وأنه أملى : خذوا سورة المدبر ، قالها بالباء .

وقرأ : « فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى (رِجْل) أَخِيهِ » ، فقيل له : « السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ »(٦) ، فقال : أنا وأخى أبو بكر لا نقرأ لعاصم !

وأنه قرأ : « فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ (سنّور) لَهُ بَابٌ » ، فقيل له : إنما هو « بِسُورٍ لَهُ بَابٌ »(٧) ، فقال : أنا لا أقرأ قراءة حمزة ، قراءة حمزة عندنا بدعة(٨) .

---

(١) سورة عبس / ٣٧

(٢) هو أحد شيوخ البخارى ، وتوفى سنة ٢٣٩ هـ . ويحكى أنه كان مزّاحا فيما يتصحف من القرآن (انظر الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٣٠)

(٣) سورة البقرة / ٢٦٥

(٤) سورة المائدة / ٤

(٥) سورة الشعراء / ١٣٠

(٦) سورة يوسف / ٧٠ (٧) سورة الحديد / ١٣

(٨) انظر : ابن الجوزى : أخبار الحمقى والمغفلين — الباب العاشر فى ذكر المغفلين من القراء والمصحفين ص ٥١ — ٥٧
والعسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١١ — ١٣

ورَوَى الدارقطني — في التصحيف — عن عثمان بن أبي شيبة أيضاً أنه قرأ على أصحابه في التفسير : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ »[1] ، يعني قالها كأول البقرة[2] .

ورَوَى محمد بن جرير الطبري أن محمد بن حميد الرازي قرأ : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ (يجرحوك) بدلا من « يُخْرِجُوكَ »[3] .

ورَوَى الدارقطني أن أبا بكر الباغندي أملى في حديث ذكره : « وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ (هُوِيًّا) » بضمّ الهاء وياء بدلا من « هَوْنًا »[4] .

ورُوِيَ أنّ شيخا ظل يقرأ في مصحفه أربعين سنة : « وَلِلَّهِ (ميزاب) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » حتى لُقّنها شفاها « مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »[5] ، فاستغفر الله ، وصحّح قراءته[6] .

وروى أن رجلا اسمه مُشكدانه كان في حوالي سنة ٢٣٦ هـ ، وكان يقرأ : « وَيَعُوقَ (وبشرا) » ، فقيل له : « وَنَسْرًا »[7] ، فقال : هي منقوطة

(١) سورة الفيل / ١
(٢) السيوطي : المزهر جـ ٢ ص ٢٣٠
(٣) سورة الأنفال / ٣٠ ، وانظر ابن الجوزي : المرجع السابق
(٤) سورة الفرقان / ٦٣ ، وانظر ابن الجوزي : المرجع السّابق
(٥) سورة آل عمران / ١٨٠ ، وسورة الحديد / ١٠
(٦) ابن الجوزي : المرجع السّابق
(٧) سورة نوح / ٢٣

بثلاثة من فوق[1] .

وقد قال فيه أحد معاصريه متهكما : ذاك الذي يصحّف على جبريل[2] .

وقيل إن رجلا قرأ : « والغاديات صبحا » بالعين المعجمة والصّاد المهملة بدلا من « وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا »[3] ، فامتحنوه بالقراءة في المصحف ، فصحّف حيث قرأ :

« وَمِمَّا (يغرسون) » بدلا من « يَعْرِشُونَ »[4] .

و « وَعَدَهَا (أباه) » بدلاً من « إِيَّاهُ »[5] .

و « أصَبْتُ به من أساء » بدلاً من « أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ »[6] .

و « (فبادوا) وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ » بدلا من « فَنَادَوْا »[7] .

و « فَأَنَا أَوَّلُ (العائدين) » بدلا من « الْعَابِدِينَ »[8] .

و « كُلُّ (خباز) بدلا من « جَبَّارٍ »[9] .

وقالوا إنّ رجلاً قرأ : « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ (شيخا) طَوِيلًا » بدلا من « سَبْحًا »[10] .

(١) ابن الجوزي : المرجع السابق
(٢) انظر : العسكري : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١١
(٣) سورة العاديات / ١ — (٤) سورة النحل / ٦٨
(٥) سورة التوبة / ١١٤ — (٦) سورة الأعراف / ١٥٦
(٧) سورة ص / ٣ — (٨) سورة الزخرف / ٨١
(٩) سورة هود / ٥٩ ، وسورة إبراهيم / ١٥ ، وانظر : ابن الجوزي : المرجع السّابق
(١٠) سورة المزمّل / ٧ ، وانظر : ابن الجوزي : المرجع السّابق

وعن الكسائى ، قال : كان الذى دعانى أن قرأت بالرّىّ ، أنى مررت بمعلم صبيان يقرأ : « ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ (وأثل بالتاء) »(١) بدلاً من « أَثْلٍ » ، فتجاوزته ، فإذا معلم آخر قد ذكرت له ذلك ، فقال : أخطأ ! الصواب : « وإبل » ! فدعانى أنى أقرأت الصبيان(٢) .

وسمع أعرابى إماما يقرأ : « وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا »(٣) بنصب التاء ، فقال : سبحان الله ! هذا قبل الإسلام قبيح ، فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لحن ، وإنما القراءة : « وَلاَ تُنْكِحُوا ... » فقال : قبحه الله ! لا تجعلوه بعدها إماما ، فإنه يحلّ ما حرّم الله(٤) .

وهذه الأخبار — مع اعتقادى أن أغلبها مجرّد نوادر موضوعة تقصد إلى الفكاهة ووَسْم من رُويت عنهم بالحمق والغفلة — جديرة أن تنبه طالبي القرآن إلى وجوب التزام التلقّى الصوتىّ من قرّاء ضابطين محققين ، وجديرة أن تكون من أسباب تخوّفنا من التصحيف فى كتابنا الأكبر .

* * *

ولخوف المسلمين من التّصحيف ، أفردوا له علماً خاصّا صنّف فيه بعض علمائهم . قال عبد الرحمن البسطامى : « أوّل من تكلم فى التصحيف الإمام على — كرم الله وجهه — ومن كلامه فى ذلك : خراب البصرة بالريح (بالراء والحاء المهملتين بينهما آخر الحروف) . قال الحافظ الذهبى : ما عُلِمَ تصحيف

(١) صحة اللفظ «وأثْلٍ» بالثاء ، سورة سبأ / ١٦
(٢) ابن الجوزى : المرجع السابق ، الباب الثانى والعشرون ص ١٠٧
(٣) سورة البقرة / ٢٢١ ، والتاء مضمومة .
(٤) البلوى : ألف با ح ١ ص ٤٣

هذه الكلمة إلا بعد المائتين من الهجرة ، يعنى : خراب البصرة بالزنج (بالزاى والنون والجيم) (١) .

ومن المؤلفات الإسلامية التى تحارب التصحيف كتاب أبى أحمد الحسن ابن عبدالله بن سعيد العسكرىّ المتوفّى سنة ٣٨٢هـ ، وهو كتاب فى مائة باب أو مايقاربها(٢) وفى مقدمته يقول مؤلفه .. « هذا كتاب شرحتُ فيه الأسماء والألفاظ المُشْكِلة التى تتشابه فى صورة الخطّ ، فيقع فيها التصحيف ..الخ.. »

ومن أقوالهم : « من أعظم البليّة تشييخ الصحيفة » ، أى أن يتعلم الناس من الصُّحُف(٣) . وكان الشافعىّ يقول : من تفقّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام(٤) .

وقريب من هذا أنهم كانوا يذمّون الاكتفاء فى تقييد العلم بالكتابة من دون الحفظ . عن سفيان الثورى ، قال : بئس المستودع العلم القراطيس . قال الخطيب البغدادى : « وكان سفيان يكتب . أفلا ترى أنّ سفيان ذمّ الاتّكال على الكتاب وأمرَ بالحفظ ، وكان مع ذلك يكتب احتياطاً واستيثاقا » ؟(٥) .

وسمع يونس بن حبيب رجلا ينشد :

استودع العلم قرطاساً فضيّعه وبئس مستودَعُ العلمِ القراطيس(٦)

(١) انظر : صديق خالد : أبجد العلوم — ٣٨٣
(٢) انظر المخطوطة رقم ٢ ش — مصطلح الحديث ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة . وقد طبع هذا الكتاب أخيرا ، بعنوان : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف بتحقيق عبد العزيز أحمد . وقد نقلنا آنفا عن النسخة المطبوعة بعض ما روى عن المصحفين
(٣) انظر : ابن جماعة : تذكرة السّامع ص ٨٧
(٤) انظر : نفس المرجع
(٥) انظر : الخطيب البغدادى : كتاب تقييد العلم ص ٥٨
(٦) انظر : ابن عبد البر : جامع بيان العلم ح ١ ص ٦٩

وهم يعرّفون «التصحيف» بأنه الخطأ في الصحيفة[1].

ويسمّون من يأخذ العلم عن الصُّحف فحسب مصحِّفا، أي يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف مولّدة[2].

ويقولون: هو لحّانة مُصَحِّف[3]، ويقولون: تَصَحَّفَتْ عليه[4].

ويسمّون من يخطيء في قراءة الصحيفة: الصحفي[5].

ويقول المعري: أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة، ولم يكن سمعه من الرجال، فيغيّره عن الصواب[6].

* * *

وللمسلمين في التلقّي الشفويّ مناهج دقيقة، وكأنّما كانوا يعدّون أفواه الرجال أهم مستودعات العلم الحقيقية، ويرون أن النقل من الأفواه هو النقل السليم الذي يظهر كلّ زيف يعتريه، فقد كان يحيي بن معاذ يقول: أفواه الرجال حوانيتها، وأسنانها صنائعها، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبيّن العطّار من البيطار والتمّار من الزمّار[7] ...

ومن أفضل المناقب التي عدّدها أحد الشعراء، وهو الحسن بن هانئ، لأحد علماء اللغة، وهو خلف الأحمر، أنه:

لا يهمُّ الحاء في القراءة بالخا ء ولا يأخذ إسناده عن الصحف[8]

* * *

(١) الفيروزابادي: القاموس المحيط

(٢) العسكري: المرجع السابق ص ١٣

(٣) انظر: الشرتوني: أقرب الموارد في فُصح العربية والشوارد.

(٤) الفيروزابادي: القاموس المحيط

(٥) أحمد رضا: معجم متن اللغة

(٦) نقلا عن السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ج ٢ ص ٢٢٢

(٧) الزركشي: البرهان ج ٢ ص ١٥٣

(٨) العسكري: المرجع السابق ص ١٨

لذلك لم يكن غريبا أن يكون الاكتفاء بالأخذ من المصحف بدون موقّف أمراً لا يجيزه المسلمون، ولو كان المصحف مضبوطاً، بل إنهم يعدّون هذا الاكتفاء منافياً للدين، لأنه ترك للواجب، وارتكاب للمحرّم[1].

وهم يذهبون إلى هذا بناء على:

١ — أنّ مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما هو مقرر في الأصول.

٢ — أن صحة السند عن النبي، عن روح القدس، عن الله — عزّ وجلّ — بالصفة المتواترة أمر ضروري للقرآن[2].

ويقول ابن حجر العسقلاني: «اعلم أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج، ومدّ، وإدغام، وإخفاء، وإظهار، وغيرها، وجب تعلّمه وحرم مخالفته»[3].

ويقول السيوطي: «ولا شكّ أن الأمة — كما هم متعبَّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده — هم متعبَّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقّاة من أئمة القراء المتّصلة بالحضرة النبوية»[4]. ولعلّ قوله: «على الصفة المتلقّاة .. الخ» أن يكون صريحاً — فيما يرى علماء القرآن — من أنه لا يكفي الأخذ من المصحف بدون تلقٍّ من أفواه المشايخ المتقنين[5].

وابن الجزري — في تعريفه للمقرىء — يقول إنه «العالم بالقراءات رواها مشافهة، فلو حفظ «التيسير» مثلا ليس له أن يقرىء بما فيه إن لم

(١) أنظر: على الضبّاع: بحث في «التجويد»، بمجلة كنوز الفرقان، ع مايو ويونية ١٩٥٠ ص ١٣

(٢) نفس البحث

(٣) نقلا عن نفس البحث

(٤) الإتقان ج ١ ص ١٠٠

(٥) على الضبّاع: البحث السابق

يشافهه (من شُوفه به) مسلسلا ، لأن فى القراءات أشياء لا تُحكم إلا بالسماع والمشافهة »[1].

وقريب جدا من ذلك تعريف الدمياطى البنا للمقرىء[2] .

والثابت فى السّنة الصحيحة أن النبى نفسه — مع كمال فصاحته ومع كونه المصطَفَى للرسالة — تعلّم القرآن عن جبريل ، وخاصّة فى السّنة التى انتقل فيها إلى الرفيق الأعلى : كان جبريل يعارضه — أى يدارسه — بالقرآن ، فى كل سنة مرة ، ثم عارضه عام وفاته مرتين . والعرض على جبريل — فيما يقرر الأئمة — معناه : العرض بتجويد اللفظ ، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها ، ليكون سُنّة فى الأمة[3] .

والقرآن مطلوب القراءة جهرا ،والصلوات الخمس لا يُخَافَتُ فيها بالقراءة إلا فى الظُّهر والعصر[4] .

* * *

ومنذ عهد النبى ، وتلقينُ القرآن شفاهاً هو السائد ، وقد أسلفنا أنه كان يبعث إلى من كان بعيد الدار من الصحابة من يعلّمهم ويقرئهم :

بعث ـ مثلا ـ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة ، قبل هجرته ، يعلّمانهم الإسلام ويقرئانهم القرآن[5]

(١) منجد المقرئين ص ٣
(٢) انظر : الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٥
(٣) على الضباع : البحث السّابق
(٤) انظر مثلا : الشافعى : الرسالة ص ١٧٧
(٥) انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٤ ص ٢٠٦ (ط . بيروت)

ولما فتح النبى مكّة خلف على أهلها معاذ بن جبل يُقرئهم القرآنَ ويفقّههم[1] .

وكان عُبادة بن الصّامت يعلّم أهل الصُّفَّة القرآن . ولما فُتح الشامُ أرسله ـ عمر بن الخطاب ـ ومعاذا ، وأبا الدرداء ، ليعلّموا الناسَ القرآن هناك[2] .

ولما أرسل عثمان مصاحفه الأئمة الخمسة إلى الأمصار لم يكتفِ بها ، وإنما أرسل ، مع كلّ مصحف ، عالمًا لإقراء الناس بما يحتمله رسمُه . فأمَرَ زيدَ ابن ثابت أن يقرئ بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السّائب إلى مكة ، والمغيرة ابن شهاب إلى الشام ، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة ، وأبا عبد الرحمن السلمى إلى الكوفة[3] .

وكأنّى بعثمان إذ يبعث — مع المصاحف المكتوبة — علماء يَقرأون ويُقرِئون ، ولا يعتبر هذه المصاحف قُصارى ما يتوسّل به إلى نشر القرآن ، كأنّى به كان يتلمّس فكرة كفكرة « المصحف المرتل » التى لم يكن العلم أيامها يسمح بها أو بالتفكير فيها .

على أنّ إيفاد هؤلاء المبعوثين لم يمنع الإدعاء بأنّ المصاحف المكتوبة الأئمة — لخلوّها من النقط والشكل — كانت تدعو القارئ — فيما بعد — أن يتولى بنفسه نقْط النص القرآنى وضَبْطه بالشكل ،على مقتضى مايفهمه هو من معانى الآيات . وضربوا لذلك مثلا كلمة « يعلمه » فقد كان الواحد

(١) انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ص ٣٢١
(٢) انظر : النووى : تهذيب الأسماء واللغات — القسم الأول ص ٢٥٧
(٣) نقله الجعبرى عن أبى على ، وانظر : حفنى ناصف : تاريخ رسم المصحف — مقدّمة كتاب فى قواعد رسم المصحف — نشرت بالمقتطف ، ع أول يوليو ١٩٣٣ — (٨ ربيع الأول ١٣٥٢) ، الجزء الثانى من المجلد ٨٣ ص٢٠٣—٢٠٦

— بزعمهم — يقرأها : « يعلّمه » ، والآخر : « نُعلّمه » ، والثالث : « تعلّمهُ » ، والرابع : « يَعْلمه » . . . الخ[1] .

ومعنى هذا — فى رأى أصحاب هذا الادعاء — أن القراءات هى من عند الناس ، وبحسب تأويلاتهم ، وبحسب ما يختارون من علامات الشكل ، فضلا عما يختارون من حروف[2] ، وهى دعوى باهظة ستردّ عليها فى فصل تال ، ولكنها ما إن تتكرر هى أو مثلها بعد تسجيل المصاحف المرتلة .

— ٢ —

وواضح أنّ من أحكام القراءة مالا يمكن إحكامه أبداً إلاّ بالتلقى الشفهى ، فالتفخيم ، والترقيق ، والمدّ ، والقصر ، والإدغام ، والإظهار ، والإخفاء ، والرَّوم ، والإشمام ، والإبدال ، والنَّقْل ، والإقلاب ، والحذْف ، والإثبات ، والإلحاق ، والإمالة ، والفتح وما بينهما ، وتخفيف الهمزة وما إلى ذلك . كلّ هذا لا يكفى المصحفُ المكتوبُ لتعليمه .

وكذلك إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، وردّ كلٍّ منها إلى مخرجه وأصله ، والنطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ، ولا تعسّف ، ولا إفراط ، ولا تكلف . . . تلك كلّها لا يحققها المصحف المكتوب إلا أنْ يوجد الملقّن الضابط ، وتلك كلّها لا يسهل شرحها المكتوب على طالب القرآن ، بل ربما أدّى به عدم السّماع إلى التفريط أو الإفراط ، فيولّد الحروف من الحركات ، أو يكرّر الراءات ، أو يحرّك السواكن ، أو يطنّن النونات بالمبالغة فى الغنّات إلى آخر هذه العيوب .

(١) آرثر جفرى : مقدمة كتاب المصاحف ص ٧

(٢) آرثر جفرى : نفس الكتاب والصحيفة

وقد وُضعت كتب غير قليلة لتيسير تعليم التجويد[1] ، ولكنها لم تغن أبدا عن التعليم الشفهى الذى يذلل صعبها ويوضح غموضها . ومن أمثلة ما ورد فى هذه الكتب من التعريف بمخارج الحروف السبعة عشر — وهى أمثلة يدل القليل منها على الكثير — قولهم عن مخرج الضاد : « إنه جزء من حافة اللسان بُعَيْد الوسط ، وقيل : مخرج اللام مع ما يليه من الأضراس العليا اليسرى على كثرة ، أو اليمنى على قلّة ، أو منهما على عزّة » . فهذا التعريف — فيما هو ظاهر — ليس سهل الفهم على كلّ فرد .

(١) بعض هذه الكتب نفيس ، والكثير منها مخطوط ويستحق النشر .

ومن المخطوطات التى اطلعنا عليها فى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة والتى تعلّم التجويد :

(ا) تحفة نجباء العصر فى أحكام النون الساكنة والمدّ والقصر ، لزكريا الأنصارى — مخطوطة رقم ٢١٦و٢١٧و٣٤ مجاميع .

(ب) تحفة الأنام فى الوقف على الهمز لحمزة وهشام — مخطوطة رقم ٢١٨و٩ و٣٣٩ مجاميع .

(جـ) شرح عقيلة أتراب القصائد لملا على (مخطوطة رقم ٢٣و٢٤٨)

(د) الفصول العشرة فى ضوابط القراءة لأبى عمرو البصرى (مخطوطة رقم ٥٧)

(هـ) قرة العين فى الفتح والإمالة بين اللفظين لابن القاصح (مخطوطة رقم ٢٦و٤٧ و٣٠٦ مجاميع)

(و) اللطائف المحسنة فى مباحث الغنة لإبراهيم الدسوقى الحضرى (مخطوطة رقم ٢٨٢

(ز) مرشدة المشتغلين فى أحكام النون الساكنة والتنوين ، لأبى النصر الناصر الطبلاوى (مخطوطة رقم ٣٤٥)

ومن المخطوطات التى اطلعنا عليها فى نفس الدار ، والتى تعلم أحكام الوقف والابتداء وحدها :

(ا) بيان أوقاف الكفر لأبى منصور الماتريدى (مخطوطة رقم ٧و٣٠٤ مجاميع)

(ب) تقييد وقف القراءات لمحمد بن أبى جمعة الهبطى (مخطوطة رقم ٢٤٣)

(جـ) التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات ، لعبد السلام بن أبى الحسن على ابن عمر الداودى (ضمن مجموعة خطية رقمها ٢١٠٣ فى علم التفسير)

(د) مسعف المقرئين ومبين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتدا وعدّ الآى ، لمحمد المقرى الشهير بالقارى (مخطوطة رقم ١٥٧)

(هـ) المكتفى فى الوقف والابتداء لأبى عمرو الدانى (مخطوطة رقم ٢٦٣)

وقد وُجد من المؤلفين فى قواعد التجويد من يعلّمه بالرسم كوسيلة إيضاح[1] ، ولكن جهدهم — على ما فى بعضه من تقدّمية علمية مبكّرة — لم يمنع الحاجة إلى التلقين الشفهىّ المتكرر .

* * *

ويستصعب بعض الناس تلك الأحكام المأثورة للقراءة ، فينكرونها ويزْرون بها ، ويحاولون صرف الناس عنها . وقد صوّر أحدُ الكتب المعاصرة حركات المدّ والغنّ والإشمام بأنها « حركات بهلوانية غير مفهومة وغير معلومة ، بل غير لازمة كحركات القرود والمهرّجين »[2] .

وينتقد هذا الكتابُ السكتَ على بعض الكلمات ، فيقول : « إن هذه السكتات لا معنى لها إطلاقا ، ولعل أصلها أن أحد القراء القدماء تنفّس بين الكلمتين ، أو ابتلع ريقه ، أو عاقه عن متابعة القراءة عائق ، فقلدوه فى ذلك بغير علم ولا فهم »[3] .

---

(1) انظر على سبيل المثال :

رسالة فى تجويد القراءات لم يعلم مؤلفها ، فيها رسم اللسان ومخارج الحروف — مخطوطة رقم ١٢٣٣ تيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وصورة الفم واللسان وباقى الفم من الأسنان ، مع بيان مخارج الحروف — مخطوطة رقم ٦٠٦ تيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

وعزت عبيد الدعاس : فن التجويد ص ٥٧

(2) كتاب الفرقان ، لمؤلفه محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ص ١٣٤ — نقلا عن حكم مجلس الدولة فى القضية رقم ٦٨٥ سنة ٢ القضائية — ١١ مايو سنة ١٩٥٠ المقامة من هذا المؤلف ضد رياسة مجلس الوزراء ووزارة العدل ووزارة الأوقاف والأزهر الشريف — مجموعة أحكام مجلس الدولة المجلد ٥ ص ٢٧٥ — ٣٠٥ (ط . لجنة نشر الثقافة القانونية) .

ونذكر أن كتاب « الفرقان » محكوم بمصادرته فى ج . ع . م ، ولكننا اطلعنا عليه معروضاً فى مكتبة وايدنر بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية .

(3) المرجع السابق

ويصف الكتابُ التجويدَ — فى بعض أحكامه — بأنه « باطلٌ مردودٌ ، ومَمج مرذول ممجوج »[1] .

وأظن أن لو كانت تلك الأحكام ميسّرة التّعلم دقيقة النّماذج الصوتية ، كما حدث — فيما بعد — حين سُجّلت المصاحف المرتلة ، لسهل على الكافة الأخذ بها ، ولما نُسب إليها ما نُسب .

* * *

والوقف والابتداء اللذان لا يتأتّى — غالباً — لأحدٍ معرفةُ معانى القرآن ولا استنباطُ الأدلّة الشرعية منه إلا بمعرفتهما ، واللّذان يخلّان بالفهم ، إذا كانا فى غير مكانهما ، بل إن منهما من يكفر فاعِلُهُ لو تعمّده[2]... هذان الموضوعان لا يعلّمهما — فيما هو واضح — مثل التلقين الشفهى من المعلّم المحسن .

— ٣ —

والمصاحف المكتوبة لها — لحسن الحظ — أصول أئمة ثابتة ، يسهل على كل من يستطيع القراءة مراجعتها والمطابقة عليها ، ولذلك قلّ ، إن لم يكن انعدم ، التغيير — بأى شكل — فى كتابة القرآن ، على مدى الزمن ، وأمكن — فى غير صعوبة — دره أى خطأ أو ابتداع كتابى يظهر .

أما الابتداع الصوتى ، فقد يصعب على الكثيرين — ولو كانوا على حظّ من المعرفة — أن يستكشفوه . ومصداق ذلك أنه لم يتمكن حتى أعداء القرآن من النجاح فى أىّ ابتداع يمسّ حرفاً واحداً فى نصوص القرآن

---

(1) ص ١٣٥

(2) أنظر : أبو منصور الماتريدى : بيان أوقاف الكفر — الورقتان ٢٤و٢٥ — المخطوطة رقم ٧ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

المكتوبة والمجمع عليها، بينما وقع — فى القراءة — حتى من بعض المسلمين، من جراء الجهل أو التساهل ابتداع ما ليس فى قوانين الأداء القرآنى. وفوق أن الخطأ فى الأداء الصوتى أكثر فإن المجادلة فيه أيسر.

— ٤ —

وكان من أدعى الأمور إلى تفكيرى فى جمع القرآن صوتياً أن من العلماء من لم يقولوا بتواتر طرق القراءات. ومنهم من يخرج من التواتر المدّ والتسهيل وما شابههما، مما يرون أنه لم يوقف على كيفيته بالسمع:

(ا) يقول ابن الحاجب[1] فى كتابه «مختصر الأصول»: «القراءات السبع متواترة فيما ليس من قِبَل الأداء، كالمدّ، والإمالة، وتحقيق الهمزة، ونحوه، أى فإنه غير متواتر»[2].

(ب) وورد فى «لطائف الإشارات» للقسطلانى:

«إن هذه الهيئات غير متواترة، عند ابن الحاجب وأبى حنيفة، كما صرّح به آخرون من غير أئمة التحقيق»[3]

(حـ) وقيل إن أحمد بن حنبل قال عن قراءة حمزة: «لا تعجبنى لما فيها من طول المدّ وغيره»، فإن صحّت هذه الرواية فإنها تعنى أن أحمد بن حنبل لم يكن يرى المدّ متواتراً[4].

(١) من علماء الأصول، ولد فى إسنا من الصعيد سنة ٥٧٠ هـ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ، انظر: السيوطى: بغية الوعاة ص ٣٢٣

(٢) انظر: القاسمى: محاسن التأويل جـ ١ ص ٣٠٦

(٣) المخطوطة رقم ٦٠٦ قراءات، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة — الورقتان ١٤ و١٥.

(٤) الزركشى: البرهان جـ ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠.

(ء) ويرى ابن خلدون ذلك الرأى أيضاً، حيث يقول فى مقدّمته، فى فصل (بحث علوم القرآن): «وهذه القراءات السبع معروفة فى كتبها.. وقد خالف بعضُ الناس فى تواتر طرقها، لأنها — عندهم — كيفيات للأداء، وهو غير منضبط، وليس ذلك بقادح فى تواتر القرآن، وأباه الأكثر، وقالوا بتواترها. وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها، كالمدّ، والتسهيل، لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع، وهو الصحيح»[1].

(هـ) ويقول الكاتب المعاصر مصطفى صادق الرافعى إن عدم تواتر ما هو من قبيل المدّ والإمالة ونحوها هو «الوجه المتقبَّل»[2].

وقد رد العلماء منذ قديم على هذا الرأى:

١ — روى الطبرانى وغيره عن مسعود بن يزيد الكندى، قال: كان عبدالله بن مسعود يقرئ رجلا، فقرأ الآية: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا»[3] مرسلةً — أى من غير مدّ — فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

فقال: كيف أقرأكها يا أبا عبدالرحمن؟

قال: أقرأنيها: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ» فمدّ «الْفُقَرَاءِ»[4]

ومما وُصفتْ به قراءة النبى أنها كانت ترتيلا لا هذاً ولا عجلة، بل قراءة

(١) مقدمة ابن خلدون (بتحقيق على عبد الواحد وافى) جـ ٣ ص ٩٩٤

(٢) إعجاز القرآن ص ٥٨

(٣) سورة التوبة / ٦٠

(٤) قال الهيثمى: رواه الطبرانى، ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ ٧ ص ٥٥)

مفسرة حرفاً حرفاً ، وكان يقطع قراءته آية آية ، وكان يمد عند حروف المد ، فيمد « الرحمن » ويمد « الرحيم [1] » .

وهكذا ثبت أن النبي لقن الصحابة كيفية المد ، وهؤلاء ـ طبعاً ـ لقنوها الأمة .

٢ ـ ويرى الزركشي أن رأى ابن الحاجب ضعيف ، ويقول :

والحق أن المد والإمالة لا شك في تواتر المشترك بينهما ، وهو المد من حيث هو مد ، والإمالة من حيث إنها إمالة ، ولكن اختلف القراء في تقدير المد ، فمنهم من رآه طويلا ، ومنهم من رآه قصيراً ، ومنهم من بالغ في القصر ، ومنهم من تزايد :

لحمزة وورش بمقدار ست ألفات ، وقيل : خمس ، وقيل : أربع .

وعن عاصم : ثلاث

وعن الكسائي : ألفان ونصف .

وقالون : ألفان .

والسوسي : ألف ونصف [2] .

٣ ـ وقد ناقش ابن الجزري دعوى ابن الحاجب مناقشة تفصيلية انتهى منها ـ في شأن تواتر المد ـ إلى ما خلاصته :

(أ) أن المد الطبيعي ـ كالألف في (قال) ، والواو من (يقول) والياء من (قيل) ـ لا يقول مسلم بعدم تواتره ، إذ لا يمكن القراءة بدونه .

(١) رواه البخاري عن أنس :
وانظر : الفراء البغوي : مصابيح السنة جـ ١ ص ١٠٦
وابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤
وابن الجزري : النشر جـ ١ ص ٢٠٨
(٢) انظر : الزركشي : البرهان جـ ١ ص ٣١٩ و٣٢٠

(ب) وأن المد العرضي ، وهو الذي يعرض زيادة على الطبيعي لموجب إما سكون أو همز ، فيلحق بالطبيعي ، ولا يجوز فيه القصر ، وأنه ـ من حيث هو متواتر ـ مقطوع به ، وقرأ به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأنزله الله تعالى عليه .

(حـ) وأن القدر المشترك من المد متواتر ، وما زاد فهو صحيح مستفيض متلقى بالقبول ، إن لم يكن متواترا [1] .

٤ ـ ويورد ابن الجزري ـ في شأن الإمالة والتفخيم ـ أقوال علماء القرآن ، ويقرر معهم : « أن القرآن نزل بهما جميعاً ، وأن من قال إن الله تعالى لم يُنزل القرآن بالإمالة أخطأ ، وأعظم الفرية على الله تعالى ، وظن بالصحابة خلاف ما هم عليه من الورع والتقوى » [2] .

وكذلك يرى « أن تخفيف الهمزة ونحوه من النقل ، والإدغام ، وترقيق الراءات ، وتفخيم اللامات ، متواتر قطعاً ، ومعلوم أنه منزل من الأحرف السبعة ، ومن لغات العرب الذين لا يحسنون غيره » [3] .

وهو يتساءل : « كيف يكون ما أجمع عليه القراء أمماً عن أمم غير متواتر ؟ وإذا كان المد ، وتخفيف الهمزة ، والإدغام غير متواتر على الإطلاق فما الذي يكون متواترا ؟ [4] » .

٥ ـ ويقول ابن الجزري ما خلاصته أيضاً : إنه لا يعلم أحداً تقدم ابن الحاجب إلى ذلك ، وإن أئمة الأصول ، كالقاضي أبي بكر ، وغيره ، قد نصوا

(١) انظر : ابن الجزري : منجد المقرئين ص ٥٧ وما بعدها
(٢) نفس المرجع
(٣) نفس المرجع
(٤) نفس المرجع

على تواتر ذلك كله ، وهو الصّواب ، لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ، بل كان هذا من باب أوْلى ، لأن اللفظ لا يقوم إلاّ به ، أو لا يصح إلا بوجوده[1] .

٦ — وهندية « الدماميني » تنفى أن يكون نقل القراء لطرق الأداء أقلّ من نقل ناقلى العربية ، والأشعار ، والأقوال ، ثم يقول : « فكيف يطعن فيما نقله القراء الثقات بأنه لم يجيء مثله ؟ ولو نقل ناقلون عن مجهول الحال لقبلوه ، فقبول هذا أوْلى »[2] .

* * *

وليس الذى يتصل بموضوعنا من سرد الرّدود التى اعتُرِض بها على رأى ابن الحاجب والذاهبين مذهبه بمجرّد دَحْض هذا الرأى ، ولكن الذى يتصل بموضوعنا من ذلك هو أن الوقوف على كيفية الأداء بالسّمع أمرٌ تطلّع إليه السّابقون ، وبَنَوْا على الشكّ فى استيفائه أحكاما لها خطورتها .

ونظن أن لو تقدم الزمن بمشروع الجمع الصوتى للقرآن لما تشكّك المتشككون فى تواتر ما ليس من قِبَل الأداء .

* * *

على أن التواتر المشروط فى تلقّى القرآن يقتضى بالضرورة — عددا من الرواة يصعب تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه[3] . والقراءات المخالفة لقراءة حفص قلّ عدد العارفين ببعضها فى مصر نفسها فضلا عن البلاد الأخرى . والظنّ أن تسجيل كلّ القراءات المتواترة ونشرها وتمكين

(١) انظر : النشر ﺟ ١ ص ٣٠ ، والسيوطى : الإتقان ﺟ ١ ص ٨٠
(٢) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية ﺟ ١ ص ٥٤
(٣) السيوطى : الإتقان ﺟ ١ ص ٧٧

المسلمين فى كل بلد من تعلّمها يكفل — ضمن ما يكفل — بقاء التواتر بشكله الشرعي الواجب . وقد كان هذا بالفعل حافزاً خطير الشأن من حوافز دعوتنا إلى الجمع الصوتى للقرآن .

وصحيح أن الله تعالى تكفّل بحفظ القرآن إذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ »[1] ، ولكنّ هذا ـ بداهةً ـ لا يتعارض مع التفكير فى المحافظة على هذا الكتاب ، ولا يعنى استغناء المسلمين عن هذا التفكير ، وقد خاف عمر بن الخطاب من ضياع بعض القرآن ، وكان خوفه هو سبب تفكيره فى الجمع الكتابى الأول . وقد قيل إنه ربما كان مما خاف عمر « أنْ ينقطع تواتر القرآن فى بعض الأوقات أو فى الأطراف »[2] . ولعلّ فى هذا مَلْحظاً يتنبه له من قد يَصْدِفُون عن فكرة الجمع الصّوتى أو من قد يقلّلون من قدرها وأهميّتها .

— ٥ —

وقد يقال إن فرصة التسجيل الصوتى القرآنى المطابق لقراءة الصحابة المتلقّين عن النبي قد فاتت ، لأنه مضى على عصرهم نحو ثلاثة عشر قرناً ، ومن ثم لم يعد الإسناد عاليا .

والردّ على هذا :

١ — أن القرآن بالإجماع — هو الآن — بألفاظه وكيفية أدائه — القرآن الذى أنزله الله على رسوله ، والذى قرأه الرسولُ ، وصحبُه ، والتّابعون . ولن تُضْعِف من هذا الإجماع الدعاوى القليلة التى سنشير إليها في فصل آخر ،

(١) سورة الحجر /٩
(٢) شرح العقيلة ـ الورقة ١٤ المخطوطة ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

والتي لا تستطيع الثبات أمام التحقيق العلمي ، والتي فُنِّدَتْ منذ قديم : وكذلك مُحِّصَتْ تماماً ـ منذ وفاة الرسول ـ الخلافات اليسيرة التي قيل إنها وقعت في المصاحف الخاصة لبعض الصحابة ، على نحو ما سنشير إليه في مواضع أخرى من هذا البحث ، وقُضِيَ نهائيًا في أمرها جميعاً ، وظلّت نصوص القرآن المتواترة في كل مكان باقية على القرون ، من غير أية زيادة أو أي نقص ، وصار من خصائص أمّة القرآن أن يفطن ـ حتى الكثيرون من عامّتها وصغار السّن فيها ـ إلى أيّ خطأ أو سهو يقع في تلاوته أو كتابته .

وقد عُنِي التابعون وتابعوهم ـ ما وَسِعَتْهُم العناية ـ بصون الألسنة عن الخطأ في النطق ، بأيّ حرف من حروف القرآن ، ومنع أي لبس أو اشتباه في القراءة ، فأضافوا إلى النصِّ المكتوبِ النقطَ والتشكيلَ والضوابطَ والمحسناتِ الخطيةَ .

ومن أوائل هؤلاء : أبو الأسود الدؤلي[1] الذي تقول إحدى الروايات إن زياداً أمير العراق طلب إليه أن يضع للناس علامات تضبط قراءتهم ، فَشَكَّل أواخر الكلمات ، وجعلَ الفتحةَ نقطةً فوق الحرف ، والكسرةَ نقطةً تحته ، والضمةَ نقطة إلى جانبه ، وجعل علامة الحرف المنوّن نقطتين[2] .

وتقول رواية أخرى إنّ علي بن أبي طالب سمع قارئاً يقرأ : « أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهُ »[3] بكسر اللام في «رسول»

(١) انظر ترجمته في : القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ١٦١

(٢) انظر :
أبو عمرو الداني : النقط ـ مخطوطة بمكتبة بلدية المنصورة رقم ٢٧ ص ٢ و ٣
وابن الأنباري : نزهة الألبا في طبقات الأدبا ص ١٠ و ١١
وعز الدين بن عبد السلام : فائدة من أمالي عز الدين بن عبد السلام ص ٦٧ و ٦٨

(٣) سورة التوبة /٣

وهو كفر ، فتقدّم إلى أبي الأسود « حتى وضع للناس أصلاً ، ومثالاً وباباً ، وقياساً ، بعد أن فتق له حاشيته ، ومهد له مهاده ، وضرب له قواعده »[1] .

وقيل في رواية ثالثة إنما وضع أبو الأسود الدؤلي النحوَ حين سمع رجلا يقرأ : « أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهُ »[2] بالجرّ ، فقال لا يسعني إلا أن أضع شيئاً أصلح به لحن هذا ، أو كلاماً هذا معناه[3] .

وكذلك كان من أوائل أولئك : نصر بن عاصم الذي أمره الحجاج بنقط الحروف[4] . ومن أوائلهم أيضا : الخليل بن أحمد الذي شكل الكلمات : فجعل الفتحة ألفاً مسطوحة فوق الحرف ، والكسرة ياء تحته ، والضمة واواً في أعلاه ، وجعل علامات المدّ والتشديد[5] .

ولم يكن هذا غريبا ، فاللّحن عندهم هو ـ لغةً ـ العدول عن طريق الصواب . يقول أبو سعيد السّيرافي : « ما عرفت حقيقة معنى النّحو إلا من معنى اللحن الذي هو ضدّه ، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب ، والنحو قصدٌ إلى الصواب[6] » .

(١) أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر مجلد ١ ص ٢١٦ .
وانظر : ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١٤ ص ٤٢ (ط . أحمد فريد رفاعي)
والبلوي : ألف با ج ١ ص ٤٦
والعسكري : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣ .

(٢) سورة التوبة /٣

(٣) البلوي : ألف با ج ١ القسم الثاني ص ٢١٠ وما بعدها

(٤) أبو عمرو الداني : النقط ص ٣ ـ المخطوطة السالفة الذكر .

(٥) المرجع السابق
وانظر أيضاً : عبدالله بن محمد بن عثمان الشهير بفوزي المغربي : القرائد الجلية والفوائد الجميلة ، منظومة ـ مخطوطة رقم ٢٢٧٣٠ب بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ص٧ و٨

(٦) انظر : هامش البيان والتبيين للجاحظ (بتحقيق حسن السندوبي) ج ١ ص ١٦٠

وهم يستقبحون اللحن ويتحرزون منه :

كان مسلمة بن عبد الملك يقول : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه[١] .

وعبد الملك كان يقول : اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس[٢] .

وقال كشاجم فى كتاب « النديم » : واللحن عندهم (يعنى عند العرب) يجوّر الجمال (أى يقوضه) ، كما أن الفصاحة تُعَنِّق على القبح[٣] .

ولا ريب أنهم استهولوا اللحن فى القرآن ، وعدّوه أشدّ بشاعة مما هو فى أى كلام ، فهو قد يغير المعنى تغييراً ينفر منه القرآن نفسه ، فمثلا لو قرأ رجل عامداً الآية : « هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ »[٤] بفتح الواو فى المصوّر لكَفَر . وقد تقدمت الإشارة إلى مثل هذا اللحن الخطر .

والمأمون يقول لبعض ولده ، حين سمع منه لحنا :

« ما على أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أوده ، ويزين بها مشهده ، ويفلّ حجج خصمه : بمس كتاب حكمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه . . . إلخ[٥] .

وفى الحديث المرفوع : رحم الله عبداً أصلح لسانه[٦] .

---

(١) انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٥٨

(٢) نفس المرجع .

(٣) أبو حيان التوحيدى : البصائر والذخائر المجلد ١ ص ٤١١ .

(٤) سورة الحشر /٢٤

(٥) انظر : الحصرى القيروانى : زهر الآداب ج ٢ ص ٧١٩
والبيهق : المحاسن والمساوىء ص ٤٥٣

(٦) انظر : البيهق : نفس المرجع .

ومن الطريف الذى لا يأباه المقام هنا : ما رواه الجاحظ من أن ابن ضحيان الأزدى كان من اللحانين الأشراف ، وكان يقرأ : « قُلْ يَا أَيُّهَا (الكافرين)[١] » فقيل له فى ذلك ، فقال : قد عرفتُ القراءة فى ذلك ، ولكنى لا أجلّ أمر الكفرة[٢] !

* * *

ولدرء اللحن فى القرآن ، نشأت له ، منذ قديم ، علوم خاصة غايتها أن تكفل إحكام قراءته . وقد غدا لهذه القراءة فن تخصصت فيه طبقات متعاقبة من العلماء برز منهم أئمة لهم شهرتهم .

وكان الحكام يكتبون المصاحف ، على نَسَق مصحف عثمان ، ويهدونها إلى المساجد ، ويبعثون بها إلى الأمصار ، لتكون مرجعا للناس يسترشدونه فى تصحيح مالديهم من مصاحف .

ومن أمثلة الأدلة القوية على عناية المسلمين البالغة بضبط المصحف أنّ والى مصر : عبد العزيز بن مروان أمر فكتبوا له مصحفا ، فأعلن — بعد الفراغ من كتابته — أنّ من وجد فيه حرفاً خطأ فله رأس أحمر (أى جمل أحمر) ، وثلاثون ديناراً ، فوجد فيه أحد قراء الكوفة لفظة « نجعه » ، بدل « نعجة » ، فأخذ الجائزة[٣] .

وقد كُتِبَتْ خلال أربعة عشر قرناً مصاحف لا عدّ لها ، وقد سلمتْ كلها من التغيير والتبديل . والقليل من التحريف أو التصحيف الذى وقع فى بعض المصاحف لم يستطع الحياة قطّ ، هذا مع كثرة أعداء القرآن والمتربّصين به .

---

(١) سورة الكافرون / ١

(٢) يعنى بالرفع ، فهو يرى الرفع إجلالا لهم ، فيعدل عنه إلى الخفض .
وانظر : الجاحظ : البيان والتبيين بتحقيق وشرح حسن السندوبى ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٣) المقريزى : الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٠٤

٢ — ثم إنه يمكن أن نستنبط أن الإسناد القرآني لا يزال عالياً ، قياساً على المتبع ، بالنسبة للحديث النبوي عند أهله ، يمكننا تقسيم الإسناد القرآني إلى أقسام منها :

(أ) القرب — من حيث العدد — من رسول الله ، وهو المنزّل عليه القرآن ، على أن يكون هذا القرب بإسناد « نظيف غير ضعيف » كما يعبّر السيوطي[١] . ونعتقد أن ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن تفصل بيننا وبين الرسول ليست زمنا متماديا يجعل قراءات القرآن ورواياته محفوفة بأيّ شك .

وزمننا — على أية حال — أقرب إلى عهد النبي من الأزمنة القادمة . وإذا كانت البشرية لم تهتد إلى التسجيل الصوتيّ إلاّ متأخّرا ، وإذا كان المسلمون — حتى بعد هذا الاهتداء — لم يفكّروا في الجمع الصوتي ، وظلوا على عدم تفكيرهم فيه قرابة قرن ، فإن الأمر يستلزم مداركة ما فات ، دون إبطاء جديد .

والقرآن هو آخر الكتب المنزّلة ، وقد جاء مهيمناً على هذه الكتب ، وناسخاً لبعض أحكامها ، ولن يخضع لهيمنة أيّ كتاب ، فعلى المسلمين — حين يجمعونه صوتيًا — أن يذكروا أنهم يعملون لمستقبل مديد موصول بيوم القيامة .

(ب) ومن أقسام الإسناد القرآني التي يمكن التقسيم إليها : القرب من إمام من أئمة القراءات ، وهؤلاء زمنهم أدنى إلينا من زمن النبيّ ، فالإسناد الصحيح إليهم له قيمته ، ولا يصحّ إهداره . وقد كان أعلى إسناد للقرآن — على عهد السيوطي — أي منذ أقل من خمسمائة سنة ، إسناداً رجاله أربعة عشر بالنسبة لقراءة ابن عامر ، من رواية ابن ذكوان ، ثم خمسة عشر رجلا ،

(١) الإتقان ج ١ ص ٧٣

بالنسبة لقراءة عاصم من رواية حفص ، وقراءة يعقوب من رواية رويس[١] .

وفي رأينا : أنّ خمسة قرون أو ما دونها تفصل بيننا وبين أسانيد محكوم بعلوّها هي فترة لا تفقدنا أسباب الإتقان والدّقة .

(ج) ومن أقسام الإسناد القرآني : القرب إلى بعض الكتب المشهورة في القراءة ، كالتيسير ، والشاطبية ، ونحن قريبو العهد بهذه الكتب . فإذا جمعنا القرآن صوتيا على أساسها أيضاً فلن يكون جمعنا متأخرا ، ولن تعوزه أمانة النقل ولا كمال الضّبط .

(١) نفس المرجع

الفصل الثانى

المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة

الفصل الثانى

المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة

— ١ —

نزل القرآن بلسان عربى ، وهذا اللسان — ككل الألسنة — انشعبت منه، منذ قديم، لهجات متعددة متباينة فى بعض مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات. وقد دعت إلى هذا التباين أسباب لعلّ من أهمها أنّ أعضاء النطق تختلف فى بِنْيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لتنوع الخواصّ الطبيعية المزوّد بها كلّ شعب ، والتى تنتقل — عن طريق الوراثة — من السّلف إلى الخلف[1] .

وبالضرورة ، وإزاء هذه الأسباب القوية ، ليس يسهل على كلّ أحد أن يستبدل لهجة جديدة بلهجة جرى عليها لسانه طفلا وناشئا وكهلا . وحتى — بعد طول المحاولة والمعالجة — قد يظل الأمر عسيرا على شيخ يأبى لسانه تغيير ما ألِفَ السنين ، وامرأة ليس لها غالبا على ما تعوّدَتْه من طرائق الكلام سلطان . روى الترمذى — فى موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف — أن النبى قال : يا جبريل ! إنّى بُعِثْتُ إلى أمة أمّيين ، منهم : العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط[2] .

---

(١) أنظر فى موضوع اختلاف اللهجات : على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ٢٦٧ .

(٢) أنظر : صحيح الترمذى بشرح أبى بكر بن العربى المالكى ج ١١ ص ٦٣ — ٤٣ كتاب القراءات .

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ٣٠

وقد كان بين القبائل العربية اختلاف فى نبرات الأصوات وطريقة الأداء ، فكان فيهم مَنْ يُدْغِم ومن يُظْهِر ، ومن يُخْفِى ومن يُبيِّن ، ومن يُميل ومن يَفتح ، ومن يُفخِّم ومَنْ يُرقِّق ، ومن يمدُّ ومَنْ يَقْصِر ، إلى آخر كيفيات النطق المختلفة ، فتلقاء هذه الفروق التى يصعب على الناس التخلص منها ، ولأنّ الدين الذى نزل به القرآن يُسْرٌ دائماً ، أمر الله نبيّه أن يقرئ كلَّ قبيلة بلغتها وما جرت عليه عادتها ، فعلى سبيل المثال[1] :

يقرأ الأسدى : « يعلمون » ، و « تعلم » ، و « تسودّ وجوه » ، و « ألم أعهد إليكم » بكسر حرف المضارعة .

والتميمى يهمز ، والقرشى لا يهمز .

ويقرأ أحدهم : « عليهم » و « فيهم » بضم الهاء لا بكسرها .

وهذا يقرأ : « قد أفلح » و « قل أوحى » بالنقل .

وآخر يقرأ : « موسى » ، و « عيسى » ، و « دنيا » بالإمالة .

وغيره يلطّف .

وهذا يقرأ : « خبيرا » و « بصيرا » بترقيق الراء .

والآخر يقرأ : « الصَّلَوٰة » و « الطلاق » بالتفخيم .

إلى غير ذلك .

هذا إلى ما هو معروف من الإختلاف الطبيعى بين القبائل فى شهرة بعض

(١) أنظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٢٢و٢٣
وذكر هنا أن التخفيف بذلك كان بعد الهجرة حين كثر دخول العرب فى الإسلام ، وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى حـ ٩ ص ٢٣

الألفاظ فى بعض المدلولات[1] ، وإلى ما هو معروف أيضاً ـ عند علماء القراءات ـ من أن القرآن نفسه اختلفت بعض ألفاظه ، فى الحروف أو كيفيتها ، من حيث الغيبة والخطاب ، والتذكير والتأنيث ، والجمع والإفراد ، والتخفيف والتشديد ، والتحقيق والتسهيل ، وغير ذلك مما هو مقرَّر ومحدَّد منذ عهد النبوة .

— ٣ —

ولـكنّ هنا سؤالا يصحّ أن يُسأل :

إذا قرئت آية بقراءتين ، فهل قال الله بهما ؟

وردت فى ذلك آراء أوردها الزركشى فى كتابه « البرهان » :

(الأول) أن الله تعالى قال بهما جميعا[2] .

(الثانى) أن الله تعالى قال بقراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن يقرأ بقراءتين[3] .

(الثالث) إذا كان لـكل قراءة تفسير يغاير الآخر ، فقد قال بهما جميعا ، وتصير القراءة بمنزلة آيتين ، مثل قوله : «وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ»[4] .

(١) أنظر فى موضوع لغات القبائل : أبو القاسم بن سلام : رسالة جليلة تتضمن ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل .

(٢) الزركشى : البرهان حـ ١ ص ٣٢٦

(٣) نفس المرجع

(٤) سورة البقرة / ٢٢٢
ويقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم بتسكين الطاء .
وقراءة حمزة ، والكسائى ، وعاصم (فى رواية أبى بكر) ، والمفضل : «يطّهّرن» بتشديد الطاء (أنظر : الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن حـ ٣ ص ٨٨ ، وانظر : ابن الجزرى : النشر حـ ٢ ص ٢٢٧)

(الرابع) إذا كان تفسير القراءتين واحداً كالبيوت والبُيوت[1] والمحصِنات والمحصَنات[2] بالنصب والجر، فإنما قال بأحدها، وأجاز القراءة بهما، لكل قبيلة على ما تعوّد لسانهم.

(الخامس) فإذا صحّ أنه قال بإحدى القراءتين، فإنه يكون قد قال بلغة قريش[3].

— ٣ —

وقد كثر القول في موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف «إلى حدّ كاد يطمس أنوار الحقيقة، حتى استعصى فهمه على بعض العلماء، ولاذ بالفرار منه، وقال إنه مُشْكِلٌ..»[4].

ثم إنّ الخطأ في هذا الباب «قد يتخذ منه أعداء الإسلام سبيلاً عِوَجاً إلى توجيه المطاعن الخبيثة إلى القرآن»[5]. وقد كان من تداول هذا الخطأ ومثله أن كتب فعلا بعض أعداء القرآن كتاباً أسموه «مباحث القرآن»، ومن فصوله: هل من تحريف في الكتاب الشريف؟

* * *

ويجب أن نذكر أن القراءات التي يعنى الجمع الصوتي الأول بالمحافظة عليها ليست هي الأحرف والمرادفات التي كانت تقام بعضها مكان بعض قبل

(١) البيوت — بكسر الباء — قراءة قالون، وابن كثير، وابن عامر، وأبي بكر، وحمزة، والكسائي، وخلف (الدمياطي البنا: إتحاف فضلاء البشر ص ٢٥٣)

(٢) عن الحسن بالكسر، والباقون بالفتح (نفس المرجع ص ١٨٨)

(٣) أنظر في كل هذه الآراء: الزركشي: البرهان حـ ١ ص ٣٢٦ و٣٢٧

(٤) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ص ١٣٠ و١٣١

(٥) نفس الكتاب

العرضة الأخيرة للقرآن، والتي كانت إقامتها لضرورة ماسّة انتهى وقتها عند هذه العرضة، فضلاً عن عهد عثمان، كما ذكرنا في فصل الجمع العثماني[1]، وإنما المقصودة بالمحافظة هي القراءات التي يحتملها مصحف عثمان المقتصر على حرف قريش كما قال ناس، أو المشتمل على باقي الأحرف كما قال آخرون. وهذه القراءات — على أية حال — ثابتة كلّها بالنّقل المتواتر عن النبي نفسه.

* * *

وواضحٌ جداً أن اختلاف القراءات لا يعني أنّ فيها تنافياً أو تضاداً أو تناقضاً، وإنما هو — بإطلاق — اختلاف تنوّع وتغاير فحسب. وقد وُجِّهَتْ كلّ اختلافات القراءات، فما ظهر أن قراءة اتخذت سبيلا استدْبَرَتْه قراءة، أو أنّ قراءة أمرت بما نهت عنه أخرى.

ثم إن هذه القراءات بمنزلة سواء في الأسلوب والغاية، فهي كلّها معجزة. وتلك حقيقة لا نستغربها ما دامت كلُّ قراءة قد أُنزلت من عند الله، أو أذن بها الله — كما أوضحنا قبلا وكما سنوضّح فيما بعد — وما دام القراء — في اختلافهم — مجرّد ناقلين، وليسوا كالفقهاء يختلفون لأنهم يجتهدون.

— ٤ —

وجُمِعَ القرآنُ جمْعَيْه المكتوبين، وانقضى عصر الصحابة، فكانت جماعات القرّاء في مختلف الجهات يقرأون حسبما تلقّوا من أسلافهم، وكانت كلّ جماعة تستقرّ على الوجوه التي لقِّنَتْها لا تكاد تتعدّاها، فاختلفت

(١) قال الطحاوي في الأحرف السبعة: «إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسّر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد، لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الكتابة» (أنظر: القاسمي: محاسن التأويل حـ ١ ص ٢٨٨).

قراءات الأخلاف باختلاف قراءات الأسلاف . وتفرق هؤلاء وأولئك في البلاد ، وكما يقول ابن الجزري : « قلّ الضبط ، واتّسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحقّ ، فقام جهابذة علماء الأمة،وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الإجتهاد ، وبيّنوا الحقّ المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعَزَوْا الوجوه والروايات ، وميّزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذّ ، بأصول أصّلوها ، وأركان فصّلوها »[1] .

ويبدو أنّ الإقتصار على قراءات الأئمة المشهورين بالفقه ، والأمانة في النّقل ، وكمال الدين ،كان أمراً ضرورياً أوْجَبَتْهُ بشاعة ما قيل إنه وقع ، فـكما عبّر مكيّ بن أبي طالب : « تمادى بعض الناس على القراءة بما يخالف خطّ المصحف مما ثبت نقله »[2] ، بل إنه كثر الإختلاف فيما يحتمله رسم المصحف ، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحلّ لأحد تلاوته وفاقاً لبدعهم ، ومن أمثلة ذلك : ما رُوى من أن بعض المعتزلة قرأ : « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا »[3] بنصب الهاء[4] .

وقد كثرت الإختيارات في القراءة كثرةمن مظاهرها التي تخفى على كثير من الناس أن الشافعيّ صاحب المذهب كانت له رواية قرأ بها ابن الجزري من كتاب « المستنير » ، وحدّثه بها ــ من هذا الكتاب ، ومن كتاب « الكامل » ــ غير واحد[5] .

(١) النشر حـ ١ ص ٩ . وانظر : السيوطي : الإتقان في علوم القرآن حـ ١ ص ٣٧
(٢) الإبانة في معاني القراءات ص ١٠
(٣) سورة النساء / ١٦٤
(٤) أنظر : القاسمي : محاسن التأويل حـ ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ ، نقلا عن الكواشي في أول تفسيره .
(٥) ابن الجزري : غاية النهاية حـ ٢ ص ٧٥ وما بعدها

وكان لأحمد بن حنبل صاحب المذهب أيضاً اختيار ذكره « الهذلي » في كتابه « الـكامل[1] »

وقد نُسِبَتْ إلى أبي حنيفة قراءة جمعها الخزاعي ، ونقلها عنه الهذليّ وغيره[2] .

وقد عدّ ابن حجر العسقلاني ــ وهو يتكلّم عن تعيين الأحرف التي اختلف فيها عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم ، حين كان هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يكن يعرفها عمر[3] ــ عدّ ابنُ حجر ، في هذه السورة وحدها ، نحواً من مائة وثلاثين موضعاً منها ستة وخمسون ليس فيها من المشهور شيء[4] .

وربما كانت كثرة عدد القراءات هي التي حَدَتْ ببعض المفسّرين إلى ذكر بعضها غير منسوب لصاحبه[5] .

على أن إضافة القراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم لا تعني أكثر من أنهم اختاروها ، وداوموا عليها ، ولزموها ، حتى اشتهروا بها ،وقصدوا فيها ،

(١) نفس المرجع حـ ١ ص ١١٢
(٢) قيل إن الخزاعي وضع كتابا في الحروف نسبهُ إلى أبي حنيفة ، وفيه : « إنما يخشى اللهُ مِنْ عِبادِهِ العلماءَ » برفع الهاء ونصب الهمزة . يقول ابن الجزري : « وقد راج ذلك على أكثر المفسرين وتكلف توجيهها ، وإن ابا حنيفة لبرىء منها » . (أنظر : النشر حـ ١ ص ١٦) .
(٣) سيشار إلى هذه القصة تفصيلا فيما بعد .
(٤) فتح الباري حـ ٩ ص ٢٧ ــ ٣١
(٥) أنظر مثلا :
الفراء : معاني القراءات (في كثير من صفحاته)
والبيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : في تفسير قوله تعالى : « اذكروا نعمة الله عليكم » ــ سورة البقرة ــ ٤٠

وهي — كما يعبر ابن الجزرى — « إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد »[1] .

— ٥ —

ولابدّ — في معرض الحديث عن الجمع الصوتي : بواعثه ومخططاته — أن نذكر أن القراءات أنواع :

(ا) المتواتر ، وهو ما نقله جمع لايمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه . وغالب القراءات كذلك .

وقد اختيرت سبع قراءات من هذا النوع ، عُرفت كلّ منها بأسماء أهم من عُرف بالقراءة بها . وأصحاب هذه القراءات هم : نافع المدنى ، وابن كثير المكى ، وأبو عمرو بن العلاء البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى : الكوفيون .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة هو أبو بكر بن مجاهد ، قبيل سنة ٣٠٠ هـ ، أو ما حولها[2] ، وتابعه بعد ذلك المسلمون إلى الآن[3] .

ولكلٍّ من هؤلاء القراء رواة ، وأصحاب طرق ، وأصحاب أوجه ، وسنشير إليهم — فيما بعد — تفصيلا .

(١) النشر ج ١ ص ٥٢

(٢) أبو شامة : إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ٤
وذكر جفرى أن تاريخ الإختيار هو ٣٢٢ هـ (مقدمة كتاب المصاحف لابن أبى داود ص ٨)

(٣) انظر : الجزرى : غاية النهاية ج ١ ص ١٣٩ وما بعدها
وأبو شامة : إبراز المعانى ص ٤
والصّولى : أخبار الراضى والمتقى لله ص ٦٢و٦٣ (ط هيوارت)

والنقل المتواتر هو عنصر أساسى فى إثبات القرآنية ، حتى يعرّف الكتاب بأنه « القرآن المنزّل على رسول الله ، المنقول عنه نقلا متواتراً بلا شبهة »[1] ويقول الشارح : « إنّ قوله : نقلا متواتراً احتراز عما اختصّ بمثل مصحف أبىّ ، ومصحف ابن مسعود ، لما نقل بطريق الآحاد »[2] .

(ب) المشهور ، وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية ورسم المصحف ، واشتهر عند القراء فلم يعدّوه من الغلط ولا من الشذوذ[3] .

وقد اختير من هذا النوع ثلاث قراءات ، وأصحابها هم : أبو جعفر بن قعقاع المدنى المتوفى سنة ١٣٠ هـ[4] ، ويعقوب الحضرمى المتوفى سنة ٢٠٥ هـ[5] ، وخلف البزّار المتوفي سنة ٢٢٩ هـ[6] .

ولكل من هؤلاء أيضاً رواة ، وأصحاب طرق ، وأصحاب أوجه ، حسبما سيجئ فيما بعد .

ونظراً لأن هذه القراءات الثلاث لاتخالف رسم السبع ، فقد ألحقها المحققون بها ، وعدّوا القول بعدم تواترها « في غاية السقوط ، ولا يصحّ القول به عمن يعتبر قوله في الدين »[7] .

ومن هؤلاء المحققين :

(١) كشف الأسرار على أصول البزدوى ج ١ ص ٢١

(٢) نفس المرجع

(٣) الإتقان ج ١ ص ٧٧

(٤) أنظر ترجمته في : ابن الجزرى : غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨٢

(٥) أنظر ترجمته فى نفس المرجع ص ٣٨٦ — ٣٨٩

(٦) أنظر ترجمته فى نفس المرجع ج ١ ص ٢٧٢

(٧) ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٤٥

البغوى، الفرّاء الموصوف بأنه أولى من يعتمد عليه في ذلك المجال، لأنه « مقرىء فقيه جامع للعلوم »[1].

وابن تيمية الفقيه المعروف[2].

والقسطلانى في كتابه « لطائف الإشارات »، حيث يقول : « إنما لو اشترطنا التواتر في كل فرد فرد من أحرف الخلاف انتفى كثير من القراءات الثابتة عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم »[3].

وعبد الوهاب السّبكي الذى يقول : « إن هذه القراءات الثلاث — بالإضافة إلى القراءات السبع — معلومة من الدين بالضرورة، ونزلت على النبي — صلى الله عليه وسلم — لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل »[4].

وزكريا الأنصارى المتوفي سنة ٩٢٦هـ، والذى أفتى بأن القراءات العشر متواترة كلّها[5].

(ح) الآحاد، وهو ما صح سنده، وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الإشتهار المذكور، ولم يُقرأ به[6].

(١) توفي سنة ٥١٠ هـ أو قبل سنة ٥١٦.
وانظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٤٤
والزركشي : البرهان حـ ١ ص ٣٣٠
والسبكي : طبقات الشافعية حـ ٤ ص ٢١٤

(٢) أنظر كتابه : أنزل القرآن على سبعة أحرف، وما المراد بهذه السبعة؟ ص ٤٧و٤٨

(٣) أنظر القاسمي : محاسن التأويل حـ ١ ص ٢٩٦

(٤) أنظر : ابن الجزرى : النشر حـ ١ ص ٤٦

(٥) أنظر : الإعلام والإهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصارى ص ٤٢٥و٤٢٦.

(٦) أنظر : السيوطى : الإتقان حـ ١ ص ٧٧

(د) الشاذ، وهو ما لم يصحّ سنده[1].

(هـ) الموضوع، ويمثل له السيوطى بقراءات الخزاعى[2].

(و) ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كالقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبي وقاص : « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ (من أم) »[3]، وكالقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ (في مواسم الحج) »[4] وكالقراءة المنسوبة أيضاً إلى ابن الزبير : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (ويستعينون الله على ما أصابهم) »[5].

— ٦ —

وواضح أن الناس اجتمعوا على القراءات المتواترة والمشهورة لسببين أوضحهما الطبرسى في تفسيره :

(أحدهما) أن أصحابها « تجردوا لقراءة القرآن، واشتدت بذلك عنايتهم، مع كثرة علمهم. ومَنْ كان قبلهم أو في أزمنتهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء، وعُدّت قراءتهم من الشواذ ... لم يتجرّد لذلك تجرّدهم، وكان الغالب على أولئك الفقه، أو الحديث، أو غير ذلك من العلوم ».

(١) أنظر : نفس المرجع

(٢) أنظر : نفس المرجع

(٣) في المصحف العثماني من غير (من أم) — سورة النساء / ١٢

(٤) في المصحف العثماني (في مواسم الحج) — سورة البقرة / ١٩٨

(٥) في المصحف العثماني بحذف « ويستعينون الله على ما أصابهم » — سورة آل عمران / ١٠٤

(والآخر) «أن قراءتهم وُجِدَتْ مسندة — لفظاً أو سماعاً — حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره، مع ما عُرِف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن»[1].

— ٧ —

وكان التوفيق رائد أصحاب الجمع العثماني، إذ جعلوا — وقد ألمعنا إلى ذلك قبلا — رسم مصاحفهم محتملا لكلّ القراءات المتواترة والمشهورة تحقيقاً أو تقديراً. وما كان هؤلاء الصحابة لِيُسْقِطوا قراءة أو يمنعوا من القراءة بها ما دامت تَثْبُت عن النبيّ فيما انتهى إليه منهجهم في الجمع.

وقد أوضح ابن الجزريّ في «النشر» كيفية احتمال المصاحف العثمانية للاختلافات المتعدّدة في القراءات. ومن الأمثلة التي أوردها في هذا الشأن: الآية «مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»[2]، كُتب فيها لفظ «مَلِكِ» بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تقديراً، أما في الآية «مَلِكِ النَّاسِ»[3]، فقد كُتب لفظ «مَلِكِ» بغير ألف، في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً[4].

— ٨ —

وقد جُمِعت القراءات منذ قديم. وأول من جمعها في كتاب هو أبو عبيد القاسم بن سلّام، المتوفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ، والذى جعل القراءات — فيما

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن جـ ١ ص ٢٥
(٢) سورة الفاتحة /٤
(٣) سورة الناس /٢
(٤) جـ ١ ص ١١، وانظر: القاسمي: محاسن التاويل جـ ١ ص ٢٩٨ و ٢٩٩

عدّ ابن الجوزي — خمسا وعشرين قراءة مع السبع[1].

وترادف المؤلفون في القراءات:

فجمع أحمد بن جبير الكوفي نزيل أنطاكية، والمتوفى سنة ٢٥٨ هـ كتاباً في قراءات الخمسة، من كلّ مصر واحد[2].

وألّف اسماعيل بن إسحق المالكي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماما، منهم السبعة[3].

وجمع ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتابه «الجامع»، وفيه نيف وعشرون قراءة[4].

وجمع أبو بكر الداجوني المتوفى سنة ٣٢٤ هـ كتاباً في القراءات أدخل فيه أبا جعفر أحد العشرة[5].

واقتصر ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ أيضا على قراءات السبعة، حسبما ذكرنا قبلا.

وألّف في القراءات أبو بكر الشذائي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ[6].

وألّف أبو بكر بن مهران المتوفى سنة ٣٨١ هـ في قراءات العشرة[7].

(١) النشر جـ ١ ص ٣٤. وابن سلام لغوى ثقة محدث، وقد تكلمنا عنه في حاشية اخرى، وانظر ترجمته في:
حاجي خليفه: كشف الظنون — ١٢٠٤
وابن الاثير: النهاية جـ ١ ص ٤ و ٥
والقفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة جـ ٣ ص ١٢ — ٢٣.
(٢) النشر جـ ١ ص ٣٤
(٣) نفس المرجع
(٤) نفس المرجع
(٥) نفس المرجع
(٦) نفس المرجع
(٧) نفس المرجع

وألف الخزاعى المتوفى سنة ٤٠٨ هـ كتابه : « المنتهى » الذى جمع فيه ما لم يجمع من قبله[1] ، والذى يُمثِّل بقراءاته للقراءات الموضوعة كما ذكرنا قبلا أيضا .

وكان الطلمنكى مؤلف « الروضة » والمتوفى سنة ٤٢٩ هـ أول من أدخل القراءات إلى الأندلس[2] .

وألّف مكّىّ بن أبى طالب المتوفّى سنة ٤٣٧ هـ فى القراءات : « التبصرة » و « الكشف » ، وغير ذلك[3] .

وألّف أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ كتابه : « جامع البيان » فى القراءات ، وفيه أكثر من خمسمائة رواية وطريق عن القراءات السّبع[4] .

وألّف الأهوازى المتوفى سنة ٤٤٦ هـ فى هذا الشأن[5] .

وألّف الهذلى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ كتابه : « الكامل » الذى جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة ، وتسعاً وخمسين وأربعمائة وألف رواية وطريق[6] .

وألّف أبو معشر الطبرى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ كتاب « التلخيص فى القراءات الثمان » و « سوق العروس » ، وفيه خمسون وخمسمائة وألف رواية وطريق[7]

وألف أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمى الإسكندرى المتوفى

---

(١) نفس المرجع
(٢) نفس المرجع
(٣) الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ٤٥
(٤) ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٣٤ و ٣٥
(٥) نفس المرجع ص ٣٥
(٦) نفس المرجع
(٧) نفس المرجع

سنة ٦٢٩ هـ كتابه : « الجامع الأكبر والبحر الأزخر » ويحتوى على سبعة آلاف رواية وطريق[1]

وقد اندثر بعض كتب القراءات ، وفيها كتب الأهوازى ، وابن عطية والمهدوى ، وكتاب « اللوامع » فى القراءات ، وكتاب « المحتوى » الدانى[2] .

* * *

واختار جمهور المسلمين القراءات منذ قرون ، ولكن القرّاء ظلّوا يتداولونها ويَرْوُونها إلى أن كُتِبَتْ العلوم ودُوِّنَتْ ، فكُتِبَتْ فيما كُتب من العلوم ، وصارت القراءات — كما يقول ابن خلدون — « صناعة مخصوصة ، وعلْما منفردا ، وتناقله الناس بالشرق والأندلس ، فى جيل بعد جيل ، إلى أن مَلَكَ بشرق الأندلس « مجاهد » من موالى العامريين ، وكان معتنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن ، لما أخذه به مولاه المنصور بن أبى عامر ، واجتهد فى تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته ، فكان سهمه بذلك وافراً »[3] .

— ٩ —

غير أن بعض المفكرين القدامى والمحدثين . يقولون ما قد يُفهم منه أنّ القراءات مرجعها الإجتهاد لا السماع ، وأنها اختياريّة تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء :

---

(١) نفس المرجع ،
وانظر : ابن الجزرى أيضاً : غاية النهاية ج ١ ص ٦٠٩ — ٦١١ ،
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ٣٠
(٢) آرثر جفرى ، مقدمة كتاب « القراءات الشاذة لابن خالويه » الذى عنى بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر . ص ٤
(٣) مقدمة ابن خلدون : باب علوم القرآن من التفسير والقراءات ج ٣ ص ٩٩٤ و ٩٩٥ .

١ — قرأ ابن عامر أحد القراء السبعة الآية : « وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ »(١) برفع (قتل) ونصب (أولادهم) وجر (الشركاء) ، على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف .

فوصف الزمخشري هذه القراءة بأنها « شيء » لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً ... الخ(٢) ، وقال : « والذي حمله على ذلك أنْ رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء ، ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء ، لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم ـ لوجد في ذلك ـ مندوحة عن هذا الارتكاب(٣) » .

وردّ ابن المنيّر الاسكندري صاحب كتاب « الإنتصاف » بأنّ الزمخشري « ركب متن عمياء ، وتاه في تيهاء » وقال ابن المنير ، « وأنا أبرأ إلى الله ، وأبرئ حملة كتابه ، وحفّاظ كلامه ، مما رماهم به ، فإنّه تخيّل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كلٌ منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً ، لا نقلا وسماعا ، فلذلك غلّط ابنَ عامر ، في قراءته هذه ، وأخذ يبيّن أنّ وجهة غلطه رؤيته الياء ثابتة في « شركائهم » ، فاستدلّ بذلك على أنه مجرور ، وتعيّن عنده نصب (أولادهم) بالقياس ... الخ »(٤) .

ثم قال ابن المنيّر : « فهذا كلّه ـ ماترى ـ ظنٌ من الزمخشري أنّ ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه ، وكان الصّواب خلافَه ، والفصيح سواه ؛ ولم يعلم

(١) سورة الانعام /١٣٧
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج ١ ص ٢٥٣
(٣) نفس المرجع
(٤) أنظر : ابن المنير الاسكندري : الإنتصاف (بذيل الكشاف) ج ٢ ص ٤١
وانظر : القاسمي : المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٣

الزمخشري أن هذه القراءة — بنصب الأولاد ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه — بها يعلم ضرورةً أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قرأها على جبريل ، كما أنزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبي — صلى الله عليه وسلّم — على عدد التواتر من الأئمة ، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ، ويقرأون بها ، خلفاً عن سلف ، إلى أن انتهت إلى ابن عامر ، فقرأها أيضاً كما سمعها . فهذا معتقد أهل الحقّ في جميع الوجوه السبعة : أنها متواترة جملة وتفصيلا .... فلا مبالاة ـ بعدها ـ بقول الزمخشري ، ولا بقول أمثاله ممن لحّن ابنَ عامر ، وظنّ أنّ القراءة بالرأي غير موقوفة على النقل . والحامل هو التغالي في اعتقاد اطّراد الأقيسة النحوية ، فظنّها قطعية ، حتى يرد ما يخالفها »(١) .

ويقول ابن المنيّر كذلك : « إن المُنكَر عليه — يعني ابن عامر — إنما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعاً وضرورةً . ولولا عذر أنّ المنكِر ليس من أهل الشأنين : أعني علم القراءة ، وعلم الأصول ، ولا يعدّ من ذوي الفنّين المذكورين ، لخيف عليه الخروج من ربقة الدين ، وإنه — على هذا العذر — لفي عهدة خطيرة ، وزلّة منكرة ، تزيد على زلّة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواتراً ، فإن هذا القائل لم يُثبتها بغير النقل ، وغايته أنّه ادّعى أنّ نقلها لا يُشترط فيه التواتر ، وأمّا الزمخشري ، فظن أنها تثبت بالرأي ، غير موقوفة على النقل ، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين(٢) » .

* * *

وهنا نذكر آسفين أن كاتبا مسلما محدثاً هو صاحب كتاب « الفرقان »

(١) القاسمي : المرجع السابق
(٢) نفس المرجع ج ٦ ص ٢٠١٨

أورد — فى اعتراضه على القراءات — رأى الزمخشرى فى قراءة ابن عامر[1]، ثم لم يورد ما قاله ابن المنيّر وغيره ردًّا عليه .

* * *

وفى هذا الشأن أيضا يقول أبو حيان الأندلسى[2] :

« ... وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها فى هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربى الصريح المحض : ابن عامر ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان ، قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضاً فى لسان العرب فى عدّة أبيات . . » الخ .

ويقول أبو حيان ، فى ردّه على الزمخشرى :

« وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يردّ على عربى صريح محض قراءةً متواترةً موجوداً نظيرها فى لسان العرب ، فى غير ما بيت . وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيّرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله ، شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم ، لضبطهم ، ومعرفتهم ، وديانتهم »[3] .

ويقول النيسابورى :

« والحقّ عندى — فى هذا المقام — أن القرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه . والقراءات السبع كلّها متواترة ، فكيف يمكن تخطئة بعضها ؟ فإذا ورد فى القرآن المعجز مثل هذا الترتيب لزم القول بصحّته وفصاحته . . » الخ[4] .

---

(١) ص ١١٦ و ١١٧

(٢) البحر المحيط ج ٤ ص ٢٢٩ و ٢٣٠

(٣) المرجع السابق

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج ٨ ص ٣٧

ويدافع ابن الجزرى عن القراءة المتواترة التى قرأ بها ابن عامر ، فيقول[1] :

« ١ — والحق فى غير ما قاله الزمخشرى . ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأى والتشهى .

وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد فى الكتابة من غير نقل ؟

٢ — بل الصواب جواز مثل هذا الفصل ، وهو الفصل — بين المصدر وفاعله المضاف إليه — بالمفعول ، فى الفصيح والشائع الذائع اختياراً .

ولا يختص ذلك بضرورة الشعر .

٣ — ويكفى — فى ذلك دليلا — هذه القراءة الصحيحة المشهورة التى بلغت التواتر .

٤ — كيف ، وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ، كعثمان بن عفان ، وأبى الدرداء ، رضى الله عنهما ؟

٥ — وهو — مع ذلك — عربى صريح من صميم العرب ، فكلامه حجة ، وقوله دليل ، لأنه كان قبل أن يُوجد اللحن ويُتكلّم به .

٦ — فكيف ، وقد قرأ بما تلقّى وروى وسمع ورأى ، إذ كانت كذلك فى المصحف العثمانى المجمع على اتباعه ، وأنا رأيتها فيه كذلك ؟

٧ — مع أن قارئها : لم يكن خاملا ، ولا غير متبع ، ولا فى طرف من الأطراف ليس عنده من ينكر عليه إذا خرج عن الصواب ، فقد كان فى مثل دمشق التى هى — إذ ذاك — دار الخلافة ، وفيه الملك ، والمأتى إليها

---

(١) انظر : النشر جـ ٢ ص ٢٦٣ — و ٢٦ . والألفاظ لابن الجزرى ، وليس لنا غير ترقيم فقرات هذا الدفاع .

من أقطار الأرض فى زمن خليفة هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة : الإمام عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — أحد المجتهدين المتبعين المقتدَى بهم من الخلفاء الراشدين .

٨ — وهذا الإمام القارئ — أعنى : ابن عامر — مُقلَّد، فى هذا الزمن الصالح، قضاء دمشق، ومشيختها، وإمامةَ جامعها الأعظم : الجامع الأموى أحد عجائب الدنيا، والوفود به من أقطار الأرض، لمحل الخلافة ودار الإمارة .

هذا، ودار الخلافة — فى الحقيقة — حينئذ بعض هذا الجامع، ليس بينهما سوى باب يخرج منه الخليفة .

٩ — ولقد بلغنا عن هذا الامام أنه كان فى حلقته أربعمائة عريف، يقومون عنه بالقراءة .

١٠ — ولم يبلغنا عن أحد من السّلف — رضى الله عنهم — على اختلاف مذاهبهم، وتباين لغاتهم، وشدّة وَرَعهم، أنه أنكر على ابن عامر شيئا من قراءته، ولا طَعَنَ فيها، ولا أشار إليها بضعف .

١١ — ولقد كان الناس — بدمشق، وسائر بلاد الشام، حتى الجزيرة الفراتية، وأعمالها — لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر، ولا زال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة . وأول من نعلمه أنكر هذه القراءةَ وغيرَها من القراءة الصحيحة، وركب هذا المحذور : ابن جرير الطبرى، بعد الثلاثمائة . وقد عُدّ ذلك من سقطات ابن جرير، حتى قال السخاوى :

قال لى شيخنا أبو القاسم الشاطبى :

« إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر » .

ولله درّ إمام النحاة : أبى عبد الله بن مالك — رحمه الله — حيث قال فى « كافية الشافية » :

وحجّتى قراءة ابن عامر   فكم لها من عاضد وناصر

١٢ — وهذا الفصل الذى ورد فى هذه القراءة، فهو منقول من كلام العرب من فصيح كلامهم، جيّدٌ من جهة المعنى أيضا :

أما وروده فى كلام العرب :

(ا) فقد ورد فى أشعارهم كثيراً :

أنشد من ذلك سيبويه، والأخفش، وأبو عبيدة، وثعلب، وغيرهم . . مالا يُنكر، مما يخرج به كتابنا عن المقصود .

(ب) وقد صح من كلام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « فهل أنتم تاركو لى صاحبي؟ » . ففصل — بالجارّ والمجرور — بين اسم الفاعل ومفعوله، مع ما فيه من الضمير المنوىّ، فَفَصْل المصدر بخلوه من الضمير أوْلى بالجواز .

(حـ) وقرئ : « فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ »[1] .

وأما قوته، من جهة المعنى :

فقد ذكر ابن مالك ذلك من ثلاثة أوجه :

(أحدها) : كون الفاصل فضلة، فإنه — لذلك — صالح لعدم الاعتداد به .

(الثانى) : أنه غير أجنبىٌ معنًى، لأنه معمول للمضاف هو والمصدر .

(١) سورة إبراهيم ٤٧ .

(الثالث) : أن الفاصل مقدّر التأخير لأن المضاف إليه مقدّر التقديم ، لأنه فاعل في المعنى ، حتى إن العرب ، لو لم تستعمل مثل هذا الفصل ، لاقتضى القياسُ استعماله ، لأنهم قد فصلوا — في الشعر — بالأجنبي كثيراً ، فاستحق الفصل بغير أجنبي أن يكون له مزية ، فيحكم بجوازه مطلقا .

وإذا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة في قول بعض العرب : « هو غلامُ — إن شاء الله — أخيك » ، فالفصل بالمفرد أسهل .

١٣ — ثم إن هذه القراءة قد كانوا يحافظون عليها ، ولا يرون غيرها :

قال ابن ذكوان : (شركايهم) بياء ثابتة في الكتاب والقراءة .

قال : وأخبرني أيوب — يعني : ابنَ تميم شيخَهُ — قال :

قرأت على أبي عبد الملك قاضي الجند : « زَيَّنَ لكثيرٍ من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم » .

قال أيوب :

فقلت له : إن في مصحفي ، وكان قديما ، « شركايهم » ، فمحا أبو عبد الملك الياء ، وجعل مكان الياء واوا .

قال أيوب :

ثم قرأت على يحيى بن الحارث : « شركاؤهم » ، فرد عليّ يحيى : « شركايهم » ، فقلت له : إنه كان في مصحفي بالياء ، فَحُكَّتْ ، وجُعلت واوا .

فقال يحيى : أنت رجل محوْتَ الصواب ، وكتبت الخطأ ، فرددتُها في المصحف على الأمر الأول» .

(ب) وكتب الزمخشري أيضاً عند تفسير آية : « هُنَالِكَ الْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا »[١] أن عمرو بن عبيد قرأ كلمة (الحق) بالنصب على التأكيد ، كقولك : هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل .

وقال الزمخشري : « وهي قراءة حسنة فصيحة . وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم »[٢] .

وهذا — كما يقول ابن المنيّر الإسكندري — « يوهم أن القراءات موكولة إلى رأي الفصحاء واجتهاد البلغاء ، فتتفاوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها »[٣] .

وقد هوجم الزمخشري في هذا أيضاً ، فقيل إنّ قوله « منكر شنيع » ، وأن الحق « أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه بِتَلَقٍّ فيه — صلى الله عليه وسلم — منزّلاً كذلك من السماء ، فلا وقع لفصاحة الفصيح ، وإنما هو ناقل كغيره »[٤] .

وقيل — في مهاجمة الزمخشري — إنه « لا يفوته الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة ، فإن عمرو بن عبيد أولُ مصمّم على إنكار القَـدَر ، وهلّم جرّاً ، إلى سائر البدع الاعتزالية ، فمن ثَمّ أثنى عليه »[٥] .

وقال الناقدون إن الزمخشري « لم يكن له — على ما عنده من العلم — لقاء ولا رواية[٦] » .

(١) سورة الكهف /٤٤
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج ١ ص ٤٧٤
(٣) انظر : الانتصاف (بذيل الكشاف) ج ٢ ص ٣٩٢
(٤) انظر : القاسمي : محاسن التأويل ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣
(٥) انظر : المرجع السابق
(٦) أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٧ — ترجمة ٢٣٥ ط . محيي الدين عبد الحميد

وابن عامر الذى عاب الزمخشرى قراءته هو فى الطبقة الأولى من التابعين ، وقراءته ليست هيّنة السَّنَد . وقد كان يقرأ بها المقدسىّ صاحب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ، فسأله أحد القضاة :

« أنت رجل متفقّه لأهل الكوفة ، فَلِمَ لَمْ تقرأ بحروفهم ؟ وما الذى أمالك إلى قراءة ابن عامر ؟

قال المقدسىّ : قلت : لخلال أربع :

قال القاضى : وما هنّ ؟

قلتُ : أما (الأولى) فإنّ ابنَ مجاهد روى ـ عن ابن عامر ـ ثلاث روايات :

(إحداهن) أنه قرأ على عثمان بن عفان .

(والثانية) أنه سمع القرآن من عثمان وهو صبيّ .

(والثالثة) أنه قرأ على من قرأ على عثمان .

وليس هذا لغيره من أئمة القراء ، بل بين كلّ واحد وبين علىّ ، وعبد الله ، وأبىّ ، وابن عباس ، رجلان أو ثلاثة .

فَمَنْ بينه وبين عثمان الذى قد أجمع المسلمون على مصحفه ، واتفقوا على جمعه ، وتداولوه رجل : أحقّ بأن يُقرأ له ممّن بينه وبين من لا يُستعمل جمعُه ، ولا وقع الإتفاق على مصحفه ، رجلان أو ثلاثة . . » الخ[1] .

وقد كان مما قيل عن ابن عامر « إنه لم يتعدّ ـ فيما ذهب إليه ـ الأثر ، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر »[2] .

(١) أحسن التقاسيم ص ١٤٢ ط . ليدن

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٦١

(ج) وقد ردّ آخرون ـ وخاصة من النحويين ـ على بعض القراء فى اختياراتهم منكرين ومخطّئين[1] .

ولكن الجمهور على غير رأى النحويين :

يقول الزركشى فى اعتراضاتهم على أئمة القراءة : « وهذا تحامل ، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة ، وأنها سنّة متبعة ، ولا مجال للاجتهاد فيها . ولهذا قال سيبويه فى كتابه،فى قوله تعالى : «مَا هَٰذَا بَشَرًا»[2] :

« وبنو تميم يرفعونه إلاّ مَنْ درى كيف هى فى المصحف ، وإنما كان كذلك لأن القراءة سنّة مرويّة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولا تكون القراءة بغير ما رُوِى عنه »[3] .

ويقول الدانى فى كتابه « جامع البيان » :

« وأئمة القراءة لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة ، والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر ، والأصحّ فى النقل . والروايةُ ـ إذا ثبتت عندهم ـ لا يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة ، لأنّ القراءة سنّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها »[4] .

وكلام الزمخشرى ـ على ما يبدو ـ فاتن ، وقد تورّط فى متابعته البيضاوىّ المفسّر ،فكان لذلك نكيرٌ عند علىّ بن سلطان القارى ، إذ يقول: « والعجب من البيضاوى ـ مع أنه من أئمة أهل السنّة ـ تبعه (يعنى : الزمخشرى) ،فى هذه القضية ، كما بيّنتُه فى تخريج قراءاته من تفسيره بالحاشية

(١) أنظر امثله هذا فى النشر لابن الجزرى ج ١ ص ١٠

(٢) سورة يوسف / ٣١

(٣) أنظر : الزركشى : البرهان ج ١ ص ٣٢١ و ٣٢٢

(٤) أنظر : ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ١٠ و ١١

المستقلة ، وأوضحت فيه من تقصيره وتغييره ، وتقصان فى تعبيره »[1] .

* * *

وعلى ذكر الاعتماد على القياس فى أمور الدين ، نشير هنا إلى عبارة لأبي حيان التوحيدى فى هذا الشأن ، يقول : « وما أحوج الناظر فى الدين إلى حسن الظنّ واليقين ، وإلى متن متين فيه ، فإنه متى حاول معرفة كلّ شئ بالرأى والقياس كلّ وملّ ، ومتى استرسل مع كلّ شئ زلّ وضلّ »[2] .

(د) وورد عن بعض المشتغلين بالقرآن ما يستفاد منه أن القراءات متفاوتة القدر ، كأنها ليست نقلا خالصا ، وأن إحداها أحبّ إليهم من غيرها[3] ، وأن لكل قراءة خصيصة مرجعها صاحب القراءة :

روى ابن الجزرى عن أحد من ترجم لهم من القراء ، وهو أبو العباس الطنافسىّ البغدادىّ أنه قال : « من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبي عمرو ، ومن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير ، ومن أراد أفصح القراءات فعليه بقراءة عاصم ، ومن أراد أغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر ، ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة ، ومن أراد أظرف القراءات فعليه بقراءة الكسائى ، ومن أراد السّنّة فعليه بقراءة نافع »[4] .

ويستفاد من هذا القول الخطير أن قراءة أحسن من قراءة ، وأن قراءة هى الأصل وغيرها ليس أصلا ، وأن قراءة أفصح وأخرى فصيحة ، وقراءة

(١) شرح العقيلة ص ٦ و ٧ من المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .
(٢) البصائر والذخائر المجلد ١ ص ٩٨
(٣) أنظر على سبيل المثال : الفراء : معانى القرآن ج ١ ص ١٤٣ ، عند الكلام عن قوله تعالى : « لا يحزُنهم الفزع الأكبر » (سورة الأنبياء / ١٠٣)
(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٧٥

غريبة وغيرها أقل غرابة أو ليست غريبة ، وقراءة هى الأثر وما عداها ليس أثرا ، وقراءة هى أظرف من قراءة ، وقراءة هى السنّة وغيرها دونها سنّية .

وعندنا أنه ما كان يحقّ للطنافسى أن يقول ما قال ، فالقراءات — لا بدّ — توقيفية ، وليست اختيارية ، وإلاّ وجد الشكّ والوهمُ سبيليهما إلى آى الكتاب .

والعجيب أنّ مكّىّ بن أبى طالب ينهج نفس ذلك النهج ، فيقول : « وأصحّ القراءات سندا : نافع ، وعاصم ، وأفصحها : أبو عمرو ، والكسائى »[1] .

وحتى الطبرى المفسّر يفاضل — أحيانا ، وعلى نحو ما — بين القراءات مفاضلة نسوق هنا لها الأمثلة :

١ — فهو فى تفسير قوله تعالى : « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ، وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ »[2] يتكلم عن كيف قرئت « وأرجلكم » منصوبة وبالخفض ، ثم يقول : « غير أن ذلك وإن كان كذلك ، وكانت القراءتان كلتاهما حسناً صواباً فأعجب القراءتين إلىّ أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضا »[3] .

٢ — وفى قوله تعالى : « وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ »[4] ، يقول الطبرى بعد الكلام عن خفض « الأنصار » ورفعها : « والقراءة التى لا أستجيز غيرها : الخفض

(١) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ٢٦
(٢) سورة المائدة / ٦
(٣) جامع البيان ج ٦ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤
(٤) سورة التوبة / ١٠٠

في (الأنصار) »(١) .

٣ — وفي قوله تعالى : « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ... »(٢) ذكر الطبري أن فعل « أسّس » بُني للمجهول في المرتين كلتيهما في قراءة ، وبُني للمعلوم في قراءة أخرى ، ثم قال : وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى « مَنْ » — إذ كان « مَنْ » المؤسّس — أعجب إليّ »(٣) .

٤ — وفي قوله تعالى : « قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ »(٤) ، قال الطبري : إنّ أولى القراءتين عنده بالصواب قراءة « فعُمِّيت » بضم العين وتشديد الميم(٥) .

٥ — وكذلك وصف الطبري قراءة من قرأ : « ماذا ترى » بفتح التاء في قوله تعالى : « فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ »(٦) ، بأنها أيضاً أولى القراءتين بالصواب(٧) .

(١) جامع البيان ج ١١ ص ٧
(٢) سورة التوبة / ١٠٩
(٣) جامع البيان ج ١١ ص ٢٤
(٤) سورة هود / ٢٨
(٥) جامع البيان ج ١٢ ص ١٨
(٦) سورة الصافات / ١٠٢
(٧) جامع البيان ج ٢٣ ص ٥٠

٦ — وفي قوله تعالى : « مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ »(١) ، ذكر الطبري أنه يصحّ قراءتين يجب أن لا يعدوهما قارئ(٢) .

* * *

والظن أن لو أطعنا الطبري في هذه المفاضلات لكنّا ممن يُعْمِل الاجتهاد في القرآن ، وهو مالا يجوز فيه الاجتهاد .

والقرآن — بلا ريب — أجلّ وأخطر من أن يقرأه مسلم برأيه المجرّد .

والقراءة — كما يقرر المسلمون ، وكما ذكرنا قبلا — سنّة متّبعة(٣) .

وقد كان رؤساء الصحابة ينكرون تفضيل قراءة على قراءة من أيّ وجه(٤) .

وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب « اليواقيت » عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أُفَضِّل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجتُ إلى كلام الناس فضّلتُ الأقوى(٥) .

وقال أبو جعفر النحاس : « السّلامة عند أهل الدين — إذا صحت القراءتان — أن لا يقال : إحداهما أجود ، لأنهما جميعاً عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيأثم من قال ذلك »(٦) .

وقال أيضاً — وقد حكى اختلافهم في ترجيح « فكّ رقبة » في سورة

(١) سورة الحجر / ٨
(٢) جامع البيان ج ٣٠ ص ٢١٩
(٣) أنظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٢١و٣٢٢
(٤) انظر : السيوطي : الاتقان ج ١ ص ٨٣
(٥) نفس المرجع
(٦) نفس المرجع

«البلد» بالمصدرية والفعلية — : « والديانة تحظر الطعن على القراءة التى قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبى — صلى الله عليه وسلم — . . »[١] .

وقد رُوى عن صالح بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه : أىّ القراءات أحبّ إليك ؟ قال : قراءة نافع . قال صالح : فإن لم توجد ؟ قال : قراءة عاصم[٢] . بيد أن التعبير الخليق — فى ظننا — بأحمد بن حنبل هو ما ورد فى رواية أخرى من أنه أجاب فى شأن عاصم : « أهل الكوفة يختارون قراءته وأنا أختارها »[٣] .

* * *

وقد قيل ، فى باب من أبواب اختلاف القراءات من حيث قراءة الضمير للغيبة عند قارئ وقراءته للخطاب عند قارئ آخر : إذا أقرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء لم يكن واحد منهما خارجاً عن المصحف[٤] . يقول ابن تيمية ، وهو المجتهد المتحرر غالباً ، يقول فى تأييد ما ذكرنا : «ومما يوضح ذلك : أنهم يتفقون فى بعض المواضع على ياء أو تاء ، ويتنوعون فى بعض ، كما اتفقوا فى قوله تعالى : « وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » فى موضع ، وتنوعوا فى موضعين »[٥] .

* * *

(١) انظر : الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣٣٩و٣٤٠

(٢) السيوطى : المرجع السابق

(٣) انظر : أبو شامة : إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ٦

(٤) ابن تيمية : فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبع ص ٥٥

(٥) نفس المرجع ص ٥٦

والمسلمون — منذ كانوا — يمنعون عن قراءة وسماع ما لم تُعلم قرآنيته ، وما لم يُنقل متواترا عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإذا عاشت رواية قرآنية ولم ينكرها أحدٌ من المسلمين فلأنها مما ثبت أمام القواعد التى تقرر لإحدى الآيات قرآنيتها وتواترها ، ولا تقرر لكلام آخر القرآنيةَ والتواتر .

* * *

ومع ذلك فما زال بعض الناس يطرحون المبالاة بهذا الحق الواضح ، ففى شرح كتاب « كنز العرفان فى فقه القرآن لجمال الدين المقداد بن عبد الله السيورى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ »[١] ، يقول الشارح[٢] بأن : « القراءات غير متواترة ، بل إنما هى اجتهاد من القراء ، أو نقل آحاد لم يثبت عن النبى ، صلى الله عليه وسلم »[٣] ، وهو قول ينقضه تماما ما ذكرناه .

— ١٠ —

ويعزو « طه حسين » القراءات إلى القراء من القبائل . يقول فى كتابه : « فى الأدب الجاهلى » :

« إن القرآن الذى تُلى بلغةٍ واحدة ولهجة واحدة هى لغة قريش ولهجتها لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته ، وتعددت اللهجات فيه ، وتباينت تبايناً كثيراً جدّ القراء والعلماء المتأخرون فى ضبطه وتحقيقه ، فأقاموا له علما أو علوما خاصة »[٤] .

فهو يرى أن القراءات ليس سببها أن القرآن هكذا أنزل ، أو هكذا أذن الله فى أن يُقرأ ، أو هكذا قرأه النبى .

(١) مطبوع بطهران سنة ١٣٨٤ هـ

(٢) واسمه محمد باقر شريف زاده

(٣) جـ ١ ص ٤٤

(٤) فى الأدب الجاهلى ص ٩٨

(ا) وهو رأى يقتضى الشك فى أن تكون قراءتنا هى نفس قراءة النبى . وإذا كان النبى — طبقا لهذا الرأى — لم يقرأ إلا بقراءة واحدة ، ولم يجز القراءة بغيرها ، فهل قراءته هذه ، هى التى قرأ بهـا — فيما بعدُ — نافع وراوياه الأشهران ، أم هل هى قراءة ابن كثير وراوييه المختارين ؟ ومَنْ مِنَ القراء العشرة ورواتهم الذين اعتمدهم المسلمون قرأ بهذه القراءة الواحدة ؟

(ب) وإذا سلّمنا — جدلاً فقط — بأنّ اختلاف الإظهار والإدغام والرَّوْم والإشمام ، والتفخيم والترقيق ، والمدّ والقصر ، والإمالة والفتح ، والتحقيق والتسهيل ، والإبدال والنقل مما يعبّر عنه بالأصول . . . إذا سلّمنا جدلاً — بأنّ الوحى لم ينزل بهذا ، فماذا نقول فى اختلاف ضبط الحركات سواء أكانت حركات بِنْيَة أم حركات إعراب؟ هل نقول إن اختـلاف اللهجات هو سبب اختـلاف القراء فى مثل نصب « الطـير » فى الآية : « يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَالطَّيْرَ »(١) ورفعها ؟

وماذا نقول فى اختلافات فى القراءة تقع فى حروف الـكلمات دون إعرابها مما يغيّر معناها ولا يغيّر صورتها ، نحو قوله : « كَيْفَ نُنشِزُهَا » و« نَنْشُرَهَا » بالراء(٢) ومثل « إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا » و « فَتَثَبَّتُوا »(٣) ، و « تَبْلُوا(٤) » و تَتْلُو ، و « نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ(٥) » ونُنَحِّيكَ ، وقوله : « وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا »(٦) بالتشديد والتخفيف ، وقوله : « وَإِنْ

(١) سورة سبأ / ١٠
(٢) سورة البقرة / ٢٥٩
(٣) سورة الحجرات / ٦
(٤) سورة يونس / من الآية ٣٠
(٥) سورة يونس / ٩٢
(٦) سورة يوسف / ١١٠

كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ »(١) بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر الأولى وفتح الثانية ، وقوله : « لَقَدْ عَلِمْتَ »(٢) بضمّ التاء وفتحها. فهل تنشأ مثل هذه الإختلافات عن تعدّد اللهجات وتباينها ؟

(حـ) والقوانين الطبيعية العامة التى تجعل اللغة تتجه فى تطورها الصوتى عند كلّ جماعة من الجماعات الناطقة بها وجْهة خاصة ، والتى كانت على عهد نزول القرآن قد أحدثت اختلاف اللهجات بين القبائل العربية ... هذه القوانين ما انفكت تعمل عملها فى اللغات الإنسانية ، فهى — فى اللغة العربية — مابرحت تولّد اللهجات المتباينة بين الناطقين بها. وهو تباين نلمسه جيدا فى عامية مصر ، وعامية نجد والحجاز ، وعامية العراق ، وعامية اليمن وعامية المغرب .

وإذا كان تعدّد اللهجات سوّغ قديماً لقراء القبائل المختلفة أن يكثروا من قراءات القرآن بما يوافق لهجاتهم ، وأن يَدَعُوا هذه اللهجات تتعدّد فى القرآن ، وهذا كلّه من تلقاء أنفسهم ، وليس بتوجيه من النبيّ ، فإنه لا حرج إذن — فى ظلّ هذا المذهب الظاهر الفساد — من أن تمضى قراءات القرآن فى الكثرة ، ولهجاته فى التعدد ، فمثلا ، لا حرج — فى ظل هذا المذهب — وقد تحوّلت الثاء إلى تاء ، وأحيانا إلى سين فى بعض المناطق العربية ، وتحولت القاف إلى جيم غير معطّشة فى بعض هذه المناطق ، وإلى همزة فى مناطق أخرى ، وتحوّلت الذال إلى زاى ، وتضاءلت أصوات اللين الطويلة حتى كادت تنقرض(٣)... لا حرج من أن يقرأ القارئ : إنّ الله لا يظلم

(١) سورة إبراهيم / ٤٦
(٢) سورة الأنبياء / ٦٥
(٣) أنظر : على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ٢٦٤ — ٣٠٠

(مثآل) أو (مسآل) أو (مسجال) زرّة، بدلا من قوله. «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»[1]، ويقرأ: «فإنْ لم يكن لو ولد، وورثه أبو به فلأمه الثلث»، ويقرأ: «فإن كانوا أكثر من زالك فهم شركه فى الثلث»، بدلا من قوله تعالى: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ»..
وقوله «فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ»[2].
ويقرأ: فإن أعرضوا «فَجُلْ» أو «فاول» أنزرتكم «صعأة» أو «صعجة» مثل «صعأة» أو «صعجة» عاد وثمود، بدلا من قوله سبحانه: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ»[3].

ومن أسهل السهل أن نورد من هذا القبيل مئات من الأمثلة أو ألوفها، ولكننا نجتزىء بما ذكرنا لكفايته فى إثبات أن ترك القرآن للناس يقرأونه بما يشتهون من قراءات وما يؤثرون من لهجات — كما ظن طه حسين — هو، فى كلمة موجزة، إلغاء للقرآن.

* * *

ولطه حسين — فى شأن القراءات — رأى ثان، فهو يقول:

«وهنا وقفة لا بدّ منها، ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أنّ هذه القراءات السبع متواترة عن النبيّ، نزل بها جبريل على قلبه، فمنكرها كافر من غير شك ولا ريبة، ولم يُوَفَّقوا إلى دليل يستدلّون به على ما يقولون

(١) سورة النساء / ٤٠
(٢) سورة النساء / ١١و١٢
(٣) سورة فصّلت / ١٣

سوى ما رُوِى فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم: «أُنزل القرآنُ على سبعة أحرف»[1].

ويمضى فيقول:

«والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحى فى قليل ولا كثير، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا مغتمزاً فى دينه، وإنما هى قراءات مصدرها اللهجات واختلافها.. للناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها... وقد جادلوا فيها بالفعل وتماروا، وخطأ فيها بعضهم بعضا، ولم نعرف أنّ أحداً من المسلمين كفّر أحداً لشىء من هذا... الخ»[2].

وطه حسين — فى ارتيابه فى الأحاديث الصحيحة — إنما يتابع غالبا، ولو لم يصرح، تيودور نولدكه صاحب كتاب «تاريخ القرآن»[3] الذى سبق إلى مثل هذا الإرتياب فى أكثر ما يتعلق بتاريخ القرآن من الروايات والأحاديث وأقوال المفسّرين.

ولسنا مع طه حسين ولا مع نولدكه فى عدم الإعتداد بالسّنّة الصحيحة فى الإستدلال على قرآنية القراءات، فالحديث النبوى — إذا صحّ — هو عند المسلمين حجّتهم القاطعة بعد القرآن[4].

ومع هذا، فنحن نناقش تلك الدعاوى أيضاً عن غير طريق السّنّة:

١ — إنه ما دام أمر القراءات — بحسب قول طه حسين — أمراً نجوز فيه المجادلة والإنكار والقبول والرفض، فإنّ من المنطق أن نجوز فيه الإضافة

(١) فى الأدب الجاهلى ص ٩٨و٩٩
(٢) نفس الكتاب ص ٩٩
(٣) Geschichte des Qorans (Gottingen 1860)
(٤) أنظر فى أهمية السّنّة: مصطفى السباعى: السّنّة ومكانتها فى التشريع الاسلامى.

والإستحداث . ولماذا لا يقرأ كلّ مسلم القرآن بلهجته الخاصة على النمط الذى أشرنا إليه فى فقرات سابقة ؟ ولماذا لا يقرأ أبناء البلاد الآسيوية والإفريقية القرآن بلهجاتهم ؟ ولماذا لا يقرأ المسلمون : الأمريكى والأوروبى والأسترالى كل منهم بلهجته ؟ هذه نتيجة خاطئة لمقدمة خاطئة . وقد سقنا الشواهد آنفا على أنّ البشر إذ يُدْخلون اللّهجات من عندهم فى القرآن يلغونه إلغاء ، فضلا عن أن يبدّلوه تبديلا .

٢ — ثم إنه يلزم من إنكار قرآنية القراءات أن يكون رواتها وعلماؤها — منذ فجر الإسلام — جهلة وحمقى ، أو كذابين ومجترئين ، لا يرعون لكتابهم الأكبر حرمة ، بل يتواطئون ضده ، على مدى الأزمان ، بأعدادهم التى لا تحصى . ويلزم أيضاً أن تكون الأمة ، منذ عهد النبى إلى يومنا هذا ، تابعت أناساً فيما جاءوا به من عند أنفسهم ، ولم يتابعوا كلام السماء .

٣ — فأما قول طه حسين إنه لم يعرف أنّ أحداً من المسلمين كفّر أحداً لشىء من المجادلة فى القراءات ، وإنكار بعضها ، وقبول بعضها ، فيردّه الكثير مما جاء فى كتب علوم القرآن وكتب السّنة والتاريخ والتراجم والأدب .

(ا) فى لفظ لعمرو بن العاص فى حديث الأحرف السبعة التى نزل القرآن عليها : « فأىّ ذلك قرأتم فقد أصبتم ، ولا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر » ، رواه ، أو روى مثله أحمد ، وأبو عبيد ، والطبرى ، والطبرانى ، وابن حبان ، والحاكم(١) .

(ب) ويقول القاضى عياض : « واعلم أنّ من استخفّ بالقرآن أو المصحف أو بشىء منه أو سبّهما ، أو جحده أو حرفا منه أو آية . . . أو شكّ فى شىء

(١) انظر : المناوى : فيض القدير ج ٤ ص ٥٣٦ . ورواية أحمد فى مسنده : « . . . فإنّ مراءً فيه كفر » .

من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع »(١) .

(ج) ويروى عياض ما قاله أبو عثمان الحدّاد من أن جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف من التنزيل كفر(٢) .

(د) وكان أبو العالية أحد أئمة القراءات إذا قرأ عنده رجل — أى بقراءة لم يعرفها — لم يقل له : ليس كما قرأت ، ويقول : أما أنا فأقرأ كذا . وهذا — كما يقول على القارى — « من كمال احتياطه فى تورّعه »(٣) .

ويقول على القارى : « فبلغ ذلك القولُ من أبى العالية ابراهيم النخعى أو التيمى ، فقال : أُراه — بضم الهمزة — أى أظنه سمع أنّ من كفر بحرف منه فقد كفر به كلّه ، لأنّ الكفر ببعضه يؤذن بالكفر بكله ، بخلاف الإيمان ببعضه ، فإنه لا يقوم مقام الإيمان بكلّه »(٤) .

(هـ) ويقول الطحاوى : « إنّ من كفر بحرف منه — فيما خلا روايات الآحاد — كان كافراً حلالَ الدّم إن لم يرجع إلى ما عليه الجماعة »(٥) .

(و) وقد أصدر شيخ الشافعية أبو الحسن على بن عبد الكافى ، فى هذا الشأن فتوى يقول فيها :

« القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى ، والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر ، وقراءة يعقوب ، وقراءة خلف : متواترة ، معلومة من الدين بالضرورة ، وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ٢٦٣

(٢) نفس المرجع ص ٢٦٤

(٣) شرح الشفا ج ٢ ص ٤٥٢ (ط . تركيا ١٣١٠)

(٤) نفس المرجع

(٥) مشكل الآثار ج ٤ ص ١٩٤

أنه منزل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يكابر فى شىء من ذلك إلا جاهل ، وليس تواتر شىء منها مقصورا على من قرأ بالروايات ، بل هى متواترة عند كلّ مسلم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، ولو كان — مع ذلك — عاميًا جلفا لا يحفظ من القرآن حرفا . ولهذا تقرير طويل ، وبرهان عريض لا يسع هذه الورقة شرحه . وحظّ كلّ مسلم وحقه أن يدين الله تعالى ، ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين ، لا تتطرق الظنون ولا الإرتياب إلى شىء منه »[1] .

(ز) وعندما قرأ ابن شنبوذ وابن مقسم العطار وغيرهما بشواذّ من القراءات غضب المسلمون ، وأزْرَوْا بهم على التفاصيل التى سنبسطها فى فصل آخر .

(ح) هذا والمسلمون لا يزالون ينكرون — مثل ما أنكر أولُوهُم — على المارين فى قرآنية القراءات المتواترة وغير الشاذة . وقد وضع أحد شيوخ المقارئ عندنا[2] كتاباً فى هذا أسماه : « السيوف الساحقة فى الردّ على منكرى القراءات من الزنادقة » .

(ط) والذين رووا القراءات هم الصحابة الذين تلقّوا القرآن عن النبى نفسه ، فهم — بهاتين الصفتين : الصحبة ، والتلقّى عن النبى — من أصحاب الإختصاص فى ذلك الشأن ، وقولهم هو — منطقيا — الأجدر بالقبول . يقول عمر بن الخطاب فى أصحاب النبى : « إنه سيأتى ناس يجادلونكم شبهات القرآن ، فخذوهم بالسّنن ، فإنّ أصحاب السنن أعلم بكتاب الله »[3] .

(١) أنظر : ابن الجزرى : كتاب النشر ج ١ ص ٤٦

(٢) خلف الحسينى الحداد

(٣) الدارمى — المقدمة ، الباب ١٦

(ى) والصحابة نقلوا الإسلام : عقائده وشرائعه ، فلم يمار أحدٌ فيما نقلوا ، فلِمَ نماريهم فى روايات القرآن التى تقتضينا البداهة الحكم بأنه ظفر منهم قطعاً بأدقّ دقة .

(ك) ولن يُقال إنه لا محلّ للخوف من مثل أقوال طه حسين ، إذا كان الإختلاف الذى يعنيه هو الإختلاف فى الصورة والشكل لا فى المادة واللفظ ، كما قال طه حسين نفسه[1] ، ذلك أن الإختلاف حتى فى الصورة أو فى الشكل يُفضى إلى تغيير المعانى . وقد ترتّب على مثل هذا الإختلاف اختلاف فى الأحكام ، كما حدث بالنسبة لكلمة « لَمَسْتُمْ »[2] ، من غير ألف بعد اللام مرة ، وبألف بعد اللام مرة أخرى[3] وكلمة « يَطْهُرْنَ »[4] مرة بسكون الطاء المخففة وضم الهاء ، ومرّة أخرى بفتح الطاء مشدّدة وتشديد الهاء مفتوحة[5] ، وكلمة « ألا » بالتخفيف والتشديد فى آية : « أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ »[6] ، وكلمة « أمرنا »

(١) أنظر : الأدب الجاهلى ص ٩٩

(٢) سورة النساء / ضمن الآية ٤٣

(٣) بى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة فى « لمستم » و « لامستم » (أنظر مثلا : الطبرى : جامع البيان ج ٥ ص ٢٢٣)

(٤) سورة البقرة / ضمن الآية ٢٢٢

(٥) القراءة الأولى قراءة نافع وأبى عمرو ، وهى تعنى أن ينقطع عنهن الدم ، والثانية قراءة حمزة والكسائى ، وهى تعنى أن يغتسلن بالماء (الفرّاء : معانى القراءات ج ١ ص ١٤٣ . وانظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٨٨)
والرأى الثانى رأى الشافعى ومن وافقه .

(٦) سورة النمل / ٢٥
والتخفيف قراءة الكسائى ، ورويس ، وأبى جعفر ، وَوُجِّهَ بأن « ألا » للإستفتاح ، والباقون بتشديد اللام (الدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٣٣٦)

في قوله تعالى : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا »[1] بفتح الميم وتشديدها ، ومع الفتح المخفف مرة أخرى ، وهي في الحالة الثانية بمعنى جعلنا لهم إمرة وسلطاناً[2] .

(ل) ويستوى عندنا فى الرفض أن يكون المقصود بالإنكار والنسبة إلى العباد هو الأحرف السبعة التى أنزل القرآن عليها ، والتى كانت ضرورتها قد زالت عند الجمع العثمانى ، أو يكون المقصود هو القراءات السبع أو العشر التى اختيرت فيما بعد عهد النبى وعُرفت بأسماء مختاريها ، والتى تطابق رسم المصحف ، فإنّ أصول الخلاف اليسير فى هذه القراءات الأخيرة ترجع – على الأغلب – إلى اختلاف الأحرف السبعة . وإن لهذا تفاصيل فى مواضع أخرى من هذا البحث[3] .

* * *

هذا ، وطه حسين فى بعض آرائه تلك – ولو لم يصرّح أيضاً – متأثر بابن جرير الطبرى الذى يرى أن المماراة فى رفع حرف من القرآن وجرّه ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى آخر ، مع اتفاق الصورة لا توجب كفرا[4] .

---

(1) سورة الإسراء / 16

(2) قال الكسائى : ويحتمل أن « أمرنا » بالتخفيف غير ممدودة ، بمعنى أمّرنا بالتشديد من الإمارة (أنظر : ابو عبيد البكرى : التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ص 42)

(3) يقول ابن حزم ، فى الرد على من قال إن عثمان أبطل ستة أحرف من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها :
« فقد كذب من قال ذلك : ولو فعل عثمان ذلك او أراده لخرج من الإسلام . . . بل الأحرف السبعة كلها موجودة عندنا قائمة ، كما كانت مبثوثة فى القراءات المشهورة المأثورة » (الفصل فى الملل والنحل ج 2 ص 77 ، 78)

(4) أنظر : القاسمى : محاسن التأويل ج 1 ص 294

وعند « جواد على » أن اختلاف القراءات لا يرجع إلى الأسباب المألوفة المتواترة ، وإنما يرجع إلى أسباب أهمّها : « مسائل ظهرت بعد نزول الوحى من خاصّية الخط الذى دُوّن به القرآن الكريم ، فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابه ، والمميّز فيها هو النقط ، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحى بأمد ، ثم إن هذا القلم كان خاليا فى بادئ أمره من الحركات ، وخلوّ الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة فى الضبط من حيث إخراج الكلمة ، أى كيفية النطق بها ، ومن حيث مواقع الكلام فى الإعراب »[1] .

وأحال « جواد على » إلى الشواهد التى أوردها جولد تسيهر فى كتابه « المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن » ، والتى يعدّها الإثنان أمثلة للإختلاف الحادث من الخطأ ، ومنها :

(ا) « تستكبرون » بالباء الموحدة ، و « تستكثرون » بالثاء المثلثة فى الآية : « وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ »[2] .

(ب) « بشرا » أو « نشرا » فى الآية : « وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ »[3] .

---

(1) لهجات القرآن الكريم — بحث فى مجلة المجمع العلمى العراقى — المجلد الثالث الجزء الثانى 89
ومثل قول جواد علىّ قول صاحب كتاب « الفرقان » إذ يقرر انّ اختلاف الرسم ادى إلى اختلاف القراء — ص 122و123

(2) سورة الأعراف / 48
وقراءة : « تستكثرون » من القراءات الشاذة المردودة .

(3) سورة الأعراف / 57

(ج) « إياه » فى الآية : « وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ »[1] ، إذ وردت أيضاً « أباه » بالباء الموحدة[2] .

ورأى جواد على ــ ولو لم يصرّح هو الآخر ــ هو رأى المستشرقَيْن المعروفَيْن جولد تسيهر ونولدكه الوارد ذكرها آنفا[3] ، فهما ــ فيما استفاض عنهما ، وفيما أوردا فى كتابيهما ــ يريان أن القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط ، أى بعد انقضاء عهد الصحابة ، وأنّ المرحلة الأولى لتفسير القرآن انقضت فى إقامة النصّ .

وهذا نص كلام أحد هذين المستشرقين ، وهو جولد تسيهر فى هذا الشأن ، لنرى أنه أصل كلام جواد على :

يقول جولد تسيهر :

« وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات (يقصد فى القراءات) إلى خصوصية الخط العربى الذى يقوم هيكله المرسوم على مقادير صوتية مختلفة ، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد

= و « بُشرا » لعاصم و « نَشْراً » لحمزة والكسائى وخلف .
وقد قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب : « نُشُرا » . اما ابن عامر فيقرأها : « نُشْرا » . (أنظر : ابن الجزرى : النشر ج٢ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ ، والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٦)

(١) سورة التوبة / ١١٤

(٢) قراءة شاذة مردودة .

(٣) كتب نولدكه كتابه « تاريخ القرآن » الذى اشرنا إليه قبلا فى ردّنا على طه حسين . ويصف جولدتسيهر هذا الكتاب « بأنه أصيل وبكر » ويلقّب مؤلفه بـ « زعيمنا الكبير » (انظر : مذاهب التفسير الإسلامى ــ الترجمة العربية ــ ص ٨ و ٩) وقد نال كتاب نولدكه جائزة اكاديمية النقوش الأثرية .

تلك النقاط ، بل كذلك فى حالة تساوى المقادير الصوتية يدعو إلى اختلاف الحركات الذى لا يوجد فى الكتابة العربية الأصلية ما يحدّده ، وإلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات فى المحصول الموحّد الغالب من الحروف الصّامتة ، كانا هما السبب فى نشأة حركة اختلاف القراءات فى نصّ لم يكن منقوطاً أصلاً ، أو لم تتحرّ الدقة فى نقطه أو تحريكه »[1] .

* * *

وهذا الرأى الذى سننقضه الآن هو ــ على الحقيقة ــ أقدم حتى من ذينكم المستشرقين :

فعلماء المسلمين منذ قديم ، وعلى مدى الأجيال ، وكما أوردنا قبلا ، يدفعون هذا الرأى ، ويحاجّون أصحابه ، ويؤكّدون أن ليس لأحد أن يقرأ برأيه المجرّد ، وأنّ القراءة سنّة متبعة . . . الخ[2] .

وقديما رأى ابن مقسم العطار جَعْل القراءة تابعة للرسم ، دون الاعتماد الكامل على السَّنَد ، فردّ المسلمون ــ فى شدّة ــ قراءته ، ولهذا مزيد بيان فى فصل تال .

وقيل إن بعض الرّافضة يقرأون : « وَمَا كُنْتُ مُتّخِذَ الْمُضِلَّيْنَ

(١) أنظر الكتاب السابق ص ٨ و ٩ .
ومما يذكر أن بعض الكتاب المحدثين غير جواد على ــ ادّعوا هذا الرأى لهم . وقد نشر عبد المتعال الصعيدى كلاما ، ككلام جولد تسيهر بعنوان : « سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات » فى مجلة الرسالة ع ٤٨٨ فى ٩ نوفمبر ١٩٤٢

(٢) أنظر مثلا : ابن تيمية : المرجع السابق ص ٥٥ و ٩٥

عَضُدًا »(١) بفتح اللام وبالسكون على الياء (فى : المضلين) ، يعنون الشيخين: أبا بكر وعمر ، وظاهرٌ أنّ الرّسم — قبل استحداث الشكل — يحتمل هذه القراءة ، ومع ذلك كُفِّرَ أصحابُها ، لسبب أساسى ، هو أنّ قراءتهم مخالفة للرواية الشفوية المتواترة(٢) .

وعلماء المسلمين يقولون إن إباحة القراءات لم تقع بالتَّشهّى ، وإنما هى بالسّماع من النبى(٣) .

وهم أيضاً يذكرون أن القراءات التى يُقرأ بها منذ الجمع العثمانى إنما اختلف القراء فيها لأن أهل كل ناحية ثبتوا على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة ، بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً للجمع العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون(٤) .

* * *

ولْنَدَعْ النصوص التى تفنّد فكرة أن القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط ، مع تسليمنا بأهمية النصوص ، ثم لنُلْقِ على هذه الفكرة نظرة موضوعية لنرى إلى أىّ مدى تستطيع الثبات :

(١) إنه يبعد — منطقيا — أن يُترك أمرُ القرآن — وهو ماهو بالنسبة للإسلام — إلى البشر يقرأونه بالإجتهاد لا بالتلقى ، فتتعرض نصوصه للإختلاف والتحريف .

---

(١) سورة الكهف / ٥١

(٢) أنظر : ابن الجزرى : منجد المقرئين ص ٢٣

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ٢٢

(٤) المرجع السابق ص ١٥

وإذا كان أصحاب الأفكار من النّاس — على مدى الزمن — يحرصون على التعبير عن أفكارهم بعباراتهم هم ، ولا يَدَعون لغيرهم التصرف فى هذه العبارات على أىّ نحو ، فكيف يسوغ فى القرآن أن يُترك للبشر قراءته بأوجهٍ لم يتلقَّوْها . . . أوجه هى من اختراعهم البشرىّ ، وهى وليدة فهمهم الذاتىّ ؟ هذا مع فارقين عظيمين جداً :

(أولهما) بعد ما بين الأفكار البشرية والقرآن الذى لا بدّ لأتباعه أن يؤمنوا بإعجازه وقداسته وخطر شأنه .

(وثانيهما) ولله المَثَلُ الأعلى ، تقارب القدرات بين الإنسان صاحب الفكرة والإنسان الآخر الذى قد يتصرف فى التعبير عنها . واللهُ الذى ليس كمثله شئ غنىّ عن كلّ خلقه أن يشاركوه — على ما يدركون أو ما يحبّون — فى تحديد ألفاظ وَحْيه .

(ب) ولو جاز للناس أن يغيروا شيئاً من القرآن عما تلقَّوْا من الرسول ، لأصبح بعض القرآن من كلامهم لا من كلام الله ، وإذن لبطلت صفته الإعجازية التى يؤمن بها المسلمون ، والتى طالما نوّهوا بها ، والتى لا تزال قائمة .

ويستوى فى إحداث التغيير أن يكون مما لا يتجاوز الصورة وطريقة الأداء وكيفية اللهجة ، أو أن يكون ممتداً إلى الحروف ، أو الكلمات ، أو الحركات .

وكيف يجتهد مسلم فى هذا القرآن اجتهاداً يؤدّى إلى تبديل شئ منه ، والتبديل لا يرغب فيه إلا كافر يعاديه الإسلام؟ كيف، ونبيّ الإسلام نفسه لا يملك أن يبدّل من القرآن شيئاً ، بل إنّ التبديل عنده أمر لو وقع لكان معصية عذابها هائل مخوف فى اليوم الآخر الخطير الشأن ، فضلا عن الحياة الدنيا ؟

« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ، قُلْ : مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ »(١) .

« تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ »(٢) .

يقول الشافعي : « إنّه لا ينسخ كتابَ الله إلا كتابُه ، كما كان المبتدئ لفرضه فهو المزيلُ المثبت لما شاء منه جلّ ثناؤه ، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه »(٣) .

(ج) والقرآن نفسه ندّد بما وقع للكتب الدينية الأخرى من تحريف وتبديل ، وعاب المحرّفين والمبدّلين :

« مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ »(٤) ،

« وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ »(٥)

(١) سورة يونس / ١٥ و ١٦
(٢) سورة الحاقة / ٤٣ — ٤٧
(٣) الرسالة ص ١٠٦ و ١٠٧
(٤) سورة النساء / ٤٦
(٥) سورة المائدة / ١٣

« وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ »(١)

« فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ »(٢)

« فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ »(٣)

فكيف يدع المسلمون الذرائع ليقع في القرآن نفسُ الذي عابه ؟

(د) والمسلمون — لسبب عقيديّ — هو إيمانهم بالقرآن الذي فيه : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(٤) ، وفيه : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ »(٥) لا يمكن عقلا أن يكونوا قد سمحوا بأيّ تغيير من عندهم في القرآن صغُر هذا التغيير أو كبُر .

(هـ) ثم هنالك حقيقة هامّة أغفلها ذلك الرأي ، وهي أنّ المسلمين لم يعتمدوا في نقل القرآن على خطّ المصاحف ، وإنما اعتمدوا على حفظ القلوب والصدور . وقد عُدّ ذلك من أشرف خصائصهم ، وجاء في صفتهم : « أناجيلهم في صدورهم » ، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلاّ في الكتب ، ولا يقرأونه كلّه إلاّ نظراً لا عن ظهر قلب . وروت السنّة أن الله قال لنبيّه : « إنما بعثتك لأبتليك ، وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتاباً

(١) سورة البقرة / ٧٥
(٢) سورة الأعراف / ١٦٢
(٣) سورة البقرة / ١٨١
(٤) سورة الحجر / ٩
(٥) سورة فصلت / ٤١ و ٤٢

لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان . . . الخ »[1] .

والأمثلة التى أوردها جولد تسيهر آنفا بدعوى أنها أمثلة للاختلاف الحادث عن الخط والتى أوضحنا فى الحواشى أن بعضها شاذّ ومردود ، وبعضها الآخر مبنىّ على تواتر الرواية لا على هيئة الرسم . . . هذه الأمثلة نفسها تؤيد عكس ماتوهمه جولد تسيهر والآخذون منه،تؤيد أن المعوّل – فى صحة القراءة – ليس أبداً على الخطّ ، وإنما على التواتر والتلقّى الشفهى .

(و) والاستقراء الموضوعى يؤدى إلينا أنه لم ينقل عَبْر القرون كتاب سماوىّ أو غير سماوىّ ، بالتواتر القطعىّ ، والإسناد الصحيح ، عن العدول الضابطين ،طبقةً بعد طبقة ، مثلما وقع للقرآن ، وقد تلقوه من النبى نفسه حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتا ولا حذفا .

كان النبى يصدع بأمر الله، فيبلغ القرآن للناس : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ »[2] ، وكان الصحابة – ومكانهم من العدالة والضبط والثقة معروفة – يسارعون إلى تلقّى القرآن وتجويده وحفظه وتتبّع وجوه قراءاته .

وإذن لم يكن ثمة محل – أمام التابعين وتابعيهم – للنظر فى قراءة القرآن بقراءات أخرى غير التى تلقّوها عن الصحابة ، وهى نفس ما تلقّاه هؤلاء عن النبى .

(ز) وقد ثبت أنه فى حياة النبى ، سمع عمر بن الخطاب واحداً من الصحابة

(١) أنظر : مسلم : الجامع الصحيح جـ ٨ ص ١٥٩ ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

(٢) سورة المائدة / ٦٧

هو هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يكن عمر يعرفها ، وأن أبىّ بن كعب سمع اثنين من المسلمين يقرآن سورة النحل بقراءة تخالف قراءة أبىّ ، وأن عبد الله بن مسعود سمع مسلما يقرأ قراءة تخالف قراءته ، وقد احتكم هؤلاء جميعا إلى الرسول ، فأقرّ كلاًّ منهم على قراءته ، وقال : إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسّر منه[1] . وقد ألمعنا قبلا إلى هذا الحديث .

وفى لفظ « مسلم » عن « أبىّ » : « أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان عند أضاة بنى غفار ، فأتاه جبريل .

فقال : إن الله يأمرك أن تُقرئ أمّتك القرآن على حرف .

فقال : سل الله معافاته ومعونته ، فإنّ أمتى لا تطيق ذلك .

ثم أتاه الثانية على حرفين ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الثالثة بثلاثة ، فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا »[2] .

وواضح أنّ هذا الإذن السماوىّ الذى تواترت أخباره هو أصل اختلاف القراءات ، وليس ينفيه أن يكون المسلمون – عند جمعهم القرآن على عهد عثمان – حكموا بالنسخ على الأحرف التى خلت منها العرضة الأخيرة ، حسبما أوضحنا فى حديثنا عن هذا الجمع .

(١) أنظر : الكرمانى : شرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ٢١٦ .

(٢) الجامع الصحيح جـ ٢ ص ٢٠٣و٢٠٤
ورواه أبو داود ، والترمذى ، وأحمد .

(ح) ويدلّ أيضاً على أنّ القراءات ليست مستنبطَةً من النقْط والشكْل، وإنما هى متلقّاة بالسّماع والمشافهة من النبى أن المسلمين يتفقون فى بعض مواضع القرآن على ياء أو تاء، ثم هم فى مواضع أخرى مماثلة لا يتفقون إلاّ على أحد هذين الحرفين. ونجتزئ فى سوْق الأمثلة بالآيات التالية:

«وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، فى سورة البقرة[1].

«هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، فى سورة يونس[2].

«لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، فى سورة القصص[3].

«وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى سورة يس[4].

«وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى سورة يس أيضاً[5].

«ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى سورة الزمر[6].

«وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى سورة فصلت[7].

«وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى سورة الزخرف[8].

هذه كلها متفق على أنها بالخطاب؛ بينما اختلفوا فى:

(١) الآية ٢٤٥
(٢) الآية ٥٦
(٣) الآية ٨٨
(٤) الآية ٢٢
(٥) الآية ٨٣
(٦) الآية ٤٤
(٧) الآية ٢١
(٨) الآية ٨٥

«ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» فى سورة العنكبوت[1]، فقد قرأ شُعْبَةُ عن عاصم بالياء، وغيرُه بالتاء[2].

والآية «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى سورة الروم[3]، قرأها أبو عمرو، وشُعبة، ورَوْح بالياء، وغيرهم بالتاء[4].

وكذلك الآية: «ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» فى سورة الأنعام[5] والآية: «وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ» فى سورة مريم[6] متفقٌ على أنهما بالغيبة، بينما اختلف القراء فى آية: «طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» فى سورة آل عمران[7]، فإنّ حفصاً ويعقوب يقرآنها بالياء، وغيرهما بالتاء[8].

والآية: «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» فى سورة البقرة[9]، قرأها ابن كثير: «يعملون» بالياء[10].

(ط) وخطّ المصحف — حتى بعد الشكل والضبط اللذين يحتج بهما أصحاب ذلك الرأى — قد لا يطابق — فى بعض المواضع — القراءات. ومن الأمثلة التى يمكن الاجتزاء بها أيضاً فى هذا المقام المواضعُ التى يُرسم فيها الهمز المتطرف المرفوع واواً بعدها ألف، وهى:

(١) الآية ٥٧
(٢) أنظر مثلا: على الضّبّاع: إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ص ٤٣٠
(٣) الآية ١١
(٤) ابن الجزرى: النشر ج ٢ ص ٣٤٤
(٥) الآية ٣٦ (٦) الآية ٤٠
(٧) الآية ٨٣
(٨) ابن الجزرى: النشر ج ٢ ص ٢٤١
(٩) الآية ٧٤
(١٠) أنظر القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤٦٦

أَبْنَٰٓؤُا (أبناء)[١] — جَزَٰٓؤُا (جزاء)[٢] — شُرَكَٰٓؤُا (شركاء)[٣]

مَا نَشَٰٓؤُا (ما نشاء)[٤] — نَبَؤُا (نبأ)[٥] — الضُّعَفَٰٓؤُا (الضعفاء)[٦]

يَتَفَيَّؤُا (يتفيأ)[٧] — أَتَوَكَّؤُا (أتوكأ)[٨] — لَا تَظْمَؤُا (لا تظمأ)[٩]

الْمَلَؤُا (الملأ)[١٠] — وَيَدْرَؤُا (ويدرأ)[١١] — مَا يَعْبَؤُا (ما يعبأ)[١٢]

أَنبَٰٓؤُا (أنباء)[١٣] — عُلَمَٰٓؤُا (علماء)[١٤] — الْمَلَؤُا (الملأ)[١٥]

شُفَعَٰٓؤُا (شفعاء)[١٦] — يَبْدَؤُا (يبدأ)[١٧] — الْعُلَمَٰٓؤُا (العلماء)[١٨]

الْبَلَٰٓؤُا (البلاء)[١٩] — نَبَؤُا (نبأ)[٢٠] — جَزَٰٓؤُا (جزاء)[٢١]

(١) سورة المائدة — من الآية ١٨
(٢) سورة المائدة — من الآية ٣٣
(٣) سورة الأنعام — من الآية ٩٤
(٤) سورة هود — من الآية ٨٧
(٥) سورة إبراهيم — من الآية ٩
(٦) سورة إبراهيم — من الآية ٢١
(٧) سورة النحل — من الآية ٤٨
(٨) سورة طه — من الآية ٢٠
(٩) سورة طه — من الآية ١١٩
(١٠) سورة المؤمنون — من الآية ٢٤
(١١) سورة النور — من الآية ٨
(١٢) سورة الفرقان — من الآية ٧٧
(١٣) سورة الشعراء — من الآية ٦
(١٤) سورة الشعراء — من الآية ١٩٦
(١٥) سورة النمل — من الآيات ٢٩و٣٢و٣٨
(١٦) سورة الروم — من الآية ١٣
(١٧) سورة الروم — من الآية ٢٧
(١٨) سورة فاطر — من الآية ٣٧
(١٩) سورة الصافات — من الآية ١٠٦
(٢٠) سورة ص — من الآية ٢١
(٢١) سورة الشورى — من الآية ٤٠

يُنَشَّؤُا (ينشأ)[١] — بَلَٰٓؤُا (بلاء)[٢] — جَزَٰٓؤُا (جزاء)[٣]

بُرَءَٰٓؤُا (برآء)[٤] — نَبَؤُا (نبأ)[٥] — يُنَبَّؤُا (ينبأ)[٦]

وفى فصل آخر من هذا البحث عشرات أخرى من الكلمات القرآنية المرسومة على خلاف الخط الإملائى ، وليس فيها — مع ذلك — غير قراءة واحدة .

وقد يستعجلنا هنا بالمثل دارسٌ ، فنذكر له — على عجل — أنّ القراء السبعة أجمعوا فى سورة قريش على قراءة « إِۦلَٰفِهِمْ » بالياء ، مع كتابتها فى المصاحف العثمانية بلا ياء ، واختلفوا فى قراءة « لِإِيلَٰفِ » مع كتبها بالياء[٧].

وكذلك قد لا يدلّ رسم الكلمة على كل وجوه النطق بها ، فكلمة « جبريل » تقرأ بعدة وجوه[٨] :

١ — جِبريل ، بكسر الجيم ، وجَبريل ، بفتحها .

٢ — جَبْرَئِيل ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة ممدودة .

٣ — جَبْرَئِل ، بفتح الجيم والراء ، وبعدها همزة مكسورة غير ممدودة .

وكلمة « ميكال » ، قرئت[٩] :

١ — مِيكَال ، بلا همز .

(١) سورة الزخرف — من الآية ١٨
(٢) سورة الدخان — من الآية ٣٣
(٣) سورة الحشر — من الآية ١٧
(٤) سورة الممتحنة — من الآية ٤
(٥) سورة التغابن — من الآية ٥
(٦) سورة القيامة — من الآية ١٣
(٧) أنظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية ج ٢ ص ٨٦
(٨) أنظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير ج ٣ ص ١٩٦
(٩) نفس المرجع ج ٢ ص ١٩٨

٢ — مِيكَائِل ، بهمزة مكسورة ممدودة .

٣ — مِيكَاءِل ، بهمزة مكسورة غير ممدودة .

(ى) وثمة قراءات كثيرة لا يُقرأ بها أبدا ، مع أنّ الرسم يحتملها ، واللغة تجيزها(١) . ونحن نكتفى هنا بأمثلة لهذه القراءات :

١ — فى اللغة : خطِف يخطَف ، وخَطَف يخطِف ، ولكن القراء لم يقرءوا إلا : يخطَف وخطِف . قال أبو على الفارسى : « ولا نعلم أحداً قرأ الأخرى »(٢) .

٢ — والقراء الأربعة عشر مجمعون على ضمّ الميم فى كلمة « مُكْثٍ » فى قوله تعالى : « وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ »(٣) مع أن اللغة تجيز فى هذه الميم الضمّ والفتح والكسر(٤) .

٣ — والقراء أيضاً لا يقرأون كلمة « الرَّضاعة » فى القرآن إلاّ بالفتح ، مع أنه يجوز فيها — لغةً — الكسر أيضاً(٥) .

(ك) ومن ملزوم رأى القائلين بأنّ اختلاف القراءات هو وليد النَّقْط والشكل : أن يكون القرآن قد ظلّ طوال عهد النبى ، ثم طوال عهود الصَّحابة والتابعين غير محفوظ ولا مقطوع بكيفيات النطق به ، حتى إذا جاء النَّقْط

(١) أنظر عدداً طيبا من أمثلة هذه القراءات فى : عبد الفتاح إسماعيل شلبى : رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات ص ٣٣ — ٤٢

(٢) الحجة جـ ١ ص ٣٦٥

(٣) سورة الإسراء / ١٠٦

(٤) أنظر : ابن حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٦ ص ٨٨

(٥) أنظر : الفراء : معانى القرآن ص ١٤٩ .

والشكل بعد زمن الوحى بأمَدٍ — حسبما قالوا آنفا — بدأ الناس يقرأون القرآن على وفق ما يؤديه النقط والشكل إلى أفهامهم .

ولعلّ الرأى وملزومه أن يكونا واضحى البطلان ، وأن يكونا أضعف من أن يواجها الفهم المستقيم ، والحقيقة الغير القابلة للنقض ، فضلًا عما تهدى إليه بديهة العقل .

(ل) والمسلمون مجمعون على أنّ البشر لم يبدّلوا فى هذا القرآن ألبتة حتى من ناحية قانون أدائه . وإجماعُ المسلمين حجّة تقام لها الموازين . وكما يقول أبو حيّان التوحيدى : « والأمة المجتمعة حجة على من شذّ عنها(١) » .

(م) والثابت تاريخا أيضاً أن القراء المأخوذ برواياتهم كانوا لا يتعدّون الأثر ، مهما يكن مذهبهم النحوىّ ، أو مذهبهم فى فهم الكلام . وعلى سبيل المثال ، نذكر :

أن أبا عمرو البصرى كان يقول : « لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا وكذا »(٢) .

وحمزة لم يقرأ حرفا إلا بأثر(٣) .

ويحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠ هـ « كان له اختيار فى القراءة من طريق الآثار(٤) » .

والقاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ « وافق اختياره العربية والأثر »(٥) .

* * *

(١) البصائر والذخائر ، المجلد ١ ص ٥١٥و٥١٦

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٢٩٠

(٣) نفس المرجع جـ ١ ص ٢٦١

(٤) نفس المرجع جـ ٢ ص ٣٧٣

(٥) نفس المرجع جـ ٣ ص ١٨

لابدّ إذن من جمع صوتى للقراءات المجمع على قرآنيتهـا ، ورأس شروطها التواتر .

والتواتر هو — اصطلاحاً — توافر جمع من الناس يؤمن تواطؤهم على الكذب فى كل طبقة من طبقات الرواية ، أو هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يُتصوَّر تواطؤهم على الكذب[١] .

وقد توافر هذا الشرط — على مدى الزمن — بالنسبة للقراءات السبع ، والثلاث المتممة للعشر ، ورواياتها جميعا ، وذلك فى عدد من البلاد الإسلامية ، وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة (مصر) ، ولكننا — على الحقيقة — نتجاوز الواقع إن قلنا إن هذا التوافر متاح الآن فى كلٍّ من المجتمعات الإسلامية فى الأرض ، ذلك أن مجتمعات إسلامية كثيرة ليس فيها الآن المدد الكافى من الحفاظ ، وهؤلاء — على فرض وجودهم — لا يعرفون غالبا غير قراءة واحدة هى — على الأرجح — رواية حفص التى عليها مصاحف مصر ، وهى أكثر المصاحف الآن انتشارا[٢] .

(١) أنظر : على الجرجانى : التعريفات ص ٧٤

(٢) مما يساق فى التدليل على نقص العلم بالقراءات غير قراءة حفص ، حتى بين خاصة علماء الدين ، أن المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر من كبار رجال القضاء الشرعى وعالم الحديث المعروف أراد — فى مناسبة تصحيح كتاب « الرسالة » للشافعى — أن يضبط كل آيات القرآن التى يذكر الشافعى ، على قراءة ابن كثير التى ظنها قراءة الشافعى ، ولكنه أحجم عن ذلك ، ويعترف هو بالسبب فى صراحة مشكورة ، فيقول : « إذ كان شاقا علىّ عسيرا لأنى لم أدرس علم القراءات دراسة وافية ، والرواية أمانة يجب فيها التحرز والاحتياط » (هامش الرسالة للشافعى ص ١٥)

ولا بد أن الأمر كان سيكون أشق وأعسر لو أراد الشيخ الضبط على القراءة التى قيل إن الشافعى نفسه اختارها .

وهذا خطر نقف تلقاءه خائفين شاعرين بالتقصير والقصور .

يقول أبو محمد الجوينى : « تعلّم القرآن وتعليمه فرض كفاية لئلا ينقطع عدد التواتر فيه ، فلا يتطرق إليه تبديل وتحريف[١] » .

ويقول الزركشى : « وإذا لم يكن فى البلد أو القرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم[٢] » .

ويقول ابن حجر : « يتعين فى عدد التواتر المذكور أن يكونوا متفرقين فى بلاد الإسلام ، بحيث لو أراد أحد أن يغيّر أو يحرّف شيئا منعوه »[٣] .

ويعقّب « على القارى » على هذا ، فيقول : « وظاهر كلام الزركشى : أن كلّ بلد لابدّ فيه أن يكون من يتلو القرآن فى الجملة ، لأن تعلّم بعض القرآن فرض عين على الكلّ ، فإذا لم يوجد هناك أحد يقرأ أثموا جميعا ، وأيضا لا يحصل عدد التواتر إلاّ بما قاله الزركشى ، وإلا فكلّ أهل بلد يقول : ليس تعلّم القرآن فرضا علينا ، فينجرّ إلى فساد العالم »[٤] .

* * *

والحق أنّ ذلك الإعتبار البالغ الخطر كان من أسباب طموح صاحب مشروع المصحف المرتل إلى تعميم التواتر ، بالنسبة لكل القراءات والروايات المجمع عليها ، وذلك فى كل موطن إسلامى . وقد اتخذ صاحب المشروع إلى تحقيق هذا المطمح الكبير وسيلة المصاحف المرتلة التى يراعى — كما ذكر فى تخطيطه لتسجيلها — أن تكون من حيث الحفظ ، ودقّة الأداء ، ومراعاة

(١) أنظر : على القارى : مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح ج ٢ ص ٥٩٥

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

الأحكام ، وسلامة الصوت ، ممتازة أو فوق الممتازة ، وأن لا يترخّص فى ذلك بحال ، وأن يُنصّ — ولو فى محاضر تحفظ لدى الجهات القائمة على الجمع — على سند كل قارئ متصلا بأئمة روايته .

— ١٣ —

وبعد ، فقد دعا صاحب المشروع إلى أن يشمل الجمع الصوتى سائر القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، وبالفعل بدأ ـ فى فجر المشروع ـ التخطيط لتسجيل روايتين لكل من القراءات العشر ، على أن يُختار لكل رواية طريقان ، كلٌّ منهما من طريقين ، ويُختار للتسجيل أشهر الأوجه لكلّ طريقة ، على نحو ماورد « فى الشاطبية » وشروحها ، و « جامع البيان » لأبى عمرو الدانى[١] ، وعلى نحو ماورد فى « النشر » و « طيبة النشر » و « الدّرة المضيّة » لابن الجزرى ، وعلى نحو ماورد فى شروح هاتين الأخيرتين .

وهذا بيان الطرق التى اختارها للتسجيل ، وهى — فيما تفيد المراجع — من أشهر الطرق عند علماء القرآن . يقول أبو عمرو الدّانى — بعد أن ذكر هذه الروايات وطرقها — : « فهذه الروايات التى عدّتها أربعون رواية من الطرق التى جملتها مائة وستون طريقا هى التى أهل دهرنا عليها عاكفون ، وبها أئمتنا آخذون ، وإيّاها يصنّفون ، وعلى ماجاءت به يقولون »[٢] :

(١) أنظر مخطوطة منه برقم ٣ م قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(٢) المخطوطة السابقة ـ الورقة ٣

١ — قراءة نافع :

(ا) برواية قالون[١] .

من طريق : أبى نشيط ، من طريق : ابن بويان ، والقزاز

ثم من طريق : الحلوانى ، من طريق : ابن أبى مهران ، وجعفر بن محمد

(ب) برواية ورش[٢] :

من طريق : الأزرق ، من طريق : اسماعيل النحاس ، وابن سيف .

ثم من طريق : الأصبهانى ، من طريق : ابن جعفر ، والمطوعى .

٢ — قراءة ابن كثير[٣] :

(ا) برواية البزّى[٤] :

من طريق : أبى ربيعة ، من طريق : النقاش ، وابن بُنان

ثم من طريق : ابن الحباب ، من طريق : ابن صالح ، وعبدالواحد بن عمر

(ب) برواية قنبل[٥] :

من طريق : ابن مجاهد ، من طريق : السّامرى ، وصالح

ثم من طريق : ابن شنبوذ ، من طريق : أبى الفرج ، والشطوى

٣ — قراءة أبى عمرو[٦] :

(ا) برواية الدّورى[٧] :

(١) توفى بالمدينة سنة ١٦٩ ﻫ
(٢) توفى بالمدينة قريبا من سنة ٢٢٠ ﻫ
(٣) توفى بمكة سنة ١٢٠ ﻫ
(٤) توفى بمكة سنة ٢٤٠ ﻫ
(٥) توفى بمكة سنة ٢٨٠ ﻫ
(٦) توفى بالكوفة سنة ١٥٤ ﻫ
(٧) توفى فى حدود سنة ٢٥٠ ﻫ

من طريق : أبي الزعراء ، من طريق : ابن مجاهد ، والمعدل .

ثم من طريق : ابن فرح ، من طريق : ابن أبي بلال ، والمطوعى

(ب) برواية السّوسى[1] :

من طريق : ابن جرير ، من طريق : عبدالله بن الحسين ، وابن حبش

ثم من طريق : ابن جمهور ، من طريق : الشبباني ، والشنبوذى

٤ — قراءة ابن عامر[2] :

(ا) برواية ابن هشام[3]

من طريق : الحلواني ، من طريق : ابن عبدان ، والجمال

ثم من طريق : الداجوني ، من طريق : زيد بن على ، والشذائى

(ب) برواية ابن ذكوان[4] :

من طريق : الأخفش ، من طريق : النقاش ، وابن الأخرم

ثم من طريق : الصورى ، من طريق : الرملى ، والمطوعى

٥ — قراءة عاصم[5] :

(ا) برواية شعبة[6]

من طريق : يحيى بن آدم ، من طريق : شعيب ، وأبي حمدون

ثم من طريق : العليمى ، من طريق : ابن خليع ، والرّزاز

---

(١) توفى بخراسان سنة ٢٠٢ هـ

(٢) توفى بدمشق سنة ١١٨ هـ

(٣) توفى بدمشق سنة ٢٤٥ هـ

(٤) توفى بدمشق سنة ٢٤٢ هـ

(٥) توفى بالكوفة سنة ١٢٧ ، وقيل سنة ١٢٨ هـ

(٦) توفى بالكوفة سنة ١٩٤ هـ

(ب) برواية حفص[1] :

من طريق : عبيد بن الصّباح ، من طريق : أبي الحسن الهاشمى ، وأبي طاهر بن أبي هاشم .

ثم من طريق : عمرو بن الصّباح ، من طريق : الفيل ، وزرعان[2] .

٦ — قراءة حمزة[3] :

(ا) برواية خلف[4] :

من طرق : ابن عثمان ، وابن مقسم ، وابن صالح ، والمطوعى — عن إدريس .

(ب) برواية خلاد[5] :

من طرق : ابن شاذان ، وابن الهيثم ، والوزان ، والطلحى .

٧ — قراءة الكسائى[6] :

(ا) برواية أبي الحارث[7]

من طريق : محمد بن يحيى ، من طريق : البطّى ، والقنطرى .

ثم من طريق : سلمة بن عاصم ، من طريق : ثعلب ، وابن الفرح .

---

(١) توفى قريبا من سنة ١٩٠ هـ

(٢) بدىء بالتسجيل من طريق الفيل عن عمرو بن الصباح ، على ما أوضحه « المعدّل » فى كتابه « الروضة » ، وسترد ، بعد قليل ، تفاصيل فى هذا الشأن .
والمعدّل توفى بعيد العشرين وثلاثمائة . . وكان ثقة ضابطا إماما مشهورا (أنظر : ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ١٨٧)

(٣) توفى بحلوان بالعراق سنة ١٥٦ هـ

(٤) توفى ببغداد سنة ٢٢٩ هـ

(٥) توفى بالكوفة سنة ١٨٨ هـ وقيل ١٨٩ هـ

(٦) توفى برنبوية : قرية من قرى الرى سنة ١٨٩ هـ

(٧) توفى سنة ٢٤٠ هـ

(ب) برواية الدورى :

من طريق : جعفر النصيبي ، من طريق : الجلندا ، وابن ديزويه

ثم من طريق:أبي عثمان الضرير،من طريق : ابن هاشم،والشذائي.

٨ — قراءة أبي جعفر[1] :

(ا) برواية ابن وردان[2] :

من طريق:الفضل بن شاذان،من طريق :ابن شبيب،وابن هرون.

ثم من طريق : هبة الله بن جعفر ، من طريق : الحنبلي ، والحمامي

(ب) برواية ابن جماز[3] :

من طريق:أبي أيوب الهاشمي،من طريق :ابن رزين،والأزرق الجمال

ثم من طريق : الدورى ، من طريق : ابن النفاح ، وابن نهشل .

٩ — قراءة يعقوب الحضرمى[4] :

(ا) برواية رُوَيس[5] :

من طرق : النحاس ، وأبي الطيب ، وابن مقسم ، والجوهرى (عن التمّار) .

(ب) وبرواية رَوْح[6] :

من طريق : ابن دهب ، من طريق : المعدّل ، وحمزة بن على .

ثم من طريق:الزبيرى ، من طريق : غلام بن شنبوذ،وابن حبشان

---

(١) توفى سنة ١٣٠ هـ

(٢) توفى سنة ١٦٠ هـ

(٣) توفى بعيد سنة ١٧٠ هـ

(٤) توفى سنة ٢٠٥ هـ

(٥) توفى بالبصرة سنة ٢٣٨ هـ

(٦) توفى سنة ٢٣٤ أو ٢٣٥ هـ

١٠ — قراءة خلف البزار[1] :

(ا) برواية اسحق[2] :

من طريق : السوسنجردى ، وبكر بن شاذان

ثم من طريق : محمد بن اسحق نفسه ، والبرصاطى

(ب) وبرواية ادريس[3] :

من طرق : الشطى ، والمطوعى ، وابن بويان ، والقطيعى .

— ١٤ —

على أني لم أقف عند منع اختلاط الروايات بعضها ببعض ، بل أوجبتُ عدم التلفيق بين الطرق والأوجه أيضا ، وجعلت فى مخططات المشروع أن يلتزم تسجيل كل رواية الطريق والوجهَ المختارين من أول القرآن إلى آخره .

وقد أوضحت آنفا الروايات العشرين والطرق الثمانين المختارة للجمع الصوتى للقرآن .

وهذا أيضاً بعض تفصيل للأوجه التى أخترها لتسجيل كل من هذه الروايات من إحدى طرقها المشهورة . وآمل أن يكون هذا الإختيار — إن شاء الله — نبراساً لكل من يسجّل — فى مستقبل الأيام — الطرق والأوجه الأخرى لتلك الروايات[4] .

---

(١) توفى سنة ٢٢٩ هـ

(٢) توفى سنة ٢٨٦ هـ

(٣) توفى سنة ٢٩٢ هـ

(٤) فى هذه الإختيارات ، أفدت أيضا من خبرة الأستاذين: الشيخ محمد سليمان صالح ، والشيخ محمود حافظ برانق ، المدرسين بمعهد القراءات التابع للأزهر ، فأسجّل لهما الشكر هنا .

١ — قراءة نافع

(ا) برواية ورش من طريق الأزرق

١ — بين السورتين

تقرأ البسملة ، إلا فيما بين سورتى : « الأنفال » و « براءة » ، فلا تقرأ ، ويكون وقف .

٢ — البدل (فى مثل : آمنوا — إيمانا — أوتوا)

يراعى التوسط .

٣ — اللين (فى مثل : شىْء — سوْء)

يراعى التوسّط أيضاً ، إلا فى عين : « كهيعص »(١) و « عسق »(٢)

٤ — العارض للسكون (فى مثل : هَاد — قَدِيرٌ — غَفُورٌ)

يراعى التوسط

٥ — الهمزتان المفتوحتان فى كلمة واحدة

تُبْدَلُ الثانية حرفَ مدّ ، فى مثل « ءَأَنذَرْتَهُمْ »(٣) .

أما كلمة « ءَامَنتُمْ » فى قوله فى سورة الأعراف : « قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ »(٤) ، وقوله فى سورة طه : « قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ »(٥) وقوله مثلَ هذا فى سورة الشعراء ، فتقرأ بتسهيل الهمزة الثانية ، مع التوسّط .

---

(١) سورة مريم / ١ (٢) سورة الشورى/ ٢

(٣) سورة البقرة / من الآية ٦ ، وسورة يس / من الآية ١٠

(٤) الآية / ١٢٣ (٥) الآية / ٧١

وبمثل هذا تقرأ كلمة « ءَأَالِهَتُنَا » فى قوله فى سورة الزخرف : « وَقَالُوا ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ »(١) .

٦ — الهمزتان المفتوحة أولاها ، والمكسورة ثانيتهما فى كلمة واحدة (فى مثل : « أَئِمة »(٢)) :

يراعى التسهيل بَيْنَ بَيْنَ .

٧ — الهمزتان المتفقتان فى كلمتين (مثل : « جَاءَ أَمْرُنَا »(٣) — « مِنَ السَّمَاءِ إِنْ »(٤) — « أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ »(٥) :

تبدل الهمزة الثانية حرف مدّ

٨ — الهمزتان المختلفتان فى الحركة ، والواقعتان فى كلمتين (مثل : « يَشَاءُ إِلَىٰ »(٦) و « يَشَاءُ إِنْ »(٧) و « يَشَاءُ إِنَاثًا »(٨) :

يُقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْنَ .

٩ — الفتح والإمالة وما بينهما :

(ا) يراعى تقليل المدّ فى :

١ — ذوات الياء

---

(١) الآية / ٥٨ .

(٢) سورة التوبة / ١٢ ، وسورة الأنبياء / ٧٣ ، وسورة القصص / ٥ و ٤١ ، وسورة السّجدة / ٢٤

(٣) سورة هود / ٤٠و٥٨و٦٦ .

(٤) سورة الشعراء / ١٨٧

(٥) سورة الأحقاف / من الآية ٣٢

(٦) سورة البقرة / ١٤٢و٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦

(٧) سورة فاطر / ١ (٨) سورة الشورى / ٤٩

٢ — « أَرَيْتَكُمْ » فى سورة الأنفال[١] .

٣ — رؤوس الآى غير ما فيه « ها » ، على ما هو مفصّلٌ بعدُ .

(ب) رؤوس الآى التى فيها « ها » مثل : « ضُحَيٰهَا »[٢] .

و « تَلَيٰهَا »[٣] و « سَوَّيٰهَا »[٤] : تقرأ بالفتح .

(ج) يُراعى تقليل الإمالة فى: « الجَارِ »[٥] و « جَبَّارِينَ »[٦] .

١٠ — الراءات :

يقرأ بالترقيق فى الراءات ، فيما خلا باب « ذِكْرًا » ، وألفاظه :

« ذِكْرًا »[٧] — « سِتْرًا »[٨] — « حِجْرًا »[٩] — « وِزْرًا »[١٠] —

« إِمْرًا »[١١] — « صِهْرًا »[١٢] .

١١ — اللاّمات :

تقرأ بالتغليظ مطلقا

(١) من الآية ٤٣ (٢) سورة الشمس / ١

(٣) سورة الشمس / ٢ (٤) سورة الشمس / ٧

(٥) سورة النساء / ٣٦

(٦) سورة المائدة / ٢٢ ، وسورة الشعراء / ١٣٠

(٧) سورة البقرة / ٢٠٠ ، وسورة الكهف / ٧٠و٨٣ ، وسورة طه / ٩٩و١١٣ وسورة الأنبياء / ٤٨ ، وسورة الأحزاب / ٤١ ، وسورة الصافات / ٣و١٦٨ وسورة الطلاق / ١٠ ، وسورة المرسلات / ٥

(٨) سورة الكهف / ٩٠

(٩) سورة الفرقان / ٢٢و٥٣

(١٠) سورة طه / ١٠٠

(١١) سورة الكهف / ٧١

(١٢) سورة الفرقان / ٥٤

٢ — ياءات الإضافة (مثل : « مَحْيَايَ » فى سورة الأنعام[١]) :

تسكّن ياء الإضافة

١٣ — أوجه فى بعض السُّوَر :

(ا) فى سورة آل عمران : « هَٰأَنتُمْ »[٢] : تُبدل الهمزة حرف مدّ .

(ب) فى سورة الأنعام : « أَرَأَيْتَكُمْ »[٣] : تُبدل الهمزة حرف مدّ .

(ح) فى سورة يوسف : « تَأْمَنَّا »[٤] : تُقرأ بالإدغام مع الإشمام .

(ب) برواية قالون ، من طريق أبى نُشيط

١ — ميم الجمع :

يقرأ بوجه الصّلة .

٢ — هاء الضمير فى قوله تعالى فى سورة طه : « وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا »[٥] :

تُقرأ بصلة الهاء .

٣ — المدّ المنفصل :

يُقرأ بالقصر ، وفى « أَنَا إِلاَّ »[٦] : يقرأ بإثبات الألف مع القصر .

٤ — الهمزتان من كلمة واحدة (مثل : أَئِمَّة) :

(١) من الآية ١٦٢

(٢) من الآية ٦٦

(٣) من الآيتين ٤٠و٤٧

(٤) من الآية ١١

(٥) من الآية ٧٥

(٦) سورة الأعراف / من الآية ١٨٨

يقرأ بالتسهيل

٥ — الهمزتان المتفقتان فى كلمتين ، (مثل : « بالسُّوٓءِ إلاَّ »[1]) :

يقرأ بالتسهيل

٦ — الهمزتان المختلفتان فى كلمتين ، (مثل : « يَشَآءُ إِلَىٰ »[2]) :

يقرأ بالتسهيل

٧ — الإدغام الصغير :

يقرأ بالإظهار فى : « ارْكَب مَّعَنَا »[3] :

٨ — الياءات الزوائد فى الكلمات الأربع : « التَّلَاقِ »[4] — « التَّنَادِ »[5] — « الدَّاعِ »[6] — « إِذَا دَعَانِ »[7] :

يقرأ بالحذف

٩ — أوجه فى بعض السور

(أ) فى سورة البقرة : تقرأ « نِعِمَّا »[8] بالإخفاء .

(ب) فى سورة آل عمران : تقرأ « التَّوْرَىٰة »[9] بالفتح .

---

(١) سورة يوسف / من الآية ٥٣
(٢) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و٢١٣ ، وسورة النور / من الآية ٤٦
(٣) سورة هود / من الآية ٤٢
(٤) سورة غافر / من الآية ١٥
(٥) سورة غافر / من الآية ٣٢
(٦) سورة البقرة / من الآية ١٨٦ ، وسورة القمر / من الآيتين ٦ و٨
(٧) سورة البقرة / من الآية ١٨٦
(٨) سورة البقرة / من الآية ٢٧١
(٩) من الآيات ٣ و٤٨ و٥٠ و٦٥ و٩٣

(حـ) فى سورة النساء : تقرأ « لاَ تَعْدُوا »[1] بالإخفاء .

(د) فى سورة يونس : تقرأ « لاَ يَهِدِّى »[2] بالإخفاء .

(هـ) فى سورة مريم : تقرأ « لِأَهَبَ »[3] بالياء .

(و) فى سورة يس : تقرأ « يَخِصِّمُونَ »[4] بالإخفاء .

(ز) فى سورة الزخرف : تقرأ « أَشَهِدُوا »[5] بالفصل مع التسهيل .

* * *

٢ — قراءة ابن كثير

(أ) برواية البزّى ، من طريق أبى ربيعة

١ — الهمزتان من كلمة واحدة :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى « أَئِمَّة » فى مواضعها[6] .

٢ — الهمزتان المتفقتان فى كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى « بِالسُّوٓءِ إِلَّا » فى سورة يوسف[7] .

٣ — الهمزتان المختلفتان فى كلمتين (فى نحو : « يَشَآءُ إِلَىٰ »[8] :

---

(١) من الآية ١٥٤
(٢) من الآية ٣٥
(٣) من الآية ١٩
(٤) من الآية ٤٩
(٥) من الآية ١٩
(٦) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و٤١ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤ .
(٧) من الآية ٥٣
(٨) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و٢١٣ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

يُقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى الهمزة الثانية .

٤ — الإدغام الصغير :

يقرأ بالإدغام فى : « ارْكَب مَّعَنَا » فى سورة هود[1] ، ويقرأ بالإظهار فى : « يُعَذِّبُ مَنْ » فى سورة البقرة[2] .

٥ — ياء الإضافة :

يُقرأ بوجه الإسكان فى : «عِندِىَ أَوَلَمْ يَعْلَمْ» فى سورة القصص[3]، ويقرأ أيضاً بالإسكان فى : « وَلِىَ دِينِ » فى سورة « الكافرون »[4] .

٦ — أوجه فى بعض السور :

(ا) فى سورة البقرة : يُقرأ بالتسهيل فى : « لَأَعْنَتَكُمْ »[5] .

(ب) فى سورة يونس : يُقرأ بحذف الألف فى :« وَلَآ أَدْرَاكُم بِهِ »[6] .

(حـ) فى سورة القيامة : يُقرأ أيضاً بحذف الألف فى : « لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ »[7] .

(ء) فى سورة يوسف : يُقرأ بالإدغام مع الإشمام فى : « تَأْمَنَّا »[8]

---

(١) من الآية ٤٢
(٢) من الآية ٢٨٤
(٣) من الآية ٧٨
(٤) من الآية ٦
(٥) من الآية ٢٢٠
(٦) من الآية ١٦
(٧) من الآية ١
(٨) من الآية ١١

ويقرأ بوجه القلب مع الإبدال فى : « يا يْئَس »[1] وبابه .

(هـ) فى سورة النحل : يُقرأ بإثبات الهمز بعد الألف فى : « شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ »[2] .

(و) فى سورة الأحزاب : يُقرأ بوجه الإبدال ياء ساكنة فى : « الَّـٰٓىِ » فى مواضعها[3] .

(ز) فى سورة محمد : يُقرأ بوجه حذف المدّ فى : « ءانفاً »[4] .

(ب) برواية قُنبل من طريق ابن مجاهد

١ — الهمزتان من كلمة واحدة :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى : « أَئِمَّة » فى مواضعها[5] .

٢ — الهمزتان المتفقتان فى كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى نحو : « جَآءَ أَمْرُنَا »[6] — « هَؤُلَآءِ إِنْ »[7] — « أَوْلِيَاءُ أُولَـٰٓئِكَ »[8] .

٣ — الهمزتان المختلفتان فى كلمتين :

---

(١) من الآية ٨٧ (٢) من الآية ٢٧
(٣) سورة الأحزاب / من الآية ٢٤ وسورة المجادلة / من الآية ١٢ ، وسورة الطلاق / من الآية ٤ مرتين
(٤) من الآية ١٦
(٥) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ٤١ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤
(٦) سورة هود / من الآية ٤٠ (٧) سورة البقرة / من الآية ٣١
(٨) سورة الأحقاف / من الآية ٣٢

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ فى نحو : « يَشَاءُ إِلَىٰ »(١) .

٤ — الإدغام الصغير :

يقرأ بوجه الإظهار فى : « يُعَذِّبُ مَنْ » فى سورة البقرة(٢) .

٥ — ياء الإضافة :

يُقرأ بوجه الفتح فى : « عِندِيَ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ » فى سورة القصص(٣) .

٦ — ياءات الزوائد :

يُقرأ بوجه الإثبات فى : « جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ » فى سورة الفجر(٤) ، وبالحذف فى : « نَرْتَع » فى سورة يوسف(٥) .

٧ — أوجه فى بعض السور :

(ا) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام فى « تَأْمَنَّا »(٦) .

(ب) فى سورة النمل : يُقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « سَاقَيْهَا »(٧) .

(حـ) فى سورة ص : يقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « بِالسُّوقِ »(٨) .

(د) فى سورة الفتح : يقرأ بوجه الهمز ساكناً فى « سُوقِهِ »(٩) .

(١) سورة البقرة / ١٤٢ و٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦
(٢) سورة البقرة / من الآية ٢٨٤
(٣) من الآية ٧٨
(٤) من الآية ٩
(٥) من الآية ١٢
(٦) من الآية ١١
(٧) من الآية ٤٤
(٨) من الآية ٣٣
(٩) من الآية ٢٩

(هـ) فى سورة العلق : يقرأ بوجه القصر في : « أَن رَّءَاهُ »(١) .

* * *

٣ — قراءة أبى عمرو البصرى

(ا) برواية الدورى من طريق أبى الزعراء

١ — بين السورتين :

يقرأ بالبسملة فيما عدا ما بين الأنفال وبراءة ، فيقرأ بالوقف .

٢ — هاء الكناية :

يقرأ بوجه الصلة فى : « يَرْضَهُ لَكُمْ » فى سورة الزمر(٢) .

٣ — المدّ المنفصل :

يقرأ بوجه القصر .

٤ — الهمزتان من كلمة :

يقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْنَ بدون فصل فى : « أَئِمَّة » فى مواضعها(٣) .

وبالنسبة للهمزة الثانية المضمومة فى : « أَؤُنَبِّئُكُم » فى سورة آل عمران(٤) ، و « أَءُنزِلَ » فى سورة ص(٥) ، و « أَءُلْقِيَ » في سورة القمر(٦) : يُقرأ بالتسهيل بدون فصل .

٥ — الهمزتان المختلفتان في كلمتين :

يقرأ بوجه التسهيل بَيْنَ بَيْنَ ، فى نحو : « يَشَاءُ إِلَىٰ »(٧)

(١) من الآية ٧ (٢) من الآية ٧
(٣) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ٤١ ، وسورة السجدة / من الآية ٢٤
(٤) من الآية ١٥ (٥) من الآية ٨ (٦) من الآية ٢٥
(٧) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦

٦ — الراء المجزومة :

يقرأ بوجه الإدغام فى نحو : « يَغْفِرْ لَكُمْ »[1] .

٧ — أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة البقرة : يقرأ بوجه الإسكان فى : « بَارِئْكُمْ » معاً[2]، و « يَأْمُرْكُمْ »[3] ، ويُقرأ بوجه الإختلاس فى عين « نِعِمَّا »[4] .

(ب) فى سورة آل عمران : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يَأْمُرْكُمْ »[5] ، و « يَنْصُرْكُمْ »[6] .

(ج) فى سورة النساء : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يَأْمُرْكُمْ »[7] .

(د) فى سورة الأنعام : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يُشْعِرْكُمْ »[8] .

(هـ) فى سورة الأعراف : يُقرأ بوجه الإسكان فى : « يَأْمُرْهُمْ »[9] .

(و) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الفتح فى : « يَا بُشْرَيَ »[10] .

(ز) فى سورة الأحزاب : يُقرأ بوجه الإبدال ياء ساكنة فى : « الَّـٰئِي »[11] ، وكذلك فى مواضعها .

---

(١) سوة آل عمران / من الآية ٣١ ، وسورة الأنفال / من الآيتين ٢٩و٧٠ ، وسورة الأحزاب / من الآية ٧١ ، وسورة الأحقاف / من الآية ٣١ ، وسورة الحديد / من الآية ٢٨ ، وسورة التغابن / من الآية ١٧ ، وسورة نوح / من الآية ٤ .

(٢) من الآية ٥٤ مرتين
(٣) من الآيات ٦٨و٩٣و١٦٩و٢٦٨
(٤) من الآية ٢٧١
(٥) من الآية ٨٠ (مرتين)
(٦) من الآية ١٦٠
(٧) من الآية ٥٨
(٨) من الآية ١٠٩
(٩) من الآية ١٥٧
(١٠) من الآية ١٩
(١١) من الآية ٤

(ح) فى سورة المُلْك : يُقرأ بوجه الإسكان فى « يَنْصُرْكُمْ »[1] .

(ب) رواية السوسى من طريق ابن جرير

١ — بين السورتين :

تقرأ البسملة ، فيما عدا ما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف بينهما من غير بسملة .

٢ — الإدغام الكبير :

يقرأ بالإدغام فى المِثْلين والمتقاربين ، إلاّ فى : « والَّـٰئِي يَئِسْنَ »[2] فيقرأ بالإظهار .

٣ — الهمزتان من كلمة :

يُقرأ بالتسهيل فى الهمزة الثانية من « أَئِمَّة » فى مواضعها ، وبالنسبة للهمزة الثانية المضمومة ، يقرأ بالتسهيل بدون فصل ، على النحو المختار فى رواية الدّورى آنفا .

٤ — الهمزتان المختلفتا الحركة فى كلمتين :

يقرأ بالتسهيل فى الثانية من : « يَشَاءُ إِلَىٰ »[3] ، ونظيره .

٥ — الفتح والإمالة وما بينهما :

يقرأ بالفتح فى « رَأَى » الذى بعده ساكن[4] ، وبالفتح فى الراء إذا وقع بعده متحرك .

---

(١) من الآية ٢٠
(٢) سورة الطلاق / من الآية ٤
(٣) سورة البقرة / ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة النور / ٤٦
(٤) كما فى : « فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً » (سورة الأنعام / ٧٧)
و « فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً » (سورة الأنعام / ٧٨)
و « وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا العَذَابَ » (سورة النحل / ٨٥)
و « وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ » (سورة النحل / ٨٦)
و « رَأَى المُجْرِمُونَ النَّارَ » (سورة الكهف / ٥٣)
و « وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ » (سورة الأحزاب / ٢٢)

وَيُقرأ بوجه الفتح في « يَا بُشْرَىٰ »(١) في سورة يوسف ، وكذا في ياء « كهيعص »(٢) .

ويُقرأ بالإمالة وصلاً في نحو : « القُرَىٰ الَّتِي »(٣) و « نَرَى اللَّهَ »(٤) .

٦ — في سورة يوسف :

يقرأ بالإدغام مع الإشمام في « تَأْمَنَّا »(٥) .

* * *

٤ — قراءة ابن عامر

(أ) رواية هشام من طريق الحلواني

١ — بين السورتين

يقرأ بالبسملة بين السورتين ، إلا فيما بين الأنفال وبراءة ، فيراعي الوقف بينهما بدون بسملة .

٢ — هاء الضمير

يقرأ باختلاس كسرة الهاء في :

« يُؤَدِّهِ » معا(٦) ـ « نُؤْتِهِ » معا(٧) ـ « نُوَلِّهِ »(٨) ـ « نُصْلِهِ »(٩) ـ

(١) سورة يوسف / من الآية ١٩
(٢) سورة مريم / ١
(٣) سورة سبأ / من الآية ١٨
(٤) سورة البقرة / من الآية ٥٥
(٥) من الآية ١١
(٦) سورة آل عمران / من الآية ٧٥ (مرتين)
(٧) سورة آل عمران / من الآية ١٤٥ (مرتين)
(٨) سورة النساء / من الآية ١١٥
(٩) سورة النساء / من الآية ١١٥

« فَأَلْقِهِ »(١) ـ « يَتَّقْهِ »(٢) .

ويُقرأ باختلاس الضمّ في :

« يَرْضَهُ لَكُمْ » في سورة الزمر(٣) ، وبإشباع الكسرة في « يَأْتِهِ مُؤْمِنًا » في سورة طه(٤) .

٣ — الهمزتان في كلمة

(أ) المفتوحتان : يقرأ بتسهيل الثانية ، مع الإدخال بينهما ، نحو : « ءَأَقْرَرْتُمْ »(٥) .

(ب) المفتوحة فمكسورة : يقرأ بوجه التحقيق مع الإدخال ، نحو : « أَئِذَا »(٦) و « أَئِنَّا »(٧) .

ويقرأ بتحقيق الهمزة الثانية في « أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ »(٨) (من قراءة الداني على أبي الفتح فارس) .

(١) سورة النمل / من الآية ٢٨
(٢) سورة النور / من الآية ٥٢
(٣) من الآية ٧
(٤) من الآية ٧٥
(٥) سورة آل عمران من الآية ٨١
(٦) من مواضع هذه الكلمة :
سورة الإسراء / من الآيتين ٤٩و٩٨ ، وسورة مريم / من الآية ٦٦ ، وسورة المؤمنون / من الآية ٨٢ ، وسورة الصافات / من الآيتين ١٦و٥٣ ، وسورة ق / من الآية ٣ ، وسورة الواقعة / من الآية ٤٧
(٧) سورة الإسراء / من الآيتين ٤٩ و ٩٨ ، وسورة المؤمنون / من الآية ٨٢ ، وسورة الصافات / من الآية ١٦ ، وسورة الواقعة / من الآية ٤٧
(٨) سورة فصّلت / من الآية ٩

(حـ) المفتوحة فمضمومة : يقرأ بوجه التحقيق فى الثانية مع الإدخال فى :
«أَؤُنَبِّئُكُم»[1] — «أَؤُنزِلَ»[2] — «أَؤُلْقِىَ»[3] (من الطريق المذكور) .

٤ — الوقف على الهمز المتطرف :

يتبع فيه المذهب القياسىّ .

٥ — ياءات الزوائد :

يقرأ بإثبات الياء فى : « ثُمَّ كِيدُونِ » ، فى سورة الأعراف[4] وصلا ووقفاً .

٦ — أوجه فى بعض السّور :

(ا) فى سورة آل عمران : يُقرأ بوجه الخطاب فى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا »[5] (من قراءة الدانى على أبى الفتح) .

(ب) فى سورة الأنعام : يقرأ بوجه التخفيف فى نون : « أَتُحَاجُّونِّى فِى اللهِ »[6] (من قراءة الدانى على أبى الفتح أيضاً) .

(حـ) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشادة فى: «تَأْمَنَّا»[7] ، وبالهمز وفتح التاء فى « هَيْئَتَ »[8] .

(د) فى سورة إبراهيم : يُقرأ بإشباع كسر همزة « أَفْئِدَةً »[9] .

---

(١) سورة آل عمران / من الآية ١٥
(٢) سورة ص / من الآية ٨
(٣) سورة القمر / من الآية ٢٥
(٤) سورة الأعراف / من الآية ١٩٥
(٥) من الآية ١٦٩
(٦) من الآية ٨٠
(٧) من الآية ١١
(٨) من الآية ٢٣
(٩) من الآية ٣٧

(هـ) فى سورة الروم : يقرأ بإسكان السين فى « كِسْفًا »[1] .

(و) فى سورة الزخرف : يقرأ بوجه التخفيف فى « لَمَا مَتَاعُ »[2] .

(ز) فى سورة الحشر : يقرأ بتأنيث الفعل ورفع الاسم فى « تَكُونَ دُولَةٌ »[3] .

(ح) فى سورة الجنّ : يقرأ بضم اللام فى « لِبَدًا »[4] .

(ب) رواية ابن ذكوان من طريق الأخفش

١ — بين السورتين :

تقرأ البسملة إلا فيما بين الأنفال وبراءة ، فيراعى الوقف من غير بسملة .

٢ — الفتح والإمالة :

يقرأ بوجه الإمالة فى « زاد » مطلقاً[5] ، وبالإمالة فى : « هاد » فى سورة التوبة[6] — « حِمَارِكَ »[7] — « الْحِمَارِ »[8] — « الْمِحْرَابَ »[9] — « إِكْرَاهِهِنَّ »[10] — « والإِكْرَامِ »[11] — « عِمْرَانَ »[12] .

---

(١) من الآية ٤٨
(٢) من الآية ٣٥
(٣) من الآية ٧
(٤) من الآية ١٩
(٥) فى خمسة عشر موضعا متفرقة فى القرآن
(٦) من الآية ١٠٩
(٧) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩
(٨) سورة الجمعة / من الآية ٥
(٩) سورة آل عمران / من الآيتين ٣٧ و ٣٩ ، وسورة مريم / من الآية ١١ ، وسورة ص / من الآية ٢١
(١٠) سورة النور / من الآية ٣٣
(١١) سورة الرحمن / من الآيتين ٢٧و٧٨
(١٢) سورة آل عمران / من الآيتين ٣٣و٣٥ ، وسورة التحريم / من الآية ١٢

٣ — ياءات الزوائد :

يُقرأ بوجه إثبات الياء فى : « فَلَا تَسْئَلْنِى » فى سورة الكهف[١] .

٤ — أوجه فى بعض السّور :

(أ) فى سورة البقرة : يقرأ بفتح الهاء فى « إبْرَاهَم » فى هذه السورة[٢] ، وبكسر الهاء وبعدها ياء فى غيرها من السّوَر[٣] . ويقرأ بالسين فى : « يَبْسُطُ »[٤] .

(ب) فى سورة الأنعام : يقرأ بوجه الكسر مع الإشباع في هاء : « اقْتَدِهْ »[٥] .

(حـ) فى سورة الأعراف : يقرأ بالصّاد فى « بصطة »[٦] .

ويقرأ بكسر التنوين في: « بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا »[٧] — « خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ »[٨] .

(د) فى سورة يونس : يقرأ بفتح « أَدْرَاكُمْ »[٩] .

---

(١) سورة الكهف / من الآية ٧٠
(٢) من الآيات : ١٢٤ و١٢٥ و١٢٦ و١٢٧ و١٣٠ و١٣٢ و١٣٥ و١٣٦ و١٤٠ و٢٥٨ و٢٦٠ .
(٣) فى ٥٤ موضعا متفرقة .
(٤) البقرة / من الآية ٢٤٥ ، وسورة الرعد / من الآية ٢٦ ، وسورة الإسراء / ٣٠ ، وسورة القصص / من الآية ٨٢ ، وسورة العنكبوت / من الآية ٦٢ ، وسورة الروم من الآية ٣٧ ، وسورة سبأ / من الآيتين ٣٦ و ٣٩ ، وسورة الزمر / من الآية ٥٢ ، وسورة الشورى / من الآية ١٢
(٥) سورة الأنعام / من الآية ٩٠
(٦) سورة البقرة / من الآية ٢٤٥ ، وسورة الأعراف / من الآية ٦٩
(٧) سورة الأعراف / من الآية ٤٩
(٨) سورة إبراهيم / من الآية ٢٦
(٩) سورة يونس / من الآية ١٦

ويُقرأ بتخفيف النون المشدّدة فى « تَتَّبِعَانِّ »[١] فقط .

(هـ) فى سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام فى : « تَأْمَنَّا »[٢] .

(و) فى سورة النحل : يُقرأ بوجه الياء فى : « وَلَنَجْزِيَنَّ »[٣] .

(ز) فى سورة مريم : يُقرأ بوجه الإخبار فى : « أَءِذَا مَا مِتُّ »[٤] .

(ح) فى سورة الروم: يُقرأ بالبناء للمعلوم فى: « وَكَذَٰلِكَ تَخْرُجُونَ »[٥] .

(ط) فى سورة الصافات : يُقرأ بهمزة وصل فى : « وَإِنَّ إِلْيَاسَ »[٦] .

(ى) فى سورة الحاقة : يُقرأ : « قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ »[٧] و « قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ »[٨] بالياء فى الفعلين .

* * *

٥ — قراءة عاصم

(أ) رواية حفص ، من طريق عبيد بن الصباح

١ — المدّ المنفصل :

يُراعى فيه التوسّط .

٢ — المدّ المتّصل :

يُراعى فيه التوسّط أيضاً .

٣ — المدّ العارض للسكون :

---

(١) سورة يونس / من الآية ٨٩
(٢) من الآية ١١ (٣) من الآية ٩٦
(٤) من الآية ٦٦ (٥) من الآية ١٩
(٦) من الآية ١٢٣ (٧) من الآية ٤١ (٨) من الآية ٤٢

يُقرأ بالقصر .

٤ — أوجه في بعض الألفاظ :

(ا) « ءَآلذَّكَرَيْنِ » وبابه(١) :

يُقرأ بالإبدال مع الإشباع .

(ب) « لاَ تَأْمَنَّا »(٢) :

يُقرأ بالإدغام مع الإشمام .

(حـ) « كٓهيعٓصٓ »(٣) و « عٓسٓقٓ »(٤) :

يُقرأ بإشباع العين .

(د) « فِرْقٍ » في سورة الشعراء(٥) :

يُقرأ بالتفخيم .

(هـ) « ضَعْفٍ »(٦) و « ضَعْفًا »(٧) :

يُقرآن بفتح الضاد .

(و) « الْمُصَيْطِرُونَ »(٨) :

(١) سورة الأنعام / من الآيتين ١٤٣ و ١٤٤
(٢) سورة يوسف / من الآية ١١
(٣) سورة مريم / ١
(٤) سورة الشورى / ٢
(٥) من الآية ٦٣
(٦) سورة الروم / من الآية ٥٤
(٧) سورة الروم / من الآية ٥٤
(٨) سورة الطور / من الآية ٣٧

يُقرأ بالصاد .

(ز) « أَلَمْ نَخْلُقكُّم »(١) :

تُقرأ بالإدغام الكامل .

(ب) رواية شعبة ، من طريق يحيى بن آدم

١ — الفتح والإمالة :

يُقرأ بوجه الفتح في الهمز في نحو : « فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ »(٢) — « فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ »(٣) .

٢ — أوجه في بعض السور :

(ا) في سورة البقرة : يُقرأ بوجه إسكان العين في : « نِعْمَّا » ، وكذلك في موضعها في سورة النساء(٤) .

(ب) في سورة الأعراف : يُقرأ « بِعَذَابٍ بَئِيسٍ »(٥) : « بِعَذَابٍ بَيْئَسٍ » .

(حـ) سورة يوسف : يُقرأ بوجه الإدغام مع الإشمام في : « تَأْمَنَّا »(٦) .

(د) في سورة الكهف : يُقرأ بوجه الوصل في : « ءاتُونِي » في موضعيها(٧) .

(١) سورة المرسلات / من الآية ٢٠
(٢) سورة الأنعام / من الآية ٧٧
(٣) سورة الأنعام / من الآية ٧٨
(٤) سورة البقرة / من الآية ٢٧١ ، وسورة النساء / من الآية ٥٨
(٥) من الآية ١٦٥ (٦) من الآية ١١
(٧) من الآية ٩٦ مرتين

(هـ) فى سورة الرحمن : يُقرأ بكسر الشين فى : « الْمُنْشَئَاتُ »[1] .

(و) فى سورة المجادلة : يُقرأ بكسر الشين فى : « انْشُزُوا » — « فَانْشُزُوا »[2] .

* * *

٦ — قراءة حمزة

(أ) رواية خلف ، من طريق إدريس

١ — السكت على الهمز :

يُقرأ بوجه السكت على : « أل » ، و « شىء » ، والمفصول . (من طريق أبى الفتح فارس) .

ويُلاحظ التغيير فى الهمز المتوسط بزائد فى الوقف . (من الطريق المذكور) .

٢ — الوقف على الهمز :

يُختار فى الوقف على الهمز المتوسط والمتطرف بأنواعه المذهبُ القياسىّ .

ويُقرأ بوجه المدّ فى الهمز المتوسط مع التسهيل فى نحو : « جَاءَكُمْ »[3] و « جَاءُوكُمْ »[4] و « أُولَٰئِكَ »[5]

ويُقرأ بوجه القصر مع الإبدال فى الهمز المتطرف الذى وقع قبله ألف ، نحو : « جَاءَ »[6] — « مِنَ السَّمَاءِ »[7] — « يَشَاءُ »[8] « الْبَلَاءُ »[9] —

(١) من الآية ٢٤ (٢) الكلمتان من الآية ١١
(٣) وردت فى ٢٦ موضعا من القرآن
(٤) سورة النساء / من الآية ٩٠ ، وسورة المائدة / من الآية ٦١ ، وسورة الأحزاب / من الآية ١٠ . (٥) وردت فى ٢٠٤ مواضع من القرآن
(٦) وردت فى ٦٨ موضعاً من القرآن
(٧) وردت بالكسر فى ٨٦ موضعا من القرآن
(٨) وردت فى ١١٦ موضعا من القرآن (٩) سورة الصافات / من الآية ١٠٦

« الضُّعَفَٰؤُا »[1] — « وَمِنْ ءَانَآئِ »[2]

وتُنقل حركة الهمز إلى ما قبلها ياءً كان نحوُ : « شَىْءٌ » ، أو واواً نحو : « سُوءٌ » ، مع السكون المحض .

ويُقرأ بالتسهيل بَيْنَ بَيْنَ حيث يقع الهمز متوسطا متحركا وقبله متحرك .

ويُقرأ بوجه ضمّ الهاء وقفاً فى « أَنْبِئْهُمْ »[3] (وهو مذهب أبى الفتح) .

ويُقرأ بوجه النقل مع السكون المحض فى نحو : « دِفْءٌ »[4] — « بَيْنَ الْمَرْءِ »[5] — « يُخْرِجُ الْخَبْءَ »[6] .

ويُقرأ بالإبدال ألفاً فى نحو : « يَبْدَؤُا »[7] ، وياء فى نحو : « يَسْتَهْزِئُ »[8] ، وواواً فى نحو : « إِنِ امْرُؤٌا »[9] .

(ب) رواية خلّاد ، من طريق ابن شاذان

١ — هاء الضمير :

يُقرأ بكسر الهاء وصلتها في : « يَتَّقْهِ »[10] (من قراءة الدانى على أبى الحسن طاهر بن غلبون) .

(١) سورة التوبة / من الآية ٩١ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٢١ ، وسورة غافر / من الآية ٤٧ (٢) سورة طه / من الآية ١٣٠
(٣) سورة البقرة / من الآية ٣٣ (٤) سورة النحل / من الآية ٥
(٥) سورة البقرة / من الآية ١٠٢ (٦) سورة النمل / من الآية ٢٥
(٧) سورة يونس / من الآيتين ٤ و ٣٤ ، وسورة النمل / من الآية ٦٤ ، وسورة الروم / من الآيتين ١١ و ٢٧
(٨) سورة البقرة / من الآية ١٥
(٩) سورة النساء / من الآية ١٧٠ (١٠) سورة النور / من الآية ٥٢

٢ — السكت على الهمز :

يُقرأ بالسّكت على : «أل» و «شيء» ، مع مراعاة التحقيق في المتوسّط بزائد من الهمز وقفا .

٣ — الوقف على الهمز :

يُقرأ بنفس الأوجه المختـارة آنفـا لخلف ، لأن مذهبهما في الوقف على الهمز واحد .

ولـكن إذا وُقف على : « أَنبِئْهُمْ »(١) — « ونَبِّئْهُمْ »(٢) ، يُقرأ لخلّاد بوجه كسر الهاء مع الإبدال (وهذا مذهب طاهر بن غلبون) .

٣ — الإدغام الصغير :

يُقرأ بالإظهار في : « بَلْ طَبَعَ » بالنساء(٣) ، وبالإدغام في : « وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ » في سورة الحجرات(٤) ، وبالإظهار في : « ارْكَبْ مَعَنَا » في سورة هود(٥) .

٤ — الفتح والإمالة :

يُقرأ بوجه الإمالة في « ضِعَٰفًا » في سورة النساء(٦) ، و « ءَاتِيكَ » ـ معا ـ في سورة النمل(٧) .

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٣٣
(٢) سورة الحِجْر / من الآية ٥١ ، وسورة القمر / من الآية ٢٨ .
(٣) من الآية ١٥٥ — (٤) من الآية ١١
(٥) من الآية ٤٢ — (٦) من الآية ٩
(٧) من الآيتين ٣٩و٤٠

٥ — أوجه في بعض السّور :

(ا) في سورة البقرة : يُقرأ بالسين في : « وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ »(١)

(ب) في سورة الأعراف : يُقرأ بالسّين أيضا في : « بَصْطَةً »(٢)

(ج) في سورة الطور : يُقرأ بوجه الإشمام في : « الْمُصَيْطِرُونَ »(٣)

(د) في سورة المرسلات: يُقرأ بالإظهار في : « فَالْمُلْقِيَٰتِ ذِّكْرًا »(٤)

(هـ) في سورة الغاشية : يُقرأ بوجه الإشمام في : « بِمُصَيْطِرٍ »(٥)

(و) في العاديات : يُقرأ بالإظهار في : « فَالْمُغِيرَٰتِ صُّبْحًا »(٦)

* * *

٧ — قراءة الـكسائي

(ا) رواية أبي الحارث ، من طريق محمد بن يحيى

١ — هاء التأنيث في الوقف :

يُقرأ بالإمالة في الحروف التي يجمعها قولهم : « فَجَثَتْ زينب لذود شمس » وحروف « أكهر » بشرطيها .

ويُقرأ بفتح الباقي

٢ — وجه في سورة الرحمن :

يُقرأ : « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ » في موضعيها(٧) بضم الميم في الأولى ، وبكسر الميم في الثانية .

---

(١) من الآية ٢٤٥ — (٢) من الآية ٦٩
(٣) من الآية ٣٧ — (٤) من الآية ٥
(٥) من الآية ٢٢ — (٦) من الآية ٣ — (٧) من الآيتين ٥٦ و ٧٤

(ب) رواية الدورى ، من طريق جعفر النصيبى

١ — الفتح والإمالة :

يُقرأ بالفتح فى : « يُوَارِى »[1] و « فَأُوَارِىَ »[2]

٢ — هاء التأنيث فى الوقف :

مذهبه هنا كمذهب أبى الحارث ، فيُقرأ على النحو المختار آنفا .

٣ — وجه فى سورة الرحمن :

تُقرأ « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ » فى موضعيها ، بعكس قراءة أبى الحارث ، أى بكسر الميم فى الأولى ، وضمها فى الثانية .

* * *

٨ — قراءة أبى جعفر

(ا) رواية ابن وردان ، من طريق الفضل بن شاذان

١ — الهمز المفرد :

يُقرأ بوجه الإبدال فى : « مَوْطِئًا »[3] ، وبالحذف فى : « الْمُنْشِئُونَ »[4]

٢ — الهمزتان فى كلمة وفى كلمتين :

يُقرأ بالتسهيل فى : « أَئِمَّة »[5] و « يَشَاءُ إِلَى »[6]

(١) سورة المائدة / من الآية ٣١ (٢) من الآية السابقة
(٣) سورة التوبة / من الآية ١٢٠
(٤) سورة الواقعة / من الآية ٧٢
(٥) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ١٤
(٦) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة يونس / من الآية ٢٥ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

٣ — أوجه فى بعض السور :

(ا) فى سورة الأعراف : تقرأ : « وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا »[1] بالوجه الثانى لابن وردان ، أى بفتح الياء وضم الراء ، أى بالتسمية للمعلوم .
(والوجه الأول الذى لم نختره هو ضم الياء وكسر الراء)

وتُقرأ : « نَكَدًا » بفتح الكاف

(ب) فى سورة التوبة : تُقرأ : « سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ »[2] : « سُقَاةَ » بضم السين ، وحذف الياء ، و « وَعَمَرَةَ » ، بفتح العين وحذف الألف بعد الميم .

(ج) فى سورة الإسراء : تُقرأ : « فَيُغْرِقَكُمْ »[3] بتخفيف الإدغام .

(د) فى سورة الزُّمَر : تُقرأ : « يَحَسْرَتَىْ »[4] بالإسكان مع الإشباع ، أى « يا حَسْرَتَاىْ »

(ب) رواية ابن جماز ، من طريق أبى أيوب الهاشمى

١ — الهمز المفرد :

يُقرأ بوجه الإبدال فى : « مَوْطِئًا »[5]

٢ — الهمزتان فى كلمة وفى كلمتين :

يُقرأ بالتسهيل فى : « أَئِمَّة »[6] و « يَشَاءُ إِلَى »[7] .

* * *

(١) من الآية ٥٨ (٢) من الآية ١٩ (٣) من الآية ٦٩ (٤) من الآية ٥٦
(٥) سورة التوبة / من الآية ١٢٠
(٦) سورة التوبة / من الآية ١٢ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٧٣ ، وسورة القصص / من الآيتين ٥ و ١٤
(٧) سورة البقرة / من الآيتين ١٤٢ و ٢١٣ ، وسورة يونس / من الآية ٢٥ ، وسورة النور / من الآية ٤٦

٩ — قراءة يعقوب

(أ) رواية رُويس ، من طريق التّمار[1]

١ — بين السورتين :

يُراعى السكت .

٢ — الإشمام :

يُقرأ بإشمام الصّاد زاياً في باب « أصْدَقُ » ، أي حيث تكون الصّاد ساكنة قبل الدال .

٣ — هاء الضمير :

يُقرأ بكسر الهاء في :

« وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ » في سورة الحِجْر[2] — « يُغْنِهِمُ اللهُ » في سورة النور[3] — « وَقِهِمْ عَذَابَ » في سورة غافر[4] — « وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ » في سورة غافر أيضاً[5] .

٤ — الإدغام الكبير :

يُقرأ بالإدغام في :

« لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ » في سورة البقرة[6] — « وَجَعَلَ لَكُمْ »

---

(١) يعتمد هذا الاختيار والاختيار التّالى له ، وهو الخاص برواية رَوْح من طريق محمد بن وهب ، على ما رُوى عن كتاب « المصباح » لأبي الكرم الشهرزورى . وأذكر — شاكراً — أنى أفدت أيضاً في هذين الاختيارين من آراء عالم القراءات الأستاذ الشيخ عامر السيد عثمان .

(وانظر أسماء الرواة الذين تلق عنهم صاحب « المصباح » هاتين الروايتين في : ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ١٨١ و ١٨٣) .

(٢) من الآية ٣ (٣) من الآية ٣٢

(٤) من الآية ٧ (٥) من الآية ٩ (٦) من الآية ٢٠

في ثمانية مواضع بسورة النحل[1] — « لَا قِبَلَ لَهُمْ » في سورة النمل[2] — « وَأَنَّهُ هُوَ » في أربعة مواضع في سورة النجم[3] — « وَأَنْزَلَ لَكُمْ » في الزُّمَر[4] — « مِن جَهَنَّمَ مِهَادٌ » في سورة الأعراف[5] .

٥ — هاء الكناية :

يُقرأ بصلة الهاء في « يَرَهُ » في سورة البلد[6] ، وفي سورة الزلزلة[7] .

٦ — المدّ والقصر :

يُقرأ بقصر المنفصل ، وإشباع المتصل .

٧ — الهمزتان من كلمة :

يُقرأ بتسهيل الهمزة الثانية في جميع القرآن .

٨ — الهمزتان من كلمتين :

يُقرأ بتسهيل الهمزة الأخيرة من الهمزتين المتفقتين من كلمتين ، ومن المختلفتين ، نحو : « تَفِيءَ إِلَى »[8] — « جَاءَ أُمَّةً »[9] — « يَشَاءُ إِلَى »[10]

---

(١) من الآيات ٧٢ (مرتين) و ٧٨ و ٨٠ (مرتين) و ٨١ (ثلاث مرات)

(٢) من الآية ٣٧

(٣) من الآيات ٤٣ و ٤٤ و ٤٨ و ٤٩

(٤) من الآية ٦

(٥) من الآية ٤١

(٦) من الآية ٧

(٧) من الآيتين ٧ و ٨

(٨) سورة الحجرات / ٩

(٩) سورة المؤمنون / ٤٤

(١٠) سورة البقرة / ١٤٢و٢١٣ ، وسورة يونس / ٢٥ ، وسورة النور / ٤٦

وُيقرأ بإبدال الهمزة الأخيرة واواً في نحو : « السُّفَهَاءُ أَلَا »[1] ، وبإبدالها ياء في نحو : « مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا »[2] .

٩ — الهمز المفرد :

كلمة : « الأُولَى » في قوله تعالى : « وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى »[3] ، إذا بدئ بها قرئت بهمزة مفتوحة وضم اللام .

١٠ — الإدغام الصغير :

يُقرأ بالإظهار في باب : « اتَّخَذْتُمْ » و « أَخَذْتُمْ »

وُيقرأ بإظهار غنّة النون الساكنة والتنوين عند اللام في مثل : « مِن لَّدُنْهُ »[4] — « وَهُدًى لِّلْمُتَّقِينَ »[5]

١١ — الوقف على مرسوم الخط :

يُوقف بهاء السكت على :

(أ) جمع المذكر السالم والملحق به ، مثل : « الْعَلَمِينَ » — « الَّذِينَ »

(ب) ذي الندبة في : « يَوَيْلَتَى »[6] — « يَحَسْرَتَى »[7] — « يَأَسَفَى »[8] مع إشباع المدّ .

---

(١) سورة البقرة / من الآية ١٣

(٢) سورة الأنفال / من الآية ٣٢

(٣) سورة النجم / ٥٠

(٤) سورة النساء / ٤٠ ، وسورة الكهف / ٢

(٥) سورة البقرة / ٢

(٦) سورة المائدة / من الآية ٣١ ، وسورة هود / من الآية ٧٢ ، وسورة الفرقان / من الآية ٢٨ .

(٧) سورة الزمر / من الآية ٥٦ (٨) سورة يوسف / من الآية ٨٤

(ج) نون النسوة ، نحو : « عَلَيْهِنَّ » — « مِنْهُنَّ » — « أَرْجُلِهِنَّ » .

(د) ما « الاستفهامية » التي دخل عليها حرف من حروف الجرّ ، وهي :

« فِيمَ » — « مِمَّ » — « عَمَّ » — « لِمَ » — « بِمَ » ، فتقرأ :

« فِيمَهْ » ، و « مِمَّهْ » ، و « عَمَّهْ » ، و « لِمَهْ » ، و « بِمَهْ » .

١٢ — ياءات الإضافة والزوائد :

يُقرأ بإثبات الياء ساكنة في : « يَعِبَادِ لَا خَوْفٌ » في سورة الزخرف[1] — « يَعِبَادِ فَاتَّقُونِ » في الزمر[2] .

١٣ — فرش الحروف :

يُقرأ بتشديد « فَتَحْنَا » في الأنعام[3] والأعراف[4] ، والقمر[5] .

وُيقرأ بقطع همزة « فَأَجْمِعُوا » في سورة يونس[6] .

وُيقرأ بإبدال همزة الفصل مدًّا في نحو : « ءَالذَّكَرَيْنِ »[7] .

وُيقرأ بفتح الياء في : « لِيَضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ » في سورة إبراهيم[8] — « لِيَضِلَّ عَن » في الحج[9] والزمر[10] .

وُيقرأ بضم الياء في « لِيُضِلَّ عَن » في سورة لقمان[11] .

---

(١) من الآية ٦٨ (٢) من الآية ١٦

(٣) من الآية ٤٤ (٤) من الآية ٩٦

(٥) من الآية ١١ (٦) من الآية ٧١

(٧) سورة الأنعام / من الآيتين ١٤٣ و ١٤٤ .

(٨) من الآية ٣٠ (٩) من الآية ٩

(١٠) من الآية ٨ (١١) من الآية ٦

ويُقرأ بنقل حركة الهمزة في قوله تعالى: « عُيُونٍ ادْخُلُوهَا » في سورة الحجر[1] إلى تنوين مضموم، مع كسر الخاء.

ويُقرأ بالغيب في: « عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا » في سورة الإسراء[2].

ويُقرأ بتأنيث « تُسَبِّحُ » في الإسراء أيضاً[3].

ويُقرأ برفع « عَلِمُ الْغَيْبِ » في سورة المؤمنون ابتداء[4].

ويُقرأ « وَلَا يُنْقَصُ » في سورة فاطر[5] بفتح الياء، وضم القاف.

ويُقرأ بياء الغيب في: « وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ » في سورة الشورى[6].

ويُقرأ بتثقيل « وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ » في سورة الحديد[7].

ويُقرأ بتخفيف « سُجِّرَتْ » في سورة التكوير[8].

ويُترك تنوين « سَلَاسِلاً » في سورة الدهر[9] وصلاً، ويوقف بسكون اللام.

ويُقرأ « النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ »[10]: « النَّافِثَاتِ ».

(ب) رواية روح من طريق محمد بن وهب

١ — بين السورتين:

يُراعى السكت.

(١) من الآيتين ٤٥ و ٤٦
(٢) من الآية ٤٣
(٣) من الآية ٤٤
(٤) من الآية ٩٢
(٥) من الآية ١١
(٦) من الآية ٢٥
(٧) من الآية ١٦
(٨) من الآية ٦
(٩) من الآية ٤
(١٠) من الآية ٤

٢ — الإدغام الكبير:

يُقرأ كالأبي عمرو.

٣ — الإدغام الصغير:

يُقرأ بغنّة النون الساكنة، والتنوين عند اللّام والراء.

٤ — الهمز:

يُقرأ بتحقيقه مطلقا.

٥ — المدّ:

يُقرأ بقصر المنفصل وإشباع المتصل.

٦ — هاء الضمير:

يقرأ بصلة الهاء في « يَرَهُ » في سورة البلد[1]، وفي سورة الزَّلْزَلَة[2].

٧ — الوقوف على مرسوم الخط:

تترك هاء السكت في:

(أ) جمع المذكر السّالم والملحق به.

(ب) باب « عليّ »، وأمثلته: « مُصْرِخِيَّ »[3] — « بَنِيَّ »[4] — « لَدَيَّ »[5].

(١) من الآية ٧
(٢) من الآيتين ٧ و ٨
(٣) سورة إبراهيم / من الآية ٢٢
(٤) سورة البقرة / من الآية ١٣٢، وسورة يوسف / من الآيتين ٦٧ و ٨٧، وسورة إبراهيم / من الآية ٣٥.
(٥) سورة النحل / من الآية ١٠، وسورة ق / من الآيات ٢٣ و ٢٨ و ٢٩.

وَيُقرأ بإثبات هاء السكت في :

(أ) نون النسوة .

(ب) اسم الاستفهام الذي دخل عليه حرف من حروف الجرّ .

٨ — من فرش الحروف :

يقرأ بالغيب في : « كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا »(١) .

* * *

١٠ — قراءة خَلَف البزّار

(أ) رواية إسحق ، من طريق ابن شاذان

(ب) رواية إدريس ، من طريق المطوّعي

لم ينصّ ابن الجزريّ في « الدّرّة المضيّة في القراءات الثلاث » على خلاف بين الراوين الأشهرين لهذه القراءة : إسحق ، وإدريس ، أو بين أصحاب طرقها .

وخَلَفٌ صاحب هذه القراءة ، هو — كما ذكرنا قبلاً — أحد الراويين الأشهرين لحمزة ، وقد اخترنا — قبلا — لروايته ، من طريق الشاطبية ، ما اخترنا .

لهذا ، رأينا أن نختار لقراءته هنا ما خالف روايته تلك ، وقد نهجنا في اختيارنا طريق « الدّرّة » و « التّحبير » لابن الجزري ، وأفدنا كثيرا من كتاب « الوجوه المسفرة في القراءات الثلاث » ، لمحمد المتولي شيخ القراء بالديار المصرية سابقا .

(١) سورة الفجر / الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ .

١ — « الصِّرَاطَ » و « صِرَاطَ » بمختلف مواقعهما من الإعراب ، و « صِرَاطَكَ » و « صِرَاطِي »(١) : تقرأ بالصاد الخالصة.

٢ — « عَلَيْهِمْ » و « إِلَيْهِمْ » و « لَدَيْهِمْ »

تقرأ بالكسر ، إذا وقع بعدها محرك

٣ — الإدغام الكبير

يقرأ بإظهار النونين في: « أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ »(٢)

وكذا التاء في: « وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا »(٣)، وفي: « وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا »(٤)، وفي: « فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا »(٥)

وكذا تظهر التاء عند « بَيَّتَ طَائِفَةٌ »(٦)

٤ — الإدغام الصغير :

يقرأ بإظهار التاء عند الثاء، نحو : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ »(٧) ، و « بَعِدَتْ ثَمُودُ »(٨)

ويقرأ بإظهار لام « هَلْ » و « بَلْ » عند التاء والسين

ويقرأ بإظهار الثاء عند التاء في : « أُورِثْتُمُوهَا »(٩) ، وكذا في:

(١) وردت هذه الكلمات في القرآن خمسا وأربعين مرة .

(٢) سورة النمل / من الآية ٣٦

(٣) سورة الصافات / الآيات ١ و ٢ و ٣

(٤) سورة الذاريات الآية / ١

(٥) سورة العاديات / الآية ٣

(٦) سورة النساء / من الآية ٨١

(٧) سورة الشعراء / من الآية ١٤١ ، وسورة القمر / من الآية ٢٣ ، وسورة الحاقة / من الآية ٤ ، وسورة الشمس / من الآية ١١

(٨) سورة هود / من الآية ٩٥ .

(٩) سورة الأعراف / من الآية ٤٣ ، وسورة الزخرف من الآية ٧٢

« لَبِثْتَ »[1] بتاء المتكلم وتاء المخاطب

ويُقرأ بإدغام نون : « يسٓ وَالْقُرْءَانِ »[2] ، وكذا « نٓ وَالْقَلَمِ »[3]

ويُقرأ بإدغام نون : « طسٓمٓ » في الميم (في أول سورة الشعراء ، وأول سورة القصص)[4]

ويُقرأ بإظهار الباء في : « ارْكَبْ مَعَنَا »[5]

٥ — هاء الكناية :

تُشبع حركة الهاء فيما يأتي :

« يُؤَدِّهِ » —معا— بسورة آل عمران[6] .

« نُوَلِّهِ »[7] ، — « وَنُصْلِهِ »[8] في سورة النساء .

« نُؤْتِهِ » في سورة آل عمران[9] ، وفي سورة الشورى[10]

« أَلْقِهْ » في سورة النمل[11] .

« وَيَتَّقْهِ » في سورة النور[12] .

« يَرْضَهُ » في سورة الزمر[13] .

« يَأْتِهِ مُؤْمِنًا » في سورة طه[14] .

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩ (ثلاث مرات)،وسورة يونس / من الآية ١٦ ، وسورة طه / من الآية ٤٠ ، وسورة الشعراء / من الآية ١٨

(٢) سورة يس / الآية ١ ومن الآية ٢ (٣) سورة ن / من الآية ١

(٤) الآية الأولى في كل من السورتين (٥) سورة هود / من الآية ٤٢

(٦) من الآية ٧٥ (مرتين) (٧) من الآية ١١٥ (٨) من الآية ١١٥

(٩) من الآية ١٤٥ (مرتين) (١٠) من الآية ٢٠ (١١) من الآية ٢٨

(١٢) من الآية ٥٢ (١٣) من الآية ٧ (١٤) من الآية ٧٥

« أَرْجِهْ » في سورة الأعراف[1] ، وسورة الشعراء[2] .

وتُقرأ « لِأَهْلِهِ امْكُثُوا »[3] بكسر الهاء .

٦ — المدّان المنفصل والمتصل :

يُقرآن بالتوسّط معاً .

٧ — الهمزتان من كلمة :

تُقرأ : « أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ »[4] بالإخبار .

٨ — الهمز المفرد :

تُقرأ « الذِّئْبُ »[5] بالإبدال ، فتكون « الذِّيبُ » .

٩ — النقل :

يُقرأ بنقل حركة الهمزة ، وحذفها من فعل الأمر الدّال على السؤال في « وَسْئَلِ »[6] — « فَسْئَلِ »[7] .

١٠ — الوقف على الهمز :

يُقرأ بتحقيق الهمز وقفاً .

١١ — السكت على الهمز :

يُقرأ بترك السكت على الهمز مطلقا .

---

(١) من الآية ١١١ (٢) من الآية ٣٦

(٣) سورة طه / من الآية ١٠ ،وسورة القصص من الآية ٢٩

(٤) سورة القلم / من الآية ١٤ (٥) سورة يوسف / من الآيات ١٣و١٤و١٧

(٦) سورة يوسف / من الآية ٨٢ ، وسورة الزخرف / من الآية ٤٥

(٧) سورة يونس / من الآية ٩٤ ، وسورة الإسراء / من الآية ١٠١ ، وسورة المؤمنون / من الآية ١١٣ ، وسورة الفرقان / من الآية ٥٩

١٢ — النون الساكنة والتنوينية :

تُقرأ بالغنّة عند الواو والياء .

١٣ — الفتح والإمالة :

يُقرأ بالفتح في : « الْقَهَّار »[1] — « الْبَوَار »[2] — « ضِعَفًا »[3]

ويقرأ بالفتح أيضا في « خَابَ »[4] — « خَافُوا »[5] —

« طَابَ »[6] — « ضَاقَ »[7] — « حَاقَ »[8] — « زَاغُوا »[9] —

« زَادَ »[10] .

(١) سورة يوسف / من الآية ٣٩ ، وسورة الرعد / من الآية ١٦ ، وسورة إبراهيم / من الآية ٤٨ ، وسورة ص / من الآية ٦٥ ، وسورة الزمر / من الآية ٤ ، وسورة غافر / من الآية ١٦

(٢) سورة إبراهيم / من الآية ٢٨

(٣) سورة النساء / من الآية ٩

(٤) سورة إبراهيم / من الآية ١٥ ، وسورة طه / من الآيتين ٦١و١١١ ، وسورة الشمس / من الآية ١٠

(٥) سورة النساء / من الآية ٩

(٦) سورة النساء / من الآية ٣

(٧) سورة هود / من الآية ٧٧ ، وسورة العنكبوت / من الآية ٣٣

(٨) سورة الأنعام / من الآية ١٠ ، وسورة هود / من الآية ٨ ، وسورة النحل/من الآية ٣٤ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٤١ ، وسورة الزمر / من الآية ٤٨ ، وسورة غافر من الآيتين ٤٥و٨٣ ، وسورة الجاثية / من الآية ٣٣ ، وسورة الأحقاف/ من الآية ٢٦ .

(٩) سورة الصف / من الآية ٥

(١٠) زَادَتْه : (سورة التوبة / من الآية ١٢٤)

زَادَتْهم : (سورة الأنفال/من الآية ٢ ، وسورة التوبة / من الآيتين ١٢٤و١٢٥)

زَادَكُمْ (سورة الأعراف / من الآية ٦٩)

زَادَهُ (سورة البقرة / من الآية ٢٤٧)

زَادَهُمْ (سورة البقرة / من الآية ١٠ ، وسورة آل عمران / من الآية ١٧٣ =

ويُقرأ بالإمالة في : « الأبرار »[1] — إذا كان مجروراً — و« الرُّءْيَا » المحلّى باللام[2] .

١٤ — الوقف على المرسوم :

تُثبت هاء السكت في : « مَالِيَهْ »[3] — « سُلْطَٰنِيَهْ »[4] — « مَاهِيَهْ »[5] .

١٥ — ياء الإضافة :

يُقرأ بفتح ياء الإضافة في :

« عَهْدِيَ الظَّٰلِمِينَ » في سورة البقرة[6] .

« سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ » في سورة الأعراف[7] .

« قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا » في سورة إبراهيم[8] .

« ءَاتَانِيَ الْكِتَٰبَ » في سورة مريم[9] .

« حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ » في سورة الأعراف[10] .

= وسورة الفرقان / من الآية ٦٠ ، وسورة الأحزاب من الآية ٢٢ ، وسورة فاطر / من الآية ٤٢ ، وسورة محمد من الآية ١٧) .

زَادُوكُمْ (سورة التوبة / من الآية ٤٧)

زَادُوهُمْ (سورة هود / من الآية ١٠١ ، وسورة الجن / من الآية ٦)

(١) سورة آل عمران / من الآيتين ١٩٣و١٩٨ ، وسورة المطففين / الآية ١٨

(٢) سورة الإسراء / من الآية ٦٠ ، وسورة الصافات / من الآية ١٠٥ ، وسورة الفتح / من الآية ٢٧

(٣) سورة الحاقة / من الآية ٢٨

(٤) سورة الحاقة / من الآية ٢٩

(٥) سورة القارعة / من الآية ١٠

(٦) من الآية ١٢٤

(٧) من الآية ١٤٦

(٨) من الآية ٣١

(٩) من الآية ٣٠

(١٠) من الآية ٣٣

« رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ » فى سورة البقرة[1] .

« مَسَّنِيَ الضُّرُّ » فى سورة الأنبياء[2] .

« عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » فى سورة الأنبياء[3] .

« مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ » فى سورة ص[4] .

« إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ » فى سورة الزُّمَر[5] .

« مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ » فى سورة سبأ[6] .

« أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ » فى سورة الملك[7] .

١٦ — ياءات الزوائد :

تُحذف الياء فى : « دُعَاءِ » فى سورة إبرهيم[8] ، وفى : « أَتُمِدُّونَنِ » فى سورة النمل[9] .

١٧ — الساكن الأول تنويناً كان أو غير تنوين :

يُقرأ بالضمّ ، نحو : « خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ »[10] — « قُلِ ادْعُوا »[11] .

١٨ — فعل « يَحْسَبُ »[12] مضارعاً فى مختلف صوره :

يُقرأ بكسر السين .

---

(١) من الآية ٢٥٨
(٢) من الآية ٨٣
(٣) من الآية ١٠٥
(٤) من الآية ٤١
(٥) من الآية ٣٨
(٦) من الآية ١٣
(٧) من الآية ٢٨
(٨) من الآية ٤٠
(٩) من الآية ٣٦
(١٠) سورة إبراهيم / من الآية ٢٦
(١١) سورة الأعراف / من الآية ١٩٥ ، وسورة الإسراء / من الآيتين ٥٦ و ١١٠ وسورة سبأ / من الآية ٢٢
(١٢) ورد هذا الفعل ٣٢ مرة فى القرآن .

١٩ — لفظ « أُمّ »

تُقرأ هذه الكلمة فى الإفراد والجمع بضم الهمز وفتح الميم (كحفص) ، وذلك فى الآيات الآتية :

« فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ »[1] — « فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ »[2] — « أُمِّهَا » فى سورة القصص[3] — « فِى أُمِّ الْكِتَابِ »[4] — « أُمَّهَاتِكُمْ » فى سورة النحل[5] ، وسورة النور[6] ، وسورة الزُّمَر[7] ، وسورة النجم[8]

٢٠ — فاء الكلمة فى بعض الألفاظ :

يُقرأ بضم غين « الْغُيُوبِ »[9] ، وعين « عُيُونٍ »[10] ، وجيم « جُيُوبِهِنَّ »[11] وشين « شُيُوخًا »[12]

٢١ — « ثَمُود »

تُقرأ بالتنوين فى سُوَرِ : هود[13] ، والفرقان[14] ، والعنكبوت[15] ، والنجم[16] .

---

(١) سورة النساء / من الآية ١١
(٢) سورة النساء / من الآية ١١
(٣) من الآية ٥٩
(٤) سورة الزخرف / من الآية ٤
(٥) من الآية ٧٨
(٦) من الآية ٦١
(٧) من الآية ٦
(٨) من الآية ٣٢
(٩) سورة المائدة / من الآيتين ١٠٩ و ١١٦ ، وسورة التوبة / من الآية ٧٨ ؛ وسورة سبأ / من الآية ٤٨
(١٠) سورة الحجر / من الآية ٤٥ ، وسورة الشعراء / من الآيات ٧ و ١٣٤ و ١٤٧ ، وسورة يس / من الآية ٣٤ ، وسورة الدخان / من الآيتين ٢٥ و ٥٢ ، وسورة الذاريات / من الآية ١٥ ، و سورة المرسلات / من الآية ٤١ ، ويقرأ أيضا بضم العين فى « عيونا » (سورة القمر / من الآية ١٢)
(١١) سورة النور / من الآية ٣١
(١٢) سورة غافر / من الآية ٦٧
(١٣) من الآية ٦٨
(١٤) من الآية ٣٨
(١٥) من الآية ٣٨
(١٦) من الآية ٥١

٢٢ — لفظ « لَمَّا »

يُقرأ بالتخفيف فى سُوَر : هود[1]، ويس[2]، والزخرف[3] والطارق[4]

٢٣ — لفظ « وَلَدًا »

يُقرأ بالفتح فى الواو واللام فى :سورة مريم[5]، وسورة « الزخرف »[6]

٢٤ — لفظ « يُبَشِّرُ » مطلقا

يُقرأ كحفص

٢٥ — لفظ « يَقْنَطُ ».

يُقرأ « يَقْنَطُ »[7] و « يَقْنَطُونَ »[8] و « لاَ تَقْنَطُوا »[9] بكسر النون.

٢٦ — أوجه فى بعض السور :

سورة البقرة :

تُقرأ « لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ »[10] بتاء الخطاب

وتُقرأ بالغيب: «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أُولَـٰئِكَ[11]..... وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَئِنْ أَتَيْتَ... »[12]

وتُقرأ « أُسَارَىٰ »[13] بضم الهمزة وألف بعد السين

ويُقرأ برفع الراء فى « لَيْسَ الْبِرُّ »[14]

ويُقرأ « فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ »[15] بالباء.

(١) من الآية ١١١ (٢) من الآية ٣٢ (٣) من الآية ٣٥
(٤) من الآية ٤ (٥) من الآيات ٧٧و٨٨و٩١و٩٢ (٦) من الآية ٨١
(٧) سورة الحجر من الآية ٥٦ (٨) سورة الروم من الآية ٣٦
(٩) سورة الزمر من الاية٥٣ (١٠) من الآية٨٣
(١١) من الآيتين ٨٥و٨٦ (١٢) من الآيتين ١٤٤و١٤٥
(١٣) من الآية ٨٥ (١٤) من الآية ١٧٧ (١٥) من الآية ٢١٩

ويُقرأ « إِلاَّ أَنْ يَخَافَا »[1] بفتح الياء.

ويُقرأ برفع « وَصِيَّةٌ» فى: « وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ »[2]

ويُقرأ بهمزة قطع فى: « قَالَ أَعْلَمُ »[3]

وتُقرأ « فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ »[4] كحفص

ويُقرأ بفتح همزة « أَنْ تَضِلَّ »[5]

ويُقرأ بنصب « فَتُذَكِّرَ »[6]

سورة آل عمران :

يُقرأ« وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ »[7] كحفص

ويُقرأ « أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ »[8] بفتح الهمزة

ويُقرأ « لَمَا ءَاتَيْتُكُم »[9] بفتح اللام

ويُقرأ بالغيب فى « يَحْسَبَنَّ » المجاورة للكفر والبخل[10]

وتُقرأ « سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ »[11] كحفص

(١) من الآية ٢٢٩ (٢) من الآية ٢٤٠
(٣) من الآية ٢٥٩ (٤) من الآية ٢٧٩
(٥) من الآية ٢٨٢ (٦) من الآية ٢٨٢
(٧) من الآية ٢١ (٨) من الآية ٣٩
(٩) من الآية ٨١ (١٠) من الآيتين ١٧٨و١٨٠
(١١) من الآية ١٨١

سورة النساء :

يُقرأ : « وَالْأَرْحَامَ »[1] بالنصب

ويُقرأ « غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ »[2] بنصب « غَيْرَ »

وتُقرأ « وإن تَلْوُا »[3] بواو مضمومة بعدها واو ساكنة كحفص .

سورة المائدة :

تُقرأ ألفاظ: « قَاسِيَةً »[4] ـ « عَبَدَ الطَّاغُوتَ »[5] ـ « وَلْيَحْكُمْ »[6]

كحفص فى الجميع .

سورة الأنعام :

تُقرأ « ثُمَّ لَمْ تَكُنْ »[7] بتاء التأنيث .

ويُقرأ برفع « وَلَا نُكَذِّبُ . . . وَنَكُونُ »[8] معاً .

وتُقرأ « تَوَفَّتْهُ »[9]، و « اسْتَهْوَتْهُ »[10] هكذا كحفص .

ويُقرأ بكسر الهمزة فى : « أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ »[11] .

ويُقرأ بالغيب فى: « لَا يُؤْمِنُونَ »[12] .

ويُقرأ « إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً »[13] بتذكير الفعل .

---

(١) من الآية ١
(٢) من الآية ٩٥
(٣) من الآية ١٣٥
(٤) من الآية ١٣
(٥) من الآية ٦٠
(٦) من الآية ٤٧
(٧) من الآية ٢٣
(٨) من الآية ٢٧
(٩) من الآية ٦١
(١٠) من الآية ٧١
(١١) من الآية ١٠٩
(١٢) نفس الآية
(١٣) من الآية ١٤٥

وتُقرأ « فَرَّقُوا »[1] معا بالتشديد .

سورة الأعراف :

تُقرأ « حُلِيِّهِمْ »[2] بضم الحاء .

وتُقرأ « يُلْحِدُونَ »[3] بضم الياء وكسر الحاء .

سورة الأنفال :

تُقرأ « مَنْ حَيَّ »[4] بالإظهار هكذا : « حَيِيَ » .

وتُقرأ « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا »[5] بتاء الخطاب .

وتُقرأ « مِنْ وَلَايَتِهِمْ »[6] بفتح الواو .

سورة التوبة :

تُقرأ : « وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا »[7] بالرفع فى « رَحْمَةٌ » .

وتُقرأ : « إِلَّا أَنْ تُقَطَّعَ »[8] بضم التاء .

وتُقرأ : « مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ »[9] بتاء التأنيث .

وتُقرأ : « أَوَلَا يَرَوْنَ »[10] بياء الغيب .

---

(١) من الآية ١٥٩ (مرتين)
(٢) من الآية ١٤٨
(٣) من الآية ١٨٠
(٤) من الآية ٤٢
(٥) من الآية ٥٩
(٦) من الآية ٧٢
(٧) من الآية ٦١
(٨) من الآية ١١٠
(٩) من الآية ١١٧
(١٠) من الآية ١٢٦

سورة هود :

يُقرأ بفتح همزة: « إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ »(1) .

ويُقرأ بتنوين « إِنَّ ثَمُودًا »(2) .

وتُقرأ « قَالَ سَلَٰمٌ »(3) كحفص .

سورة إبراهيم :

تُقرأ « بِمُصْرِخِىَّ »(4) بفتح الياء

سورة الكهف :

يُقرأ بالياء فى « وَيَوْمَ يَقُولُ »(5)

وتُقرأ « ءاتُونِى »(6) معا بهمزة قطع محدودة كحفص .

وتُقرأ « فَمَا اسْطَٰعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ »(7) بتخفيف الطاء .

سورة مريم :

تُقرأ « عِتِيًّا »(8) — « وَبُكِيًّا »(9) — « صِلِيًّا »(10) — « جِثِيًّا »(11)

بالضمّ فى الحرف الأول .

---

(1) من الآية ٢٥
(2) من الآية ٦٨
(3) من الآية ٦٩
(4) من الآية ٢٢
(5) من الآية ٥٢
(6) من الآية ٩٦ (مرتين)
(7) من الآية ٩٧
(8) من الآيتين ٨ و ٦٩
(9) من الآية ٥٨
(10) من الآية ٧٠
(11) من الآيتين ٦٨ و ٧٢

وتُقرأ « خَلَقْتُكَ »(1) كحفص

وتُقرأ « نَسِيًا »(2) بكسر النون

وتُقرأ « تُسَٰقِطْ »(3) بالتشديد، وبالتاء (على التأنيث)

سورة طه :

تُقرأ « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ »(4) كحفص

ويُقرأ بالفعل المضارع فى « لَا تَخَٰفُ دَرَكًا »(5) بالألف والرفع

سورة الأنبياء :

تُقرأ « وَحَرَٰمٌ »(6) بالفتح والألف، كحفص .

سورة المؤمنون :

تُقرأ « أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ »(7) بفتح همزة أنهم .

وتُقرأ « قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ »، و« قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ »(8) بصيغة الماضى فى « قَالَ »

سورة النور :

تُقرأ « دُرِّىٌّ »(9) كحفص .

سورة الفرقان :

تُقرأ « لِمَا تَأْمُرُنَا »(10) بتاء الخطاب

---

(1) من الآية ٩
(2) من الآية ٦٤
(3) من الآية ٢٥
(4) من الآية ١٣
(5) من الآية ٧٧
(6) من الآية ٩٥
(7) من الآية ١١١
(8) من الآيتين ١١٢ و ١١٤
(9) من الآية ٣٥
(10) من الآية ٦٠

سورة النمل :

تقرأ « بهادي العمي »(١) كحفص .

سورة القصص :

تقرأ « يصدقني »(٢) بالجزم في القاف .

سورة العنكبوت :

تقرأ « مودةً بينِكم »(٣) بنصب « مودةً » منونا، ونصب « بينِكم » .

سورة الروم :

تقرأ : « ضعف » و « ضعفا »(٤) بضم الضاد .

تقرأ : « بهادِ العمي »(٥) . كحفص

سورة لقمان :

تقرأ « هدى ورحمةً »(٦) بنصب رحمة .

سورة السجدة :

تقرأ « لَمّا صبروا »(٧) بفتح اللام وتشديد الميم في « لمّا » .

سورة الأحزاب :

تقرأ : « الظنونا(٨) – الرسولا(٩) – السبيلا(١٠) » بالألف وقفاً .

---

(١) من الآية ٨١
(٢) من الآية ٣٤
(٣) من الآية ٢٥
(٤) من الآية ٥٤
(٥) من الآية ٥٣
(٦) من الآية ٣
(٧) من الآية ٢٤
(٨) من الآية ١٠
(٩) من الآية ٦٦
(١٠) من الآية ٦٧

سورة سبأ :

تقرأ : « عالِمِ الغيبِ »(١) بصيغة اسم الفاعل كحفص .

وتقرأ : « في مسكنِهم »(٢) بكسر الكاف .

وتقرأ : « وهم في الغرفات »(٣) بالجمع هكذا .

سورة فاطر :

تقرأ « ومكرَ السيّئِ »(٤) بكسر الهمزة .

سورة يس :

تقرأ « يخِصّمون »(٥) كحفص .

وتقرأ « ننكّسه »(٦) بضم الكاف والتخفيف، أي « ننكُسه » .

سورة الصافات :

تقرأ: « بزينةِ الكواكبِ »(٧) بحذف تنوين « زينةٍ » .

وتقرأ : « يُزفّون »(٨) بضمّ الياء .

سورة الزُّمر :

تقرأ : « أمّن هو »(٩) بتشديد الميم

سورة فصّلت :

تقرأ : « يُلحِدون »(١٠) بضم الياء وكسر الحاء

---

(١) من الآية ٣
(٢) من الآية ١٥
(٣) من الآية ٣٧
(٤) من الآية ٤٣
(٥) من الآية ٤٩
(٦) من الآية ٦٨
(٧) من الآية ٦
(٨) من الآية ٩٤
(٩) من الآية ٩
(١٠) من الآية ٤٠

سورة الزخرف :

تُقرأ : « سَلَفًا »(1) بفتح السين واللام

وتُقرأ : « يَصِدُّونَ »(2) بضم الصاد

وتُقرأ : « وَقِيلِهِ يَٰرَبِّ »(3) بنصب اللام

سورة الجاثية :

تُقرأ : « ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ »(4) ـ « ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »(5)

برفع « آيات » في الموضعين كحفص .

وتُقرأ : « وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا »(6) ــ برفع السّاعة.

سورة الطور :

تُقرأ : « الْمُصَيْطِرُونَ »(7) بالصّاد .

سورة القمر :

تُقرأ : « سَيَعْلَمُونَ غَدًا »(8) بياء الغيب .

سورة الرحمن :

تُقرأ « الْمُنشَآتُ »(9) بفتح الشين

---

(1) من الآية ٥٦
(2) من الآية ٥٧
(3) من الآية ٨٨
(4) من الآية ٤
(5) من الآية ٥
(6) من الآية ٣٢
(7) من الآية ٣٧
(8) من الآية ٢٦
(9) من الآية ٢٤

سورة الواقعة :

تُقرأ « وَحُورٌ عِينٌ »(1) برفعهما

ويُقرأ « شُرْبَ الْهِيمِ »(2) بفتح الشين

سورة الحديد :

تُقرأ « انظُرُونَا نَقْتَبِسْ »(3) بهمزة وصل مضمومة ، وضمّ الظاء .

سورة المجادلة :

تُقرأ « وَيَتَنَجَوْنَ »(4) كحفص

سورة الملك :

تُقرأ « تَفَٰوُتٍ »(5) بالمدّ والتخفيف كحفص

سورة الجنّ :

تُقرأ « قُلْ إِنَّمَا »(6) بصيغة الماضي

سورة الإنسان :

تُقرأ « قَوَارِيرَا »(7) الأولى بتنوين ، وبالألف وقفا

وتُقرأ « عَٰلِيَهُمْ »(8) بفتح الياء

سورة النبأ :

تُقرأ « لَٰبِثِينَ »(9) بالمدّ

---

(1) الآية ٢٢
(2) من الآية ٥٥
(3) من الآية ١٣
(4) من الآية ٨
(5) من الآية ٣
(6) من الآية ٢٠
(7) من الآيتين ١٥ و ١٦
(8) من الآية ٢١
(9) من الآية ٢٣

سورة الغاشية :

تُقرأ « بِمُصَيْطِرٍ »[1] بالصاد

سورة القدر :

تُقرأ « مَطْلَعِ الْفَجْرِ »[2] بكسر اللام فى « مَطْلَعِ »

— ١٥ —

وقد كان بعضهم[3] يرى ـ بالنسبة لبعض القراءات ـ أنه لا يصح استعمالها وقراءتها ، « حتى إذا صح سندها وحسنت روايتها » ، « قد مات أهلها ومن ينطقون بها ، وإذا كان أهلها على قيد الحياة ، فليس هذا مكانهم ، وليست هذه البلاد أوطانهم » .

ولا نقف عند هذا القول فهو واضح السطحيّة ، ولعله اجتراء من صاحبه على ما لم يدرس ، والظن أنّ فيما ذكرناه آنفا ما يعصف بهذا الرأى عصفا .

— ١٦ —

وكان بعض القراء المشاهير ، إذا دعوتُهم إلى الاشتراك فى الجمع الصوتى للقرآن يبدون أنهم يُؤْثِرُون التسجيل أولا برواية حفص عن عاصم .

وكنت وما زلت أرى أنّ الجمع الصوتى للقرآن يقتضى تسجيل كل الروايات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، وأنّ تكرار تسجيل الرواية الواحدة يجب أن يُؤَخَّرَ إلى ما بعد تسجيل الروايات كلّها . وبالفعل كنت

(١) من الآية ٢٢
(٢) من الآية ٥
(٣) ابن الخطيب فى كتابه « الفرقان » ص ١٠٣

وضعت التخطيطات آنفا لتسجيل هذه الروايات ، ومضيت — بالفعل — فى التسجيل ، ولكن العمل ما لبث أن توقف مع الأسف .

* * *

على أن وزارة الأوقاف رغبت إلىّ فى أواخر سنة ١٩٦٣[1] أن أفاوض عددا من كبار القراء ليسجّل كلٌّ منهم المصحف برواية حفص ، واحتجّت الوزارة بما كان نمى إليها من صدوف بعض هؤلاء القراء عن تسجيل ما عدا هذه الرواية ، واحتجت أيضاً بأن تسجيل باقى الروايات عمل « أكاديمى » مقصود به حفظها من الاندثار ، فهو يحتمل بعض التأخير .

ومع معارضتنا الدائمة لهذا الاتجاه ، وإيثارنا تسجيل الروايات كلّها بأصوات الحاذقين ولو كانوا من غير المشاهير ، فقد وجدنا أنّ هذا الاتجاه الذى هو خلاف الأَوْلَى لا يخلو من نفع للمشروع ، فخطّطنا لتسجيلات حفص ، بما يكفل عدم خلط الطرق بعضها ببعض :

فمثلا ، كان التسجيل الأول قد التزم — عن تراضٍ منا وتشاور بيننا وبين لجنة التسجيل — طريق أحمد بن محمد بن حميد أبى جعفر البغدادى الملقب بالفيل ، عن عمرو بن الصبّاح ، على ما أوضحه أبو اسماعيل موسى بن الحسين بن إسماعيل بن موسى المعدل فى كتاب « الروضة » ، فقرأ :

١ — بالقصر : فى المدّ المنفصل ، وبالتوسّط فى : المدّ المتصل ، وبالقصر فى : المدّ العارض للسكون .

٢ — وبالسين فى : « وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ »[2] ، وفى : « وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً »[3] ، وفى : « أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ »[4]

(١) بلسان وكيلها لشؤون الخدمات السيد الأستاذ يوسف عز الدين القرمانى
(٢) سورة البقرة / ٢٤٥ (٣) سورة الأعراف / ٦٩
(٤) سورة الطور / ٣٧

٣ — وبالصّاد في: « لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ »(١)

٤ — وبالإبدال مع الإشباع في باب: « ءآلذَّكَرَيْنِ »(٢)

٥ — وبالإدغام في: « يَلْهَث ذَّلِكَ »(٣) ، وفي: « ارْكَب مَّعَنَا »(٤)

وفي: « أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ »(٥)

٦ — وبالإشمام في: « لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ »(٦)

٧ — وبعدم السكت في: « عِوَجًا »(٧) ، وبابه — « مِن مَّرْقَدِنَا »(٨) ،

« وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ »(٩) — « بَلْ رَانَ »(١٠)

٨ — وبالقصر في عين « كهيعص »(١١) و « عسق »(١٢)

٩ — وبالتفخيم في « فِرْقٍ »(١٣)

١٠ — وبالفتح في « مِنْ ضَعْفٍ » و « ضَعْفًا » في الآية: « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً »(١٤)

* * *

---

(١) سورة الغاشية / ٢٢

(٢) سورة الأنعام من الآية / ١٤٣

(٣) سورة الأعراف من الآية / ١٧٦

(٤) سورة هود من الآية / ٤٢

(٥) سورة المرسلات / ٢٠

(٦) سورة يوسف من الآية / ١١

(٧) سورة الكهف من الآية / ١

(٨) سورة يس من الآية / ٥٢

(٩) سورة القيامة من الآية / ٢٧

(١٠) سورة المطففين من الآية / ١٤

(١١) سورة مريم / ١

(١٢) سورة الشورى / ٢

(١٣) سورة الشعراء من الآية / ٦٣

(١٤) سورة الروم / ٥٤

التزم التسجيل الأول هذا ، فرأينا أن نختار طريقاً آخر فيما لو سجلت رواية حفص على ما في « الرّوضة » للمعدّل أيضاً ، فيؤخذ من طريق زرعان ابن أحمد بن عيسى أبي الحسن الطحان الدقاق البغدادي ، فيقرأ المسجِّلُ :

١ — بالطرق السابقة في المدّ

٢ — وبالصّاد في: « وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ »(١) ، وفي: « وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً »(٢)

٣ — وبالسّين في: « لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ »(٣) ، وفي « أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ »(٤)

٤ — وبالضم في « ضُعْفٍ » و « ضُعْفًا » في الآيات: « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً »(٥)

* * *

وأخذنا — فيما لو سجلت نفس رواية حفص تسجيلا ثالثاً — طريق الهاشمي ، عن عبيد بن الصّبّاح ، على ما في الشاطبية ، فيلتزم المسجّل :

١ — التوسّط في المدّين : المنفصل والمتصل ، والقصر في المدّ العارض للسكون .

٢ — الإبدال مع الإشباع في باب « ءآلذَّكَرَيْنِ »(٦)

٣ — الإشمام في « لَا تَأْمَنَّا »(٧)

---

(١) سورة البقرة / ٢٤٥

(٢) سورة الأعراف / ٦٩

(٣) سورة الغاشية / ٢٢

(٤) سورة الطور / ٣٧

(٥) سورة الروم / ٥٤

(٦) سورة الأنعام / ١٤٣

(٧) سورة يوسف / ١١

٤ — الإشباع فى عين « كهيعص »[١] و « عسق »[٢]

* * *

وبعد ، فليست هذه الاختيارات — على كثرتها — هى كل ما يجب التخطيط لتسجيله ، وإنما هى — كما أسلفت — مجرد نبراس لمن سوف يتمون — بإذن الله — تسجيل القرآن بكل رواياته العشرين .

ولعلّى — بتوفيق من الله — أن أضم يوماً — فى كتاب قائم برأسه — إلى تلك الاختيارات باقى اختياراتى لباقى الطرق والأوجه المتواترة والمشهورة.

— ١٧ —

وبرغم ما جوّزه علماء القراءات من الجمع — أثناء القراءة — بين الروايات بقيود معيّنة[٣] رأيت — منذ بدء المشروع ، وعلى نحو ما ذكر شيخ الأزهر فى بيانه الصادر فى رمضان سنة ١٣٧٨ (ابريل ١٩٥٩) ، والذى أوردنا نصه قبلا — وجوب الإفراد فى قراءة المصاحف المرتلة ، بمعنى التزام رواية واحدة فى تلاوة كل مصحف من أوله إلى آخره ، ونصصت على هذا فى كل ما ذكرته عن المشروع كتابةً أو شفاهاً.

* * *

وقصدت بهذا منع اختلاط الروايات بعضها ببعض ، ومنع التلفيق بينها ، وهو ما نعاه علماء القرآن على فاعليه وحذروا منه :

يقول ابن حجر العسقلانى : « القارىء متى خلط رواية بأخرى كان كاذبا على القارىء الذى شرع فى إقراء روايته ، فمن قرأ رواية لم يحسن أن ينتقل عنها إلى رواية أخرى — كما قال الشيخ محيى الدين — وذلك من الأولويّة لا على الحتم . أما المنع على الإطلاق فلا »[٤] .

(١) سورة مريم / ١ (٢) سورة الشورى / ٢
(٣) انظر : عبد الفتاح بن عبيدى بن أبى الجد : الأدلة العقلية فى حكم جمع القراءات النقلية ص ١٣ وما بعدها . (٤) فتح البارى جـ ٩ ص ٣١

وقد سئل أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦هـ ، عن شخص زعم أن خلط القراءات بعضها ببعض خطأ لا يجوز ، فهل كما زعم أو لا ، وقيل فى السؤال : « وإذا قلتم بالأول ، فما معنى قول النووى فى كتابه المسمى بـ « التبيان » : إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء ، فينبغى أن لا يزال على القراءة بها مادام الكلام مرتبطا ؟ هل معنى قوله : فينبغى كذا أنه يحرم أو لا ؟ » .

فأجاب زكريا الأنصارى :

« إن ما قاله الشخص المذكور من أنّ ذلك خطأ لا يجوز صحيح ، بشرط أن يكون ما قرأه بالقراءة الثانية مرتبطا بالأولى .

وقول النووى : « ينبغى » معناه : يحرم ، بدليل قوله ، بعد ما ذكر فى « التبيان » : « وإذا انقضى ارتباطه ، فله أن يقرأه بقراءة أخرى » ، فإنه يدل على أنه مادام الكلام مرتبطا ، ليس له ذلك ، فيحرم عليه .

ويدلّ له أيضاً قوله فى : « شرح المهذّب » : وإذا قرأ بقراءة من السبع استُحبّ أن يتم القراءة بها ، فلو قرأ بعض الآيات بها ، وبعضها بغيرها من السبع ، جاز ، بشرط أن لا يكون ما قرأه بالثانية مرتبطا بالأولى .

ودليل التحريم أن القراءة بذلك تستلزم فوات ارتباط إحدى القراءتين بالأخرى ، والإتيان بهيئة لم يقرأ بها أحد . والله أعلم »[١] .

* * *

وإذا كان العلماء قد كرهوا أن يشمل المصحف المكتوب أكثر من قراءة ، ومنعوا من ذلك ، وعدّوه من « أعظم التخليط وأشدّ التغيير للمرسوم »[٢] ، فأولى — عندى — فى المصاحف المرتلة أن يُمنع جمع القراءات فى مصحف واحد .

(١) الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى ص ٤٢٣ و ٤٢٤ . (٢) أبو عمرو الدانى : المحكم فى نقط المصاحف ص ٢٠

وقد كتب - فيما بعد[1] - أحد الكتاب الدينيين[2] يشكو من تعمّد القراء الجمع بين الروايات فى المجلس الواحد ، ويقول : « إنّ الغاية المتوخّاة من تلاوة آى الذكر الحكيم - وهى العظة البالغة وإدخال الطمأنينة على القلوب - قد تخفى تماماً ، وتحلّ محلّها غاية أو غايات أخرى لا تنسجم معها ولا تمتّ إليها بصلة ، إذا ما أدّيت التلاوة على هذا النحو من تكرار الكلمة الواحدة أو الآية الواحدة بضع مرات ، كلّ واحدة بزيادة حرف أو نقصه ، وبنغم مختلف عن غيره ، وتطريب مغاير لما قبله » .

ودعا الكاتب إلى منع هذا ، وقال متحدثا عن شيخ الأزهر[3] : « وإنى لأرجو أن يقرن اسمه بهذا الإصلاح ، وما أعتقد أن فضيلته يتقرب إلى الله بعمل أفضل من ذلك » .

ويظهر أن الجمع بين القراءات كان يثير المسؤولين وقتئذ ، إلى حدّ التفكير فى حظره ومعاقبة فاعله ، فقيل إنه صدر قرار حكومىّ بهذا[4] .

ويُذكر فى هذا المقام أن الجمع بين القراءات فى التلاوة الواحدة لم يكن يظفر بالرضى من بعض علماء المسلمين منذ قديم ، فقد نعى الشعرانى المتوفى سنة ١٥٦٥ م على قراء زمانه أنهم يعمدون إلى هذا الجمع[5] .

* * *

هذا ، وأستعين الله وحده ، وأبرأ إليه - سبحانه - من كل حَوْل وقوّة .

---

(١) انظر : جريدة الجمهورية ع ١٦ يونيو سنة ١٩٦٠

(٢) محمد خالد (٣) وكان هو المرحوم الشيخ محمود شلتوت

(٤) نشرت الأهرام فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٠ خبرا بعنوان : قراءة واحدة لتلاوة القرآن الكريم فى الإقليم الجنوبى ، ونصّه :

« أصدر السيد أحمد عبد الله طعيمه وزير الأوقاف قرارا وزاريا يحظر تلاوة القرآن إلا بتلاوة واحدة . ينفذ هذا القرار على جميع المقرئين فى الإقليم الجنوبى ، ابتداء من اليوم ، ويحال كل قارىء مخالف إلى مجلس تأديب » .

(٥) انظر : الشعرانى : الدرر المنثورة فى زبد العلوم المشهورة ص ٨ .

الفصل الثالث

المنع من القراءة بالروايات الشواذ

الفصل الثالث

المنع من القراءة بالروايات الشواذ

— ١ —

القراءات الشّواذّ — في مصطلح علماء القرآن — هي التي تُرْوَى آحاداً، وتخالف خطَّ المصحف العثماني الإمام، ولا يمنع من وصفها بالشذوذ أن تكون صحيحة السَّنَد وموافقةً للعربية[1].

ومن أمثلة هذه القراءات :

(أ) القراءات المنسوبة إلى ابن عباس : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ » (في مواسم الحج)[2].

(ب) والقراءة المنسوبة إلى أُبَيّ : « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُو » (فيهن)[3].

(ج) والقراءة المنسوبة إلى عائشة وحفصة : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ » (صلاة العصر)[4].

---

(١) انظر : محمد بخيت المطيعي : الكلمات الحسان ص ٢٠

(٢) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « مواسم الحج » ـ سورة البقرة / ١٩٨

(٣) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « فيهن » ـ سورة البقرة/٢٢٦

(٤) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « صلاة العصر » ـ سورة البقرة / ٢٣٨

(د) والقراءة المنسوبة إلى ابن الزبير : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » (ويستعينون بالله على ما أصابهم)[1] .

(هـ) والقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبي وقاص : « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ » (من أمّ)[2] .

(و) والقراءة المنسوبة إلى أبيّ : « فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا » (كالمسجونة)[3] .

(ز) والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود : « فَاقْطَعُوا » (أيمانهما)[4] .

(ح) والقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صالحة) غَصْبًا ، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ » (كافراً)[5] .

(ط) والقراءة المنسوبة إلى الحسن : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا » (الورود الدخول)[6] .

(ى) والقراءة المنسوبة إلى جابر : « فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ (لهن) غَفُورٌ رَحِيمٌ »[7] .

(١) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « ويستعينون بالله على ما أصابهم » — سورة آل عمران / ١٠٤

(٢) قراءة المصحف العثماني الإمام بحذف « من أمّ » — سورة النساء / من الآية ١٢

(٣) قراءة المصحف العثماني « كَالْمُعَلَّقَةِ » — سورة النساء / ١٢٩

(٤) نصها في المصحف العثماني الإمام : « فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا » — سورة المائدة / ٣٨

(٥) قراءة المصحف العثماني الإمام : « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ » — سورة الكهف / ٧٩ و ٨٠

(٦) قراءة المصحف العثماني الإمام : بحذف « الورود الدخول » — سورة مريم / من الآية ٧١

(٧) قراءة المصحف العثماني الإمام بدون « لهن » — سورة النور / ٣٣

(ك) والقراءة المنسوبة إلى عبدالله بن مسعود : « إِنْ كَانَتْ إِلَّا (زقية) وَاحِدَةً »[1] .

(ل) والقراءة المنسوبة إلى ابن عباس : « (وأيقن) أَنَّهُ الْفِرَاقُ »[2] .

(م) والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود وأبي الدرداء : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (والذكر والأنثى)[3] » .

وترِدُ في بعض كتب التفسير ، والحديث ، والنحو ، والأدب ، والتاريخ إشارات إلى القراءات الشاذّة . ولعلّ من أشهر المفسّرين الذين عُنُوا بإيراد هذه القراءات : الزمخشري في (كشاف) ه ، وأبو حيان في تفسيره : « البحر المحيط » ، والشوكاني في تفسيره : « فتح القدير » ، ومن النُّحاة : سيبويه ، وابن جنّي وابنُ الأنباري[4] .

— ٢ —

وقد اختُلِف في حكم القراءات الشّواذّ الخارجة عن رسم المصحف العثماني : هل تجوز القراءة بها ؟

١ — نقل ابن عبدالبر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشّواذّ ولا يُصَلَّى خَلْفَ من يصلّي بها[5] .

(١) في المصحف الإمام : « إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً » — سورة يس / ٥٣

(٢) قراءة المصحف الإمام : « وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » — سورة القيامة / ٢٨

(٣) في المصحف الإمام : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى » — سورة الليل ١ ، ٢ ، ٣

(٤) انظر : آرثر جفري : مقدمته لكتاب « القراءات الشاذة لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، والذي عُني بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر ص ٤

(٥) انظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٢٢ و ٣٣٣
والسيوطي : الإتقان ج ١ ص ١٠٩
ومحمد راغب : سفينة الراغب ودفينة المطالب ص ٦٦ و ٦٧

٢ — وعند ابن الصلاح شيخ الشافعية فى الشام : « أن ما خلا القراءات العشر المتواترة والمستفيضة يقيناً وقطعاً — على ما تقرر وتمهد فى الأصول — ممنوع — على العالم وغير العالم — القراءة به منع تحريم لا منع كراهة، فى الصلاة وخارج الصلاة . وواجب على من قدر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك . ويجب منع القارىء بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه ، وإن لم يمتنع عُزِّر[1] » .

٣ — وعلى هذا الرأى أصحاب الشافعى ، لأنهم يرون القراءات الشاذة ليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة . وعندهم أنَّ مَنْ قال غير هذا غالِطٌ أو جَاهِلٌ ، ويجب الإنكار على القارىء بالشواذ فى الصلاة ، وغيرها[2] .

٤ — وفقهاء بغداد متفقون على اعتبار القراءة بالشواذ إثما يستتاب منه[3] .

٥ — وعند ابن الحاجب شيخ المالكية أن القراءة بالشواذ لا تجوز فى صلاة ولا غيرها ، فإذا كان القارىء جاهلا بالتحريم عُرِّف به وأُمِر بتركها، وإذا كان عالما أُدِّب ، فإنْ أصرَّ حُبِس حتى يَرْتدِع[4] .

٦ — وعن أحمد بن حنبل روايتان :

(إحداهما) تجيز القراءة بهذه القراءات .

(والثانية) لا تجيزه ، ويقول ابن تيمية فى شأن هذه الرواية الثانية : « وهو قول العلماء ، لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبى — صلى الله

(١) انظر : الزركشى : المرجع السابق
(٢) نفس المرجع
(٣) نفس المرجع
(٤) نفس المرجع

عليه وسلم — ، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة[1] » .

٧ — وذهب مكِّىّ بن أبى طالب ، وابن الجزرى — وهما من كبار علماء القراءات — إلى قبول هذه القراءات ، وصحة القراءة بها ، بشرط اشتهارها واستفاضتها ، أما إذا لم تبلغ حدّ الاشتهار فيمنع من القراءة بها .

وابن الجزرى — فى تحبيذه القراءة بالشواذ بذلك الشرط — ينقل أن بعض أئمته كان يقول : « وعلى قول من حرَّم القراءة بالشاذ يكون عالَم من الصحابة وأتباعهم قد ارتكبوا محرَّما بقراءتهم الشواذّ ، فيسقط الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرَّم دائماً ، وهم نقلة الشريعة الإسلامية ، فيسقط ما نقلوه ، فيفسد — على قول هؤلاء — نظام الإسلام ، والعياذ بالله ؛ ويلزم أيضاً أن الذين قرأوا بالشواذ لم يصلّوا قط ، لأن تلك القراءة محرَّمة ، والواجب لا يتأتى بفعل المحرم »[2] .

٨ — ورأى بعضهم أن القارىء بالشواذ يكتفى فيه بأن لا يُصلَّى وراءه[3] .

٩ — وروى ابن الجزرى أنه ورد فى أحد القولين لأصحاب الشافعى وأبى حنيفة ، وفى إحدى الروايتين عن مالك وأحمد جواز القراءة بها فى الصلاة[4] .

وذكر النووى فى « الروضة » — تبعاً للإمام الرافعى — : « وتستوى القراءة بالسبع ، وكذا القراءة الشاذة إن لم يكن فيها تغيير معنى ولا زيادة حرف ولا نقصانه »[5] .

(١) ابن تيمية : فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه الأحرف السبعة ص ٥٠
(٢) النشر ج ١ ص ١٥ (٣) الزركشى : البرهان ج ١ ص ٢٢٢
(٤) النشر ج ١ ص ١٤
(٥) انظر : محمد راغب : سفينة الراغب ودفينة المطالب ص ٦٦ ، ٦٧

وقل صاحب « المهمات » عن بعض الفقهاء أنه تجوز القراءة بالشواذّ إلاّ في الفاتحة للمصلّي[1] .

— ٣ —

هذه القراءات الشاذة التي انتهت جمهرة العلماء — في شأنها — إلى اعتبارها مجرد وسيلة من وسائل تفسير القرآن، وتبيين معانيه ويستنبط منها صحة التأويل، ولا تُذكر — كما يقول موفق الدين الكواشي — إلا « لتكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجّحا[2] . . . »

هذه القراءات التي أُدخل الكثير منها لمجرّد الإيضاح والبيان ، وكان مُدْخلوها محققين لما تلقوْه عن النبي قرآناً ، فكانوا آمنين من الالتباس[3] . . .

هذه القراءات التي خالفت ما أجمعت عليه الأمة[4] ، والتي نُقلت إلينا نقلاً لا يثبت بمثله القرآن، والتي إن ثبتت بالفعل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة . . .

هذه القراءات التي أحدثت — على عهد عثمان — ما أحدثت من اختلاف وبلبلة وفتنة ، ودعت المسلمين وقتئذ فيما وراء الجزيرة مهد الإسلام إلى أن يكفّر بعضهم بعضاً على نحو ما فصّلناه قبلا . . .

هذه القراءات دافعت عنها قلة قليلة من العلماء ، كما أسلفنا ، وتمسّك بها بعض القراء تمسّكاً لم يُغْنِهِ منه أنّهم عوقبوا وأُهينوا ، وتوسّع في القراءة بها ناسٌ بحسن نيّة أو بسوء نية .

* * *

ولا شكّ عندنا أنّ بقاء هذه القراءات مسموعةً مقروءةً ، مع تجاوز

(١) نفس المرجع .
(٢) انظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٣١ و ٣٣٦ و ٣٣٨ والقاسمي : محاسن التأويل ج ١ ص ٣٨
(٣) السيوطي : الإتقان ج١ ص ٧٧ (٤) أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ج٢ ص ٩٤

ما سمح به جمهور الفقهاء من تدوين أوْجُهِها لغةً وإعراباً ومعنى ، والإستعانة بها على التفسير ، قد يؤدّي إلى فتح بابٍ ذي ضرر وبيل تدخل منه المطاعن إلى التواتر القرآني ، وينفذ منه المتهجمون على الكتاب الذي تشهد الإستقراءات المنصفة أنه — كما أوضحنا قبلا — ظفر بمحافظة لم يظفر بمثلها أيّ كتاب سماويّ أو غير سماويّ منذ كانت البشرية .

وقد فطن السّلف إلى هذا ، فكان ما كان من جَمْع الناس على مصحف واحد، مع استبعاد كلّ ما لا تثبت قرآنيته ، وفقاً لمناهج متحرّزة أسلفنا ذكرها.

ومن قبلِ هذا الجمع ، وفي صدر الإسلام ، دعا عمر بن الخطاب إلى إقفال باب يفضي إلى سبب من أسباب الشذوذ في القراءة ، فقد كان ابن مسعود يقرىء الناس بلغة هُذَيل ، فكتب إليه عمر : إن القرآن نزل بلسان قريش ، فأقرىء الناس بلغة قريش لا بلغة هُذَيْل[1] .

* * *

والرأي أن علينا — نحن الخلفَ — أن نقوّي ما فعل الأوّلون ، وأن نجعل — كما جعلوا — سدوداً بين القرآن وبين أسباب التّشكك فيه . وقد تمثّلنا هذا السدّ في تسجيل القرآن تسجيلا صوتياً لكلّ الروايات المقطوع بقرآنيتها وورودها عن النبي نفسه ، فيتأكدُ لدى البشر أنّ ما عدا هذه التسجيلات الجامعة ليس من القرآن المأمور بتلاوته والصّلاة به .

— ٤ —

ويؤيّد وجوب العناية بهذا الأمر أنه يظهر ، بين حين وحين ، من يقرأ بالشواذّ ، ويُقرىء بها ، ويصرّ عليها[2] :

(١) أخرجه أبو داود ، وانظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ٧
(٢) أنظر أسماء كثير من أهل الشّواذّ في عديد من الأمصار في : ابن النديم : الفهرست ص ٣٠ — ٣٣ (ط . ليبزج ١٧٨٢)

١ — ففى القرن الثانى الهجرى ، كان لابن محيصن المتوفى بمكة سنة ١١٣هـ اختيار فى القراءة خرج به عن إجماع أهل بلده ، وقد رغب الناس عن قراءته وقيل إن فيها ما يُنكَر ، وسندها غريب[١] ، وكان يُظن به الميل إلى المعتزلة[٢] .

ولكن الروايات تحكى ـ مع هذا ـ أن ابن محيصن كان أعلم بالعربية وأقوى عليها من زميليه إمامَى القراءة : عبد الله بن كثير ، وحميد بن قيس[٣] ، وأن مسلم بن الحجاج صاحب (الجامع الصحيح) ، والترمذى ، والنّسائى ، رَوَوْا عنه[٤] .

ومثل هذه الأقوال قد تحدو ببعض الناس إلى الأخذ بروايته فى القرآن وعدم الإنكار عليه .

٢ — وفى البصرة ، ظهر من القراء عيسى الثقفى المتوفى سنة ١٤٩ هـ ، وكان له اختيار فى القراءة ـ على مذاهب العربية ـ يفارق قراءة الجماعة ، ويستنكره الناس ، ولكنه كان صاحب كتابين فى النحو هما : « الجامع » و « الكامل » مما يحتمل معه أن يكون لرأيه عند بعض النّاس — وزن كبير .

٣ — وفى القرن الرّابع الهجرى ، كان المقرىء ابن شَنَبُوذ ، أو ابن شَنّبُوذ (بنون مشدّدة ، وباء مضمومة ، ودال كما ضبطها ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة[٥]) قد « تخيّر لنفسه حروفاً من شواذّ القراءات ، فقرأ بها ، فصنّف أبو بكر الأنبارى وغيره كتباً فى الرّدّ عليها »[٦] .

(١) الصفدى : الوافى بالوفيات ج ٣ ص ٢٣٢ (ط . دمشق ١٩٥٣)
(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية ـ ٣١١٨ ج ٢ ص ١٦٧
(٣) نفس المرجع
(٤) انظر : الصّفدى :الوافى بالوفيات ج ٣ ص ٢٢٣
(٥) ج ٣ ص ٢٤٨
(٦) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ١٧ ص ١٦٧ (ط . فريد رفاعى)

وكان ابن شنبوذ يقرىء الناس ، ويقرأ فى المحراب بهذه الحروف التى كان يتتبعها والتى تخالف المصحف ، والتى تُروى عن عبد الله بن مسعود وأُبىّ بن كعب وغيرها ، مما كان يُقْرأ به من قبل المصحف الذى جمعه عثمان[١] حتى عظم أمره وفَحُشَ ، وأنكره الناس[٢] .

وكان مما خالف فيه ابن شنبوذ قراءاتِ الجمهور ، واعترف به فى التحقيق الذى أُجرى معه[٣] :

(ا) « إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ (فامضوا) إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ »[٤]

(ب) « وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صالحة) غَصْبًا »[٥]

(حـ) « كَـ (الصوف) الْمَنفُوشِ »[٦]

(ى) « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَ(قد) تَبَّ »[٧]

(هـ) « فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ (بيديك) لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً »[٨]

(و) « وَتَجْعَلُونَ (شكركم) أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ »[٩]

(١) نفس المرجع ، وانظر : الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٨٠
(٢) أنظر : ابن تيمية : فى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة هامش ٤٨ و ٤٩
(٣) معجم ياقوت ج ١٧ ص ١٦٨ و ١٦٩
(٤) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « فَاسْعَوْا » (سورة الجمعة / ٩)
(٥) وهى فى المصحف العثمانى الإمام بحذف « صالحة » (سورة الكهف / ٧٩)
(٦) وهى فى المصحف العثمانى الإمام : « كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ » (سورة القارعة / ٥
(٧) وهى فى المصحف العثمانى الإمام: « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ » » (سورة المسد/١)
(٨) وقراءة المصحف العثمانى الإمام : « بِبَدَنِكَ » (سورة يونس / ٩٢)
(٩) وهى فى المصحف العثمانى الإمام: « وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ » (سورة الواقعة / ٨٢)

(ز) « وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (والذكر والأنثى)[١]

(ح) « (فقد كذب الكافرون) فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا »[٢]

(ط) « إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ (عريض)[٣]

(ى) « فَلَمَّا خَرَّ (تبينت الإنس أن الجن) لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا (حولا) فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ »[٤]

(ك) وقد قال القاضي أبو يوسف : كنتُ قد سمعت من مشايخنا بالرّىّ ، ثم ببغداد ، أنّ سبب الإنكار على ابن شنبوذ أنه قرأ أو قرىء عليه — فى آخر سورة المائدة عند حكاية قول عيسى[٥] — : « وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ (الغفور الرحيم) ، بدلا من « الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »[٦]

* * *

وقد قُبِض على ابن شنبوذ فى أول شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٣ هـ ، واعتُقل أيامًا ، فلما كان يوم الأحد ٧ من ذلك الشهر ، عقد الوزير أبو على محمد بن مقلة مجلسًا لمساءلة ابن شنبوذ ، حضره القضاة والفقهاء والقرّاء[٧] ، وكان فيهم المفتى أبو بكر الأبهرى[٨] ، ولكن ابن شنبوذ ظل على رأيه ، ونسب مناظريه

(١) وهى فى المصحف العثمانى الإمام: « وَماخلقَ الذكرَ والأنثى » (سورة الليل/٣)
(٢) فى المصحف العثمانى الإمام: (فَقَدْ كذّبتم ... » (سورة الفرقان / ٧٧)
(٣) وهى فى المصحف العثمانى الإمام: « إلا تفعلوه ... وفسادٌ كبيرٌ »(سورة الأنفال ٧٣)
(٤) وهى فى المصحف العثمانى الإمام: « فلما خرّ تبينت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيبَ مالبثوا فى العذاب المهين » (سورة سبأ /١٤)
وانظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٩
(٥) الآية ١١٨ (٦) معجم ياقوت ج ١٧ ص ١٧٣
(٧) أنظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان (ط . محيى الدين عبدالحميد) ج ٣ ص ٣٢٦
(٨) أنظر : عياض : الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ج ٢ ص ٢٦٥
وعلى القارى: شرح الشفا ج ٢ ص ٥٥٤
والأبهرى نسبة إلى بلد بين قزوين وزنجان ، وبليدة بنواحى أصفهان، وجبل بالحجاز .

إلى قلة المعرفة ، وعيّرهم بأنهم ما سافروا فى طلب العلم كما سافر[١] . ولم يذعن ابن شنبوذ بالرجوع والتّوبة إلا بعد أن جُرّد من ثيابه ، وضُرب بالدرّة على قفاه ضربا شديدا[٢] .

وفى نسخة المحضر « المعمول على ابن شنبوذ بخط ابن ميمون »[٣] :

« يقول محمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ :

... وقد كنت أقرأ حروفًا تخالف ما فى مصحف عثمان بن عفان — رضى الله عنه — المجمع عليه ، والذى اتفق أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنهم — على تلاوته ، ثم بان لى أن ذلك خطأ ، فأنا منه تائب ، وعنه مُقلِع ، وإلى الله — عزّ وجلّ — برىء ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذى لا يجوز خلافه ، ولا أن يُقرأ بغير ما فيه »[٤]

أما نسخة خط ابن شنبوذ فى هذا المحضر فهى :

« يقول محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ :

ما فى هذه الرقعة صحيح ، وهو قولى واعتقادى ، وأُشهد الله — عزّ وجلّ — وسائر من حضر على نفسى بذلك »[٥] .

وكتب بخطه :

« فمتى خالفتُ ذلك أو بان منى غيره ، فأمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — فى حِلٍّ وَسَعَة من دمى ، وذلك فى يوم الأحد لتسع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، فى مجلس الوزير أبى على محمد بن على — أدام الله

(١) المرجعين السابقين (٢) معجم ياقوت ج ١٧ ص ١٧١
(٣) نفس المرجع
(٤) نفس المرجع (٥) نفس المرجع ص ١٧٢

توفيقه — وحسبي الله وحده ، وصلاته على سيدنا محمد وآله »[1] .

وكتب ابن مجاهد[2] وغيره من علماء القرآن الذين حضروا المحاكمة أن ابن شنبوذ اعترف بما في المحضر ، وشهدوا بذلك .

وتذكر الرواية أن الوزير ابن مقلة أطلق ابن شنبوذ ، وأنفذه إلى داره ، مع أعوانه بالليل ، خشية أن يقتله العامّة ، ثم وجّهه إلى المدائن سرًّا ، مدة شهرين ، ثم أعيد إلى بغداد ، فدخل بيته ، وهو مستخفٍ من العامّة[3]

* * *

والقصة — إلى هنا — قد لا تحمل مساساً بالجمع العثماني ، ولكن ثمّة خبراً يُوشك أن يلبس الحق بالباطل ، ويجعل ابنَ شنبوذ مظلوماً يدعو على الوزير ابنِ مقلة الذى رأس المحاكمة ، والذى ضربه حين الاستتابة . . . يدعو عليه بقطع اليد ، فلا تُردّ الدعوة ، وتُقطع يد الوزير من قريب .

يقول ابن تيمية : « وقرأت في تاريخ هرون بن المأمون ، قال : وفى أيام الراضى ، ضَربَ ابنُ مُقلة ابنَ شنبوذ سبعَ درر ، لأجل قراءات أنكرت عليه ، ودعا عليه بقطع اليد وشتّ الشمل ، فقُطعتْ يده ولسانه »[4]

ثم يقول : « وعُزل ابن مقلة ، ونُكب في سنة ٣٢٤ ، بعد نكبته (يقصد ابن شنبوذ) بسنة واحدة ، فجرى عليه من الإهانة بالضرب والتعليق

(١) انظر : نفس المرجع
وابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٢٧ (ط . محيي الدين عبد الحميد)
وجاء في كتاب الأوراق ، أو أخبار الراضى والمتقى بالله ، لأبي بكر الصولى ص ٦٣ (ط - هيوارت) أنّ تاريخ هذه الكتابة هو سبع خلون من شهر ربيع الآخر .
(٢) من كبار علماء القراءات ، وهو أول من اقتصر على أئمة القراءات السبع ، وقد تابعه الناس ، وكان بينه وبين ابن شنبوذ خصومة .
(٣) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٢٧ (ط . محيي الدين عبد الحميد)
(٤) فى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف هامش ٤٧ و ٤٩

والمصادرة أمر عظيم ، ثم آل أمره إلى قطع يده ولسانه ، نسأل الله العافية »[1]

ويقول ابن الجزرى : « وقد استجيب دعاؤه (يعنى ابن شنبوذ) على الوزير ، فقُطعت يده ، وخَرِبت داره ، وذاق الذلّ ، ولبث في الحبس مدةً على شرّ حال »[2]

وتقول الرواية أيضا إن ابن مجاهد الذى دعا إلى هذه المحاكمة ، وشَهِدها ، كان خصما لابن شنبوذ ، حتى كان هذا الأخير لا يقرئ من يقرأ على ابن مجاهد ، وكان يقول : هذا العطشى — يعنى : ابن مجاهد — لم تغبّر قدماه في هذا العلم[3] ، وكان — فيما ذكر الرواة — يناوئ ابن مجاهد ، ولا يَعْشِرُهُ (أى يراه لا يساوى منه واحداً من عشرة)[4] .

ولا يمد أن تعطى هذه الرواية لابن شنبوذ صورة صاحب الرأى السليم الذى يقع عليه الانتقام والتحدى من حاسديه ، كما لا يمد أن تُصوّر المحاكمة نفسها كأنما كانت ظالمة وبغير حق .

وتتضمن أوصاف الواصفين لابن شنبوذ أنه كان « ديّنا »[5] ، وكان من « المتنسكين » ، و « يرجع إلى ورع »[6] ، وأنه « كان أستاذا كبيراً ، مع الثقة والخير ، والصلاح ، والعلم »[7] . وقد عدّ له ابن الجزرى ثماني طرق في رواية قالون عن نافع[8] ، وأربع عشرة طريقا في رواية قُنْبُل عن ابن كثير[9] .

وكذلك ذكروا أن له كتبا مصنّفة في القراءات[10] ، منها :

(١) نفس المرجع (٢) غاية النهاية ج ٢ ص ٥٢ — ٥٦
(٣) انظر : نفس المرجع ج ١ ص ١٣٩ وج ٢ ص ٥٢ — ٥٦
والصولى : أخبار الراضى والمتقى بالله ص ٦٢ و ٦٣
(٤) معجم ياقوت ج ١٧ ص ١٦٩ (٥) نفس المرجع ص ١٦٧
(٦) نفس المرجع ص ١٧١
(٧) انظر : ابن الجزرى : غاية النهاية ج ٢ ص ٥٢ — ٥٦
(٨) النشر ج ١ ص ١٠٣ (٩) نفس المرجع ص ١٠٢
(١٠) معجم ياقوت ج ١٧ ص ١٦٩

كتاب : « ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو » .

وكتاب : « قراءة عليّ عليه السلام » .

وكتاب : « اختلاف القراء » .

وكتاب : « شواذ القراءات » .

وكتاب : « الإنفرادات » .

وذكر ابن الجزرى أنه لم يعدّ أحدٌ محاكمة ابنِ شنبوذ « قادحاً فى روايته ولا وصمة فى عدالته »[1] .

ولا يخفى أن هذا كلّه أيضاً قد يُكسب مسلك ابن شنبوذ تأييداً ممن يأخذون الأمور أخذاً سطحيا ، وقد يعطى لقراءته وقراءة غيره بما يخالف مصحف عثمان شيئاً من الإقرار .

وعندى أن لا علاقة بين عزل ابن مقلة وما جرى عليه من النكبات وبين دعوات ابن شنبوذ الخارج على الإجماع ، والذى كان يمكن أن يحدث فتنة فى كتاب الإسلام ، وقد حضر محاكمة ابن شنبوذ قراء وفقهاء شهدوا ضربه ، وربما كانوا هم الذين أوحوا به ، ومع ذلك لم يمسسهم سوء .

ولعل ابن مقلة — في تصرّفه الحازم — أن يكون قد عمل فى حفظ القرآن ما كانت توجبه عليه ولايته الأمر . وابن مقلة كان رجل سياسة ، والسياسة — وخاصّة فى ذلك العهد — تتداول أهلها — غالباً — بالرفع والخفض ، وتمجّد بهم حينا وتهزل حينا ، وآية ذلك أن ابن مقلة نفسه كان قد تقلّد

(١) النشر ج ١ ص ١٢٣

(٢) كان ذلك فى يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول (عريب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبرى ج ١٢ ص ٦٩)

الوزارة للخليفة « المقتدر » ، فى سنة ٣١٦ هـ ، أى قبل محاكمة ابن شنبوذ بسبع سنين ، وفُوِّضت إليه أمور الخليفة ، فما لبث ابن مقلة أن عُزِل وحُبِس فى داره بعد شهرين اثنين[1] ، ثم أصابته مصيبة مالية كبيرة فى سنة ٣١٨ هـ ، حيث حرقت داره التى كان بناها بالزّاهر ، على شاطئ دجلة ، وكان أنفق فيها مائتى ألف دينار ، واحترقت معها دور قديمة كان يسكنها قبل الوزارة ، وانتهب الناس ما بقى من الخشب والحديد والرّصاص[2] .

على أنّ ابن شنبوذ عاد فنقض توبته ، ولم يوفِ بعهده ، فقد صادفَنا فى كتاب « الأوراق » للصّولى[3] ، فى أخبار رمضان سنة ٣٢٤ هـ ، أى بعد سنة عشر شهرا من التوبة الأولى ، وكان ابن مقلة قد أُقيل من الحكم ، أن « الحنبليّة » ضجّوا من أمر ابن شنبوذ ، فحُمل إلى دار السلطان ، ونُوظر ، والسّلطان من وراء حجاب . . .

وعاد ابن شنبوذ إلى التوبة ، ولكن الحكومة عادت إلى معاقبته بالحبس .

٤ — وممن قرأوا بالشّواذّ : ابن مقسم العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ أو ٣٦٢ هـ ، فقد كان يقرأ بحروف تخالف الإجماع ، واستخرج لها وجوهاً من اللغة والمعنى مثل ما ذكر فى كتاب (الإحتجاج للقراء) فى قوله تعالى : « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا (أنجباء) »[4] مع كونه يخالف الإجماع ، ويبعد عن المعنى ، إذ لا وجه للنجابة عند يأسهم من أخيهم ، إنما اجتمعوا يتناجون[5] .

ويقول مصطفى صادق الرافعى فى هذا القارئ : « . . . وكان من أعرف الناس

(١) وذلك فى يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى (المرجع السّابق)

(٢) نفس المرجع ص ٧٩ (٣) ص ٨٥

(٤) والمجمع عليه « نَجِيًّا » (سورة يوسف / ٨٠)

(٥) أنظر : معجم ياقوت ج ٨ ص ١٥٠

بالقراءات ، وإنما أفسد عليه أمره أنّه من أئمة نحاة الكوفيين ، فخالف الإجماع ، وصنع فى ذلك صُنْعاً كوفيًا ... فاستخرج لقراءته وجوهاً من اللغة والمعنى ، ومن ذلك : قراءته فى قوله تعالى : « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا » ، فإنّ هذا الأحمق قرأها « نُجُباً » فأزالها ـ بذلك ـ عن أحسن وجوه البيان العربى ، ولم يبال ما صنع إذا هو قد انفرد بها على عادة الكوفيين فى الرّواية ... »(١)

ولابن مقسم العطار كثير من هذا الجنس ، من تصحيف الكلمة ، واستخراج وجه بعيد لها ، مع كونها لم يقرأ بها أحد(٢) . وكان يقرأ بالقراءات الشاذة فى الصلاة وغيرها ، وكان يتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسّك بالأثر(٣) ، وكان يرى أن كلّ من صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها . فابتدع — كما يقول أبو طاهر بن أبى هاشم — « بدعة أضلّ بها عن قصد السبيل »(٤) .

وقد شاع ذلك عن ابن مقسم ، عند أهل العلم ، فأنكروه ، وارتفع الأمر إلى السلطان ، فأحضره ، وعقد له مجلساً ، وسئل البرهان على صحة ما ذهب إليه ، « فلم يأت بطائل ، ولم تكن له حجة قوية ولا ضعيفة »(٥) ، وأُوقف للضرب ، فأذْعن بالتوبة فى حضرة القرّاء والفقهاء ، وكتب بتوبته محضرا شهد عليه الحاضرون(٦) .

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٤٧ ط ١٩٢٦
(٢) معجم الأدباء ياقوت جـ ٨ ص ١٥٠
(٣) نفس المرجع ص ١٥١ (٤) النشر جـ ١ ص ١٧
(٥) معجم الأدباء لياقوت جـ٨ ص١٥٤ (٦) نفس المرجع

وقد قيل إن ابن مقسم لم ينزع عن تلك القراءات الشاذة التى استُتيب من أجلها ، وأنه كان يقرأ بها إلى حين وفاته(١) .

* * *

وتصرُّف ابن مقسم ظاهر الخطأ ، ولكنه كان معروفا بأنه من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات : مشهورِها وغريبِها وشاذِّها ، وقد عَدّ له ابن الجزرى سبعاً وثلاثين طريقا فى رواية خلّاد عن حمزة(٢) .

وكان لابن مقسم كُتُبٌ ذكر منها ابن النديم عددا غير قليل(٣) ، وذكر منها ياقوت ثلاثة عشر كتابا أغلبها فى علوم القرآن ، ومنها كتاب فى التفسير ، وآخر فى الردّ على المعتزلة(٤) ، ووصفه الدّانى بأنه « مشهور بالضبط والإتقان ، عالم بالعربية ، حافظ للّغة ، حسن التصنيف فى علوم القرآن »(٥) .

وواضح أن قارئا له مثل هذه المنزلة ، ولا يدع رأيه إلا ليعودَ إليه . . . قد يظفر عمله الخاطىء بعطف غير المتعمقين ، ومن لا يملكون اليقظة والفهم .

٥ — وممن أكثروا من الروايات فى القراءات إكثاراً جعلهم موضع الاتهام : ابن هرمز الأهوازى الذى قَدِمَ إلى دمشق سنة ٣٩١ هـ ، وقد كشف معاصروه أنه نسب — بالباطل — بعض رواياته إلى مشايخ لم يقرأ عليهم ، أو قرأ عليهم القليل ، وقد نعتوه صراحة بالكذب ، ولكن المترجين له يذكرون أنه صنّف الكثير فى القراءات ، وكان حسن التصنيف(٦) . وهذا الثناء قد يكسب الفَعَلات المنسوبة إلى الأهوازى لوناً كلون الأعمال المشروعة .

٦ — والزّرْكشىّ ـ شأنه شأن بعض علماء القرآن الذين أوْلَوا القراءات

---

(١) نفس المرجع (٢) النشر جـ ١ ص ١٦٠
(٣) الفهرست ص ٣٣ (بتحقيق J. Flügel ـ ط . بيروت ١٩١٤)
(٤) انظر : معجم ياقوت جـ ٨ ص ١٥٤ (٥) انظر : ابن الجزرى ، النشر جـ ١ ص ١٦٧
(٦) معجم الأدباء لياقوت جـ ٩ ص ٣٤ — ٣٩

الشاذّة التقدير – يرى هذه القراءات « أكثر من التفسير وأقوى »[1] ، ويرى أنها « من العلم الذى لا يعرف العامّة فضله ، إنما يعرف ذلك العلماء ، ولذلك يُعتَبَر بها وجهُ القرآن »[2]

ومع أنه لم يدعُ صراحة إلى التلاوة بهذه القراءات ، فربما استُفيد من قوله – على نحو ما – أنّ الشذوذ يجد من يحبّذه ، ويحبّذ القراءة به ، أو على الأقلّ من لا يجد داعيا لاطّراحه .

٧ – وقد حفلت بعض كتب الشّواذّ بنُقول ضعيفة الإسناد أوْرد لها ابن الجزرى هذه الأمثلة :

(ا) قراءة ابن السميفع ، وأبى السّمال ، وغيرهما ، فى : « نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ »[3] ننحيك ، (بالحاء المهملة) ، و « لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً »[4] بفتح سكون اللّام .

(ب) القراءة المنسوبة بالباطل إلى أبى حنيفة ، ومنها : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »[5] برفع الهاء وفتح الهمزة فى (العلماء) ، وقد أشرنا فى وضع آخر من هذا البحث إلى هذه القراءة .

(ج) قراءة (معائش)[6] بالهمز ، وهى رواية خارجة منسوبة إلى نافع .

(د) فتح ياء « أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ »[7] مع إثبات الهمزة ، (وهى رواية زيد وأبى حاتم عن يعقوب .)

(هـ) تشديد الظاء فى « سِحْرَانِ تَظَّاهَرَا »[8]

---

(١) البرهان ج ١ ص ٣٣٦ – ٣٣٨ (٢) نفس المرجع
(٣) سورة يونس / من الآية ٩٢ (٤) من نفس الآية (٥) سورة فاطر / ٢٨
(٦) سورة الأعراف / من الآية ١٠ ، وسورة الحجر / من الآية ٢٠
(٧) سورة الانبياء / من الآية ١٠٩ (٨) سورة القصص / من الآية ٤٨

(و) قراءة (أصحابهم) و (أوليك) بياء خالصة ، كما ذكره بعض المتأخرين من شراح الشاطبية فى وقف حمزة ، وقراءة (شركاوهم) و (أحباوه) بواو خالصة[1] .

على أن ابن الجزرى نفسه يقول – فى معرض التفرقة بين السبعة الأحرف التى أُنزل عليها القرآن وبين السبع القراءات التى اختارها المتأخرون اختصاراً واختياراً – : « إن من قرأ بالكامل للهذلى ، أو « سوق العروس » للطبرى ، أو « اقناع الأهوازى » ، أو « كفاية أبى العزّ » ، أو «مبهج سبط الخياط » أو « روضة المالكى » ، ونحو ذلك ، على ما فيه من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم ، فلا نعلم أحداً أنكر ذلك ، ولا زعم أنه مخالف لشىء من الأحرف السبعة ، بل ما زالت علماء الأمة وقضاة المسلمين يكتبون خطوطهم ويثبتون شهادتهم فى إجازاتنا بمثل هذه الكتب والقراءات[2] » .

ونحن لا نستطيع أن نَدَع الخوف من تسلّل الضّعيف والشّاذّ اللذين يشير إليهما ابنُ الجزرى، ونرى الإحتياط أوْلى بل أوْجب ، وسبيلنا إلى هذا الإحتياط : هو الإقتصار فى الجمع الصوتىّ على المتواتر والمشهور وغير الشاذّ .

٨ – وما برحت القراءة بالشّواذّ محلّ ولع بعض القراء والمقرئين ، وإن كانوا قِلّةً نادرة . وقد لا تكون لهؤلاء بواعث غير التعالم مع الجهل ، وحبّ الظهور ، وعدم تقدير التبعات ، أو الإفتتان بأقوال العلماء الآحاد الذين الذين أجازوا القراءة بالشواذّ بقيد أو بغير قيد[3] .

---

(١) النشر ج ١ ص ١٦ و ١٧ (٢) النشر ج ١ ص ٣٥ و ٣٦
(٣) اتهم شيخان صحيحا الإسلام وحسنا النية من مدرسى معهد القراءات التابع ، للأزهر ، فى سنة ١٩٥٨ ، بالقول بجواز القراءة بالروايات الشاذة ، فاستتيبا ، وعوقبا بالنقل خارج القاهرة سنة دراسية كاملة ، ولم تقبل فيهما مشيخة الأزهر شفاعة .

٩ — والخوف من تسلّل الشاذّ إلى القرآن شيء له ما يبرره :

فقد كذب الزنادقة على بعض الصحابة ، ونسبوا إليهم قراءات شاذة كثيرة ، كما سنرى فى فصل آخر ، ولئن كنا نقول إن هذا كذب على الصحابة إن قولنا لا ينفى وقوع الروايات الكاذبة نفسها .

وابنُ حزم يشير إلى أن رجال الجدل المسيحيين رأوا ـ فى اختلاف القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود عن القراءات المجمع عليها ـ ثغرة حاولوا أن ينفذوا منها إلى الطعن فى صحة هذه القراءات[1]

ولئن كان ابن حزم ردّ هذا الطعن ، إنّ فتح الثغرات ـ بغير حق ـ شرٌ ليس مما يستهان به .

وقد تمادى أناس فرأوا قراءة القرآن بالمعنى ، بدعوى أن ابن مسعود كان يجيز هذا ، وهو كذب على ابن مسعود ، فهو إنما قال : « نَظَرْتُ القراءات فوجدتهم متقاربين ، فاقرأوا كما علمتم »[2]. وقد كانت هذه الدعوة الخطيرة لتُدْخل فى القرآن ما ليس منه ، ولتُبَدِّله تبديلاً لولا إخفاقها منذ كانت .

فلعلّ دَرْء هذا التسلّل المخوف أن يقتضينا الحرص على ما ثبتتْ قرآنيته بإجماع ، بأن نسجّله صوتياً كما سجّله الأسلاف كتابةً .

— ٥ —

وبعد ، فربما كان من أهول النتائج التى أفضت إليها القراءات الشاذة ، والتى نضيفها إلى ما ذكره ابن حزم آنفاً : أن بعض من لا طاقة لهم بالتفكير السليم ، ومن يتقبلون الروايات من غير فحص ولا تمحيص يرون مثل ما رأى

(١) الفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ٧٥

(٢) انظر : ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٣٢

كارل فولرس K . Vollers أن نصّ القرآن قد اعتراه تغيير[1] .

وإذن فلابدّ — فى رأينا — للمسلمين من إجراء إيجابىّ حاسم يمنع من أن يَتَوَهّم أحد أن هناك ما يخالف النص الذى استقرّ عليه المسلمون .

والحق — فى رأينا — أنه لو لم يكن للتسجيل الصوتى للروايات المتواترة والمشهورة غير التحديد الواضح للروايات والطرق التى تجوز القراءة بها ، والتى يجب ـ فى حزم ـ منع القراءة بما عداها مما يسمى شاذّاً ، لكان هذا حسبنا فى الشعور الحادّ بالحاجة الشديدة إلى التسجيل الصوتى الدقيق ، ولكان هذا حَسْبَنا أيضاً فى اعتبار الدعوة إلى ذلك التسجيل وإلى التخطيط له رسالةً تستأهل الجهاد ، ويهون فيها العناء .

(١) انظر : جواد على : لهجات القرآن الكريم ـ بحث منشور فى مجلة المجمع العلمى العراقى المجلد ٢ من الجزء ٢

الباب الثانى
التعليم

الفصل الأول : وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعى الذى تستطيعه الكافة

الفصل الثانى : تيسير القرآن للحفظ والتعلم

الفصل الثالث : علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

الفصل الأول

وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعي الذي تستطيعه الكافة

الفصل الأول

وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعي الذى تستطيعه الكافة

— ١ —

قلنا إنه وقع فى قراءة القرآن — حتى من بعض المسلمين من جرّاء الجهل أو التّساهل — ابتداع ماليس فى قوانين الأداء القرآنى .

ولعلّ من أشهر المبتدعات الصوتية فى قراءة القرآن طريقة الغناء ابتغاء جذب النّاس إلى السّماع ، ولو أدّت هذه الطريقة إلى إخراج التلاوة عن أوضاعها التى نَزَلَتْ بها .

وقد كان النبي حذّر من ذلك ، فقال : « إقرأوا القرآن بلحون العرب ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيجيء أقوام من بعدى يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنّوْح ، لايجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم »[١] .

---

(١) أنظر : مالك بن أنس : الموطأ — كتاب ١٥ حديث ١٠
والسخاوى : جمال القراء ص ٦٨ — مخطوطة رقم ٩ م بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
وعلى بن سلطان القارى : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج ٢ ص ٦١٨
والسيوطى : الإتقان ج ١ ص ١٠١ و ١٠٢
والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٧

وفي اللغة[1] :

لَحَنَ في كلامه : إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ ، أو صرفه عن موضوعه إلى الإلغاز . . .

وعرفتُ ذلك في لحن كلامه : في فحواه ، وفيما صرفه إليه من غير إفصاح به .

وليس هذا من لحنى ولا من لحن قومى : أى من نحوى ومذهبى الذى أميل إليه وأتكلم به ، يعنى لغته ولِسْنه ، ومنه : « تعلّموا الفرائض والسُّنّة واللّحن كما تتعلمون القرآن » .

وهذا لَحْنُ مَعْبَد وألحانه وملاحنه : لما مال إليه من الأغانى واختاره .

ولحّن فى قراءته تلحينا : طرّب فيها .

* * *

وعلى ذكر النبى على مرجّعى القرآن ترجيعَ الغناء ، نبادر فنفرّق بين الغناء الذى يُخرج القراءة عما يجب فيها ولها من الخشوع والوقار ، وبين حسن الصوت بالترتيل ، فإنّ هذا الحسن يُعينَ — غالباً — على أمر منشود هو التأثر بالسماع .

ويبدو من السّنّة أن القراءة الواجبة هى القراءة المتدبّرة التى تستغرق النفس كلّها ، ومن ثم هى القراءة المعبّرة ، فقد عاب النبى — كما رأينا فى الحديث آنفا — على قوم أنهم « يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم » ، وفى حديث آخر ، كان من وصفه لقوم « يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرّميّة » أنهم « يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم »[2] .

(١) انظر : الزمخشرى : أساس البلاغة ــ مادة (ل ح ن)

(٢) رواه أبو يعلى فى مسنده عن أنس .

وانظر : المناوى : فيض القدير ج ٤ ص ١٢٧

وابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٩ ، وفيه : « وهم شر الخلق والخليقة ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم »

وقد أكّدت السّنّة الصحيحة استحباب تحسين الصوت بالقرآن :

١ — قال النبى : « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبيّ حسن الصوت بالقرآن يجهر به »[1] .

وقال : « لله أشدّ أذَنًا إلى الرجل الحسن الصوّت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »[2] .

وقال — فى أبى موسى الأشعرى — : « لو رأيتَنى وأنا أستمع قراءتك البارحة ! لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير داود » ، وردّ أبو موسى : « لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبّرتُه لك تحبيراً »[3] .

(١) رواه البخارى ، فى باب قول النبى ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن ... »

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ١٣ ص ٤٤٤ و ٤٤٥

وفى رواية مسلم : « ما أذِنَ الله . . . الخ » (ج ٢ ص ١٩٢)

وانظر : الحاكم النيسابورى : المستدرك ج ١ ص ٥٧٠

وسنن أبى داود ، كتاب ٨ باب ٢٠

وسنن النسائى ، كتاب ١١ باب ٨٣

وسنن الدارمى ، كتاب ٢ باب ١٧١ ، وكتاب ٢٣ باب ٣٣

ومعنى قوله « يأذَن » : يستمع له . يقال : أذِنتُ لشيء آذن أذَنًا : إذا استمعت له . قال الشاعر :

صُمٌّ إذا سمعوا خيرا ذُكِرْتُ به … وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذِنوا

وقال عدىّ بن زيد العبادى :

أيها القلب : تعلّل بِدَدَن … إن همّى فى سماع وأذَن

والأذَن : هو السماع . (انظر : الشريف المرتضى على بن الحسين فى : أمالى المرتضى أو غرر الفرائد ودرر القلائد ــ القسم الأول ص ٣١ ــ ٣٥)

(٢) قال الحاكم النيسابورى : حديث صحيح على شرط الشيخين (المستدرك ج ١ ص ٥٧١)

(٣) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وأحمد .

وانظر : حواشى الجامع الصحيح لمسلم ج ٢ ص ١٩٢ و ١٩٣ (ط . استامبول)

وقال : « زيّنوا القرآن بأصواتكم »[1] .

وقال : « لكل شيء حلية ، وإن حلية القرآن الصوت الحسن »[2] .

وقال : « ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن »[3] .

(١) رواه احمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والدارمى ، ورواه النسائى ، وابن حبّان ، والحاكم ، وزاد : « فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا »
انظر : على القارى : مرقاة المفاتيح ج ٢ ص ٦١٤
والحاكم : المستدرك ج ١ ص ٥٧١
والطيالسى : مسند الطيالسى — حديث ٧٣٨

(٢) عن أنس .
وانظر : ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج ١ ص ٤١ (بتحقيق حامد الفقى ، سنة ١٩٥٣) .

(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة .
ورواه احمد فى مسنده ، وابو داود ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى « المستدرك » ، عن سعد بن أبى وقاص .
وكان سفيان بن عيينة يقول فى تفسير الحديث : « أى من لم يستغن بالقرآن . . » ، فقال الشافعى : « ليس هو هكذا ، لو كان هكذا لقال: يتغانا ، إنما هو يتحزّن ويترنم به ، ويقرؤه تحدُّرا وتحزينا » (انظر : السُّبكى : طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ١٣٠ ، بتحقيق الطناحى والحلو)
وكان ابو عبيد القاسم بن سلام اللغوى المحدّث ، والذى أشرنا إليه عند الحديث عمّن جمعوا القراءات ، كان يرى مثل رأى سفيان بن عيينة ، وكان يحتج ببيت الأعشى :

وكنت امرأً زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغنى

(ديوان الأعشى ص ٢٢)
وكان يحتج بقول عبيد الله بن معاوية ضمن أبيات :

كلانا غنىٌّ عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

(الكامل للمبرّد بشرح المرصفى ج ٣ ص ١٤)
وكذلك احتجّ بأقوال اخرى منسوبة إلى ابن مسعود ، وإلى النبى — صلى الله عليه وسلم — وقال أبو عبيد : « ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك ، إذ كان من لم يرجّع القرآن فليس منه عليه السلام »
(أنظر الشريف المرتضى : أمالى المرتضى ، أو غرر الفرائد ودرر القلائد ص٣١ و٣٢)
وقد ناقش المرتضى — فى أماليه ما قيل فى تفسير ذلك الحديث ، وانتهى إلى أن التغنى هنا ليس التحنين والترجيع ، وإنما هو على هذا الوجه : من لم يقم على القرآن ، فلا يتجاوزه إلى غيره ، ولا يتعداه إلى سواه ، ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا (ص ٣١ — ٣٠)

٢ — وعن عائشة ، قالت : استبطأنى رسول الله — صلى الله عليه وسلّم — ذات ليلة ، فقال : ماحبسك ؟ قلت : إنّ فى المسجد لأحسن من سمعت صوتًا بالقرآن ، فأخذ رداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة . فقال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك[1] .

٣ — وروى النبى ، يوم الفتح ، على ناقة له ، يقرأ سورة الفتح — أو من سورة الفتح — فرجّع فيها ، وكانت صفة ترجيعه : آ...آ...آ... ثلاث مرات[2] .

ويقول البراء : سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — يقرأ فى العشاء : « وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ »[3] فما سمعت أحداً أحسن صوتا أو قراءة منه[4] .

وعن جابر بن عبد الله ، يقول : كان فى كلام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ترتيل وترسيل[5] .

وعن قتادة : مابعث الله نبيًا قطّ إلا بعثه حسن الوجه ، حسن الصوت ، حتى بعث نبيّكم — صلى الله عليه وسلم — حسنَ الوجه حسنَ الصوت . . الخ »[6] .

* * *

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٢٢ . وانظر : ابن قدامه : المغنى ج ٩ ص ١٧٩ (ط . المنار ، سنة ١٣٦٧ هـ)

(٢) البخارى : باب ذكر النبى — صلى الله عليه وسلم — وروايته عن ربه .
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ١٣ ص ٤٤١ و ٤٤٢ .
وظاهر أن هذا الترجيع كان اختيارا لا اضطرارا ، لهزّ الناقة له ، وكما يقول ابن قيّم الجوزية : كان النبى يرجّع فى قراءته ، فنُسب الترجيع إلى فعله ، ولو كان من هزّ الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعا (زاد المعاد ج ١ ص ١٣٤)

(٣) يقصد سورة التين

(٤) البخارى : باب قول النبى ، صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن . . . »
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ١٣ ص ٤٤٥ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٩٧ (ط . ليدن سنة ١٣٢١ هـ)

(٦) نفس المرجع ج ١ ص ٩٨ .

وسار الصحابة والتابعون وتابعوهم نفس السيرة[1] :

(ا) كان عُمَر يقول لأبي موسى الأشعرى : ذكّرنا ربّنا ، فيقرأ أبو موسى « ويتلاحن »[2] .

وكان عُمَر يقول : من استطاع أن يتغنّي بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل[3] .

ونقل الذهبي ، عن ابن المندى ، في ترجمة أبي موسى الأشعرى : « ما سمعت طنبورا ولا صنجا ولا مزمارا أحسن من صوت أبي موسى الأشعرى ، كان يصلّى بنا ، فنودّ أنه قرأ البقرة[4] .

(ب) وكان أسيد بن الحضير أحدُ النقباء الاثنى عشر ، ليلة العقبة ، من أحسن الناس صوتاً بالقرآن[5] .

(حـ) وكان عُقْبة بن عامر من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، قال له عمر : اعرض علىّ سورة كذا ، فعرض عليه ، فبكى عمر ، وقال : ما كنت أظنّ أنها نزلت[6] .

(د) وذكر على بن سلطان القارى في : « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » أن الشيخ عبدالقادر الجيلانى روى عن عبدالله بن مسعود مايستفاد منه أنه كان يحبّ حسن الصوت بالقرآن[7] .

---

(1) انظر : بيان المعروفين من الصحابة بحسن الصوت في : الكتاني : التراتيب الادارية جـ ٢ ص ٤٢٥ و ٤٢٦ (ط . الرباط سنة ١٣٣٦ هـ)

(2) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤

(3) نفس المرجع ص ١٣٥

(4) تذكرة الحفاظ ص ٢٢–٢٤ . ومعروف أن سورة البقرة أطول سور القرآن .

(5) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٢٤٦ – ٢٤٨

(6) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥
والنووى : تهذيب الأسماء واللغات – ٤١٤

(7) جـ ٢ ص ٦١٥ ، والنص : =

(هـ) وكان علقمة أبو شبل النخعى الفقيه الكبير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان إذا سمعه ابن مسعود يقول : « لو رآك رسول الله — صلى الله عليه وسلّم — لسُرّ بك[1] » .

(و) وكان عمر بن عبد العزيز حسن الصوت بالقرآن ، فخرج ليلة يقرأ ، وجَهَرَ بصوته ، فاستمع له الناس ، فقال سعيد بن المسيب : فتنتَ الناس ! فدخل[2] .

(ز) والشافعى صاحب المذهب كان من أحسن الناس قراءة . قال أحد معاصريه : كنا إذا أردنا أن نبكى قال بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتى المطّلبي يقرأ القرآن ، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط الناس ،

= « وقد ذكر سيدنا وسندنا مولانا القطب الربّانى والغوث الصمدانى : الشيخ عبدالقادر الجيلانى — روّح الله روحه ، ورزقنا فتوحه — في كتابه : « الغُنية الذى للسالكين فيه المنية » أنه روى عن عبد الله بن مسعود : أنه مرّ ذات يوم في موضع من نواحى الكوفة ، وإذا الفساق قد اجتمعوا ، في دار رجل منهم ، يشربون الخمر ، ومغنٍّ يقال له : زاذان ، كان يضرب بالعود ، ويغنى بصوت حسن ، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود ، قال : ما احسن هذا الصوت ! لو كان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن .

وجعل رداءه على رأسه ، فمضى .

فسمع ذلك الصوت زاذان ، فقال : من هذا ؟

قالوا : كان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

قال : وإيش قال ؟

قالوا : قال : ما أحسن هذا الصوت ! لو كان بقراءة كتاب الله كان أحسن .

فدخلت الهيبة في قلبه .

فقام ، وضرب بالعود على الأرض ، فكسره ، ثم أدركه ، وجعل المنديل على عنق نفسه ، وجعل يبكى بين يدى عبد الله .

فاعتنقه عبد الله ، وجعل يبكى كلٌّ واحد منهما ، ثم قال عبد الله : كيف لا أحب من أحب الله ؟

فتاب من ضربه بالعود ، وظلّ ملازما عبد الله حتى تعلم القرآن . . . الخ »

(1) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ٥١٦

(2) نفس المرجع ص ٥٩٣

ويكثر نحيبهم بالبكاء ، من حسن صوته ، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة[1] .

(ح) وقيل إن وَرْشًا — أحدَ الراويين الأشهرين لنافع — كان ، إذا قرأ على نافع ، أُغشى على كثير من الجلساء ، لحسن صوته ، وجودة قراءته[2] .

(ط) وكان عبدالرحمن بن الأسود بن أبي يزيد يتتبّع الصوت الحسن في المساجد في شهر رمضان[3] .

(ى) وكانت حلاوة الصوت بالقراءة وقوةُ التأثير بها دليل « السيرة الحسنة والتُّقى » . ذكروا في ترجمة أحد القراء الأندلسيين ، وهو عبد الله بن محمد بن سليمان ، المعروف بابن الحاجّ أنه كان مجوّدا للقرآن ، « مع حلاوة صوته وطبعه ، وكان — إذا أحيا في الجامع — لا يتمالك كل من سمعه من البكاء ، وما ذاك إلا لسيرة حسنة وتُقًى كان بينه وبين خالقه »[4] .

(ك) وفي الآثار المتداولة عند المسلمين مايؤيد احتفالهم بالصوت الحسن ، بصرف النظر عن مدى صحة هذه الآثار .

قال مالك بن دينار أحد معلّمي الغناء بالمدينة :

« بلغنا ، في الخبر ، أن الله — تبارك وتعالى — يقيم داود — عليه السلام — يوم القيامة ، عند ساق العرش ، فيقول : يا داود ! مجّدني اليوم بذلك الصوت الرخيم » .

(1) ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ — الجزء الخاص بالمدة من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠ هـ ص ٥

والنووي : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٦٦

(2) أنظر : القسطلاني : لطائف الإشارات ، الورقة ٢٢ من المخطوطة ٤٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(3) زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥

(4) أنظر : ابن بشكوال : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم ج ١ ص ٢٥٦ .

وجاء في الخبر : أن داود كان يخرج ، إلى صحراء بيت المقدس ، يوماً في الأسبوع ، ويجتمع الخلق ، فيقرأ الزبور بالقراءة الرخيمة ، وكانت له جاريتان موصوفتان بالقوة ، فكانتا تضبطان جسده خيفة أن تنخلع أوصاله ، مما كان ينتحب ، وكانت الوحوش والطيور تجتمع لاستماع قراءته[1] . وعن ابن عائشة ، قال : كان لداود — عليه السلام — صوت يطرب المحموم ، ويسلّي الثكلى ، وتصغى له الوحش ، حتى يؤخذ بأعناقها وما تشعر[2] .

وفي الحديث — في معرض المدح لداود — : « أنه كان حسن الصوت في النّياحة على نفسه ، وفي تلاوة الزبور ، حتى كان يجتمع الإنس ، والجنّ ، والوحش ، والطير ، لسماع صوته ، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ، وما يقرب من ذلك في الأوقات »[3] .

(ل) ومن الروايات ذات الدلالة ما يزعمه بعضهم من أنّ الظباء النافرة كانت تأتي لاستماع ألحان صوت مخارق المغنّي ، فإذا سكَتَ عادت لنفارها ، وشردت[4] .

* * *

(1) انظر : احمد تيمور : الموسيقى والغناء عند العرب ص ١٤ ، والأبشيهي : المستطرف من كل فن مستظرف ج٢ ص١٧٧ (ط. المطبعة البهية بالقاهرة سنة ١٣٠٠هـ)

(2) مجالس ثعلب ج ١ ص ١٨

(3) أنظر : النويري : نهاية الأرب ج ٤ ص ١٦٣ ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٧

(4) أنظر : المرجع السابق ج ٤ ص ٣١٨ ، وأبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ج ٢١ ص ١٥٢ (ط . ساسي) ، و ص ٢٣٧ (ط . دار الكتب)

ونص الرواية :

خرج مخارق — مع بعض إخوانه — إلى بعض المتنزهات ، فنظر إلى قوس مُمذهبة مع بعض من خرج معه ، فسأله إياها ، وكأن المسؤول ضنّ بها .

وسنحت ظباء بالقرب منه . =

وفى التراث العربى الإسلامى : أن صاحب (الفلاحات) كان يقول : إنّ النّحل أطربُ الحيوان كلّه على الغناء . قال الشاعر :

والطّـير قد يسـوقه للمـو ت إصغاؤه إلى حنين الصّوت[1]

وزعموا أنّ فى البحر دوابّ ربّما زمّرت أصواتاً مطربة ، والحوتاً مُسْتَلَذّة يأخذ السّامعين الغشىُ من حلاوتها ، فاعتنى بها وَضَعَةُ الألحان بأن شبّهوا بها أغانيهم ، فلم يبلغوا[2] .

— ٣ —

ومعلوم أن للقرآن أغراضاً منها : الإعلام ، والتنبيه ، والأمر ، والنّهى ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، والاحتجاج على المخالفين ، والردّ على الملحدين ، والبيان عن الرغبة والرهبة ، والخير والشرّ ، والحسَن والقبيح ، ومدح الأبرار ، وذمّ الفجار . . . إلخ .

= فقال لصاحب القوس :
أرأيتَ إن تغنيتُ صوتا ، فعطَفتُ علىّ به خدود هذه الظباء ، أتدفع إلىّ القوس ؟
قال : نعم !
فاندفع يغنى :

ماذا تقول الظباء	أفرقة أم لقاء ؟
أم عهدها بسليمى ؟	وفى البيان شفاء
مرّت بنا سانحات	وقد دنا الإمساء
فما أحارت جواباً	وطال فيها العناء

قال : فعطفَتْ الظباءُ راجعةً إليه ، حتى وقفت بالقرب منه مصغية إلى صوته .
فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها .
وناوله الرجلُ القوس ، فأخذها ، وقطع الغناء ، فعاودت الظباء نفارها ، ومضت راجعة على سننها .

(١) الأبشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ص ١٧٧

(٢) نفس المرجع

وليس طبيعياً ولا سديداً أن نقرأ موضوعات هذه الأغراض كلّها بأسلوب واحد .

وإذا كان الترنّم الباكى مقبولا مثلا فى آيات التوبة والاستغفار والاسترحام ، فهل هو مقبول فى آيات التحريض على القتال ؟ إن المقبول طبيعياً هو الترنم الذى يوائم المعنى ويظهره ، والذى لا يعجزه الأخذ بناصية الفهم ، والذى يجعل للمقروء مستقرّاً فى ذهن السّامع وقلبه ، فضلا عن أن يحمله إلى هذا المستقرّ حملاً .

واللين غير الشدة ، والأمر والنّهى غير الدعاء والالتماس ، والخبر غير الاستفهام ، والإقرار غير التعجب ، والوعد غير الوعيد ، وهكذا . . .

* * *

وتلحين القرآن — بمعنى قراءته قراءة معبِّرة ، وأحياناً بمعنى قراءته على بعض أساليب الغناء — أمر قديم .

وقد تقدم كلام عن مادة (لحن) فى اللغة العربية .

ورُوِى أن النبىّ قال : « إن أحسن الناس قراءةً مَنْ إذا قرأ القرآن يتحزّن فيه[1] » .

قال الزمخشرى ، فى « أساس البلاغة » : « ومن المجاز : صوت حزين : رخيم » .

وكان الصحابى أبو هريرة يقرأ : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ »[2] ، « يحزّنها شبه الرثاء »[3] .

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » عن ابن عباس . وانظر : المناوى : فيض القدير ج ١ ص ١٩١

(٢) يعنى سورة التكوير

(٣) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٣٧٠

وتعريف « الترتيل » — عند المسلمين — هو أنه « خفض الصوت والتحزين بالقراءة »[١] . وكأنما يقرر هذا التعريف ضمناً أن تحلية الصوت بالقرآن هي شرط أساسي في قراءته القراءة المأمور بها .

* * *

ولعلّ وجه التحزين — في قراءة القرآن — أن يكون كما قال الغزالي :

« أن يتأمل القارىء ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره ، فيحزنه لا محالة ، ويبكي »[٢] .

والمسلمون يستحبّون البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن . وفي دينهم أن الأنبياء كانوا يبكون إذا تُتلى عليهم آيات الله « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا »[٣] .

وهم يروون أن النبي قال : « أتلوا القرآن ، وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا »[٤] .

ومن مأثوراتهم : أن ابن عباس قال : إذا قرأتم سجدة « سُبْحَانَ »[٥] فلا تعجلوا بالسّجود حتى تبكوا ، فإن لم تبك عينُ أحدكم فليبك قلبه[٦] ،

وأن قارئاً صالحاً ، هو صالح المزني ، قال : قرأت القرآن على رسول الله

(١) على الجرجاني : التعريفات ص ٥٧

(٢) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢١٩

(٣) سورة مريم / ٥٨

(٤) الجمل — سليمان بن عمر العجيلي : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ج ٣ ص ٦٧ — ط . مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٩

(٥) سورة الإسراء / من الآية ١٠٨

(٦) الجمل : المرجع السابق

— صلّى الله عليه وسلّم — في المنام ، فقال لي : يا صالح ! هذه القراءة ، فأين البكاء[١] ؟

* * *

ويقول ابن قتيبة[٢] :

« أول من قرأ بالألحان : عبد الله بن أبي بكرة ، وكانت قراءته حزَناً — أي فيها رقة صوت — ليست على شيء من ألحان الغناء ولا الحُداء .

فورث ذلك عنه ابن ابنه : عبيد الله بن عمر بن عبد الله .

وأخذ ذلك عنه الإباضي .

وأخذ سعيد العلاف وأخوه عن الإباضي قراءة ابن عمر .

وكان هرون الرشيد مُعْجَباً بقراءة سعيد العلاّف ، وكان يُحظيه ويعطيه ، ويعرف بقارىء أمير المؤمنين .

وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، وغيرهم يُدخلون في القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية :

فمنهم من كان يدس الشّيء من ذلك دسّاً رفيقا .

ومنهم من كان يجهر بذلك ، فمن ذلك قراءة الهيثم : « أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ »[٣] يَسلخه من صوت الغناء كهيئة :

أمّا القطاة فإنّي سوف أنعتها   نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

(١) نفس المرجع

(٢) المعارف ص ٥٣٣

(٣) سورة الكهف / ٨٠

وكان ابن أعين يُدخل الشيء ويخفيه ، حتى كان الترمذى محمد بن سعد ، فقرأ على الأغانى المولدة المحدثة ، سلخها فى القراءة بأعيانها[1] » .

* * *

ويقول الهيثم العلاّف[1]: قرأت عند المنصور ، فقال : ما لكم ـ أهلَ البصرة ـ أقرأ البلاد ؟

فقلت :

إن أهل الحجاز قرأوا على النَّصْب[3] ؛

وأهل الشام قرأوا على قراءة الرهبان ؛

وأهل الكوفة قرأوا على قراءة النَّبَط ؛

وأهل البصرة قرأوا على الخسرواني[4] : غناء فارس !

* * *

وإخوان الصّفاء يتكلمون عن أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى ، فيشيرون إلى أنّ الناس كانوا يستدفعون المناحس والبلاء بالدعاء والبكاء ، وكانوا يستعملون — عند الضراعة والقراءة — « ألحاناً من الموسيقى تسمّى : (المحزن) ، وهى التى ترقّق القلوب إذا سُمِعت ، وتُبكى العيون ، وتُكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ، وإخلاص السّرائر ، وإصلاح الضمائر »[5] .

(١) المعارف ص ٥٣٣

(٢) انظر : محمود عرنوس ـ مقال بمجلة لواء الاسلام ع . رمضان ١٣٦٨ (يونية ١٩٤٨)

(٣) تقول : نَصَبَ نَصْباً : غنّى غناء أرقّ من الحداء ، وفى الحديث : « لو نصبت لنا نصْب العرب » (الزمخشرى : أساس البلاغة ، مادة : ن ص ب)

(٤) منسوب إلى خُسرو : شاه من الأكاسرة .

(٥) الرسائل ـ المجلد الأول ص ١٨٦ و ١٨٧

ويقول إخوان الصفاء : « فأما استعمال أصحاب النواميس الإلهية لها ، (أى للموسيقى) فى الهياكل ، وبيوت العبادات ، وعند القراءة فى الصلوات ، وعند القرابين والدعاء ، والتضرع والبكاء ، كما كان يفعل داود النبى — عليه السلام — عند قراءة مزاميره ، وكما يفعل النصارى فى كنائسهم ، والمسلمون فى مساجدهم ، من طيِّب من النغمة ، ولحن القراءة ، فإنّ كلّ ذلك لرقة القلوب ، ولخضوع النفوس ، ولخشوعها ، والانقياد لأوامر الله ـ تعالى ـ ونواهيه ، والتوبة إليه من الذنوب ، والرجوع إلى الله — سبحانه وتعالى — باستعمال النواميس كما رسمت[1] » .

والرّحّالة ابن جبير يروى فى رحلته[2] أنه رأى القراء « بين أيدى الوعاظ ، يأتون بألحان تكسب الجماد طرباً وأريحية ، كأنها المزامير الداودية » .

والقسطلانى يقول : « فإذا جليت آيات القرآن العزيز بالآيات الطيبة ، مع مراعاة الترتيل ، على الأسماع ، تلقتها القلوب ، وأقبلت عليها النفوس ، وإنما أثمر ذلك تدبّر آياته ، والتفكّر فى غوامضه ، والتبحّر فى مقاصده ، ليحصل له — حينئذ — الامتثال لأوامره ، والإنتهاء عن مناهيه ، والرغبة فى وعده ، والرهبة من وعيده ، والطمع فى ترغيبه »[3] .

وقد بكى الطبيب البصرى ماسرجويه — وهو يهودى — من قراءة أبى الخوخ ، فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ، ولا تصدّق به ؟ قال : إنما أبكانى الشجى[4] .

(١) رسائل إخوان الصفا ج ١ ص ١٨٦ . (٢) ص ١٤٠

(٣) لطائف الإشارات ، الورقتان ٥٤ و ٥٥ ـ المخطوطة رقم ٤٩ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٤) انظر : الجاحظ : الحيوان ج ٤ ص ١٩٢

وللقرآن موسيقاه الخاصة التى لا يفوت إذرا كها أحداً من قرائه . ومن أنواع بدائعه ما يمكن أن نرى فيه ـ ضمناً ـ دلائل موسيقية نابعة منه ، وليست مُسْتَجْلَبَةً إليه .

ومن هذه الأنواع[1] :

١ — الانسجام :

وهو ـ كما يعبر ابن أبى الإصبع ـ « أن يأتى الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم ، بسهولة سبك ، وعذوبة ألفاظ ، وسلامة تأليف ، حتى يكون للجملة من المنثور ، وللبيت من الموزون وقع فى النفوس وتأثير فى القلوب . » ، ويكاد ـ كما يقول السيوطى ـ « لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة » .

ويقول السيوطى أيضاً :

« وإذا قوى الانسجام فى النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد . . . ومن ذلك ما وقع فى القرآن موزونا :

فمنه : فى بحر الطويل : « فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ »[2]

ومن المديد : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا »[3]

ومن البسيط : « فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ »[4]

---

(١) كلها اخترناها من :

(أ) كتاب « الإتقان » للسيوطى : النوع الثامن والخمسون ، فى بدائع القرآن ج ٢ ص ٨٣ — ٩٦ ، والنوع التاسع والخمسون ، فى فواصل الآى ج ٢ ص ٩٦ — ١٠٥

(ب) كتاب « بديع القرآن » لابن أبى الاصبع المصرى ص ٢٧ و ٢٨ و ٣١ و ٣٦ و ٧٣ و ٩٠ و ٩١ و ٩٦ و ٩٩ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٦٤ و ١٦٦ و ٢٢٧

(٢) سورة الكهف / ٢٩

(٣) سورة هود / ٣٧ — (٤) سورة الأحقاف / ٢٥

ومن الوافر : « وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ »[1]

ومن الكامل : « وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »[2]

ومن الهزج : « فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا »[3]

ومن الرجز : « وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا »[4]

ومن الرمل : « وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ »[5]

ومن السريع : « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ »[6]

ومن المنسرح : « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ »[7]

ومن الخفيف : « لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا »[8]

ومن المضارع : « يَوْمَ التَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ »[9]

ومن المقتضب : « فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ »[10]

ومن المجتث : « نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »[11]

ومن المتقارب : « وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ »[12]

---

(١) سورة التوبة / ١٤ — (٢) سورة النور / ٤٦

(٣) سورة يوسف / ٩٣ — (٤) سورة الإنسان / ١٤

(٥) سورة سبأ / ١٣ — (٦) سورة البقرة / ٥٦

(٧) سورة الإنسان / ٢ — (٨) سورة النساء / ٧٨

(٩) سورة غافر / ٣٢ و ٣٣ — (١٠) سورة البقرة / ١٠

(١١) سورة الحجر / ٤٩ — (١٢) سورة الأعراف / ١٨٣

٢ — ائتلاف اللفظ مع اللفظ :

فيُقرن الغريبُ بمثله ، والمتداوَلُ بمثله ، رعايةً لحسن الجوار والمناسبة .

٣ — ائتلاف اللفظ مع المعنى :

أى أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ، فإن كان فخما كانت ألفاظه مفخمة ، أو جزلا فجزلة ، أو غريبة فغريبة ، أو متداولا فمتداولة ، أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك .

٤ — الإبدال :

وهو إقامة بعض الحروف مقام بعض ، ومن أمثلته : (انفَلَقَ) ، كانت (انفرق) ، ولهذا قال : « فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ... » (١) ، فالراء واللّام متتابعان . ومن الأمثلة أيضاً : « إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ » (٢) ، أى الخيل .

٥ — التفويف :

وهو إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح ، والوصف ، وغير ذلك من الفنون ، كل جملة منفصلة عن أختها ، مع تساوى الجمل فى الزنة ، ومن أمثلته : « الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ » (٣)

٦ — التعديد :

وهو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ، كقوله : « هُوَ اللَّهُ الَّذِي

(١) سورة الشعراء / ٦٣
(٢) سورة ص / ٣٢
(٣) سورة الشعراء / ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ » (١)

وقوله : « مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا » (٢)

وقوله : « التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ » (٣)

٧ — المضارع :

وهو أنْ يختلف اللفظان بحرف مقارب فى المخرج ، سواء كان فى الأول ، أو الوسط ، أو الآخر ، كقوله : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » (٤)

٨ — حُسْنُ النَّسَق :

وهو أن يأتى المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليما مستحسناً ، ولو أن كل جملة منه قائمة بنفسها . ومنه قوله : « وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (٥)

(١) سورة الحشر / ٢٣
(٢) سورة التحريم / ٢٤
(٣) سورة التوبة / ١١٢
(٤) سورة الأنعام / ٢٦
(٥) سورة هود / ٤٤

٩ — المشاكلة :

وهى ذكر الشىء بلفظ غيره ، لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً ، فالأول كقوله : « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك »[(١)] ، « ومكروا ومكر الله »[(٢)] ، « وجزاء سيئة سيئة مثلها »[(٣)] ، « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه »[(٤)] ، « وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم »[(٥)] ، « فيسخرون منهم سخر الله منهم »[(٦)] ، « إنما نحن مستهزءون » الله يستهزئ بهم »[(٧)]

١٠ — التجنيس :

سواء كان جناس مزاوجة ، أو جناس مناسبة ، وسواء كان لفظيا ، أو معنويا .

١١ — الطباق : بنوعيه : الحقيقى والمجازى .

١٢ — ردّ الأعجاز على الصدور

١٣ — التسجيع وصحة المقابلات

١٤ — التوشيح :

وهو أن يكون فى أول الكلام معنى إذا عُلِم عُلِمَتْ منه القافية إن كان شعراً ، أو السجع إن كان نثرا[(٨)] .

---

(١) سورة المائدة / ١١٦
(٢) سورة آل عمران / ٥٤
(٣) سورة الشورى / ٤٠
(٤) سورة البقرة / ١٩٤
(٥) سورة الجاثية / ٣٤
(٦) سورة التوبة / ٧٩
(٧) سورة البقرة / ١٤ و ١٥
(٨) ابن أبى الاصبع المصرى : بديع القرآن ص ٩٠ و ٩١

١٥ — الترديد :

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يردّها بعينها ، ويعلقها بمعنى آخر[(١)] ، كقوله : « حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته . . »[(٢)] .

١٦ — التعطف :

وهو كالترديد فى إعادة اللفظة بعينها فى الجملة من الكلام ، أو البيت من الشعر . والفرق بينهما قرب الكلمتين من الترديد ، وكونهما فى أحد طرف الجملة ، أو فى كليهما ، وهما ـ فى التعطف ـ مفترقتان ، كل لفظة منهما فى طرف من الكلام[(٣)] ، ومنه قوله تعالى : « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون »[(٤)] .

١٧ — التسميط :

وهو جعل مقاطع أجزاء جملة النثر مسجعة على رويّ يخالف رويّ قرينته . واشتقاقه من السمط الذى هو خيط العِقد ، لتنزيل سجعات الأجزاء بمنزلة حبّ العِقد ، وقافية البيت ، أوسجعة النثر ، أو فاصلة الآية بمنزلة السمط الذى يجمع حبّ العِقد ويربطه[(٥)] .

---

(١) نفس المرجع ص ٩٦
(٢) سورة الأنعام / ١٢٤
(٣) ابن أبى الاصبع المصرى : بديع القرآن ص ٩٧
(٤) سورة التوبة / ٥٢
(٥) ابن أبى الاصبع المصرى ص ١٠١ و ١٠٢

١٨ — المماثلة :

أى تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها فى الزنة دون التقفية (١) .

كقوله : « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ . . » (٢) .

* * *

ومما يوفر للقرآن موسيقاه الذاتية أنه هو نفسه يوفر الانسجام بين ألفاظه وأصواته ، من طرق كثيرة أخرى ، منها :

(ا) حذف ياء المنقوص المعرّف ، نحو : « الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ » (٣) ، « يَوْمَ التَّنَادِ » (٤)

(ب) حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ » (٥)

(حـ) حذف ياء الإضافة، نحو : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ » (٦) ، « فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ » (٧)

(د) زيادة حرف المد ، نحو : « الظُّنُونَا — الرَّسُولَا — السَّبِيلَا » (٨)

---

(١) نفس المرجع ص ١٠٧
(٢) سورة الطارق / ١ و ٢ و ٣ و ٤
(٣) سورة الرعد / ٩
(٤) سورة غافر / ٣٢
(٥) سورة الفجر / ٤
(٦) سورة القمر / ١٦ و ١٨ و ٢١ و ٣٠ و ٣٨ و ٢٩
(٧) سورة غافر / ٥
(٨) سورة الأحزاب / ١٠ و ٦٦ و ٦٧

(هـ) إبقاؤه مع الجازم ، نحو : « لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى » (١) ، « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى » (٢) ، على القول بأنه نهى .

(و) صرف ما لا ينصرف ، نحو : « قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا » (٣)

(ز) اختيار أغرب اللفظين ، نحو : « قِسْمَةٌ ضِيزَى » (٤) ، ولم يقل : جائرة ، ونحو : « لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ » (٥) ، ولم يقل : «جهنم» أو «النار» . وفى سورة المدثر : « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ » (٦) ، وفى المعارج : « إِنَّهَا لَظَى » (٧) وفى سورة القارعة : « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » (٨) ، وذلك لمراعاة فواصل كل سورة .

(ح) الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو : « فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » (٩) .

(ط) إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو : « إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ » (١٠) ، أوثر على « عجيب » مراعاة للفاصلة .

---

(١) سورة طه / ٧٧
(٢) سورة الأعلى / ٦
(٣) سورة الإنسان / ١٥ و ١٦
(٤) سورة النجم / ٢٢
(٥) سورة الهمزة / ٤
(٦) الآية ٢٦
(٧) الآية ١٥
(٨) الآية ٩
(٩) سورة طه / ١١٧
(١٠) سورة ص / ٥

(ى) العـدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال، نحو: «فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ»[1]، والأصل: قتلتم.

(ك) تغيير بنية الكلمة، نحو: «طُورِ سِينِينَ»[2]، والأصل: سينا.

* * *

وقد كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المدّ واللين وإلحاق النون. يقول السيوطي: «وحكمته: وجود التمكن من التطريب بذلك، كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا، يُلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا. وجاء القرآن على أسهل موقف، وأعذب مقطع»[3].

* * *

والموسيقى – في عبارات القرآن – تساير المعاني، فهو – بإطلاق – في التقريع، والإعذار، والإنذار، والتحذير، والتخويف... ذو ألفاظ شديدة قابضة مزعجة، فإذا بشّر، ووعد، ووحد، فألفاظه – بإطلاق أيضا – باسطة بهيجة مشوّقة.

وقد قيل إن هذه الموسيقية، في الأصوات القرآنية «تلعب – في تكييف عقل السامع، وتهيئته لتلقي الدعوة – دوراً هو فوق التعريف، وإنّ الجمال الفني في القرآن هو رأس ما جذب العرب إلى الإسلام[4]».

(١) سورة البقرة / ٨٧

(٢) سورة التين / ٢

(٣) الإتقان جـ ٢ ص ١٠٥. وانظر: الخفاجي: سرّ الفصاحة ص ١٦٥ و ١٦٦. وانظر – في ختم مقاطع الفواصل بحروف المدّ واللين، وفي مبنى الفواصل على الوقف –: الزركشي: البرهان في علوم القرآن جـ ١ ص ٦٨ و ٦٩ و ٧٠.

وعندنا أن الموسيقية في القرآن – وتلك كلها من أدلتها – أوضح من أن تجحد. وعندنا أيضا أنه ليس يمسّ قداسة القرآن وعظمته أن نقول إنه تحرّى الموسيقية، فذلك – في الواقع – من دلائل إعجازه، سيما أن موسيقاه غير الموسيقى فيما يكتب البشر من نثر فني قد يعمد إليه بعضهم، فيضحّي من أجله – قليلا أو كثيرا – بدقة المعنى المراد.

— ٥ —

وقد اختلف الحكم على القراءة بالألحان المقتبسة من الغناء. وهذا بعض ما رُوي ضدها:

(أ) روي عن النبي، أنه قال – وقد أوردنا هذا الحديث قبلا –: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق، ولحون أهل الكتابين، وسيجيء بعدي أقوام يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح..» إلى آخر الحديث.

(ب) وأنكر التطريب أنس بن مالك خادم النبي، فقد جاءه قارىء، فقرأ وطرّب، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء، فقال له: يا هذا! ما هكذا كانوا يفعلون. وكان – إذا رأى شيئا ينكره – كشف الخرقة عن وجهه[1].

(ج) وفي سنن الدارمي: أنهم كانوا يرون هذه الألحان في القراءة محدثة[2].

(د) وتمنى الصحابيّ أبو هريرة الموت مخافة أن تدركه سِتّةٌ عدَّ منها أن يتخذ الناس القرآن مزامير[3].

(١) انظر: ابن الحاج: المدخل جـ ١ ص ٧٤ و ٧٥

(٢) سنن الدارمي جـ ٢ ص ٤٧٤

(٣) طبقات ابن سعد، القسم الثاني ص ٦١ (ط. ليدن ١٣٢٥ هـ)

(هـ) وممن كره القراءة بالألحان من التابعين : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والقاسم بن محمد ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعى[1] .

(و) وممن كرهها من تابعى التابعين : سفيان بن عيينة ، ومالك ابن أنس[2] .

وروى الربيع الجيزىّ عن الشافعى أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة[3] .

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القرآن بألحان ، فكرهها ، وقال : لا ، إلا أن يكون طبع الرجل ، مثل قراءة أبي موسى حَدْرًا[4] .

وقد اختتم الماوردى كتابه : (أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك) بتحذير بناه على حديث نبوىّ هو — كما يقول الماوردى — « أوعظ نذير ، وأبلغ تخويف وتحذير »[5] ، وهو حديث رواه عبد الله بن عبيد ، عن عمير الليثى ، عن حذيفة بن اليمان ، عن النبى — صلى الله عليه وسلم — ، وفيه تحديد لأشراط السّاعة ، وإنذار بتوقّع نزول البلاء بالأمة ، إذا وقع الناس فى منكرات كبيرة ، كإماتة الصّلاة ، وإضاعة الأمانة ، والاستخفاف بالدماء ، وجاء بين هذه الأشراط أن يتخذ الناس القرآن مزامير[6] .

---

(١) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤
وابن الحاج : المدخل جـ ١ ص ٧٤ و ٧٥

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية : المرجع السابق ص ١٣٧
وابن خلدون : المقدمة جـ ٣ ص ٩٦٨ و ٩٦٨

(٣) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٣٢ (ط . الطناحى والحلو)

(٤) كتاب العلل ومعرفة الرجال ، لأحمد بن حنبل جـ ١ ص ٢٧٣

(٥) ص ٥٨ (ط ١٩٢٩ ، بنفقة مكتبة الخانجى)

(٦) نفس المرجع

وابن بطة العكبرى المتوفى بالعراق سنة ٣٨٧ هـ يرى أن « من البدع قراءة القرآن ، والأذان بالألحان ، وتشبيهها بالغناء »[1] .

(ز) وحتى ابن خلدون المؤرخ الاجتماعى يرى « أن صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه ، ومن ثم لا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر فى القرآن »[2] ويرى « الأخذ بالتلحين البسيط الذى يهتدى إليه صاحب المضمار ، فيردّد أصواته ترديداً ، على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره »[3] ، ويرى أن « القرآن محل خشوع ، بذكر الموت وما بعده ، وليس مقام التذاذ بإدراك الحسن من الأصوات »[4] .

(ح) ونذكر هنا رواية تاريخية لافتة هى أن الحارث بن مسكين الذى تولى قضاء قضاة مصر ، فى سنة ٢٣٧ هـ كان يضرب الذين يقرأون بالألحان[5]

ويبدو أن هذه القراءة كانت مسرفة فى المخالفة إلى الحدّ الذى تضيع عنده معانى القرآن ، فقد ضرب ابن الحاج مثلا للقراءة المحرّمة الكثيرة ترديد الأصوات والترجيعات ، والتى تنبهم معها معانى القرآن : « ما يفعله القراء بالديار المصرية الذين يقرأون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون عليها الأجور والجوائز »[6] .

* * *

---

(١) انظر : كتابه : الشرح والإبانة على اصول السنة والديانة ص ٨٩

(٢) المقدمة — فصل فى صناعة الغناء جـ ٣ ص ٩٦٨ (ط . على عبد الواحد وافى)

(٣) نفس المرجع

(٤) نفس المرجع

(٥) انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩

(٦) المدخل جـ ١ ص ٥٠ و ٥١

(هـ) وممن كره القراءة بالألحان من التابعين: سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، والحسن البصري، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي[1].

(و) وممن كرهها من تابعي التابعين: سفيان بن عيينة، ومالك ابن أنس[2].

وروى الربيع الجيزيّ عن الشافعي أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة[3].

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القرآن بألحان، فكرهها، وقال: لا، إلا أن يكون طبع الرجل، مثل قراءة أبي موسى حدرًا[4].

وقد اختتم الماوردي كتابه: (أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك) بتحذير بناه على حديث نبويّ هو - كما يقول الماوردي - «أوعظ نذير، وأبلغ تخويف وتحذير»[5]، وهو حديث رواه عبد الله بن عبيد، عن عمير الليثي، عن حذيفة بن اليمان، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وفيه تحديد لأشراط السّاعة، وإنذار بتوقّع نزول البلاء بالأمة، إذا وقع الناس في منكرات كبيرة، كإماتة الصّلاة، وإضاعة الأمانة، والاستخفاف بالدماء، وجاء بين هذه الأشراط أن يتخذ الناس القرآن مزامير[6].

(١) انظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤
وابن الحاج: المدخل جـ ١ ص ٧٤ و ٧٥
(٢) انظر: ابن قيم الجوزية: المرجع السابق ص ١٣٧
وابن خلدون: المقدمة جـ ٣ ص ٩٦٨ و ٩٦٨
(٣) السبكي: طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٣٢ (ط. الطناحي والحلو)
(٤) كتاب العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل جـ ١ ص ٣٧٣
(٥) ص ٥٨ (ط ١٩٢٩، بنفقة مكتبة الخانجي)
(٦) نفس المرجع

وابن بطة العكبري المتوفى بالعراق سنة ٣٨٧ هـ يرى أن «من البدع قراءة القرآن، والأذان بالألحان، وتشبيهها بالغناء»[1].

(ز) وحتى ابن خلدون المؤرخ الاجتماعي يرى «أن صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه، ومن ثم لا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القرآن»[2] ويرى «الأخذ بالتلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار، فيردّد أصواته ترديداً، على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره»[3]، ويرى أن «القرآن محل خشوع، بذكر الموت وما بعده، وليس مقام التذاذ بإدراك الحسن من الأصوات»[4].

(ح) ونذكر هنا رواية تاريخية لافتة هي أن الحارث بن مسكين الذي تولى قضاء قضاة مصر، في سنة ٢٣٧ هـ، كان يضرب الذين يقرأون بالألحان[5]

ويبدو أن هذه القراءة كانت مسرفة في المخالفة إلى الحدّ الذي تضيع عنده معاني القرآن، فقد ضرب ابن الحاج مثلا للقراءة المحرّمة الكثيرة ترديد الأصوات والترجيعات، والتي تنبهم معها معاني القرآن: «ما يفعله القراء بالديار المصرية الذين يقرأون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون عليها الأجور والجوائز»[6].

* * *

(١) انظر: كتابه: الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٨٩
(٢) المقدمة - فصل في صناعة الغناء جـ ٣ ص ٩٦٨ (ط. علي عبد الواحد وافي)
(٣) نفس المرجع
(٤) نفس المرجع
(٥) انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩
(٦) المدخل جـ ١ ص ٥٠ و ٥١

فأما الذين أجازوا الألحان فى القرآن ، فقد عضدوا رأيهم :

(ا) بما سبق أن ذكرناه من أن عمر بن الخطاب كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكّرنا ربّنا ، فيقرأ أبو موسى ، ويتلاحن ، وأن عمر كان يقول : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل(١) .

(ب) ورووا أن ابن عباس وابن مسعود أجازا هذه القراءة(٢) .

(جـ) ورووا أن أبا حنيفة وأصحابه كانوا يستمعون القرآن بالألحان .

كما رووا أن الشافعى رؤى، مع بعض أصحابه، يستمعون القرآن بالألحان .

وقالوا إن هذا أيضا هو اختيار بن جرير الطبرى(٣) .

(د) وروى عن ابن جريج أنه قال : سألت « عطاء » عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ، قال : وما بأس ذلك يابن أخى ؟(٤)

(هـ) وقالوا ـ فى الرد على محرّمى هذه القراءة : ـ « إنّ المحرّم لا بدّ أن يشتمل على مفسدة راجحة أو خالصة ، وقراءة التطريب والألحان لا تتضمن شيئاً من ذلك ، فإنها لا تخرج الكلام عن وضعه ، ولا تحول بين السامع وبين فهمه »(٥) .

* * *

وقد انتهى صاحب «زاد المعاد» ـ فى أمر التطريب والتغنى بالقرآن ـ بحكم تقرّه عليه ، هو تحسينهما إذا اقتضتهما الطبيعة ، وسمحتْ بهما ، من غير

(١) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٦ ص ٩

(٥) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ١ ص ١٣٦

تكلف ولا تمرين وتعليم ، وأن النفوس تقبل هذا ، وتستحليه ، وأن هذا هو الذى كان السّلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو الذى يتأثر به السّامع والتالى .

أمّا ما كان ـ من ذلك ـ يعلّم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة ، على إيقاعات مخصوصة ، وأوزان مخترعة ، ولا يحصّل إلا بالتعليم والتكلف ، فهذه هى التى كرهها السّلف ، وأنكروا على من قرأ بها(١) .

* * *

وسماع النساء للرجال ، إذ يقرأون القرآن، بصوت حلو ناعم مشوّق ، لا حرَجَ منه فى الإسلام ، فعن أنس أن أبا موسى الأشعرى قام ليلة يصلّى ، فسمع أزواجُ النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ وكان حلو الصّوت ، فقُمْنَ يسمعن ، فلما أصبح ، قيل له : إن النساء كنّ يسمعن ! فقال : لو علمت لحبّرتُكنّ تحبيراً ، ولشوّقتُكنّ تشويقاً !(٢)

* * *

وقد مثل المرحوم عباس العقاد رأيه فى أثر القراءة بالألحان فيمن قد يثير الصوت الجميل نزواتهم ، فقال ، بعد أن حسّن قراءة الترتيل والتفصيل : « ... ولكن ، ينبغى أن نذكر أن القارئ غير مسؤول عن عوج الطباع واختلال الأمزجة ، فإذا بلغ من سامعة ـ مثلا ـ أنها لا تصغى إلى صوت جميل إلا اقترن عندها بنزوات النفس ، وبلغ من سامع مثل ذلك ، كلما استمع إلى قارئة محسنة ، فالوزر ـ فى ذلك ـ على الطبع الأعوج ، لا على الصوت الجميل . ومنع المعوّج أولى من منع القراءة التى لا ذنب لها إلا أنها مقرونة بالجمال ......

(١) نفس المرجع ص ١٣٧ و ١٣٨

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، المجلد ٢ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ (ط . بيروت)

والحلال بيّن، والحرام بيّن، والدين يُسْر، وليس بعسر، قبل كل شيء، وبعد كل شيء[1]. »

* * *

وقد أحب الناس للمصحف المكتوب أن يكون جميل الخطّ، وبذلت البلاد الإسلامية في هذا — على مدى القرون — جهودا باهرة ضخمة. وهذا الجمال هو من بواعث القراءة وميسّراتها[2].

ولا شك أن الحاجة إلى تجميل القراءة ليست أدنى من الحاجة إلى تجميل الكتابة، ولا شك أيضاً أن التجميلين يتوافيان على غاية واحدة.

* * *

بيد أنه تردّد أن بعض الناس — وخاصّة الموسيقيين — يرغبون في تلحين القرآن تلحيناً تصحبه الموسيقى:

---

(١) جريدة الأخبار في ٨ يونية ١٩٥٩

(٢) قال أبو الفتح كشاجم، يصف أجزاءً من القرآن، أبياتا جيدة منها:

من يتب خشية العقاب فإني ... تبت أنساً بهذه الأجزاء
حين جاءت تروقني باعتدال ... من قدود وصيغة واستواء
(سبعة) أشبهت لي السبعة الأنجم ... ذات الأنوار والأضواء
... ...
... ...
وهي مشكولة بعدة أشكا ... ل ومقروءة على أنحاء
فإذا شئت كان (حمزة) فيها ... وإذا شئت كان فيها (الكسائي)
... ...
... ...
لحقيق عليَّ أن أقرأ الـ ... قرآن فيهنّ مُصبحي ومسائي

(انظر: الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب ج ١ ص ١٠١ بتحقيق علي محمد البجاوي)

١ — نشرت إحدى المجلات[1]، بعنوان: «القرآن والفنون»[2]، مقالا قالت، في تقديمه، إن فيه من اللمحات الفنية ما أوجب عليها أن تضعه بين يدى متذوّقي قرائها. وتضمن المقال:

(أ) أن حقّ تلحين القرآن مقطوع به، وأنه «يستمدّ شرعية وجوده من هذه القراءات السبع»، وأننا «في حاجة فقط إلى فنان عربيّ عظيم مثل باخ[3]، وهندل[4]، وهايدن[5] في أعمالهم الدينية الرائعة والمعروفة بـ: «Oratorio».

(ب) وأن خير موسيقى لتلحين القرآن هي موسيقى الكنيسة المصرية التي نجدها في القُدّاس القبطي القديم، وأن الأذان الإسلامي (الحالي) فيه جزء واضح من هذا القداس القبطي.

---

(١) مجلة «الأدب» التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ أمين الخولي — ع. مايو ١٩٥٦

(٢) لم تذكر المجلة اسم الكاتب، واكتفت بأن رمزت له بحرف: ت. ح. وقد عرفتُ أن اسمه (توفيق حنا).

(٣) Bach موسيقي ألماني (١٦٨٥ — ١٨٥٠)، والقليل من أعماله للبيانو، والكثير والجيد للأرغن.

(انظر: Bernard Champigneulle: Histoire de La Musique ترجمه للعربية ثروت كجوك ص ٨٦ — ٩٢

(٤) Haendel موسيقي ألماني أيضا (١٦٨٥ — ١٧٥٩)، مات في لندن، وكان قد أصابه العمى، وله أعمال كثيرة للأرغن والآلات الأخرى، مثل الكمان والفلوت والقيثار، والقليل منها للبيانو.

(انظر: الكتاب السابق ص ٨٣ — ٨٦)

(٥) Haydn الألماني (١٧٣٢ — ١٨٠٩)، كتب كثيرا من الألحان الآلية، واستخدم البيانو كآلة رئيسية في كثير منها، وقلل من استخدام الأرغن، فكتب أكثر من ٦٠ سوناتا للبيانو.

(انظر الكتاب السابق ص ١١٠ — ١١٣)

(ح) وأنه كثيراً ما يختلط الأمر على كاتب المقال ، فلا يميّز « بين صوت مقرئ مجوز (كذا) وصوت قسيس قبطي (عجوز) من كنائس الصعيد » (كذا أيضاً) .

(ء) وأنه يقترح لتلحين القرآن « آلات موسيقية أساسية هي — بصفة مبدئية — : النّاي ، والمثلث ، والأرغن ؛ ولكنه — في خشيته على ما يظهر من أن ترمى فكرته بشيء من الإسراف ، أو في إمعانه ، على ما يظهر أيضاً ، في الاستهتار بالقرآن — استدرك ، أو مضى ، فقال : « وأنا لا أميل إلى إدخال الطبلة » .

(هـ) وأن القرآن « سيمفونية ضخمة من حركات كثيرة ... وأقرب السيمفونيات إلى هذه السيمفونية الإلهية : السيمفونية التاسعة التي تنتهي إلى نشيد الفرح يردّده كل الناس » .

* * *

ومع أني هنا بسبيل السّرد المجرّد للأمور التي دعتني إلى التفكير في جمع القرآن جمعاً صوتياً يحقق — ضمن ما يحقق — وجود النماذج الشرعية للقراءة ، ولست بسبيل مناقشة مثل ذلك الكلام ، فإنه لا مندوحة لي — في غير إخلال بالموضوعية — عن التعقيب ، في إيجاز ، على أقوال ذلك الكاتب :

(أ) إن الذين عرفوا شيئاً — ولو يسيراً جداً — عن القراءات يدركون بُعْد ما بين القراءات السبع وبين ما أسماه ذلك الكاتب « شرعية » التلحين الموسيقي للقرآن .

(ب) واختيار الكاتب للموسيقى الكنسية المستعملة في القدّاس القبطي لتكون مصدراً لتلحين القرآن موسيقياً ، وادعاءه بأن الأذان الإسلامي مأخوذ من هذا القدّاس بشكل واضح ، والادعاء بأن تلاوة القرآن وقراءة

القدّاس سواء ... هذا كلّه ترويج لدعاوى بعض المستشرقين المسيحيين الذين يعزون — في تكلّف وتعصّب — كلّ المظاهر والشعائر الإسلامية إلى أصول مسيحية ، والذين لا يفتأون يردّدون ، في كل مناسبة ، دعواهم الباطلة .

يقول جون تاكلي Gohn Takle عن المسلمين ، في حقد عليهم ، وعلى قرآنهم — وهذا مجرّد مثل لدعاوى أولئك المستشرقين البعيدة جدا عن العدل والرشد — يقول تاكلي : « يجب أن نستخدم كتابهم — يعني القرآن — وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضدّ الإسلام نفسه ، لنقضي عليه تماماً ، يجب أن نُرِيَ هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدا ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً »(١) .

ويقول أحد دعاة النصرانية واسمه W. S. Nelson ، في حقد مماثل : « إن الإسلام مقلّد ، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه أُخِذَ من الوثنية كما هو ، أو مع شيء من التبديل »(٢) .

وقد حاول جولد تسيهر — استناداً إلى الروايات الضعيفة ، وإلى أخبار بعض المطعون في دينهم وخُلُقهم ، لدى علماء الجرح والتعديل — حاول أن يثبت أن اليهودية شاركت في تأسيس الفكر الإسلامي(٣) .

وكذلك قال هذا المستشرق — في مجافاة للحقائق الناصعة — إن « تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها إذ استقاها

---

(١) نقلا عن :

Islam and Missions, by : E. M. Wherry, S. M. Zwemer and C. G. Myirea, N. Y 1911"

(وانظر : مصطفى خالدي ، وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٤٠)

(٢) نقلا عن المرجع السابق

(٣) انظر : مذاهب التفسير الإسلامي ، (ترجمة عبد الحليم النجار) ، فهذه المحاولة فيه واضحة .

بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً »[1].

على أننا أشرنا قبلاً غير مرة إلى الحديث النبوي الذي ينهى — ضمناً — عن قراءة القرآن بلحون أهل الكتابين ، وهذا — وحده — كاف لدحض الادّعاء بوجود صلة بين الألحان القبطية وألحان القرآن ، وكاف لإسقاط القول بأن تكون موسيقى القداس القبطي مصدراً لتلحين كتاب الإسلام والعربية .

(جـ) ووصف القرآن بأنه سيمفونية لها أشباه في سيمفونيات الغرب ، واقتراح استعمال الناي والمثلث والأرغن — بصفة مبدئية — في قراءة القرآن ، ومحاولة تغطية الشطط في هذا ، بقناع ممزق ، هو القول بعدم الميل إلى إدخال الطبلة . . . كلّ هذا يناقض خصائص القرآن ، ولا ينفعه ، وإنما يسيء إليه ، كما سنشرح ، بعد قليل ، وهو — بعدُ — يصدم شعور أتباع القرآن ، ويؤذيهم في أعظم مقدّساتهم .

* * *

٢ — ونشرت الأهرام[2] بعنوان : « خمس سور من القرآن تم تلحينها » ما نصّه :

« أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذي بدأ في تلحين القرآن خطاباً يقول فيه :

إن الوزارة تبارك المشروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية ، لتسجيل السّور التي تم تلحينها ، وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة .

وقد أبدى عبد الوهاب حموده عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور الملحنة ، بعد أن غنّاها له على « العود » صالح أمين .

(١) أنظر : العقيدة والشريعة ، (ترجمة : محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر ، وعبد العزيز عبد الحق) ص ١١ — ٢٠

(٢) في ٧ أغسطس ١٩٥٨

وقد أتمّ صالح أمين تلحين ٥ سور ، هي : المدثر ، والإنسان ، والنّور ، والفرقان ، والأنفال ، ويقوم الآن بكتابة « نوتها » الموسيقية .

وسيسبق كل سورة مقدمة موسيقية تصوّر المناسبة التي نزلت فيها السّورة » .

ومع أن وزارة التربية والتعليم نفت عاجلاً في بلاغ رسمي[1] مباركتها للمشروع ، وإسهامها فيه ، وحرصها على « أن يكون للدين مكانة ، وللقرآن المجيد قداسة » ، فإنّ نفيها وقفَ — طبعاً — عند ما يخصّها هي ، ولم يتجاوزه إلى الأمور الخطيرة الأخرى التي تضمّنها الخبر .

* * *

٣ — ونُشر ، بعد ذلك[2] ، أن الموسيقار زكريا أحمد سيقوم بمحاولة فنية جديدة « لتلحين القرآن » ، و « أن فكرته هي : تصوير المعاني وضبط الأنغام في الترتيل »[3] .

* * *

وعندي أن قراءة القرآن — على الآلات الموسيقية — تمسّ قداسته ، وتخلط بصوته القدسي أصوات المعازف ، وقد تصْرف السامع عن تدبّر المعاني والتأثر بها إلى الاستمتاع بالموسيقى ، وأنغامها ، وإيقاعاتها ، وقد تقحم

(١) انظر : الأهرام ع ١٣ من أغسطس ١٩٥٨

(٢) انظر الأخبار ع ١٢ من أكتوبر ١٩٥٩

(٣) تقتضيني الأمانة أن أذكر أن المرحوم زكريا أحمد زارني في بيتي ، بصحبة الصديق على أحمد باكثير ، ورجاني الإذن له في الاشتراك — بأيّ قدر — في تسجيل أحد المصاحف المرتلة بصوته .

وتلا — ليلتها — آيات من سورة المزّمل ، كنموذج التلاوة التي يؤثرها . وكان — في تلاوته — يلتزم قواعد التجويد ، ولكنها كانت أقرب إلى الإلقاء التمثيلي .

ولما أبديت ملاحظاتي على أسلوبه في التلاوة تلقاها بالرضى ، وقال في امتثال : علموني ، وعليّ أن أنفذ ، وقال : كل قصدي أن تكون تلاوتي معبرة عن المعاني .

وذكر — وهو يضحك — أنه سمع قارئاً — يتلو بغير فهم — قوله تعالى : « سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ؟ لا تبقي ولا تذر » (المدثر / ٢٦ و ٢٧ و ٢٨) ، وكانت القراءة بهيجة إلى درجة جعلتها أقرب إلى تصوير شيء جميل منها إلى تصوير النار وأهوالها المخوفة ، فصاح زكريا : يا ناس ! ما دامت سقر بالشكل الجميل دا وبالطلاقة دي : خدوني فيها ! .

ولقي زكريا ربه ، بعد أسابيع قليلة من الزيارة التي ذكر فيها أن الاشتراك في تسجيل المصحف المرتل هو من أغلى أمنياته . جزاه الله صالحة على نيته .

— فى القرآن — حركات ، وتنزع منه حركات ، فثلا ، قد تمدّ المقصور ، وقد تقصر الممدود ، بل قد تحدث مالا أصل له . وهذا يُفضى غالباً إلى تغيير المعانى ، أو — على الأقل — وقوع اللّبس فيها . ومثل هذا حقيق — من الناحية الدينية — أن يفسّق صانعه ، ويؤثّم سامعه .

ثم ما جدوى قراءة القرآن على المعازف ، وهو — كما أشرنا آنفا — له موسيقاه الخاصة ، وليس كالكتب الدينية الأخرى التى تستمين الموسيقى من الخارج ، لتظهر معانيها وتكمل نقصها ؟

* * *

لقد دعانى هذا كلّه إلى اختيار طريقة الترتيل المرسل ، فى تسجيل المصاحف المرتلة ، والنص عليها فى أحاديثنا ، مع المسؤولين ، حسبا أوضح شيخ الأزهر فى بيانه الرسمى[1] ، آملين أن تكون هذه المصاحف نماذج ممتازة يقرأ المسلمون على نسقها ، فى سهولة ويسر .

هذا ، والقراءة سنّة ، والثابت : أن النبى كان يقرأ القرآن مترسّلا[2] .

— ٦ —

ومنذ قديم ، والإبتداع الصوتى الخارج عن قواعد الأداء يثير نقد الناقدين :

يقول الجاحظ ، فى حديث عن اللحن : « . . . ثم اعلم أن أقبح اللحن : لحن أصحاب التقعير ، والتقعيب ، والتشديق ، والتمطيط ، والجهْوَرة ، والتفخيم . وأقبح من ذلك : لحن الأعاريب النازلين على طرق السّابلة ، وبقرب مجامع الأسواق[3] » .

(١) انظر : مجلة الأزهر ع . إبريل ١٩٥٩ ص ٩٢٦
(٢) انظر : مسند أبى عوانة جـ ٢ ص ١٣٥ و ١٣٦
(٣) البيان والتبين جـ ١ ص ١٥٩ (بتحقيق حسن السندوبى)

ولا ريب أن هذا الخروج — إذا كان متعلقا بالقرآن — هو أحرى بالشنآن والمنع .

وكذلك انتقد ابن قتيبة التكلف والشذوذ فى : المدّ المفرط ، والتشديد المتعب . . . الخ[1] .

* * *

ومن المبتدعات الصوتية التى تنافى جلال القرآن ، وتخرج عن قواعد أدائه ، وتناله بشىء من التحريف ، وتعوق حسن فهمه والتأثر به ، والتى كانت من بواعث التفكير فى الجمع الصوتى للقرآن ، ومن موجّهات التخطيط لتسجيل المصاحف المرتلة الأتمة :

١ — القراءة بالترعيد :

وهو أن يرعد القارئُ صوته ، كأنه يرعد من برد ، أو ألم أصابه[1] .

٢ — القراءة بالتطريب المفسد للمعنى :

وهو أن يترنّم القارئُ بالقرآن ، ويتنغم به ، على نحوٍ من شأنه أن يمدّ فى غير مواضع المدّ ، ويزيد فى المدّ على مالا ينبغى[2] .

٣ — القراءة بالتحزين المصطنع :

وهو أن يأتى القارئُ بتلاوته ، على وجه فيه حزن وتباكٍ متكلفان ها مظنة الرياء[4] :

٤ — القراءة بالترقيص .

ومعناه : أن يرقص القارئُ صوته بالقرآن ، فيزيد فى حروف المدّ حركات ،

(١) انظر : ابن مطرف الكنانى : القرطين ص ١٥٠ — ١٥٤
(٢) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، مجلد ٢ ص ٥٥٢ .
والسيوطى :الإتقان جـ ١ ص ١٠١
(٣) التهانوى : المرجع السابق مجلد ٢ ص ٩٠٠ ، والسيوطى : المرجع السابق
(٤) السيوطى . المرجع السابق

بحيث يصير كالمتكسّر الذى يفعل الرقص[1] .

وقيل : القراءة بالترقيص هى أن يروم القارئ السكت على الساكن ، ثم ينفر عنه ، مع الحركة ، فى عدْو وهرولة[2] .

٥ — القراءة بالتحريف :

وهو ما أحدثه الذين يجتمعون ، ويقرأون بصوت واحد ، فيقطعون القراءة ، ويأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها الآخر ، ويحافظون على مراعاة الأصوات[3] .
تحدّث على بن سلطان القارى عن هذه القراءة ، فقال :

« ومن القراءة المنهية ما أحدثه الجماعة الأزهرية ، حيث يجتمعون ، فيقرأون بصوت واحد ، ويقطعون القرآن ، فيأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها ، ويحذفون حرفا ، ويزيدون آخر ، ويحرّكون السّاكن ، ويسكّنون المتحرك ، وأمثالها . ويمدّون تارة ، ويقصرون تارة ، فى غير محالّها ، مراعاة للأصوات خاصّة دون أحوالها ، مع أن الغرض الأهمّ من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها ، لظهور معانيها بما فيها »[4] .

٦ — القراءة باللين والرخاوة فى الحروف ، وكونها غير صلبة ، بحيث تشبه قراءة الكسلان[5] .

٧ — النّقْر بالحروف عند النطق بها ، بحيث يشبه القارئ المتشاجرَ .

(١) على الضباع : مبتدعات القراء فى قراءة القرآن الكريم — مجلة كنوز الفرقان ع ٠ ربيع الأول ١٣٦٨ .

(٢) التهانوى : المرجع السابق مجلد ١ ص ٦٣٠ ، والسيوطى : الإتقان حـ ١ ص ١٠٢

(٣) السيوطى : المرجع السابق

(٤) المنح الفكرية على متن الجزرية ص ٢٨

(٥) انظر — فى شأن هذا العيب والعيوب التالية — على الضباع : البحث السابق.

٨ — تقطيع الحروف ، بعضها من بعض ، بما يشبه السكت ، خصوصا الحروف المظهرة ، وذلك بقصد زيادة بيانها .

٩ — إشباع الحركات ، بحيث يتولّد منها حرف مدّ ، مع ما فى ذلك من إفساد للمعنى .

١٠ — مبالغة القارئ فى القلقلة فى حروفها ، حتى يبلغ بها مرتبة الحركة .

١١ — إعطاء الحرف صفة مجاوره ، قويّة كانت أو ضعيفة .

١٢ — تفخيم الراء الساكنة ، ولو كان قبلها ما يُوجب ترقيقَها .

١٣ — إشراب الحرف بغيره .

١٤ — إشباع حركة الحرف الذى قبل الحرف الموقوف عليه .

١٥ — تحريك الحروف السواكن كمكسه .

١٦ — زيادة المدّ فى حروفه ، على المدّ الطّبعى ، بلا سبب .

١٧ — المبالغة فى إخفاء الحروف بحيث يشبه المدّ .

١٨ — النقص عن المدّ الطّبعىّ فى حروفه .

١٩ — ضمّ الشفتين ، عند النطق بالحروف المفخمة المفتوحة ، لأجل المبالغة فى التفخيم .

٢٠ — شوب الحروف المرقّقة شيئا من الإمالة ، ظنّا من القارئ أن ذلك مبالغة فى الترقيق .

٢١ — مدّ ما لا مدّ فيه ، كمدّ واو « مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ »[1] وصلا ، وياء

(١) سورة الفاتحة / ٤

« غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ »[1] ، لأنّ الواو والياء — إذا انفتح ما قبلهما — كانا حرفَىْ لين لامدّ فيهما .

٢٢ — تشديد الهمزة إذا وقعت بعد حرف مدّ ، كما فى كلمتى : « أُولَٰئِكَ » و « يَٰأَيُّهَا » ، بقصد المبالغة فى تحقيقها وبيانها .

٢٣ — لوك الحروف ، كما يفعل السكران ، فإنه — لاسترخاء لسانه وأعضائه نتيجةَ السُّكْر — يفقد الفصاحة فى كلامه .

٢٤ — المبالغة فى نبر الهمزة وضغط صوتها ، حتى تشبه صوت المتقيّء .

٢٥ — ترك التجويد مطلقا :

وهذا ملحوظ — الآن — فى نسبة كبيرة من أبناء هذا الجيل . وهو أمر خطير من وجهة النظر الإسلامية ، وقد وُصف فاعله بأنه آثم :

تقول الجزرية قولتها المشهورة: من لم يجوّد القرآن آثم .

ويقول برهان الدّين القلقيلى — فى شرحه على متن الجزرية — : « وقد صح أن النبي — صلى الله عليه وسلّم — سمى قارئ القرآن بغير تجويد : فاسقا . وهو مذهب إمامنا الشافعى — رضى الله عنه — لأنه قال : إن صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط »[2] .

* * *

فشا هذا كله ، على نحو جدير أن يزعج الحريصين على بقاء القرآن سليماً من حيث الأداء أيضاً .

وفشا هذا كلّه ، على نحو خليق أن يذكّرنا بما جاء فى « نهج البلاغة » منسوباً إلى على بن أبى طالب من أنه سيأتى زمان « ليس عند أهله سلعة أبوَر

(١) سورة الفاتحة / ٧

(٢) انظر : محمد بكر نصر : نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ١٠

من الكتاب إذا تُلِيَ حقّ تلاوته ، ولا أنفق منه إذا حُرِّف عن مواضعه »[1] .

وزاد الأمر خطرا أن المماراة فى الأمور الصوتية يسيرة ، كما ذكرنا من قبل ، وأن هذه المبتدعات قد يقع بعضها فى المحاريب ، فتكون واسعة الأثر ، وبعضها أصبح — لدى بعض القراء — أساساً فى القراءة فى المآتم والمحافل ، أو لدى بعض الصوفية فى مجالسهم ، أى أن الخطأ يصدر من جهات قيادية تجعل انتشاره مرجّحا بل مؤكداً .

* * *

وتمنيت وسيلة عملية سهلة تكفل تعميم قراءة القرآن ، على نحو خال من كل تلك العيوب والمبتدعات ، وتعطى الحروف حقوقها ، وتردّها ، إلى مخارجها وأصولها[2] .

وتمنيت أن لا تخرج هذه الوسيلة ، فى الوقت نفسه ، عن السّنّة المتّبعة والقواعد المأثورة ، منذ عهد النبوة ، من إبراز المعنى ، بحيث يؤثّر فى السامع ، إلى أبعد مدى ، وهو ما لا يقع غالباً إلا إذا كان القارئ مستحضراً بعقله وقلبه معانى ما يقرأ ، وإلا إذا أوضح بصوته — عن فهم — ما يليق بكل آية[3] ،

(١) جـ ٢ ص ١٠٣

(٢) لم أشترط فى مسجلى المصاحف المرتلة أن يكونوا — فحسب — من أصحاب الأصوات التنغيمية الممتازة ، ولذلك لما كتبت — باسم وزارة الاوقاف — صيغة الإعلان عن مسابقة قرآنية عامة ، لاختيار عدد من القراء لتسجيل القرآن برواية ورش عن نافع ، اشترطت — لدخول هذه المسابقة — أن يكون المتقدم مجازا فى القراءات من شيخه إجازة كتابية ، أو متخرجا فى معهد القراءات التابع للأزهر ، وأن يكون عارفا بوسائل القراءات ، وأعلنت — باسم الوزارة — أن المتسابقين سيمتحنون شفويا فى الحفظ والأداء والأحكام ، على ما فى الكتب المتخصصة ، وبعد هذا يؤدى الناجحون بامتياز فى هذه المسابقة امتحانا صوتيا أمام لجنة فنية أخرى .

(٣) انظر فى هذا : ابن قدامة المقدسى : مختصر منهاج القاصدين ، لابن الجوزى ص ٤٣ — ٤٥

وكما يقول ابن قيم الجوزية : « تلاوة المعنى أشرف من مجرّد تلاوة اللفظ ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء فى الدنيا والآخرة ، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقا »(١) .

* * *

ولقتنى التوصيات الدائبة بالعمل على « جمع التراث الغنائى العربى بمختلف أنواعه ، وتسجيله ، وتدوينه — نصاً ولحناً — إبقاء عليه من الضياع » ، والتوصية بالعناية بجمع التراث العلمى الغنائى من مخطوطات عربية أو بحوث تتصل بهذه الناحية (٢) ، فذكرت أن القرآن — وهو أعزّ مواريث المسلمين ، وأجلّها — أوْلَى بمثل هذا العمل ، بل أوْلَى بأعظم من هذا العمل ، فقلت ، فى مذكرتى الأولى عن هذا المشروع :

« ولقد عُنيت الهيئات الثقافية فى الإقليم المصرى بتسجيل الأناشيد والأغانى ، ولذلك ليس غريباً أن نسمع شبابنا وصبياننا يكثرون ترديد هذه الأناشيد والأغانى ، مع ما فى عبارات الأغانى ـ أحياناً ـ من معان غير باعثة ولا نظيفة ، ولا ريب أن كلام الله المكنون أحق بهذه العناية ، وما هو أكثر منها » .

قلت هذا ، وتمثّلتُ أمنيّتى فى نماذج صوتية للترتيل الشرعى بشروطه تلك ، وأحسست الحاجة ماسّة جدا إلى هذه النماذج ، لتكون مثل مصاحف عثمان أئمة يُقتدى بها ، ويُرجع — عند الشك والنسيان — إليها ، ويُحتكم — عند الاختلاف — لديها ، وينقطع النزاع عندها .

ولعل مشروع المصحف المرتل ، حين يتم بكل مخططاته التى وضعناها ، أن يحقق الأمنيّة ويسدّ الحاجة .

---

(١) مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم والإرادة ج ١ ص ٤٤

(٢) انظر مثلا : توصيات الحلقة الثانية لبحث الموسيقى العربية فى المدة من ٢٦/١١/١٩٦١ إلى ١٨/١٢/١٩٦٣ ، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ص ٧٥

الفصل الثانى

تيسير القرآن للحفظ والتعلم

الفصل الثانى

تيسير القرآن للحفظ والتعلم

— ١ —

يهتم المسلمون — منذ كانوا — بتعليم أولادهم القرآن :

يقول عبد الملك بن مروان لمؤدّب ولده : « علّمهم الصدق كما تعلّمهم القرآن »[1] .

وهشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبى لما اتخذه مؤدِّباً لابنه : « ... وأوّلُ ما أوصيك به : أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روِّه من الشعر أحسنَه ... الخ »[2]

والرشيد يقول للأحمر معلّم ولده الأمين ولىّ عهده : « ... فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : أقرئه القرآن ، وعرّفه الأخبار »[3] .

* * *

وتعليم القرآن شعار من شعارات الدين ، أخذ به المسلمون ، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم ، وجعلوه أصل كل تعليم عندهم[4] .

والقرآن مطلوب الحفظ لفظاً ومعنى ، بل إن فهم المعنى والأخذ به

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٦٧

(٢) الراغب الأصفهانى : محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٩

(٣) البيهق : المحاسن والمساوىء ص ٦١٧

(٤) انظر : صديق حسن خان : أبجد العلوم المسمى بالوشى المرقوم ص ٦٦ وما بعدها

لا يكونان إلا عن طريق تلاوة الألفاظ أو استماعها ، ثم تدبرّها والتذكّر بها .

وقد أوجب الإسلام على كل مسلم أن يحفظ شيئا من القرآن ، حتى تصح صلاته ، والصلاة — فى الإسلام — هى أحد أركانه .

— ٢ —

وقد جرت عادة كثير من المسلمين على الابتداء بتعليم الصغار القرآن ، حين يمضى عليهم أربع سنين، وأربعة أشهر، وأربعة أيام ، حتى ظُنّ أن لهذا أثراً فى الحديث أو السلف[١] .

ولئن كان مالك — فيما قيل — كره التعجيل بتعليم الطفل القرآن ، فلعلّه لم يكره ذلك إلا « خشية أن ينطق به على خلاف ما ينبغى له من إقامة الحروف وإخراجها من مخارجها ، أو أن فى إعجاله منعا من الذى ينبغى أن يُفسح له فيه من اللهو المقيم لبِنْيَة الأطفال المروّح لأنفسهم »[٢] .

على أن الأخبار التعليمية ـ عند المسلمين ـ تفيد أن كثيرين حفظوا القرآن فى سنّ باكرة . ومن ذلك ما ذُكر من أن الشافعى حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين[٣] ، وما ذُكر من أن جلال الدين السيوطى حفظ القرآن وله دون ثمان سنين[٤] .

* * *

وما جرت عليه عوائد المسلمين من أخذ الصبي بكتاب الله فى أول أمره ، حتى ولو كان يقرأ ما لا يفهم ، يعزُوه صاحب « أبجد العلوم » إلى « إيثار

(١) محمد طاهر الفتنى : مجمع بحار الأنوار جـ ٢ ص ٥١٣
(٢) انظر : الكتانى : التراتيب الادارية جـ ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤
(٣) ابن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف : طبقات الفقهاء الشافعية ص ٣
(٤) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جـ ١ ص ١٤٠ (ط. المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٧ هـ)

التبرّك والثواب ، وخشية ما يعرض للولد ، من جنون الصّبا ، من الآفات والقواطع عن العلم ، فيفوته القرآن »[١] .

ويقول مفسرو المسلمين، عن النبى «يحيى » ،فى قوله تعالى : « وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا »[٢] : « أراد بالحكم فهمَ الكتاب ، فقرأ التوراة وهو صغير »[٣] .

ورَوَوْا أنّ بعض السلف قال : «من قرأ القرآن — قبل أن يبلغ — فهو ممن أوتى الحكم صبياً »[٤] .

واختلفت مذاهب البلاد الإسلامية ، فى طريقة تعليم القرآن للصِّبية ، ولكنها كلّها ترمى إلى التمكين له[٥] ، وسمّوا المحفّظين آدابا ، ورسموا لهم مناهج ، وشرطوا فيهم شروطا[٦] .

* * *

والبلاد الإسلامية — على مسار الزمن ، وجيلا بعد جيل — ما برحت تنشىء ، فى مدائنها وقراها ، ألوف الكتاتيب والمدارس القرآنية .

وفى القصّة الطريفة لتاريخ تقرير الراحة الأسبوعية لتلاميذ المكاتب أن الصحابة كانوا ـ قبل ولاية عمر بن الخطاب ـ « إنما يقرىء الرجل ابنه وأخاه الصغير ، ويأخذ الكبير عن الكبير مُفَاهَمَةً » ، فلما كثرت الفتوحات، أمر عمر ببناء المكاتب ، « وكانوا يسرمدون القراءة فى الأسبوع كلّه ، فلما افتتح عمر الشام،

(١) ص ٦٦
(٢) سورة مريم / ١٢
(٣) انظر : الخازن : لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ ٣ ص ٢٨٤
(٤) انظر : نفس المرجع
(٥) انظر : صديق حسن خان : أبجد العلوم ص ٦٦ وما بعدها
(٦) انظر : ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة ص ٢٤

ورجع للمدينة ، تلقاه أهلها، ومعهم الصبيان ، وكان اليوم الذى لاقوه فيه يوم الأربعاء ، فظلوا - معه - عشية الأربعاء ، ويوم الخميس ، وصدر يوم الجمعة، فسن لصبيان المكاتب الراحة، فى هذه الأوقات، ودعا على من عطل هذه السنة »[1] .

* * *

ويبدو أن تعليم القرآن موغل - منذ قديم - فى كل بقعة إسلامية إيغالا يفوق الظنون، فقد حكى ابن خرداذبة[2] - فى حديثه عن سد يأجوج ومأجوج - أن الخليفة الواثق بالله أراد أن يستخبر خبر هذا السد ، فأوفد « سلام الترجمان » لهذه المهمة ، ومعه خمسون رجلاً : شباب أقوياء ،وحكى سلام، فقال : « .. فأقمنا عند ملك الخزر يوما وليلة ، حتى وجه معنا خمسة أولاد ، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوما ، فانتهينا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة ، وكنا قد تزودنا - قبل دخولها - خلاً نشمه من الرائحة المنكرة ، فسرنا فيها عشرة أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب ، فسرنا فيها عشرين يوما ، فسألنا عن حال تلك المدن ، فخبرنا أنها المدن التى كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها ، فخربوها ، ثم صرنا إلى حصون، بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السد ، وفى تلك الحصون قوم يتكلمون العربية والفارسية مسلمون يقرأون القرآن ، ولهم كتاتيب ومساجد . . . الخ » .

— ٣ —

والمسلمون يعتبرون تعليم القرآن، والبذل من أجله ، من أول وسائل التقرب إلى الله ؛ ولذلك ، وقف أثرياؤهم الكثير من أموالهم على هذا التعليم .

وفى مصر بالذات ، « كان مقرأ ورش: شيخ القراء، وإمام أهل الأداء »[3] ،

(١) الكتانى : التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤
(٢) انظر كتابه : المسالك والممالك ص ١٦٢ - ١٧٠
(٣) ابن الجزرى : غاية النهاية ج ١ ص ٥٠٢ و ٥٠٣

وفيها ، كانت معاهد الإقراء الكبرى التى خدمت القرآن وعلومه ، والتى كانت تجاوز الألفين فى القاهرة وحدها ما بين كتاتيب ومقارىء مفرقة فى المدارس، والمساجد ، والزوايا ، والمشاهد ، والتكايا ، والملاجىء ، والمستشفيات[1] .

وما برح القرآن يرتل فى المحاريب ، والمحافل، وفى مناسبات كثيرة. وكانت الرسوم تجرى قديماً - فى جوامع مصر - إذا سلم الإمام من صلاة الغداة ، أن يتلو القرآن[2] .

ويعتقد المصريون « أن قراءة القرآن - فى البيوت ، أو فى الدكاكين - تجلب إليها البركة وتبعد الشياطين »[3] .

وفى حديث حذيفة أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال « : إن القوم يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضيًا ، فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » فيسمعه الله تعالى، فيرفع عنهم - بذلك - العذاب أربعين سنة »[4] .

يقول ابن حجر : « ولهذا الحديث شاهد ، فى مسند الدارمى ، عن ثابت ابن عجلان ، قال : كان يقال : « إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض ، فإذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم ، يعنى بالحكمة : القرآن »[5] .

والولد الحافظ للقرآن — حتى فى رأى البسطاء الآخذين أحيانا بالكتب التافهة — هو هدية الله لأبويه يسرهما به ، ويرحمهما به ، فى الدنيا والآخرة[6] .

(١) على الضباع شيخ المقارىء المصرية، فى خطبة له ، فى حفل الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم - مجلة كنوز الفرقان ع ٥ إبريل ١٩٤٩
(٢) انظر : المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٠٥
(٣) أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص ١٢٤ و ١٢٥
(٤) انظر : ابن حجر العسقلانى : الكافى الشاف فى تخريج احاديث الكشاف ص ٣ والفخر الرازى : التفسير الكبير ج ١ ص ١٨٨ .
(٥) نفس المرجع
(٦) أبو معشر الكبير - المولودون فى برج الحمل والمريخ ص ١٤

وظل حفظ القرآن ، فى مصر ، إلى وقت قريب ، هو رأس الواجبات التى يُكلَّفها النشء فى المرحلة التعليمية الأولى ، فكانت المادةُ الرئيسية الغالبة، فى سائر الكتاتيب والمدارس الأوّلية ، هى حفظ القرآن مجوّدا ، وكانت المواد الدراسية الأخرى — فوق كونها ثانوية — تقصد إلى خدمة هذا الحفظ .

والذين كانوا « يختمون » القرآن فى هذه المدارس والكتاتيب، كانوا بمثابة « شتلات » صالحة تُنقل إلى أرض الأزهر ، فيزكو نباتها .

ولم تكن أبواب مدارس المعلمين الأولية، والأزهر ، ومعاهده ، ودار العلوم وتجهيزيتها ، ومدرسة القضاء الشرعي تفتح أبوابها لغير حافظى القرآن المجوّدين .

— ٤ —

غير أن التعليم الرسمى - فى مصر - قام ، منذ أواخر الثلاثينات من هذا القرن، على أساس الوحدة العامة ، وأخذ بالنظام المدنى الذى لا يلتزم بتحفيظ القرآن وتجويده ، بل يكتفى منه ببعض الآيات والسور القصيرة تُحفظ وتُدرس دراسة سطحية ، فى حصص الديانة ، وهى حصص قليلة العدد ، ولا يعبأ بها الطلبة كثيراً ، لأنهم لا يؤدّون فى مقرراتها امتحانا . ولهذا ، قلّ ، أو انعدم — فى ذلك النظام التعليمى — التفرغ لحفظ القرآن وتجويده .

فأما كتاتيب القرآن ومدارسه ، فقد صُرف النشء عنها - بالضرورة - إلى التعليم المدنى الذى كان — على الأغلب — سبيل الظفر بالشهادات الموصّلة إلى كل أو جلّ الوظائف العامة . وبقيت لهذه الكتاتيب والمدارس بقايا متواضعة تضم من يذودهم عنه التعليم العام ، لعاهات جسمية ، أو لأسباب أخرى[1] .

(١) جبهة علماء الأزهر : مذكرة بشأن حفظ القرآن الكريم ص ٢ (مطبوعة فى سبتمبر ١٩٥٩ م)

وأغفى الأزهر مضطراً عن الشرط الذى التزمه طول عمره ، وهو شرط حِفظ القرآن عند كل راغبى الالتحاق به ، فقَبِل — فى معاهده وكلياته — من لا يحفظون القرآن ، وإن كان اشترط — لصيانة الشكل فيما نظن — حفظ أجزاء يسيرة منه .

على أن من دواعى الأمل فى المستقبل صدور القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، بشأن تنظيم الجامع الأزهر والهيئات التى يشملها ، فهو - كما تفيد المذكرة الإيضاحية لمشروعه — يستهدف تأهيل العالم الدينى للتخصص فى عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التى تحتاج إليها نهضة المسلمين فى كل البلاد ، محاولاً بذلك علاج مشكلة التبطل بين خريجى الأزهر ، وما تستتبعُ من آثار سيئة كثيرة[1] .

ويُعنى هذا القانون ، فى الوقت نفسه ، بالاحتفاظ للأزهر بطابعه وخصائصه، وصفته التاريخية المتميزة ، وإبقائه - كما كان منذ أكثر من ألف سنة - حصناً للدين والعروبة : « يرتقى به الإسلام ، ويتجدد ، ويتجلى فى جوهره الأصيل ، ويتسع نطاق العلم به ، فى كل مستوى ، وفى كل بيئة ، ويذاد عنه كلّ ما يشوبه

(١) انقطع الأزهر عن الحياة العامة طويلا (انظر : طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٥٠ - ٣٥٦) . وكان من آثار هذه العزلة ، وخاصة بين أهل القرآن ، أن اضطر بعض الناس إلى الانصراف عنه . وقد عثرنا فى عدد قديم من « نور الاسلام » التى كانت تصدرها مشيخة الأزهر على نصّ سؤال موجّه إلى هذه المجلة ، ومنه يتبين كيف كانت النفوس موزّعة بين رهبة فى دراسة ظاهرة النفع فى الدّنيا ، وخشية من أن يكون ترك تعلّم القرآن مخالفا للشرع .

وهذا نص السؤال :

« عندنا رجل كلما ذكر - بمجلسه - تعليم القرآن ، يقول : هذا الزمن ليس زمن القرآن ، وليس فى تعليم القرآن فائدة ، إنما الفائدة كلها فى تعليم المدارس . وكلما اجتمع بمن له ابن فى المكتب الذى يعلّم القرآن ، يقول له : هذا خطأ منك ، لأن القرآن ليس فيه فائدة والاشتغال به تضييع زمن على الأولاد ، فنرجو أن تبينوا ماذا عليه شرعا فى النهى عن تعلم القرآن » .

حسن مدنى حسن : التاجر بالغردقة

(٤ شعبان سنة ١٣٥٣ هـ)

وكلّ ما يُرمى به »[1].

ونعتقد أنّ فى رأس ما يكفل كلّ هذه الأغراض أن يلتزم أبناء الأزهر بحفظ القرآن الحفظَ الشاملَ الحقيقَ الذى طالما امتاز به علماء الأزهر .

فأما مدارس المعلمين الابتدائية ، وكلية دار العلوم ، فقد أصبحت جميعاً لا تشترط حفظ القرآن . وأما مدرسة القضاء الشرعى فقد زالت مبكرا من الوجود التعليمى المصرى .

* * *

وبذل المعنيون بالقرآن جهودا كبيرة فى محاولة تعميم حفظه ، وإنشاء مدارس وجميات ،فى أغلب أرجاء مصر، لتعليمه[2]. ولـكن تيارات التعليم المدنى الـكفيل بتفوق أصحابه ـ اجتماعيا ، واقتصاديا ـ على أصحاب التعليم الدينى — قبل صدور القانون التنظيمى الأخير للأزهر — كانت أقوى من هذه الجهود ، فلم يتحقق المأمول .

* * *

نقص عدد الحفاظ بشكل لافت ، وأظهرت النتائج الرسمية لامتحانات القرآن ضعف الحفظ عند كثيرين من خريجى الأزهر ورجال المساجد ، وبدا كأنّ وجه ذلك التاريخ التعليمى للقرآن وشيك التغير ، وأصبح موت أى

(١) انظر : وزير الدولة كمال الدين محمود رفعت : المذكرة الايضاحية لمشروع هذا القانون فى : كتاب « الأزهر ـ تاريخه وتطوره » ص ٥٠٤ ـ ٥١٤ .

(٢) من أمثلة المحاولات التى بذلت فى هذا الشأن: إنشائى عددا من المجالس القرآنية المسائية ،فى بعض مدارس الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الـكريم ، إبان رياستى لها سنة ١٩٥٩ ، لتعليم القرآن حفظا وأداء وأحكاما . ولم تعمّر هذه المجالس طويلا، لأسباب أهمها العجز المالى .

ومن المحاولات العظيمة التى بذلت :إنشاء حلقات فى مساجد وزارة الاوقاف لتحفيظ القرآن ، على عهد السيد أحمد عبدالله طعيمة ، فى سنة ١٩٥٩ أيضا . وكان مقرر اللجنة المشرفة على هذه الحلقات هو صاحب مشروع المصحف المرتل.وقد فتر الآن كثيرا عمل هذه الحلقات ونأمل فى فضل الله أن يعيننا على إعادتها قريبا أعزّ جانباً ، وأبعد غاية ، وأنجح سعياً.

حافظ حاذق للقراءات خسارة يصعب تعويضها ، وفى الصحيح : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولـكن يقبضه بقبض العلماء »[1] ، وبات علينا أن نحذر المسلمين مغبة ذلك النقص ، ونخيفهم من ازدياده ، ونلتمس الوسائل لدرئه ، ولـكفالة تعميم حفظ القرآن ، وتيسيره للناس ، فـكانت وسيلتنا ـ إلى هذا أيضا ـ المصاحف المرتلة التى تزوّد سامعها بمعلمين يقرئونه كأحسن ما يكون الإقراء ، ويدرّسون له وقتما يشاء .

— ٥ —

والنساء ما مدى إفادتهن من المصاحف المرتلة ؟

ونبادر ، فنذكر أن المرأة — فى ظل الإسلام — غيرها فيما قبله ، فقديما — كما يعرف الدارسون — لما قرر أفلاطون ،فى جمهوريته، مبدأ مساواة المرأة بالرجل فى حق التعلم وما يتفرع عليه من حقوق ،سخر منه مفكرو اليونان ، وفلاسفتهم ، وشعراؤهم .

وربما كان من مظاهر هذه السخرية أن « أريستوفان » أكبر شعراء الملهاة عند اليونان خصص لهذه السخرية التمثيليتين المعروفتين : « برلمان النساء » و « بلوتوس » .

وفى مجال القرآن ، نذكر أن ثلاثا من نساء النبى كانت لهن مصاحف خاصة ، على نحو ما بيّنّا فى موضع آخر . وقد عدّهن العادّون ضمن القراء من أصحاب النبى[2] ، وإحداهن : حفصة بنت عمر هى التى حفظت ـ بعد أبيها ـ نسخة الجمع الأول التى كانت أولى مراجع لجنة الجمع العثمانى .

(١) انظر : الدارمى : سنن الدارمى : باب فى ذهاب العلم ج ١ ص ٧٧
وأبو إسحق الشاطبى: الموافقات ج١ ص ٤٧ و ٤٨ ـ المقدمة الثانية عشرة .

(٢) السيوطى : الإتقان ج ١ ص ٧٢

ووعى التاريخ تراجم نساء كنّ ذوات شأن فى خدمة القرآن :

فأمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث التى استأذنت النبى -حين غزا بدراً- فى أن تخرج «مع المسلمين، تداوى جرحاهم، وتمرّض مرضاهم»، والتى أمرها النبى أن تؤم أهل دارها، والتى كان النبى يسميها الشهيدة كانت قد جمعت القرآن(١) .

وميمونة بنت أبى جعفر القعقاع المدنى أحد القراء العشرة المختارين روت القراءة عن أبيها ، وروى القراءة عنها آخرون(٢) .

وكان فى قصر زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وزوجة هرون الرشيد، وأم ولده الأمين « مائة جارية تقرأ القرآن ، فكان يُسمع من قصْرها دوىٌ كدوىّ النحل من القراءة »(٣) .

وذكر ابن فياض ، فى تاريخه ، فى أخبار قرطبة ، أنه كان بالرَّبَض الشّرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة ، كلّهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفىّ، وكان هذا فى ناحية من نواحيها ، فكيف بجميع جهاتها ؟(٤) .

وعائشة بنت ابراهيم بن صديق زوج الحافظ المزّى المتوفاة سنة ٧٤١ هـ كانت تحفظ القرآن وتلقّنه النساء ، « وكانت عديمة النّظير لكثرة عبادتها ، وحسن تأديتها القرآن ، تفضل فى ذلك على كثير ، وأقرأت عدة من النساء ، وختمن عليها ، وانتفعن بها ... ...(٥) » .

---

(١) نفس المرجع ص ٧٨

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ٣٢١

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٢ ص ٢١٤

(٤) نقلا عن : عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٣٧٢

(٥) انظر : ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة - السفر الثانى ، ص ٢٣٥ — الترجمة رقم ٢٠٨٠ (ط . حيدر اباد الدكن ، سنة ١٣٤٨ هـ)

وأسماء بنت الفخر إبراهيم بن عرصة المتوفاة سنة ٨٠٧ هـ ، كانت تلقّن النسوة القرآن ، وتعلمهنّ العلم والقُرَب ... ... إلخ(١) .

وعرض ابن الجزرى السيرة العلمية لابنته « سلمى » ، فذكر ضمناً أنها « عرضت القرآن حفظا ، بالقراءات العشر ، قراءة صحيحة مجوّدة مشتملة على جميع وجوه القراءات ، بحيث وصلت - فى الاستحضار - إلى غاية لا يشاركها فيها أحد فى وقتها »(٢) .

وذُكِرَ عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت حيى ، أنه أخذ القراءة عنها قراء بارزون منهم ، وأنها كانت فقيهة كبيرة القدر(٣) .

وذكر الأدفوى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ أن تاج النساء ابنة عيسى بن على بن وهب القوصية « سمعت من أبى عبدالله بن عبد المنعم الخيمى ، بقراءة عمها الشيخ الإمام أبى الفتح محمد القشيرى ، فى جمادى الآخرة سنة ٦٧٩(٤) هـ . »

وفى القصص العربى ما يؤيد إمكان وجود الجارية المسلمة العالمة بالقراءات، فالجارية « تودُّد » من أشخاص « ألف ليلة وليلة » تفخر بأنها تقرأ القرآن بالسبع ، وبالأربع عشرة(٥) .

ومما روته السّنّة أن تعليم المرأة شيئاً من القرآن يصحّ - فى الإسلام - أن يكون مهراً لها(٦) .

وحتى الذين كرهوا للمرأة تعلم الكتابة ورواية الشعر، دعَوْا إلى تعليمها

---

(١) المرجع السابق — السفر الأول ، ص ٣٦٠ — الترجمة رقم ٩٠٠

(٢) غاية النهاية جـ ١ ص ٣١٠

(٣) نفس المرجع ص ٣٥٤

(٤) الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ص ٩٠ .

(٥) جـ ٢ ص ٣٦٠ (ط . بولاق)

(٦) انظر : رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٥ ص ١٩ (ط ١٣٢٨ هـ)

القرآن، وكان يقال: «لا تعلموا بناتكم الكتاب، ولا تروّوهن الشعر، وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور[1]».

وقرأت المرأة القرآن بالألحان قراءة مؤثرة. وممن تحدث عنهنّ المنقبيّون جارية يقال لها شبرة، قرأت ـ مرة ـ على إخوان مالك بصوت فيه ترجيع حزين، فكانوا يلقون العمائم عن رءوسهم، ويبكون، وأعتقها صاحبها لوجه الله[2].

* * *

ولكن تلقى المرأة العلم عن الرجال مقيدٌ، حتى منذ ما قبل الإسلام، كان فيثاغورث يرى أن يعلّم الرجالُ الرجالَ، وتعلّم النساء النساء[3].

ومرّ الوليد بن عبد الملك بمعلم صبيان، فرأى جارية، فقال: ويلكَ! ما لهذه الجارية؟ قال: أعلمها القرآن، قال: فليكن الذي يعلّمها أصغر منها[4].

وقال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران، وهو يعظه: احفظ عني أربعا: وذكر أشياء أحدها: «ولا تخلونّ بامرأة وإن قرّأتها القرآن...»[5]

* * *

والنساء ـ بعدُ ـ نصف المجتمع، أو يزدن، وعليهن مثل ما على الرجال من مسؤولية طلب العلم. فلعلّ المصحف المرتل الذي يستطعن سماعه، في كل مكان، وفي كل وقت، أن يكون لهن القارئُ المحقق، والمقرئُ الخبير الذي يتصل سنده بأئمة القراءات، والذي هو نموذجيّ الأداء، والذي

(١) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٨٣ (ط. مصطفى محمد ١٩٤٧)

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ٤ ص ٢٦٤

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء جـ ١ ص ٦٠ و ٦١

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٠٣

(٥) الطرطوشي (محمد بن الوليد أبو بكر الفهري): سراج الملوك ص ١١٩ (مطبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ)

لا يضيرهنّ أن يكبرهن أو يصغرهن، وأن يخلو إليهنّ أو يخلون إليه، والذي يؤدي إليهنّ حقًا يحببنه، ويحبّبهنّ الإسلام، والذي يطمئن إليه ـ بإطلاق ـ الوضع الاجتماعي الإسلامي.

ـ ٦ ـ

والمكفوفون من المسلمين: هم ـ لاعتبارات دنيوية، فضلا عن الاعتبارات الدينية ـ من أشد الفئات حاجة إلى حفظ القرآن وتجويده. وقد جرى المسلمون فعلا على هذا، منذ قديم، فظهر، في أغلب البلاد الإسلامية، حفاظ وقراء ومقرئون كثيرون من المكفوفين[1].

وقد ذكر ابن رجب الحنبلي الذي عاش في القرن الثامن الهجري، عن أحد أئمة المساجد، في بغداد، أنه كان معنيًا بتعليم العميان القرآن، فبلغ عدد من أقرأهم القرآن منهم سبعين ألفا[2].

وأعداد المكفوفين ما زالت غير قليلة في البلاد الإسلامية[3]، ومن ثم وجبت العناية بهم.

* * *

وطريقة التلقين الشفهي هي الطريقة المثلى لتعليم القرآن، كما أوضحنا، ولكن المبصرين يضيفون إليها طريقة الحفظ من المصحف المكتوب. أما المكفوفون، فالتلقي الشفهي هو طريقهم الوحيدة. نعم، إنّ المعنيين

(١) انظر تراجم عدد من كبار أساتذة القراءات المكفوفين في: ابن الجزري: غاية النهاية جـ ١ ص ١٨ و ٦٥ و ٢٤٣ و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٣٠١ و ٣٥١ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٤٢٠ و ٤٦٥ و ٥٠٦

و جـ ٢ ص ٢٠ و ١٩٥ و ٢٣٠ و ٣١٧

(٢) ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٩٦

(٣) مثلا عددهم ومن في حكمهم في القاهرة وحدها ١٦١٤٤، وفي كل محافظات الجمهورية العربية المتحدة ٢٢٤٤٩٢ (انظر الاحصاء السنوي العام لسنة ١٩٦٢ الصادر من مصلحة الاحصاء والتعداد بالقاهرة ـ جدول توزيع السكان حسب العاهات ـ الجدول ١٧ ص ٧٦)

بالمكفوفين اهتموا أخيرا بطبع القرآن بطريقة بريل Braille[1] ، ولكن ثمة صعوبات فى استعمالها ، فهى تستلزم مجلدات كبيرة يثقل - بالضرورة - حملها ، وهى تستلزم تدريبا ليس يتاح لكل مكفوف ، وهى - بعدُ - لا يؤمَن تعريضها القارئ للخطأ ، فضلا عن أنها - على أحسن فرض - مثلُ الكتابة العادية لا تعلّم الأداء .

فالآن ، نأمل أن يجد المكفوفون هم الآخرون ، فى المصحف المرتل ، المعلّم التقليديّ ، وهو هنا من أجود المجوّدين ، وأدقّهم أداء ، فضلا عن أنه أطول المعلمين حصصا ، وأسمحهم لطالبه موعدا .

— ٧ —

غير أن أسطوانات المصحف المرتل لا تسمع إلاّ بوساطة لاقط صوتى (Pick - up) ، أو جراموفون ، وهذا يقتضى غالبا الكهرباء ، وهى لم تصل - بعدُ - إلى جهات فى ريفنا ، ولا إلى بلاد إسلامية كثيرة ، فى أفريقيا وآسيا . ولهذا يجب استعمال الجراموفونات ذات البطاريات الجافة فى المناطق غير المكهربة[2] .

وبالله التوفيق .

---

(١) نشرت جريدة الاهرام ، فى ١٠ يوليو ١٩٥٨ ، أن المجلس الأعلى للأزهر وافق على طبع القرآن الكريم بهذه الطريقة ، ونشرت الأهرام ، فى نفس اليوم ، وفى يومى ٨ أغسطس ١٩٥٨ ، و ١٧ ديسمبر ١٩٥٩ أن المركز النموذجي لرعاية المكفوفين العرب بالزيتون تولى هذا الطبع ، ونشرت فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦١ أن الجمهورية العربية المتحدة أهدت إلى السودان مصحفا مطبوعا بتلك الطريقة .

(٢) سعى صاحب المشروع سعيه — فى أواخر سنة ١٩٦٣ وأوائل سنة ١٩٦٤ — فوفقه الله - تعالى - إلى عقد صفقة كبيرة من هذا النوع من الجراموفونات بين وزارة الأوقاف والمؤسسة المصرية للإذاعة .

الفصل الثالث

علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

الفصل الثالث

علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

— ١ —

يعرّف الخط بأنه : تصوير اللفظ **بحروف هجائه . ومن هنا**، كان الأصل فى كلّ مكتوب أن يكون موافقاً تماما للمنطوق به زيادة ونقصا وتغييرا . بيد أن هذا **الأصل** خولف — كثيراً — فى المصحف المكتوب ، وظل مصطلح الرسم القرآنى مستقلا بنفسه ، جاريا — فى بعض ألفاظه — على غير قياس ، غير متأثر ببعض القواعد الهجائية القديمة أو المستحدثة .

ومن أمثلة اختلافات الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى :

١ — حذف الألف اختصارا[١] .

٢ — حذف الألف ، بعد « يا » التى للنداء ، وبعد « ها » التى للتنبيه ، وغير ذلك[٢] .

٣ — حذف الألف ، بعد اللام فى بعض المصاحف[٣] .

---

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المقنع ص ١٠ — ٢٩

(٢) نفس المرجع ص ١٦

(٣) نفس المرجع ص ١٧

٤ — رسم التثنية المرفوعة بغير ألف[1] .

٥ — حذف الألف ، بعد النون ، فى بعض المواضع[2] .

٦ — حذف الألف — فى بعض المواضع — بعد العين ، والباء ، والياء ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والصاد ، والتاء ، والهاء ، واللام ، والواو ، والراء ، والهمزة[3] .

٧ — حذف الألف ، من الأسماء الأعجمية ، ومن الجمع السالم[4] .

٨ — حذف ألف النصب ، إذا كان قبلها همزة قبلها ألف[5] .

٩ — حذف الألف ، بعد واو الجمع[6] .

١٠ — حذف ألف الوصل[7] .

١١ — حذف الياء اجتزاء بكسر ما قبلها منها[8] .

١٢ — حذف الواو اكتفاء بالضمة منها ، أو لمعنى غيره[9] .

١٣ — حذف الواو التى هى صورة الهمزة ، وحذف إحدى الواوين اكتفاء بإحداها[10] .

١٤ — إثبات الألف على اللفظ أو المعنى[11] .

١٥ — إثبات الياء على الأصل[12] .

١٦ — إثبات الياء زائدة أو لمعنى[13] .

---

(١) نفس المرجع
(٢) نفس المرجع
(٣) نفس المرجع ص ١٨ و ١٩
(٤) نفس المرجع ص ٢١
(٥) نفس المرجع ص ٢٦
(٦) نفس المرجع ص ٢٦ و ٢٧
(٧) نفس المرجع ص ٢٩
(٨) نفس المرجع ص ٣٠
(٩) نفس المرجع ص ٣٥
(١٠) نفس المرجع ص ٣٦
(١١) نفس المرجع ص ٣٨ – ٤٤
(١٢) نفس المرجع ص ٤٥ – ٤٦
(١٣) نفس المرجع ص ٤٧ – ٤٨

١٧ — حذف إحدى الياءين اختصاراً ، وإثباتها — فى بعض المواضع — على الأصل[1] .

١٨ — رسم الياء — فى مواضع — على مراد التليين للهمزة[2] .

١٩ — زيادة الواو — فى رسم المصحف — للفرقان ، أو لبيان الهمزة[3] .

٢٠ — رسم الألف واواً ، فى بعض المواضع[4] .

٢١ — رسم الواو — فى مواضع — صورةً للهمزة ، على مراد الاتصال ، أو التسهيل[5] .

٢٢ — حذف إحدى اللامين — فى الرسم — لمعنى ، وإثباتها — فى مواضع أخرى — على الأصل[6] .

٢٣ — كتابة بعض الحروف مقطوعة على الأصل ، وموصولة على اللفظ[7] .

٢٤ — رسم هاءات التأنيث ، بالتاء المفتوحة ، على الأصل ، أو مراد الوصل[8] .

* * *

وقد نشأ — بسبب هذه الاختلافات — علم الرسم القرآنى .

— ٢ —

وقد جوّز بعض العلماء مخالفة هذا الرسم ، ومطابقة المكتوب للمنطوق بإطلاق .

---

(١) نفس المرجع ص ٤٩ – ٥٠
(٢) نفس المرجع ص ٥١ – ٥٢
(٣) نفس المرجع ص ٥٣
(٤) نفس المرجع ص ٥٤ و ٥٥
(٥) نفس المرجع ص ٥٥
(٦) نفس المرجع ص ٦٧ – ٦٨
(٧) نفس المرجع ص ٦٨ – ٧٦
(٨) نفس المرجع ص ٧٧ – ٨٢

ومن حججهم :

أن الخطوط والرسوم ليست إلاّ علامات وأمارات ، فكل رسم يفيد وجه القراءة فهو صحيح ؛ والرسم العثماني — إذ يخالف الإملاء العاديّ — يشقّ على كثير من الناس ، ويوقعهم في الحرج والإلتباس .

وهو — بعدُ — لا يحتّمه الكتاب أو السنّة ، ولا يعدو أن يكون اجتهاداً من الصحابة يجوز عليه الخطأ والصوّاب ، ولا يبعد أن يكونوا قد أخطأوا بسبب حداثة عهدهم بالكتابة[1] .

بل إن عزّ الدين بن عبدالسلام[2] كان لا يجيز كتابة المصحف على المرسوم الأول ، باصطلاح الأئمة ، « لئلا يوقع في تغيير من الجهال »[3] .

وذكر بعضهم أن ماجاء من وجوب اتباع رسم المصحف إنما كان في الصّدر الأول ، والعلم غضٌ حيّ ، وأما الآن فقد يُخشى الالتباس[4] .

(١) انظر : ابن خلدون : المقدمة (بتحقيق على عبدالواحد واف) ج ٣ ص ٩٥٣ و ٩٥٤

ويقول حفني ناصف ، في معاضدة بقاء الرسم العثماني للمصحف :

« ولا نعلم أنّ أحداً من العلماء تحكك في هذا الأمر إلا ابن خلدون ، في القرن الثامن ، وبعض رجال الأزهر ، في القرن الرابع عشر ، وليس أحدٌ منهما إماماً مجتهداً ، والحمد لله . »

(تاريخ المصحف — مقدمة كتاب في قواعد رسم المصحف — بحث نشر في « المقتطف » ع . أول يوليو ١٩٣٣ — ٨ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٢٠٥ — ٢٠٦)

(٢) ولد في دمشق سنة ٥٧٧ هـ ، وولى الخطابة والإمامة في الشام ، وولى الخطابة والقضاء والفتيا والتدريس في مصر ، وخدماته للإسلام في الحروب الصليبية والتترية معروفة . وتوفى سنة ٦٦٠ هـ

انظر : السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ٨٠ — ١٠٧

وابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ و ج ٧ في مواضع متفرقة .

والسيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤١ و ج ٢ ص ٣٨ و ١٠٩ و ١١٠ ،

والمقريزي : السلوك ج ١ ص ٣١٢ و ٣٥٤ و ٤١٦ .

وابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٩٤

(٣) الزركشي : البرهان ج ١ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ .

وانظر : الدمياطي البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٩

(٤) الزّركشي : المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٩

ورأى بعضهم قصر الرسم بالاصطلاح العثماني على مصاحف الخواصّ ، وإباحة رسمه للعوامّ ، بالاصطلاحات الشائعة بينهم[1] .

وربّما راعى هؤلاء أنّ النشء والمسلمين — من غير الناطقين بالعربية — لا يسيغون أن ينطقوا بغير ما ينبي عنه ظاهر الرسم . ويقول بعض المعاصرين : « الغرض من كتابة القرآن : أن نقرأه صحيحاً ، لنحفظه صحيحاً ، فكيف نكتبه بالخطأ ، لنقرأه بالصّواب ؟ وما الحكمة في أن يقيّد كلام الله بخطٍ لا يكتب به اليوم أيّ كتاب ؟ »[2] .

ويسرف بعضهم في نقد الرسم الإصطلاحي ، فيقول : إنه « يقلب معاني الألفاظ ، ويشوّهها تشويهاً شنيعاً ، ويعكس معناها بدرجة تكفّر قارئه ، وتحرّف معانيه ، وفضلا عن هذا ، فإن فيه تناقضاً غريباً وتنافراً معيباً لا يمكن تعليله ، ولا يستطاع تأويله »[3] .

— ٣ —

ولكن الثابت أن الجمهور على أن هذا الرسم لا يجوز فيه القياس[4] ، وأنه توقيفي[5] : « عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »[6] — « نٓ ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »[7]

(١) الدمياطي البنا : المرجع السابق ص ٩

(٢) أحمد حسن الزيات : مجلة الرسالة ع ٨ يناير سنة ١٩٥٠

(٣) ابن الخطيب : الفرقان ص ٧١

(٤) على القاري : شرح المقبلة — المخطوطة رقم ٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة — الورقة ٢

(٥) الزركشي : المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٧ ، ومعنى توقيفي : أنه يتوقف على السماع من رسول الله ، وليس للعقل فيه مجال .

(٦) سورة العلق / ٤ و ٥

(٧) سورة القلم / ١

وربما كان من دلائل هذه التوقيفية أن الكلمة من القرآن قد تكتب فى بعض المواضع برسم ، وفى مواضع أخرى برسم آخر ، مع أنها هى هى . والأمثلة على هذا أكبر من أن يتسع لها المقام[1] ، ولكننا — ابتغاء الإيضاح — نورد قليلا جدا منها :

١ — كلمة « بسم »

محذوفة الألف فى كل فواتح السور ، وفى الآيتين : « بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا »[2] — « وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ »[3] بينما هى مثبتة الألف فى الآيات : « فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » (فى سورتى : الواقعة والحاقة)[4] — « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ »[5]

٢ — كلمة « تبارك »

محذوفة الألف فى الآيتين : « تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ »[6] — « تَبَٰرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ »[7] ، بينما الألف مثبتة فى الآيات : « تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ »[8] — « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »[9] — « تَبَارَكَ

(١) انظر : نظام الدين النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ـ المقدمة السابعة فى ذكر الحروف التى يكتب بعضها على خلاف بعض فى المصاحف ، وهى فى ـ الأصل ـ واحدة ج ٢ ص ٣٢ — ٤٠
(٢) سورة هود / ٤١
(٣) سورة النمل / ٣٠ و ٣١
(٤) سورة الواقعة / ٩٦ ، وسورة الحاقة / ٥٢
(٥) سورة العلق / ١
(٦) سورة الرحمن / ٧٨
(٧) سورة الملك / ١
(٨) سورة الأعراف / ٥٤
(٩) سورة المؤمنون / ١٤

الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ »[1] — « تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا »[2] « فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ »[3] .

٣ — كلمة « بنات »

محذوفة الألف فى الآيات : « وَبَنَٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ »[4] — « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَٰتِ »[5] — « أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ »[6] ، ولكن ألفها مثبتة في الآيات : « هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي »[7] — « مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ »[8] — « أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ »[9] .

٤ — كلمة « أعناب »

محذوفة الألف في الآيات : « وَجَنَّٰتٌ مِنْ أَعْنَٰبٍ »[10] — « وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَٰبَ »[11] — « وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَٰبِ »[12] — « حَدَائِقَ وَأَعْنَٰبًا »[13] ، ولكن الألف مثبتة فى الآيتين : « أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ »[14] — « وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ »[15]

(١) سورة الفرقان / ١
(٢) سورة الفرقان / ١٠
(٣) سورة غافر / ٦٤
(٤) سورة الأنعام / ١٠٠
(٥) سورة النحل / ٥٧
(٦) سورة الطور / ٣٩
(٧) سورة هود / ٧٨
(٨) سورة هود / ٧٩
(٩) سورة الصافات / ١٤٩
(١٠) سورة الرعد / ٤
(١١) سورة النحل / ١١
(١٢) سورة النحل / ٦٧
(١٣) سورة النبأ / ٣٢
(١٤) سورة البقرة / ٢٦٦
(١٥) سورة الأنعام / ٩٩

٥ — كلمة « سبحان »

محذوفة الألف في الآيات: «سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا»(١) — «سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»(٢) — «سُبْحَـٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ»(٣) — «سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ»(٤) — «سُبْحَـٰنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا»(٥)، بينما الألف مثبتة في الآية: «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا»(٦)

٦ — كلمة « رحمة »

كتبت بالهاء في أغلب المواضع، ولكنها مكتوبة بالتاء في الآيات:
«أُولَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ»(٧) — «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ»(٨) —
«رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُ»(٩) — «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ»(١٠) —
«إِلَىٰ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ اللَّهِ»(١١) — «أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ»(١٢) —
«وَرَحْمَتُ رَبِّكَ»(١٣)

* * *

(١) سورة البقرة / ٣٢
(٢) سورة آل عمران / ١٩١
(٣) سورة الإسراء / ١
(٤) سورة الاسراء / ٤٣
(٥) سورة الاسراء / ١٠٨
(٦) سورة الاسراء / ٩٣
(٧) سورة البقرة / ٢١٨
(٨) سورة الأعراف / ٥٦
(٩) سورة هود / ٧٣
(١٠) سورة مريم / ٢
(١١) سورة الروم / ٥٠
(١٢) سورة الزخرف / ٣٢
(١٣) سورة الزخرف / ٣٢

والثابت أيضاً أنّ الجمهور على أنّ اتّباع حروف المصحف كالسُّنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدّاها(١).

وللمسلمين — في وجوب التمسك بالرسم القرآني المأثور — حجج نجملها فيما يلي:

١ — أن النبي كان له كتّاب يكتبون الوحي، وبحضرته كتبوه كلّه بهذا الرسم، فكأنّ النبيّ أقرّه. ولن يقلّل — في رأيهم — من شأن هذا الإقرار، أن النبي كان أمّيّاً لا يعرف الكتابة بالاصطلاح والتعليم من الناس. «فمن جهة الفتح الرّبّاني كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يعرف القراءة والكتابة ويعرف أكثر منهما»(٢).

والذي نعتقده في هذا الشأن هو أن الله الّذي أكّد حفظه لكتابه إذ يقول: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ»(٣) لم يكن ليدع الخطأ يقع في كتابة أصل شريعته وعماد دينه، ولا يلهم نبيّه تصحيحه، وهذا إذا رفضنا — مع الرّافضين — رأي من قالوا: ما مات رسول الله — صلى الله عليه وسلّم — حتى كتب وقرأ(٤)، ورفضنا أيضاً رأي من قالوا بأنّ أمّيّة النّبي كانت على أولى حياته، ثم أوتي الكتابة على أخراها(٥).

* * *

٢ — أن كتابة القرآن على الهيئة المعروفة هو — كما يقال — «لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سرّ من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز، دون

(١) الزركشي: المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٠
(٢) أنظر: محمد بن علي بن خلف الحسيني: إرشاد الحيران ص ٢٧
(٣) سورة الحجر / ٩
(٤) روى هذا عن ابن أبي شيبة وغيره. وانظر: علي الضباع: بحث في مجلة كنوز الفرقان ع ١ و ٢ سنة ١٣٦٩هـ ص ٧
(٥) البحث السابق ص ٨

سائر الكتب السماوية ، فلا يوجد شيء من هذا الرسم في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في غيرها من الكتب السماوية »[1] .

« وكما أن نظم القرآن معجز ، فرسمه معجز ، وكيف تهتدي العقول إلى سرّ زيادة الألف في « مائة »[2] دون « فئة »[3] ؟ وإلى سرّ زيادة الياء في « بأييد »[4] و « بأييكم »[5] ؟ أم كيف تتوصل إلى سرّ زيادة الألف في « سعوا » بالحج[6] ، ونقصانها من « سعو » بسبأ[7] ؟ أم كيف تبلغ العقول إلى درجة حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض ؟ الخ »[8] .

ويقول أصحاب هذا الرأي إنّ كلّ ذلك هو « لأسرار إلهية ، وأغراض نبوية ، وإنما خفيت على الناس ، لأنها أسرار باطنية ، لا تدرك إلا بالفتح الرباني ، فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التي في أوائل السور ، فإن لها أسراراً عظيمة ، ومعاني كثيرة ، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أشير إليها ، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف »[9] .

* * *

٣ — أن أبا بكر كتب القرآن بهذه الهيئة ، في صحف ، بإشراك الصحابة

(١) محمد بن علي بن خلف الحسيني : إرشاد الحيران ص ١٤ و ١٥
(٢) سورة الأنفال / من الآيتين : ٦٥ و ٦٦
(٣) سورة البقرة / من الآية ٢٤٩
(٤) سورة الذاريات / من الآية ٤٧
(٥) سورة القلم / من الآية ٦
(٦) من الآية ٥١
(٧) من الآية ٥
(٨) محمد بن علي بن خلف الحسيني : إرشاد الحيران ص ١٦ — ١٨
(٩) نفس الكتاب ص ١٨ و ١٩

ورضاهم ، ولم يخالفها أحد منهم ، وتبعه عثمان ، على ملأ من الصحابة ، وبرضاهم أيضا ، ثم لم ينقل أنّ أحداً من التابعين وتابعيهم رأى أن يستبدل — في العصور التي تقدمت فيها طرائق الكتابة — بالرسم العثماني رسماً محدثاً . وما دام قد انعقد الإجماع على تلك الرسوم فلا يجوز العدول عنها إلى غيرها ، إذ لا يجوز خرق الإجماع بوجه »[1] .

والإجماع حجة ، حسبما تقرر الأصول ، ومحال — في حق الصحابة — أن يخالفوا ما أقره النبي ، ويتصرفوا ، في القرآن ، بأيّ زيادة أو نقصان ، وإلا « لزم تطرق الشك إلى جميع ما بين الدفتين ، لأننا مهما جوزنا أن تكون فيه حروف ناقصة أو زائدة على ما في علم النبي — صلى الله عليه وسلم — وعلى ما عنده ، وأنها ليست بوحي ولا من عند الله ، ولا نعلمها بعينها ، تشككنا في الجميع . ولئن جوزنا لصحابيّ أن يزيد في كتابته حرفاً ليس بوحي لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصاً في حرف من الوحي ، إذ لا فرق بينهما ، وحينئذ تنحل عقدة الإسلام بالكلية »[2] .

والشافعي يقول في الصحابة : إنهم « أدوا إلينا سنن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وشاهدوه ، والوحي ينزل عليه ، فعلموا ما أراد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عاماً ، وخاصاً ، وعزماً ، وإرشاداً ، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا ، وهم فوقنا في كل علم ، واجتهاد ، وورع ، وعقل ، وأمر استدرك به علم واستنبط به . وآراؤهم لنا أحمد ، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا »[3] .

ويقول أبو البقاء العكبري في كتاب « اللباب في علل البناء والإعراب » :

(١) انظر نفس الكتاب ص ٤١ و ٤٢
(٢) نفس الكتاب ص ٢٣ — ٢٥
(٣) نقلا عن اللمع ج ١ ص ١٢

« ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا فى خط المصحف، فإنهم اتّبعوا فى ذلك ما وجدوه فى الإمام. والعملُ على الأول»[1].

وربما أوهن القول بأن الصحابة كانوا يجهلون قواعد الكتابة أن كتاباتهم وخطوطهم — وما زالت لها، أو الكتابات المعاصرة لها بقايا — خالية من الخطأ الإملائى، وأنهم لا بدّ قد كتبوا فيما بينهم الديون والعقود، ولا بدّ أنها كانت وفق القواعد الإملائية العاديّة، وإلا اعتورَها اللبس. ولعل من أمثلة عنايتهم بدفع الخطأ — فى فهم الكتابة — تمييزهم بين عمر وعمرو بزيادة واو فى الثانى[2].

* * *

٤ — والفقهاء مجمعون، أو كالمجمعين على هذا الرسم:

سئل مالك: أرأيت من استكتب مصحفا، أترى أن يُكْتَبَ على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم؟

قال: لا أرى ذلك، ولكنه يُكْتَبُ على الكِتْبةِ الأولى: كِتْبةِ الوحى.

قال الدانى معقّباً على هذا: ولا مخالف له (يعنى مالكاً) فى ذلك من علماء الأمة[3].

وسئل مالك أيضاً عن الحروف فى القرآن مثل الواو والألف: أترى أن تغيّر من المصحف إذا وُجدا فيه كذلك؟

(١) الورقة ٣٠ من المخطوطة رقم ٢٣ نحو، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(٢) انظر: محمد طاهر بن عبد القادر الكردى: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١٢٨ — ١٣١.
(٣) المقنع ص ١١ من النسخة المخطوطة السالفة الذكر، و ١٠ من النسخة المطبوعة. وانظر: على سلطان القارى: المنح الفكرية على متن الجزرية ص ٨٥ ومحمد غوث ناصر الدين الأركانى: نثر المرجان فى رسم نظم القرآن ج ١ ص ١٠

فقال: لا.

قال أبو عمرو: يعنى الواو والألف المزيدتين فى الرسم لمعنى، المعدومتين فى اللفظ، نحو: الواو فى «أُولُوا الْأَلْبَٰبِ» و «أُوْلَٰٓئِكَ» و «الرِّبَوٰا» ونحوه[1].

ويقول على القارى، فى هذا الشأن: « والذى ذهب إليه مالك هو الحق، إذ فيه بقاء الحالة الأولى، إلى أن تُعلّمها الطبقةُ الأخرى بعد الأخرى، ولا شك أن هذا هو الأحْرَى، إذ فى خلاف ذلك، تجهيل الناس بأولية ما فى الطبقة الأولى »[2].

وقال أحمد: « تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو، أو ألف، أو ياء، أو غير ذلك »[3].

وقال البيهقى فى «شعب الإيمان»: «من يكتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماء، وأصدق قلبا، ولسانا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم»[4].

وفى « المدخل » لابن الحاج: « ويتعين عليه (يريد كاتب المصحف) أن يترك ما أحدثه بعض الناس فى هذا الزمان، وهو أن ينسخ المصحف

(١) المقنع ص ٢٨ (من النسخة المطبوعة).
(٢) انظر: محمد غوث ناصر الدين الأركانى: نثر المرجان فى رسم نظم القرآن ج ١ ص ١٠.
(٣) انظر: الزركشى: البرهان ج ١ ص ٣٧٩، وانظر: غوث الأركانى: الكتاب السابق ص ١١.
(٤) انظر: الزركشى: نفس المرجع ص ٣٨٠، وانظر: غوث الأركانى: نفس الكتاب.

على غير مرسوم المصحف الذى اجتمعت عليه الأمة ، على ما وُجد به ، بخط عثمان بن عفان — رضى الله عنه — أى فى عهده[1] ».

وفى « شرح الطحاوى » : « ينبغى لمن أراد كتابة القرآن أن ينظم الكلمات كما هى فى مصحف عثمان — رضى الله عنه — لإجماع الأمة على ذلك[2] ».

وقد ذكرنا ـ فى موضع آخر ـ ما يراه « عياض » صاحب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » من تكفير من نَقَصَ حرفاً مما يشتمل عليه المصحف الذى وقع عليه الإجماع . وقد أيد هذا شراح « الشفا » ، ومنهم على القارى ، والخفاجى ، وكلاهما من كبار الحنفية ، وقالا بعد قول عياض : (أو زاد حرفا) ، «أى كتابة أو قراءة[3] ».

ومكىّ بن أبى طالب يقول : «وهذا الذى يخالف الخط لا تجوز القراءة به اليوم لمخالفة خطّ المصحف ، وهو المنهىّ عنه[4] ».

وقد جرى ـ على هذا الرسم ـ علم (رسم كتابة القرآن فى المصاحف[5]) ، وكذا علم (آداب كتابة المصحف) ، وهو علم من فوائده : تحسين كتابته وتبيينها ، وإيضاحها ، وتحقيق الخط[6] .

وعلى ذكر ما أوردناه آنفا ، من أن بعضهم يذهب إلى تكفير المخالفين

---

(١) انظر : على الضباع : سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين ص ٢٠ .
(٢) انظر الكتاب السابق
(٣) نفس الكتاب ص ٢٠ و ٢١
(٤) الإبانة عن معانى القراءات ص ٣٦
(٥) صديق حسن خان : أبجد العلوم ـ ٤٩٠
(٦) نفس المرجع ـ ٢٩٩

فى الرسم الاصطلاحى للمصحف ، نقرر أننا نخالف ذلك الرأى ، ونرى أن الأمر لا يستدعى هذا التكفير . ويساير رأينا رأى القضاء العربى الحديث ، فقد نظرت المحكمة الإدارية فى قضية عاب فيها الأزهر على أحد المؤلفين[1] نقده للرّسم الاصطلاحى للمصحف ، فرأت المحكمة أن لا حرج فى هذا النقد ما دام المؤلف « قد عرض ، وجادل ، وناقش الآراء المختلفة ، مما ينفسح معه المجال للقول بأنه سلك طريق البحث العلمى ، ولا عليه ـ بعد ذلك ـ إن كان يترك قولا ، ويأخذ بقول ، أو يدع رأيا ، ويستجيب إلى رأى »[2] .

* * *

٥ — أن القول بأن الرسم غير توقيفى ، وأن الصحابة كتبوه على ما تيسر لهم ، لجهلهم بالخط يومئذ ، ثم إجماع الأمة — منذ عهد النبى إلى اليوم — على رسم خاطىء ينفى الحفظ الذى أكده الله ، أما والحفظ حقيقة ملموسة ، فإن التوقيف فى الرسم يكون حقيقة .

على أن الرسم الذى عدّه بعضهم دليل جهل الصحابة بالخط هو — عند آخرين — آيةُ ذهنيةٍ قويةٍ لهم فى علم الهجاء خاصة .

يقول ابن الجوزى : «إن كتابة الصحابة للمصحف مما يدل على عظيم فضلهم فى علم الهجاء خاصة ، وثقوب فهمهم فى تحقيق كل علم[3] » .

واستدل السيوطى على قدم علم النحو بما منه كتابة المصحف على الوجه الذى يعلله النحاة ، فى ذوات الواو ، والياء ، والهمزة ، والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالألف[1] . . . . . .

* * *

---

(١) وهو محمد عبد اللطيف بن الخطيب صاحب كتاب « الفرقان »
(٢) الحكم فى القضية رقم ٦٨٥ سنة ٢ القضائية ، بجلسة ١١ مايو سنة ١٩٥٠ مجموعة أحكام مجلس الدولة ، المجلد الخامس ص ٢٨٨
(٣) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية فى علوم العربية ج ١ ص ١٧
(٤) انظر : الكتانى : التراتيب الادارية ج ٢ ص ٢٩٨ و ٢٩٩

٦ — وجوب الاحتياط الشديد لبقاء القرآن على أصله، لفظاً وكتابة، وذلك سداً للذرائع، ومنعاً من فتح باب الإستحسان في كتابة القرآن، لأنه إذا فُتح هذا الباب، في الرسم — على نحو ما — فقد لا يلبث أن يفتح في اللفظ أيضا، ويتطرق إلى الكتاب الأكبر التغيير والتبديل[1]. وسدّ الذرائع أصل من أصول الإسلام التي تبنى عليها الأحكام[2].

* * *

٧ — جواز أن يفضى تغيير الرسم القرآني إلى هدم كثير من علوم الأداء قياساً على هدمه، بدعوى سهولة التناول للعموم.

* * *

٨ — أن قواعد الإملاء العادى لم يتفق عليها واضعوها، وهى عرضة للتغيير والتبديل، ومتطورة على مدى الزمن[3]، فواجب الحذر والتحرز يقتضى المسلمين أن ينزهوا القرآن — في رسمه — عن قواعد مختلف فيها، ومطلوب

(١) انظر: حفنى ناصف: تاريخ المصحف — مقدمة كتاب في قواعد رسم المصحف — بحث نشر في المقتطف ع أول يوليو ١٩٣٣ — ٨ ربيع الاول ١٣٥٢ الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٢٠٣ — ٢٠٦

(٢) انظر: فتوى في شأن الرسم القرآني، أصدرتها لجنة الفتوى بمصر سنة ١٩٣٧ ضمن تقرير عن كتاب « الفرقان » — مجلة الأزهر ع. صفر سنة ١٣٦٨ هـ

(٣) وقد رأينا بلدا كان مقر خلافة المسلمين يكتب القرآن بالحروف اللاتينية، ورأينا عبد العزيز فهمى أحد رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ينادى — في إصرار وحماسة — باستعمال الحروف اللاتينية في كتابة العربية، ولم يعدم نصيراً يعضده.

تكلم عبد العزيز فهمى عن الرسم العثمانى، فقال في إسراف وتحامل: « إنه سرطان أزمن فشوّه منظر العربية وغشّى جمالها، ونفّر منها الولىّ القريب والخاطب الغريب، وإذا أقول (سرطان) فإنى أعنى ما أقول، كالسرطان حسّا ومعنى » (الحروف اللاتينية في كتابة العربية ص ٧).

ويقول إنه نظر واستيقن أن لا محيص من اتخاذ اللاتينية لرسم العربية (نفس الكتاب ص ١٠).

ويقول: « أقرر بأنى لست مكلفاً باحترام رسم القرآن، ولست ألغى عقلى لمجرد أن بعض الناس أو كلهم يريدون إلغاء عقولهم، ولا يميزون بين القرآن العظيم كلام الله القديم وبين رسمه السخيف الذى هو من وضع المؤمنين القاصرين » (نفس الكتاب ص ٢٣).

تغييرها، ويحتمل أن يؤثم المسلمون بعضهم بعضا بسببها. وربما كان الترخّص في الرسم القرآني المأثور قريباً — على نحو ما — من أسلوب التحريف الذى عمدت إليه إسرائيل أخيرا، والذى سنفصّل القول فيه في فصل آخر.

* * *

وفى معرض الحديث عن تيسير قراءة المصحف المكتوب، ترد هذه الأسئلة:

هل نكتب المصحف بالحروف اللاتينية[1]، لتسهيل تلاوته على عارفى هذه الحروف؟

وهل نكتبه بالحروف الصينية — مثلا — لتيسير قراءته على الصينيين؟ ونكتبه — مثلا أيضا — بالحروف الأمهرية للأحباش؟ وبالحروف اليونانية لليونان؟

* * *

قال حفنى ناصف — معترضاً على القائلين بكتابة المصحف بالرسم الإملائى —:

« ولا يبعد — إذا سلم كلام هؤلاء العلماء — أن يذهب غيرهم إلى استحسان كَتْب المصاحف بالحروف اللاتينية، وآخرون إلى اختصاره، وآخرون إلى إرجاعه للغة العامية ليعمّ نفعه، إلى غير ذلك من الرّقاعات والمَخْرَقة، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ »[2].

على أنى أسأل: هل تغنى كتابة المصحف لكل قوم بحروف لغتهم... هل تغنى في تعليمهم كيف يقرأون القرآن مجوّداً من غير تلقين شفهى؟

* * *

(١) طبقاً لدعوة المجمعى المشار إليها.

(٢) انظر: حفنى ناصف: البحث المشار إليه قبلا.

٩ — أنّ المصاحف — وخاصة فى العصر الحديث — مضبوطة بالشكل التام ، ومذيّلة ببيانات إرشاديّة تيسّر للنّاس — إلى حدّ ما — قراءة الكلمات المخالفة فى رسمها للإملاء العادىّ ، ثم إن رسم المصحف العثمانى لا يخالف قواعد الإملاء المعروفة إلا فى كلمات معيّنة لا يصعب على أحد — إذا لقّنها — أن ينطق بها صحيحة[1] .

والذى اجتمعت عليه الأمة : أن من لا يعرف الرسم المأثور يجب عليه أن لا يقرأ فى المصحف ، حتى يتعلم القراءة على وجهها ، ويتعلّم مرسوم المصحف[2] .

* * *

١٠ — أن علماء الرسم العثمانى تتبعوا الكلمات التى يختلف رسمها عن نطقها ، وعللوا لها بما يُعرف منه أن مرجع الخلاف هو ما فى الكلمات من قراءات يحتملها الرسم ، أو ما فيها من قراءة واحدة يُستدعي أن تُكتب بصورتها التى لا تحتمل ما سواها .

وهذا نظام الدين النّيسابورى ينقل عن جماعة من الأئمة قولهم : « إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتّبعوا هذا الرسم فى خط المصحف ، فإنّه رسم زيد بن ثابت ، وكان أمينَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكاتبَ وحيه ، وعَلِم من هذا العلم ، بدعوة النبى — صلى الله عليه وسلم — مالم يعلم غيره ، فما كتب شيئاً من ذلك إلا لعلّة لطيفة وحكمة

(١) انظر الفتوى الصادرة سنة ١٩٣٧م فى شأن رسم المصحف ، (مجلة الأزهر ع ٠ صفر ١٣٦٨ هـ ضمن تقرير عن كتاب « الفرقان »)

(٢) انظر : محمد بن حبيب الشنقيطى : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام ص ١٦

بليغة ، وإن قصر عنها رأينا . ألا ترى أنه لو كتب : « عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ » و « إِنَّ صَلَوٰتَكَ » ، بالألف بعد الواو ، أو بالألف من غير واو ، لما دلّ ذلك إلا على وجه واحد ، وقراءة واحدة ؟ وكذلك : « وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ »[1] تُكتب « وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّرُ » بغير ألف قبل الفاء ، ولا بعدها ، ليدل على القراءتين »[2] .

* * *

١١ — وأن فى الرسم العثمانى فوائد :

(ا) منها : الدلالة على الأصل والشكل والحروف ، لكتابة الحركات حروفا ، باعتبار أصلها ، فى نحو : « وَإِيتَآيِ ذِي الْقُرْبَىٰ »[3] — « سَأُوْرِيكُمْ »[4] — « الصَّلَوٰة »[5] (بالواو بدل الألف) — « الزَّكَوٰة »[6] (بالواو بدل الألف أيضاً) .

(ب) ومنها : النص على بعض اللغات الفصيحة :

ككتابة هاء التأنيث تاء مجرورة على لغة طيّء .

وكحذف ياء المضارع لغير جازم ، فى : « يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ »[7] على لغة هذيل .

(١) سورة الرعد / ٤٢

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ١ ص ٤٠

(٣) سورة النحل / ٩٠

(٤) سورة الأعراف / من الآية ١٤٥ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٣٧

(٥) فى ٦٧ موضعا من القرآن ، عدا مواضع أخرى جاءت فيها كلمة « صلوٰة » متصلة بضمائر مختلفة .

(٦) فى ٣٢ موضعا من القرآن.

(٧) سورة هود /١٠٥

(ح) ومنها إفادة المعاني المختلفة، بالقطع، والوصل، في بعض الكلمات نحو: «أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً»[1] ـ «أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا»[2]

فإن قطع (أم) عن (من) يفيد معنى (بل) دون وصلها بها.

(ى) ومنها: أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد، نحو:

١ ـ «وَإِيتَآيِ ذِي الْقُرْبَىٰ»[3]:

فالقراء يختلفون فيها ـ في حالة وصلها بما بعدها ـ في مقادير المد: فمنهم من مدّها ثلاث حركات، ومنهم من مدّها أربعاً، ومنهم من مدّها خمساً، ومنهم من مدّها ستاً. وحمزة، وهشام ـ بخلفه ـ يقفون على «وإيتاي» ونحوه مما رسم بياء بعد الألف، بإبدال الهمزة الثانية ألفاً، على التفصيل الذي أوضحه علماء القراءات[4].

٢ ـ «الْمَلَؤُا»[5]:

فهي ـ كالكلمة ـ السابقة يختلف فيها القراء، في حالة وصلها بما بعدها في مقادير المد. وحمزة، وهشام ـ بخلفه ـ يغيّرون الهمزة واواً، على وجوه ذكرها العلماء[6].

٣ ـ «مَا كُنَّا نَبْغِ»[7]:

فمع أن كتاب المصاحف أجمعوا على كتابتها بغير ياء بعد الغين، فقد اختلف القراء في إثبات الياء وحذفها:

(١) سورة النساء / ١٠٩ (٢) سورة الملك / ٢٢
(٣) سورة النحل / ٩٠
(٤) انظر مثلا: الدمياطي البنا: إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٠
(٥) سورة الشعراء / ١٩٧، وسورة فاطر / ٢٨
(٦) انظر: الدمياطي البنا: المرجع السابق ص ٣٣٤
(٧) سورة الكهف / ٦٤

فأثبتها ـ وصلا ـ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، والكسائي.

وأثبتها ـ وصلا، ووقفاً ـ ابن كثير، ويعقوب.

وحذفها ـ وصلا ووقفا ـ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وخلف العاشر.

وهذه الياء حُذفت ـ رسماً ـ للتخفيف، فمن قرأ بحذفها وافق الرسم تحقيقاً، ومن قرأ بإثباتها وافق الرسم تقديراً. والأصل: إثباتها، لأنها لام الكلمة[1].

٤ ـ «وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ»[2]:

فقد اختلفت القراءات فيها:

فقرأها: «يَخْدَعُونَ» ـ بفتح الياء، وإسكان الخاء، وفتح الدال ـ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر، ويعقوب.

وقرأها نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: «يُخَادِعُونَ» بضم الياء وفتح الخاء، وألف بعدها، وكسر الدال[3].

٥ ـ «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً»[4]:

فقد اتفق كتاب المصاحف على كتابتها، بحذف الألف بعد الميم، وبالتاء بعدها، ولكن القراء اختلفوا فيها:

فقرأها بالإفراد: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب.

(١) انظر: أبو عمرو الداني: التيسير في القراءات السبع ص ١٤٧
والدمياطي البنا: المرجع السابق ص ١٩٢
(٢) سورة البقرة / ٩
(٣) انظر: ابن الجزري: النشر ج ٢ ص ٢٠٧
(٤) سورة الأنعام / ١١٥

وقرأها بالجمع : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر[١] .

٦ — « هَـٰذَٰنِ » :

قال أبو حيان فى « البحر المحيط » : قال أبو عبيد : رأيتها فى الإمام : مصحف عثمان : « هَـٰذَٰنِ » ليس فيها ألف .

ويستفاد من كلام الدمياطى البنا[٢] أن « هَـٰذَٰنِ » رُسمت فى المصحف بغير ألف ولا ياء ، وإنما رُسمت كذلك ليحتمل رسمُ المصحف قراءتى الألف والياء معاء ، ولو رسمت بالياء لفات ذلك ، ولم يحتمل رسم المصحف قراءة الألف[٣]

* * *

١٢ — وأنه ليس لازماً — فى الكتابة العربية — أن توافق صورةُ الرّسم صورة النطق باللفظ ، فإنّ (داود) يكتب بواو واحدة ، والنطق بواوين ، و(عمرو) يكتب — بعد رائه — واو ، ولا يُنطق بها ، ومن ثم لا يصح الذهاب إلى أن الصحابة أخطأوا حين زادوا — مثلا — ياء فى كلمة « بأييد » من قوله تعالى : « وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيدٍ »[٤] . على أن أبا عبد الله الخراز يقول :

وآخر الياءين من « بأييدٍ » للفرق بينه وبين الأيد[٥]

ولمثل هذا نظائر باقية فى اللغات الأجنبية ، فى بعض الكلمات الإنجليزية — مثلا — حروف لا يُنطق بها ، وأخرى تخالف أصواتها الأصلية أصوات النطق

---

(١) انظر : ابن الجزرى : النشر ج ٢ ص ٢٦٢
والدمياطى البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ٢١٦

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٣٠٤

(٣) انظر : محمد بخيت المطيعى : الكلمات الحسان ص ٤٣ .

(٤) سورة الذاريات / ٤٧

(٥) انظر : محمد بخيت المطيعى : المرجع السابق ص ٣٥ .

الفعلى . وقد أبى الإنجليز استبعاد هذه الحروف ، يبتغون بذلك أن تبقى الكلمات بشكلها المألوف منذ قديم ، وأن تظلّ لها أصولها الضاربة فى اللاتينية أو غيرها من اللغات القديمة .

وقد ذُكِرَت — فى تبرير الاختلافات بين رسم المصحف والرسم الإملائى أسباب تستحق الاعتبار ، فمثلا ، قال أبو داود — فى تبرير ما اصطلح عليه من حذف حروف المدّ فى المصحف : « والحذف من المصحف إنما وقع فى : الألف والياء ، والواو ، لبقاء ما يدلّ عليهن ، وكأنهن لم يحذفن لذلك ، إذ الفتحة قبل الألف — تدل عليها ، والضمة قبل الواو كذلك ، والكسرة — قبل الياء — مثلهما . وأيضا ، فإن الأحرف الثلاثة المذكورة ، لما كثر ورودها ، وجب اختصارها ، اصطلاحاً من الكاتبين على ذلك ، لما رأوا حروف المدّ واللين الثلاثة المذكورة وازت سائر الحروف الخمسة والعشرين .. الخ »[١] .

* * *

١٣ — أن الاهتداء إلى تلاوة القرآن — على حقه — لا يكون إلا بموقّف، شأن كل علم نفيس يُتَحَفَّظُ عليه .

وقد قيل : « إن الحكمة فى الرسم : أن لا يعتمد القارىء على المصحف ، بل يأخذ القرآن من أفواه الرجال الآخذين عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالسند العالى »[٢] .

وقيل إن تغيير كتابة المصحف يُجهِّل الناسَ بأوليتهم وكيفية ابتداء كتابتهم . وهذا — فى ميزان العلم — خسران .

---

(١) ملاحظة كتبها مجهول على هامش « المقنع » لأبى عمرو الدانى ص ١٢ ، المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) غوث الأركانى : نثر المرجان فى رسم نظم القرآن ج ١ ص ١٢

ولكننا — مع تقدير هذه الحجج وذلك الإجماع — نرى، من الناحية الواقعية، أن التلقي السليم من المصحف المكتوب وحده يَشُقُّ على كثيرين من الناس، حتى المثقفين منهم، وحتى أبناء البلاد العربية، فكيف بالكافة من أبناء البلاد غير الناطقة بالضاد ؟

وهذه — مثلا — بعض الكلمات التى اختلف فيها الرسم الاصطلاحى عن الرسم القياسى، والتى لو اكتُفِىَ، فى تعليمها، بالمصحف المكتوب، لوقع — لامحالة — خطأ فى قراءتها وفهمها :

ءانَاىِٕ (آناء) ـ ءَالْـٰٔنَ (الآن) ـ أَثَٰرَةٍ (أثارة) ـ إِنسَٰن (إنسان) ـ أَفَإِيْن (أفإن) ـ أُمِيّنَ (أميين) ـ إِيتَآءِىْ (إيتاء) ـ بِأَيْيدٍ (بأيد) ـ يَبْدَؤُاْ (يبدأ) ـ مُبَٰرَكًا (مباركا) ـ جَزَٰؤُهُ (جزاؤه) ـ جِاْىٓءَ (جيء) ـ جَنَّٰت (جنات) ـ حَرَٰم (حرام) ـ الْمُحْصَنَٰتُ (المحصنات) ـ وَلَا تَحَٰضُّونَ (ولا تحاضون) ـ حَٰفِظُونَ (حافظون) ـ الْحَٰكِمِينَ (الحاكمين) ـ أَحْلَٰم (أحلام) ـ الْحَوَارِيِّنَ (الحواريين) ـ يُحْىِۦ (يحيى) ـ الْحَيَوٰة (الحياة) ـ فَأَحْيَٰكُمْ (فأحياكم) ـ الْخَبَٰٓئِثَ (الخبائث) ـ يُخَٰدِعُونَ (يخادعون) ـ خَٰشِعَةٌ (خاشعة) ـ الْخَلَّٰقُ (الخلاق) ـ حَٰمِدُونَ (حامدون) ـ دُعَٰٓؤُاْ (دعاء) ـ لَأَاْذْبَحَنَّهُ (لأذبحنه) ـ سَأُوْرِيكُمْ (سأريكم) ـ الرِّبَوٰاْ (الربا) ـ الرَّٰسِخُونَ (الراسخون) ـ وَالْمُرْسَلَٰت (والمرسلات) ـ رَّاضِيَةٌ (راضية) ـ الزَّكَوٰة (الزكاة) ـ سَٰٓئِحَٰت (سائحات) ـ سُبْحَٰن (سبحان) ـ السَّٰجِدِينَ (الساجدين) ـ سِرَٰجًا (سراجا) ـ سُلْطَٰن (سلطان) ـ السَّمَٰوَٰت (السموات) ـ شُرَكَٰٓؤُاْ (شركاء) ـ شُفَعَٰٓؤُاْ (شفعاء) ـ تُشَٰٓقُّونَ (تشاقون) ـ شَٰكِرُون (شاكرون) ـ نَشَٰٓؤُاْ (نشاء) ـ لِشَاْىْءٍ (لشيء) ـ شَيْطَٰن (شيطان) ـ أَصَٰبِعَهُمْ (أصابعهم) ـ صَٰحِبُهُ (صاحبه) ـ صَٰحِبَةٌ (صاحبة) ـ الصَّلَوٰة (الصلاة) ـ الضُّعَفَٰٓؤُاْ (الضعفاء) ـ أَضْغَٰثُ (أضغاث) ـ لَا تَظْمَؤُاْ (لا تظمأ) ـ الظَّٰهِر (الظاهر) ـ الْعَٰلَمِينَ (العالمين) ـ عِبَٰدَنَا (عبادنا) ـ الْعُدْوَٰن (العدوان) ـ فَالْعَٰصِفَٰتِ (فالعاصفات) ـ عَلَّٰم (علام) ـ الْعُلَمَٰٓؤُاْ (العلماء) ـ أَعْنَٰب (أعناب) ـ الْغَٰبِرِينَ (الغابرين) ـ الْغَدَوٰة (الغداة) ـ الْغَفَّٰر (الغفار) ـ غُلَٰم (غلام) ـ تَفْتَؤُاْ (تفتأ) ـ فَالْفَٰرِقَٰتِ (فالفارقات) ـ يَتَفَيَّؤُاْ (يتفيأ) ـ كَبَٰٓئِر (كبائر) ـ الْكَٰفِرُون (الكافرون) ـ لَّٰبِثِينَ (لابثين) ـ لَٰعِبِينَ (لاعبين) ـ لَٰغِيَةً (لاغية) ـ لَٰقِيهِ (لاقيه) ـ تِلْقَآىِٕ (تلقاء) ـ فَالْمُلْقِيَٰتِ (فالملقيات) ـ مِشْكَوٰة (مشكاة) ـ الْمَلَؤُاْ (الملأ) ـ مَنَوٰة (مناة) ـ نَبَؤُاْ (نبأ) ـ نَبَإِىْ (نبأ) ـ أَنۢبَٰٓؤُاْ (أنباء) ـ النَّبِيِّنَ (النبيين) ـ النَّجَوٰة (النجاة) ـ يَتَنَٰجَوْنَ (يتناجون) ـ نُجِّى (ننجي) ـ يَتَنَٰزَعُونَ (يتنازعون) ـ يُنَشَّؤُاْ (ينشأ) ـ وَالنَّٰشِرَٰتِ (والناشرات) ـ الْمُنَٰفِقِينَ (المنافقين) ـ لَتَنُوٓأُ (لتنوء) ـ وَرَآءِى

(وراء) – وَسِعَةَ (واسعة) – لَوَٰقِحَ (لواقح) – أَتَوَكَّؤُاْ (أتوكأ) – وَلَا تَاْيْئَسُواْ (ولا تيأسوا) – يَٰرَبِّ (يارب) – يَٰعِبَادِي (ياعبادى) – يَٰقَوْمِ (يا قوم)[1] .

* * *

ويزيد صعوبة التلقى من المصحف المكتوب ، ويزيد الحاجة إلى التلقى الصوتى أن بعض الكلمات المرسومة فيه بطريقة تغاير القواعد الإملائية مرسومة ، فى نفس الوقت ، فى مواضع أخرى منه ، حسب هذه القواعد .

وإليكم نماذج من هذه الكلمات :

(ا) « الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ »[2] بدون ألف .

(ب) « وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ »[3] ، بدون ألف فى : « أمواتا » ، وفى : « فَأَحْيَٰكُمْ » .

(حـ) « أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِى أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰؤُاْ »[4] ، بدون ألف فى « ما نشاء » وبهمزة على الواو .

(ى) « وَلَا تَاْيْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ »[5] ، بزيادة ألف ، بين التاء والياء .

---

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المقنع (المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة) ؛
الخراز : مورد الظمآن
أحمد محمد أبو زيتحار : لطائف البيان فى رسم القرآن – شرح مورد الظمآن ، جزءان .
محمد حبيب الله الشنقيطى : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام .

(٢) سورة البقرة / ١٢ (٣) سورة البقرة / ٢٨
(٤) سورة هود / ٨٧ (٥) سورة يوسف / ٨٧

(هـ) « قَالُواْ جَزَٰؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰؤُهُۥ »[1] ، بحذف الألف أيضاً .

(و) « حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ »[2] ، بحذف الألف .

(ز) « إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ »[3] ، بدون ألف في : « لصاحبه » .

(ح) « قَٰلَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ »[4] بدون ألف فى : « قال » .

(ط) « وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ »[5] ، بدون ألف فى : « بظلام »

(ى) « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ اللَّهِ »[6] بدون ألف فى : « شعائر »

(ك) « وَالْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ اللَّهِ »[7] ، بدون ألف أيضاً .

(ل) « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ »[8] ، بدون ألف في « أيها » .

(م) « وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ »[9] ، بدون ألف أيضاً .

(ن) « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ »[10] ، بدون ألف .

---

(١) سورة يوسف / ٧٥ (٢) سورة يوسف / ١١٠
(٣) سورة التوبة / ٤٠ (٤) سورة الأنبياء / ١١٢
(٥) سورة الحج / ١٠ (٦) سورة الحج / ٣٢
(٧) سورة الحج / ٣٦ (٨) سورة النور / ٣١
(٩) سورة الزخرف / ٤٩ (١٠) سورة الرحمن / ٣١

(س) « انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ »[1] ، بدون ألف في « الأمثال » .

(ع) « كَذَّبَ أَصْحَبُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ »[2] ، بحذف الألف في « الأيكة » .

(ف) « وَمَا كَيْدُ الْكَفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَلٍ »[3] ، بدون ألف، في كل من : « الكافرين » و « ضلال » .

(ص) « وَمَا دُعَؤُا الْكَفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَلٍ »[4] ، بدون ألف في « دعاء » ، وبهمزة على واو فيها ، وبدون ألف في كل من : « الكافرين » و « ضلال » .

(ق) « وَجَزَؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا »[5] ، بحذف الألف من «جزاء»

(ر) « هَٰذَا بَصَٰئِرُ لِلنَّاسِ »[6] ، بدون ألف .

(ش) « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّبًا »[7] ، بدون ألف في « كذابا » .

(ت) « وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا »[8] ، بالواو في « الحياة » بدل الألف .

* * *

ومما يزيد أيضاً صعوبة التلقي من المصحف المكتوب وحده أن ثمة كلمات

(١) سورة الفرقان / ٩
(٢) سورة الشعراء / ١٧٦
(٣) سورة غافر / ٢٥
(٤) سورة غافر / ٥٠
(٥) سورة الشورى / ٤٠
(٦) سورة الجاثية / ٢٠
(٧) سورة النبأ / ٣٥
(٨) سورة النازعات / ٣٨

رسمت في المصحف بشكل الجمع ، مع أن القراء اختلفوا في إفرادها وجمعها ، وهذه هي :

١ — « كلمت » في الآيات :

(١) « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا »[1]

قرأها بالإفراد عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف[2]

(ب) « كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »[3]

قرأها بالإفراد سوى نافع ، وابن عامر ، وأبي جعفر[4]

(حـ) « وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَبُ النَّارِ »[5]

قرأها بالإفراد عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف[6]

* * *

٢ — « ءايت » في الآيتين:

(١) « لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَتٌ لِلسَّائِلِينَ »[7]

قرأها بالإفراد ابن كثير[8]

(١) سورة الأنعام / ١١٥
(٢) انظر : حسين بن خلف الحسيني : الرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظوم على أرجوزة الشيخ المتولي ص ١٩
(٣) سورة يونس / ٣٣
(٤) الرحيق المختوم ص ١٩
(٥) سورة غافر / ٦
(٦) الرحيق المختوم ص ١٩
(٧) سورة يوسف / ٧
(٨) الرحيق المختوم ص ١٨ و ١٩

(ب) « وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ »[1]

قرأها بالإفراد ابن كثير ، وشعبة ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف[2]

* * *

٣ — « غيابت » في الآيتين :

(ا) « وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ »[3]

(ب) « وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ »[4]

قرأها بالإفراد من عدا نافعاً وأبا جعفر[5]

* * *

٤ — « غرفت » في الآية : « فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ ، وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ »[6]

قرأها بالإفراد حمزة[7]

* * *

٥ — « بينت » في الآية : « فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ »[8]

قرأها بالإفراد ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص ، وحمزة ، وخلف[9]

* * *

٦ — « ثمرت » في الآية : « وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا »[10]

قرأها بالإفراد من عدا نافعا ، وابن عامر ، وحفصا ، وأبا جعفر[11]

(١) سورة العنكبوت / ٥٠
(٢) الرحيق المختوم ص ١٩
(٣) سورة يوسف / ١٠
(٤) سورة يوسف / ١٥
(٥) الرحيق المختوم ص ١٩
(٦) سورة سبأ / ٣٧
(٧) الرحيق المختوم ص ١٩
(٨) سورة فاطر / ٤٠
(٩) الدمياطي البنا / إتحاف فضلاء البشر ص ٣٦٢
(١٠) سورة فصّلت / ٤٧
(١١) الرحيق المختوم ص ٢٠

٧ — « جملت » في آية : « كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ »[1]

قرأها بالإفراد حفص ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر ؛ وقرأها غيرهم بالجمع[2] .

— ٥ —

ما الحلّ، إذن ، تلقاء صعوبات شديدة كهذه يقابلها إجماع وثيق أو كالوثيق على وجوب بقاء رسم المصحف الإصطلاحي كما هو ؟

وما الحلّ ، وهناك — فوق صعوبات الاختلاف بين الخطّ الاصطلاحي للمصحف والخطّ القياسي — صعوبة خطية أخرى يعاني منها المشارقة والمغاربة على سواء ، إذا قرأ أحد الفريقين في مصحف الآخر ؟

إنّ قواعد الكتابة في كلّ من المصحفين تختلف عما هي في الآخر اختلافاً يمكن أن يوقع القارىء في الخطأ ، ولا يوائم طبيعة القرآن الذي يعتبر أتباعه أمة واحدة . ومن أمثلة الاختلافات الخطّية بين الفريقين : أنّ المشارقة ينقطون الفاء بواحدة من فوق ، والقاف بنقطتين من فوق أيضا ، بينما ينقط المغاربة الفاء بنقطة واحدة من أسفل ، والقاف بنقطة واحدة من فوق ؟[3]

وما الحل ؟ وبعض علامات الضبط نفسها مختلفة في المصاحف :

فعلامة التشديد — مثلا — يجعلها بعض الناس دالاً .

وبعضهم يجعلها مدّة فوق الحرف المسكّن، سواء كان همزة أو غيرها من سائر حروف المعجم .

وبعضهم يجعلها دارة صغيرة فوق الحرف .

(١) سورة المرسلات / ٣٣
(٢) الرحيق المختوم ص ١٨
(٣) انظر — مثلا — المصحف المطبوع بخط مغربي ، بإذن مشيخة الجامع الأزهر — إدارة البحوث والثقافة الاسلامية (تحت رقم ١٠٨٥ بتاريخ ١٩٦١/٨/٣ — التزام عبد الحميد أحمد حنفي) .

وسيبويه وعامة أصحابه يجعلونها خاء ،
وآخرون يجعلونها هاء[1] .

وما الحلّ ؟ وقد اختلفت مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من المصحف الإمام بعضها عن بعض ، وذلك من حيث الرسم زيادةً ونقصانا ، على التفصيل الذى يحيط بعلمه الدارسون ، وعلماء الرسم القرآنى ، والذى ذكرته الكتب المتخصصة[2] ؟ .

بل ما الحلُّ ؟ وأبو عبيد القاسم بن سلّام أول من ألّف فى القراءات يقرّر — فيما ذكرت إحدى الروايات — أنه رأى اختلافات بالحذف والإثبات فيما رسم فى المصاحف عما رآه فى مصحف عثمان بن عفان الذى فيه أثر دمه[3] ؟

ما الحلّ ؟ ومصاحف المصر الواحد قد يكون فيها اختلاف ، فهذه مصاحف العراق اختلفت فى قوله : « حَقَّ تُقَاتِهِ »[4] ، فى بعضها : بألف ثابتة ، بين القاف والتاء ، كما ترى فى (تقاته) ، وفى بعضها : بغير ألف ولا ياء ، بين القاف والتاء ، كما ترى فى (تُقَتِهِ)[5] ؟

ما الحل ؟ واختلاف الرسم عما يناسب بعض القراءات المتواترة هو — على نُدْرته ، وعلى كون السماع لا الكتابة هو العمدة فى التلقّى القرآنى — مظهرُ اختلافٍ بين المصاحف ، فيما يزعم الشانئون وغير المتعمقين . وهذا — على سبيل المثال — أجنس سميث لويس (Agnes Smith Lewis) فى مقدمته لكتاب :

(١) انظر : أبو عمرو الدانى : المحكم فى نقط المصاحف ص ٥٠ — ٥٢
(٢) انظر مثلا : أبو عمرو الدانى : المقنع ـ النسخة المطبوعة ص ٩٢ـ٩٩ وص ١٠٢ـ١١٤ وانظر حاشية لم يذكر اسم صاحبها فى ص ١٢ من مخطوطة هذا الكتاب رقم ٢٦٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .
(٣) نفس المرجع ـ النسخة المطبوعة ص ١٥
(٤) سورة آل عمران / ١٠٢
(٥) الحاشية السالفة الذكر على النسخة المخطوطة من المقنع .

Leaves from three Ancient Qurans Possibly pre - Othmânic الذى أصدره ، بالاشتراك مع ألفونس منجانا Alphonse Mingana يَعُدُّ من مظاهر الإختلاف بين المصاحف[1] كتابة « أُولَٰئِكَ » بدلا من « أولائك » ، و « كلمته » بدلاً من « كلماته »[2] ! ؟

ما الحل ؟ والشكل فى المصاحف لا يقى — وحده — من اللّحن والخطأ . وهذا على الجارم الذى بَلَا تعليمَ اللغة العربية طويلا ، وأحاط بمشكلاته خُبْرا ، هذا هو يقول في مشروع قدّمه لمجمع اللغة العربية فى ٢٤ ابريل ١٩٤١ : « جرّبنا أنّ الطالب المثقف لا يستطيع قراءة القرآن الكريم ، وهو مشكول على أدقّ ما يكون الشكل ، وأحكم ما يكون الضّبط »[3] ؟

إنّ التلقى الشفوى هو ـ فعلاً ـ وسيلة تعلّم القراءة على وجهها ، وتعلّم رسوم المصحف ، وهو الوسيلة التى ترتفع معها اختلافات الرسم ، وينقطع ـ عندها ـ كلّ نزاع . والإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، كما يقول الجاحظ[4] ، وقديماً وضع « نصر بن عاصم » النقط أفراداً وأزواجاً ، « وخالف بين أماكنها ، بتوقيع بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف ، فغَبَرَ الناس بذلك — زمانا — لا يكتبون إلا منقوطا ، فكان — مع استعمال النقط أيضاً — يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يُتْبِعون النقط الإعجام ، فإذا أُغفل الاستقصاء على الكلمة ، فلم تُعرف حقوقها ، اعترى هذا التصحيف ، فالتمسوا حيلة ، فلم يقدروا — فيها — إلا على الأخذ من أفواه الرجال »[5] .

(١) ولا تقول « قرآنات » كما يقول هو خطأ .
(٢) P . vi Avii
(٣) نقلا عن : عبد العزيز فهمى : الحروف اللاتينية لكتابة العربية ص ٩
(٤) انظر : الحيوان ج ١ ص ٥٥
(٥) نقلا عن : العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٢

ولكن التلقى الشفهى — فيما هو معلوم — غير متاح لكثيرين نتيجة قلّة المحفّظين فى كثير من المناطق، ولتعذّر ملازمة الكبار لهم.

ألا يكون الجمع الصوتى وسيلة البشرية إلى هذا التلقّى ؟

ذلك رأى هذا الضعيف.

— ٦ —

وقد دخلَتْ — أخيرا — على بعض طبعات المصاحف المكتوبة، علامات الترقيم الحديثة، كعلامات الإستفهام، والتأثر، والتضمين، وغيرها[١]. والظن أن هذا سيطّرد مستقبلا. ولسنا نتعرض — هنا — لفكرة هذا التطوير — فى كتابة القرآن — بالتحبيذ أو النقد، ولكننا نذكر أن المصحف المرتل هو — بالضرورة، وبالتزامه كلّ قواعد القراءة المعبّرة — كفيل بكل أغراض هذه العلامات، بل كفيل بكلّ أغراض الرموز، ومصطلحات الضبط التى تذيّل بها المصاحف الآن بقصد تيسير القرآن على الناس.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

(١) انظر — مثلا — محمود محمد حمزه وآخَرِينْ: تفسير القرآن الكريم — ٣٠ جزءا ط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣.

الباب الثالث
الدفاع

الفصل الأول	:	معاضدة المصحف العثمانى المجمع عليه
الفصل الثانى	:	درء التحريف
الفصل الثالث	:	التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

الفصل الأول

معاضدة المصحف العثماني المجمع عليه

الفصل الأول

معاضدة المصحف العثمانى المجمع عليه

— ١ —

من الأمور التى قد تثير المعنيين بالقرآن ، وقد تبلبل أفكارهم ، وقد تدخل عليهم اضطراباً وحيرة ما قيل من أن المصحف العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون يخالف خطأ ، أو زيادةً ، أو نقصا ، فى مواضع غير قليلة ، مصاحف عدد من صحابة النبيّ وآل بيته ، وأنه تدسست إليه تحريفات ذكرها ذاكرون.

والثابت أنّ علماء القرآن ناقشوا هذه الأقوال أوفى مناقشة ، ثم خلصوا إلى بطلانها ، ولكنها ما برحت تملأ صحائف كثيرة فى بعض الكتب ، وما زالت تُعرض أحيانا عرضا يلمز التواتر ، ويثير السحائب السود فى أفكار الذين لم يدرسوا ما قيل فى دحض هذه الأقوال ، والذين لا يملكون القدرة على اكتشاف ما فيها من وَهَنٍ وبُطلان .

ويسم الأمر وسماً خاصاً أن تلك الإختلافات ليست معزوّة إلى أفراد عاديّين ، وإنما هى معزوّة إلى بعض أصحاب النبي وآل بيته ، وهم ماهم منزلة

عند المسلمين ، وأن روايات تلك الاختلافات صادفت بالفعل — عند بعض الناس — إصغاء مردّه غالبا حسن النية أو نقص الدراسة .

— ٢ —

وقد تعدّدت المصاحف التي قيل إنّ الصحابة كتبوها ، فهناك مصاحف منسوبة إلى : عبدالله بن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبدالله ابن عباس ، وأبي موسى الأشعري ، وأنس بن مالك ، وعمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن عمرو ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وعبيد بن عمير ، وأمهات المؤمنين : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة[1] .

ومع أنّ هذه المصاحف — على فرض وجودها ومخالفتها للمصحف العثماني — فرديّة وخاصة ؛

ومع أن من أصحابها من قيل إنه اشترك في الجمع العثماني ، مثل أُبيّ ابن كعب ؛

ومع أن من أصحابها أيضا من هو أحد المجمعين على ما فعل عثمان ، مثل عليّ بن أبي طالب ؛

فقد رُوِيَ الكثير عن اختلاف هذه المصاحف عن مصحف عثمان[2] ، ورُوِي أنّ من أصحاب هذه الاختلافات من مضَوْا في تمسّكهم بقراءاتهم ، كما حدث — فيما تقول بعض الروايات — من ابن مسعود ، ومن أُبيّ بن كعب[3] .

---

(١) انظر معلومات عن كل من هذه المصاحف في :
Arthur Jeffery : Materials For The History of The Text of TheQuran, P. P. 20 — 236.

(٢) Ibid. Passim

(٣) انظر : محمد بخيت المطيعي : الكلمات الحسان ص ١٨ و ١٩ و ٤٩

ولعل من طريف ما يروى عن استمساك بعض الناس بقراءة ابن مسعود أن الشعبيّ الإمامي كان إذا حَلَفَ قال : إنني إذا نقضت يميني وقعت في كذا وكذا من الآثام ، « وأدخلْتُ في القرآن ما لم يثبته ابن مسعود ! »[1] .

* * *

وتعدّدت — كذلك — كتب السّلف عن اختلاف المصاحف[2] . ومن هذه الكتب :

١ — كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق ، لابن عامر اليحصبيّ المتوفى سنة ١١٨ هـ .

٢ — كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة ، وأهل الكوفة ، وأهل البصرة ، للكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ .

٣ — كتاب اختلاف أهل الكوفة ، والبصرة ، والشام في المصاحف ، للفراء البغدادي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

٤ — كتاب اختلاف المصاحف ، لخلف بن هشام المتوفى سنة ٢٢٩ هـ .

٥ — كتاب اختلاف المصاحف ، وجامع القراءات ، للمدائني المتوفى سنة ٢٣١ هـ[3] .

٦ — كتاب اختلاف المصاحف ، لأبي حاتم المتوفى سنة ٢٤٨ هـ .

٧ — كتاب المصاحف والهجاء ، لمحمد بن عيسى الأصبهاني المتوفى سنة ٢٥٣ هـ .

٨ — كتاب المصاحف ، لابن أبي داود السجستاني المتوفى سنة ٣١٦ هـ .

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٣٤

(٢) انظر : ابن النديم : الفهرست ص ١٦ (ط. ليبزج سنة ١٨٧٢ م)

(٣) انظر : آرثر جفري : مقدمة كتاب المصاحف ، لابن أبي داود ص ١٠ وانظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣٦ ، وفيه : كتاب اختلاف المصاحف وجمع القراءات .

٩ — كتاب المصاحف ، لابن أشته الأصبهانى المتوفى سنة ٢٦٠ هـ .

١٠ — كتاب المصاحف ، لابن الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .

١١ — كتاب غريب المصاحف ، للورّاق .

والملاحظ أن أغلب أسماء هذه الكتب يتضمّن صراحة عبارة « اختلاف المصاحف » .

وأبقى هذه الكتب أثرا الثلاثة التى ألفها ابن الأنبارى ، وابن أشته ، وابن أبى داود . وأشهر هذه الثلاثة كتاب ابن الأنبارى . ولئن كان هو وكتاب ابن أشته ضائعين الآن ، إن الكثير من محتوياتهما — فى شأن اختلاف المصاحف — وأصلَ الحياة فى الكتب الأحدث تاريخا من مثل : « الإتقان » و « الدرّ المنثور » ، وكلاهما للسيوطى[١] .

وقد قيل إن مُقْسِم العطار الذى ألمعنا إليه فى موضع آخر جمع أيضا كتابا فى المصاحف[٢] .

وقيل إن أبا موسى القزوينى أعدّ كتابا أبرز فيه القراءات المتغايرة[٣] ، وإن بعض المصاحف التى كتبت فى القرنين الثالث والرابع الهجريين تضمنت مثل هذا[٤] .

وكذلك أورد بعض المفسرين — أمثال : الزمخشرى ، وأبى حيّان الأندلسى ، والشّوكانى — إشارات متفرقة ذات بال إلى اختلافات بين المصاحف .

ووردت إشارات — من هذا القبيل أيضا — فى كتب اللغة ، من مثل :

---

(١) انظر : OP. cit. P. P. lo. & ll.

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٣

(٣) A. Jeffery : Ibid, footnote P. 2

(٤) Loc. cit.

« إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن » للعكبرى ، و « إعراب القراءات الشّاذّة » له أيضا ، و « المحتسب » لابن جنّى .

وابن الأثير يقول إنه لما ورد إلى الكوفة مصحف عثمان أخذ به بعض أهلها ، ولكن كثيرين منهم بقوا على الأخذ بمصحف ابن مسعود الذى أصبح فيما بعد محلّ تقدير الشيعة[١] .

وكذلك يذكر العاملى أنه لا زال بأيدى الشيعة مصاحف يقولون إنّها بخطّ علىّ أو بعض أبنائه ، أو أحد أهل البيت[٢] .

وقد نُشر لألفونس منجانا Alphonse Mingana (١٨٨١ — ١٩٣٧) وآجنس سميث لويس Agnes Smith Lewis ، فى سنة ١٩١٤ ، كتاب بعنوان « أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثمانى ، مع قائمة بما فيها من اختلافات »[٣] ، كما نُشر لمنجانا كتاب باسم : « ترجمة سريانية قديمة للقرآن تعرض آيات جديدة واختلافات »[٤] .

وأورد جولدتسيهر فى كتابه : « مذاهب التفسير الإسلامى » الزيادات المقول بوجودها فى المصاحف الفردية غير مصحف عثمان[٥] .

وقد جمع جفرى (Jeffery) الإختلافات المنسوبة إلى المصحف الفردىّ

---

(١) الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٨٦ و ٨٧ (ط . تورنبرج)

(٢) أعيان الشيعة جـ ١ ص ١٥٠

(٣) Leaves From Three Ancient Qurâns Possibly pre — Othmanic with a list of their Variants

ويلاحظ أنه استعمل لفظ Qurans — قرآن بالجمع — وهو خطأ كبير جدا ، وكان الصواب لو استعمل كلمة « المصاحف » .

(٤) An Ancient Syriac Translation of The Kuran, exhibiting new Verses and Variants.

(٥) انظر الترجمة العربية لعبد الحليم النجار من ص ٢١ إلى ص ٤٧

لكل من : ابن مسعود[١] ، وأُبَىّ بن كعب[٢] ، وعلىّ بن أبى طالب[٣] ، وابن عباس[٤] ، وأبى موسى الأشعرى[٥] ، وحفْصَة[٦] ، وأنس بن مالك[٧] ، وعمر بن الخطاب[٨] ، وزيد بن ثابت[٩] ، وابن الزبير[١٠] ، وعائشة[١١] ، وسالم مولى أبى حذيفة[١٢] ، وأمّ سلمة[١٣] ، وعبيد بن عمير[١٤] .

وكذلك جمع الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف التّابعين للصحابة ، فجمع ما قيل إنه ورد فى المصحف الفردىّ لكلّ من : الأسود بن يزيد[١٥] ، وعلقمة[١٦] ، وحطّان[١٧] ، وسعيد بن جبير[١٨] ، وطلحة[١٩] ، وعكرمة[٢٠] ،

(١) P. P. 25 - 113
(٢) P. P. 117 - 181
(٣) P. P. 185 — 192.
(٤) P. P. 196 - 208.
(٥) P. 211.
(٦) P. 214
(٧) P. P. 216 — 217
(٨) P. P. 220—222
(٩) P. 224
(١٠) P. P. 227 - 229
(١١) P. P. 232 - 233
(١٢) P. 234
(١٣) P. 235
(١٤) P. P. 237 - 238
(١٥) P. 240
(١٦) P. P. 242 - 243
(١٧) P. 244
(١٨) P. P. 246 - 252
(١٩) P. P. 254 - 267
(٢٠) P. P. 269 - 275

ومجاهد[١] ، وعطاء بن رباح[٢] ، والربيع بن الخثيم[٣] ، والأعمش[٤] ، وجعفر الصّادق[٥] ، وصالح بن قيسان[٦] ، والحارث بن سويد[٧] .

كما جمع « جفرى » الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف المجهولة الأصحاب[٨] .

* * *

وكأنما وجد بعض المستشرقين ــ فى موضوع اختلاف المصاحف ــ ميدانا يخبّون فيه ويضعون ، ليشفوا رغبة فى صدورهم : هى زلزلة العقائد ، وفتح أبواب الشكوك والزيغ ، وفصم العروة الوثقى ، والرابطة المحكمة بين المسلمين . فهؤلاء المستشرقون يعرفون أنّ الشكّ فى نصّ يوجب الشكّ فى آخر ، فهم يلحّون فى طلب روايات الاختلاف ، وينقلونها فى غير تحرّز ، ويؤيدونها غالبا ، ولا يمتحنون أسانيدها ، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها .

ومن أشهر المستشرقين المحدثين الذين سلكوا هذا المنهج : تيودور نولدكه T. Noeledeke[٩] .

ومع أن بعضهم لا يجدون مناصا من الإعتراف بأن بعض الاختلافات تبدو مستحيلة من الناحية اللغوية[١٠] ، وبعضها الآخر يشعر أنها مما اخترع

(١) P. P. 277 - 289.
(٢) P. P. 295 - 298
(٣) P. P. 298 - 313
(٤) P. P. 315 - 329
(٥) P. P. 332 - 337
(٦) P. 338
(٧) P. 339
(٨) P. P. 340 - 341
(٩) ولد فى سنة ١٨٣٦ ، وتوفى سنة ١٩٣٠ ، وله عدة مؤلفات ، من أشهرها : « قواعد اللغة العربية » (فينا سنة ١٨٩٦) ، و « القواعد السريانية » (ليبزج سنة ١٨٨٨) ، و « تقارب الهجات » (هال سنة ١٨٧٥) و « تاريخ القرآن » (جوتنجن سنة ١٨٦٠) و « دراسة للمعلقات الخمس وتاريخ الجاهلية » (ليدن سنة ١٨٧٩) ــ انظر : نجيب العقيقى : المستشرقون ج ٢ ص ٧٣٨ .
(١٠) Jeffery : Loc. cit. P. x

بعض اللغويين (Philologers) الذين نحلوا اختراعاتهم هؤلاء الصحابة[1] ، والتابعين الأولين ، فإنهم يصفون مصحف عثمان بأنه أدنى المصاحف إلى الأصل[2] ، ولا يقولون إنه الأصل نفسه .

* * *

ومهما يكن من شيء ، فإن المصاحف المقول بمخالفتها لمصحف عثمان لم تظفر بما ظفر به هذا الأخير من إجماع الصحابة وثقتهم وأخذهم بما تضمنه من الأوجه والقراءات .

وقد تنبه المسلمون ، منذ قديم ، إلى أن هذه المصاحف فردية كتبها أصحابها لأنفسهم ، وأنها — وقد أشرنا إلى هذا قبلا — ربما تضمنت ما كانت روايته آحاداً ، وما نسخت تلاوته ، وما لم يكن في العرضة الأخيرة[3] ، وأنه اختلطت فيها أحيانا الألفاظ القرآنية بالشرح وبيان التأويل .

ونحن — كما يقول ابن حزم — « وإن بلغنا الغاية في تعظيم أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، ورضوان الله عليهم — وتقربنا إلى الله — عز وجل — بحبهم ، فلسنا نبعد عنهم الوهم والخطأ ، ولا نقلدهم في شيء مما قالوه ، إنما نحن نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بما هو عندهم ، بالمشاهدة والسماع لما ثبت من عدالتهم ، وثقتهم وصدقهم . وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه — برأى وبظن — فلا نقول بذلك »[4] .

ونحن نرى أيضا، مثل رأى ابن حزم، حين يقول : « والوهم لا يعرى منه أحد ، بعد الأنبياء ، عليهم السلام »[5] .

(١) Ibid P. IX.
(٢) Ibid P. X
(٣) فمثلا ، قرأ ابن مسعود بمكة ، وعرض هناك ، وقرأ أبي ، وعرض بعد الهجرة، بينما قرأ زيد بن ثابت بعدهما ، وعرض في سنة وفاة النبي .
(٤) الفصل في الملل والنحل ج ٢ ص ٧٦ (٥) نفس المرجع ص ٧٧

وقد بدا لنا أن من حق العلم — فضلا عن الدين — على من يصدقون بالجمع العثماني ، أن يعاضدوه ، فيسجلوه تسجيلا صوتيا لا يلتزم إلا بما فيه .

ونحن نشير — فيما يلي — إلى أشهر التحريفات المدعاة على مصحف عثمان ، وما قال علماء القرآن في شأنها . وسنرى أن التسجيل الصوتي لهذا المصحف سيكون تأييداً عمليا من الأخلاف ، للعمل السليم الذي أجمع عليه الأسلاف ، وانعقد به تصديق المسلمين منذ عهد الصحابة ، وسيكون — بالحق — إهداراً لتلك الدعاوى التي يؤكد البحث الموضوعي أنها خاطئة ومختلقة ، والتي تفتح مع ذلك ، أمام بعض الناس — أبوابا للشك والإلحاد .

* * *

١ — نسبوا إلى ابن مسعود أنه أسقط الفاتحة من مصحفه[1] .

ويقول ابن قتيبة في « مشكل القرآن » : إن ذلك « ليس لظن ابن مسعود أن الفاتحة ليست من القرآن ، معاذ الله ! ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين، مخافة الشك، والنسيان، والزيادة، والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون في سورة « الحمد » لقصرها، ووجوب تعلمها على كل أحد »[2]

وقول ابن قتيبة جدير جدا بأن نقبله ونطمئن إليه ، فإن عورض بأن ثمة سوراً في القرآن قصيرة ويقرأ بها الكافة في صلاتهم لسهولة حفظها ، ومع ذلك أثبتها ابن مسعود في مصحفه ... وإن قيل إن الروايات التي وردت عن رأى ابن مسعود في قرآنية المعوذتين[3] ربما عضدت أنه أسقط الفاتحة ، وكان

(١) انظر : السيوطي : الإتقان ج ١ ص ٦٥ و ٧٩
(٢) المرجع السابق ص ٨٠
(٣) سيرد لهذه الروايات ذكر فيما بعد

إسقاطه إياها لسبب غير ما ساقه ابن قتيبة ، قلنا : إن الفاتحة — في الصلاة — غير سور القرآن قصيرها وطويلها ، فإنه لا صلاة بغير هذه السورة[1] . وفي الحديث عن عبادة بن الصامت — فيما أخرج الحاكم النيسابوري — : « أم القرآن عوض من غيرها ، وليس غيرها منها عوض »[2] .

* * *

٢ — وذكر أبو حيان المفسر : « قرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن الزبير : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » (في مواسم الحج) بزيادة « في مواسم الحج » على القراءة المشهورة[3] . والأولى — كما يقول أبو حيان — : « جعل هذا تفسيراً لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة »[4] .

ومما يذكر هنا في شأن ما رُوي عن ابن مسعود ، مما لم يثبت عند أهل النقل ، قول النووي ، وهو قول يجد إلى العقل سبيلا قاصداً :

« ... وأما ابن مسعود ، فرويت عنه روايات كثيرة :

منها ما ليس بثابت عند أهل النقل .

وما ثبت منها مخالفا لما قلناه : فهو محمول على أنه كان يكتب — في مصحفه — بعض الأحكام والتفاسير ، مما يعتقد أنه ليس بقرآن ، وكان لا يعتقد تحريم ذلك ، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء .

وكان رأى عثمان والجماعة منع ذلك ، لئلا يتطاول الزمان ويُظن ذلك قرآناً »[5]

وللآمدي — في إبطال صدق ما نقل عن ابن مسعود — منطق مقبول . يقول:

(١) انظر : مسند أبي عوانة الأسفراييني ج ٢ ص ١٢٥
(٢) المستدرك ج ١ ص ٢٣٨ (٣) سورة البقرة / ١٩٨
(٤) البحر المحيط ج ٢ ص ٩٤
(٥) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ١٠٨ — ١١٠

« فلو قلنا : إن ما نقله ابن مسعود قرآن لزم ارتكاب من عداه من الصحابة للحرام بالسكوت .

ولو قلنا : إنه ليس بقرآن لم يلزم منه ذلك ، لا بالنسبة إلى الراوي ، ولا بالنسبة إلى من عداه من الساكتين .

وبتقدير ارتكاب ابن مسعود للحرام ، مع كونه واحداً ، أولى من ارتكاب الجماعة له .

وعلى هذا ، فقد بطل قولهم بظهور صدقه ، فيما نقله ، من غير معارض . »[1]

أما ابن حزم فيصف ما قيل من خلاف بين مصحف ابن مسعود ومصحفنا ، بأنه « باطل ، وكذب ، وإفك » . وحجته أن قراءة ابن مسعود « هي قراءة عاصم المشهورة ، عند جميع أهل الإسلام ، في شرق الدنيا وغربها ، فقرأ بها — كما ذكرنا — وبغيرها ، بما قد صح أنه كله منزل من عند الله تعالى »[2] .

* * *

٣ — وقيل إن عائشة سئلت عن قوله تعالى: « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ »[3] ، وعن قوله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ »[4] ، وعن قوله : « إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ »[5] فقالت : يابن أخي ! هذا كان خطأ من الكاتب[6] .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ج ١ ص ٢٣٢ و ٢٣٣
(٢) الفصل في الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧
(٣) سورة النساء / ١٦٢
(٤) سورة المائدة / ٦٩
(٥) سورة طه / ٦٣
(٦) الفراء : معاني القرآن ج ١ ص ١٠٦

(ا) وراوى هذا هو أبو معاوية الضرير الذى شهد علماء الحديث أنّ فى أقواله أحاديث مضطربة ، وأنه « ربّما دلّس »[1] ، وأنه « كان مُرْجِئاً خبيثا »[2] .

وهذا — مع ما سنذكره الآن من وجوه توهين هذه الرواية — يدعونا — علميّا — إلى رفضها أصلاً ، فضلا عن أن نعوّل عليها .

(ب) وتخطئة رسم المصحف فى قوله : « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ » نقضها العلماء منذ قديم . وقد يكفى — فى هذا الشأن — نقل ما ذكره أبو حيان الأندلسىّ المفسّر ؛ قال :

« وذُكر عن عائشة — رضى الله عنها — ، وعن أبان بن عثمان ، أنّ كَتْبَها بالياء من خطأ كاتب المصحف .

ولا يصحّ ذلك عنهما ، لأنهما عربيّان فصيحان ، وقطع النعوت أشهر فى لسان العرب ، وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه وغيرُه ، وعلى القطع خرّج سيبويه ذلك .

قال الزمخشرى : لا يُلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً فى خطّ المصحف . وربما التفت إليه من لم ينظر فى « الكتاب » — يريد كتاب سيبويه —[3] ، ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم فى النَّصْب على الاختصاص من الافتنان ، وخفى عليه أنّ السّابقين الأوّلين الذين مَثَلُهُمْ فى التوراة وَمَثَلُهُمْ فى الإنجيل ، كانوا أبعد همّة فى الغيرة على الإسلام ، من أن يتركوا

(1) انظر : كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٤١
وانظر : ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٣٨ و ١٣٩
(2) نفس المرجعين .
(3) طبع هذا الكتاب فى باريس سنة ١٨٨٠ ، بتصحيح هريونغ ورتبرغ (بالمطبع العامىّ الأشرف) .

فى كتاب الله ثُلْمَةً يسدّها من بعدهم ، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم »[1] .

ثم إنه لا يصعب تخريج النصب الذى يقرأ به الجمهور ، على المدح والتقدير ، أى : أمدح ، وأقدّر المقيمين الصلاة[2] .

يقول ابن جنّى فى « المحتسب » : « القطع — لكونه بتقدير الجملة — أبلغُ من الإتْباع لكونه مفردا »[3] .

وقالت الخورنق :

لا يَبْعَدنْ قومى الذين هم ... سُمُّ العُداة وآفة الجُزُر
النازلون بكل معترك ... والطيبين معاقد الأُزُر

فنصبت « الطيبين » على المدح ، فكأنها قالت : أعنى : الطيبين[4]

(ح) أما قراءة : « وَالصَّٰبِـُٔونَ » بالواو ، فكيف يُنسب إلى عائشة أنّها خطّأتها ، مع أنه لم يُنقل عنها أنها خطّأت من يقرأ بها ؟ ولم ينقل أنها كانت تقرأ بالياء دون الواو ؟[5] .

على أن النحويين يرون أنّ « والصَّٰبِـُٔونَ » رُفع على الابتداء ، وخبرُه محذوف ، والنّيّة به التأخيرُ عما فى حيّز « إنّ » ، من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إنّ الّذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا . . . والصابئون كذلك[6] . وقد أورد سيبويه شاهداً له : قولَ بشر بن أبى حازم :

وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم ... بغاة ما بقينا فى شقاق[7]

(1) البحر المحيط ج ٣ ص ٣٩٥ و ٣٩٦
(2) انظر : السيوطى : الإتقان ج ١ ص ١٨٤
(3) انظر : حمزة فتح الله : المواهب الفتحية ج ٢ ص ٨٢
(4) انظر : أبو البركات الأنبارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف ص ٢٧٦
(5) انظر : محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص ١٨٨
(6) انظر : الزمخشرى : الكشاف ج ١ ص ٣٥٤
(7) الكتاب ج ١ ص ٢٩٠

كأنه قال: بغاة ما بقينا وأنتم[1] .

(د) وأما عبارة: « إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » :ففيه أوجه ذكرها صاحب « الإتقان »[2] ، وغيره[3] :

(أحدها) أنه جائز، على لغة من يُجرى المثنّى بالألف، في أحواله الثلاث ، وهي لغة مشهورة لكنانة ، وقيل : لغة بلحارث بن كعب ، يقولون : مررت برجلان ، وقبضت درهمان ، وجلست بين يداه . ومنه قول الشاعر :

واهاً لسلمى ثم واهاً واهاً ... يا ليت عيناها لنا وفاها
وموضع الخلخال من رجلاها ... بثمن يرضى به أباها
إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا من المجد غايتاها

ومنه أيضاً قول الشاعر الآخر :

تزوّد منا بين أذناه ضربةً ... دعته إلى هابى التراب عقيم

(الثاني) أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوفا ، والجملة مبتدأ ، وخبر خبرُ « إن » .

(الثالث) أن اسم « إن » ضمير الشأن محذوفاً ، إلا أن « ساحران » خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : لهما ساحران .

(الرابع) أن « إن » ـ هنا ـ بمعنى : نعم

(1) انظر : عبد الفتاح إسماعيل شلبي : رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ص ١١٠
(2) جـ ١ ص ١٨٤
(3) انظر مثلا : ابن مطرف الكناني : القرطين جـ ٢ ص ١٠ و ١١

(الخامس) أن « ها » ضمير القصة اسم إن ، و« إن... لساحِرَانِ » مبتدأ وخبر[1] .

(السادس) أن الإتيان بالألف هو لمناسبة « ساحران يريدان » ، كما نوّن « سلاسلا » لمناسبة « أغلالا »[2] ، و« من سبأ » بمناسبة « بنبأ »[3] .

(هـ) وأبو عمرو الداني يستبعد على عائشة ـ في عظيم محلها ، وجليل قدرها، واتساع علمها ، ومعرفتها بلغة قومها ـ « أن تلحن الصحابة ، وتخطئ الكتبة ، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة موضعُهم الذي لا يُجهل ولا يُنكر »[4] . ويقول : « هذا ما لا يسوغ ولا يجوز »[5] .

ونحن نطمئن لهذا الرأي أيضا .

* * *

٤ ـ وقالوا إنه قيل لزيد : يا أبا سعيد ! أوهمت؟ إنما هي : ثمانية أزواج : من الضأن اثنين اثنين ، ومن المعز اثنين اثنين ، ومن الإبل اثنين اثنين ، ومن البقر اثنين اثنين[6] .

فقال ـ مؤيداً نصّ المصحف العثماني الذي أجمع عليه المسلمون ـ : « لأن الله تعالى يقول: « فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ »[7] ، فهما

(1) هذا الوجه مردود ، لأن « إن » منفصلة ، و « ها » متصلة في الرسم .
(2) اللفظان من الآية ٤ في سورة الإنسان
(3) اللفظان من الآية ٢٢ في سورة النمل
(4) المقنع ص ١١٩ (النسخة المطبوعة)
(5) نفس المرجع
(6) النص في المصحف : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ، ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ، قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، أم كنتم شهداء إذ وصّاكم الله بهذا . . . » (سورة الأنعام / ١٤٣ و ١٤٤)
(7) سورة القيامة / ٣٩

زوجان ، كل واحد منهما زوج : الذكر زوج ، والأنثى زوج»[١] .

وليس يصعب أن ندرك أن الزيادة التى تجاوزت نصّ الآيتين فى المصحف هى زيادة للشرح ، وربما قوّى هذا أن لفظ الزّوج يقع للواحد وللاثنين .

يقول القرطبى : فقوله : « ثمانية أزواج » يعنى : ثمانية أفراد ، وكلّ فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زَوْجاً ، فيقال للذّكر زَوْجٌ ، وللأنثى زوج . ويقع لفظ الزّوج للواحد وللاثنين ، يقال : هما زوجان ، وهما زوج ، كما يقال : هما سيّان ، وهما سواء ، وتقول : اشتريت زوجَىْ حمام ، وأنت تعنى : ذكرا وأنثى[٢] .

وكذلك يقول أبو حيان الأندلسى ، فى تفسيره : « والزوج ما كان مع آخر من جنسه ، وهما زوجان . قال : « وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنثَى »[٣] ، فإن كان وحده فهو فرد ، ويعنى باثنين : ذكراً وأنثى ، أى : كبشا ، ونعجة ، وتيساً ، وعنزا[٤] » .

وإذن ، فكلام زيد ـ آنفا ـ صحيح ، وهو أيضا : « بيان لوجه ما كتبه وقرأه سماعاً وأخذاً عن النبى ـ صلى الله عليه وسلّم ـ لا تصرّفاً وتشهّياً من تلقاء نفسه »[٥] .

* * *

٥ ـ وزعموا أن ابن عباس قرأ : « أفلم يتبيّن الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا » . فقيل : إنها فى المصحف : « أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ

(١) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥
(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٧ ص ١١٢
(٣) سورة النجم / ٤٥
(٤) البحر المحيط جـ ٤ ص ٢٣٩
(٥) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان ص ٣٨٩

ءامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً »[١] ، فأجاب ـ فيما ادّعت الرواية ـ : أظنّ الكاتب كتبها وهو ناعس[٢] .

وأورد الرازى أيضا فى (التفسير الكبير)[٣] ما نُسب إلى علىّ وابن عباس من أنهما كانا يقرآن : « أفلم يتبين الذين آمنوا . . . » وما يُعزى إلى ابن عباس من أنه قيل له : « أفلم ييأس » ، فقال : أظن أن الكاتب كتبها وهو ناعس ؛ إنه كان فى الخط « يأس » ، فزاد الكاتب سنّة واحدة ، فصار « ييأس » ، فقرئ : « ييأس » .

والتزييف فى هذه الرواية واضح :

فالعبرة فى تلقّى القرآن ، عند المسلمين ، منذ عهد النبى ، هى بالتلقين الشفوى أولا ، ولا عبرة بالكتابة وحدها ، حتى مع ما وُصِفَ به أصحابها من يقظة لم يعتورْها نعاس ، وحَذَرٍ لم تَشُبْه غفلة ، وتشدّد لم يكتنفه ترخّص .

والرازى نفسه ـ إذ ينقل هذه الرواية ـ يستبعدها ، ويقول : « وهذا القول بعيد جدا ، لأنه يقتضى كون القرآن محلاًّ للتحريف والتصحيف ، وذلك يخرجه عن كونه حجّة » .

أما الزمخشرى ، فيقول ـ فى أخْذٍ بالمنطق ، ومسايرة راشدة للعقيدة ـ :

« هذا ، ونحن مما لا يصدّق فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفّتَى الإمام ، وكان متقلّبا بين أيدى أولئك الأعلام المحتاطين فى دين الله المهتمّين به

(١) سورة الرعد ٣١
(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥
(٣) جـ ١٩ ص ٥٣

لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ، خصوصاً عن القانون الذى إليه المرجع ، والقاعدة التى عليها البناء ؟ هذا - والله - فرية ما فيها مرية »[١] .

وقال الفَرّاء : لا يتلى إلا كما أنزل : « أَفَلَمْ يَايْئَسِ »[٢]

ويقول أبو حيّان الأندلسىّ - والشواهد فى صفّه - :

وأما قول من قال : « إنما كتبه الكاتب وهو ناعس ، فسوّى أسنان السين » ، فقول زنديق ملحد[٣] .

* * *

٦ - ونُسِب إلى ابن عباس أيضا أنه كان يقول ، فى قوله تعالى : « وَقَضَى رَبُّكَ »[٤] : « إنما هى : ووصّى ربّك، التزقت الواو بالصّاد[٥] » .

وأخرجه ابن أشته بلفظ : « استمد الكاتب مداداً كثيراً ، فالتزقت الواو بالصّاد . . . الخ»[٦] .

وقيل إنها فى مصحف ابن مسعود : « ووصّى » ، وإنها هكذا عند علىّ ، وعند أبىّ بن كعب[٧] .

وعزوا أيضا إلى الضّحاك أنه قال : تصحّفت على قوم « وصّى » بـ « قضى »، حين اختلطت الواو بالصّاد ، وقت كُتِب المصحف[٨] .

وذكروا أن أبا حاتم كان يقول : إن عَلَىَّ قول ابن عباس لنوراً ،

(١) الكشاف جـ ١ ص ٤٠٩
(٢) نقلا عن : أبى حيان الأندلسى : البحر المحيط جـ ٥ ص ٣٩٣
(٣) نفس المرجع (٤) سورة الإسراء ، من الآية ٢٣
(٦) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٤
(٥) انظر نفس المرجع
(٧) انظر : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ ص ٢٣٧
(٨) المرجع السّابق

ولكنه عاد فقال : « لو قلنا هذا لطعن الزنادقة فى مصحفنا[١] » .

فأما الفخر الرازى ، فيقول محقّا : « واعلم أنّ هذا القول بعيد جدًّا ، لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرّق إلى القرآن . ولو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن ، وذلك يخرجه عن كونه حجّة ، ولا شكّ أنه طعن عظيم فى الدين[٢] » .

ويناقش « على القارى » هذه الدعوى وأمثالها مناقشة لاتنقصها الموضوعية — على حماسها — ، فيقول :

« كيف يصحّ تفريط الصّحابة الكرام فى ضبط القرآن العظيم ، وإهمالهم فى حفظ الفرقان الكريم ، حتى ينسوه ، فلا يعرفه إلا الواحد والاثنان من الأطراف ، وحتى لا يوجد إلا فى الأكتاف واللّخاف ؟ هذا ، مع شدّتهم فى طلب أمر الدين ، وبذلهم الأموال ، والأشباح ، والأرواح ، من مقام اليقين ؟ » .

ويورد « على القارى » نصوصاً ثابتة عن الصحابة تؤيد الاهتمام التام بتحقيق القرآن ، فى الصّدر الأول من الإسلام ، ويستنبط — فى شأن هذه الدعوى بالذات — أنها ظاهرة الفساد ، إذ يلزم منها أن تلك الآية لم يحفظها أحد حتى صُحِّفَت وقرئت : « وَقَضَى »[٣]

* * *

٧ — وروى عكرمة عن ابن عباس[٤] أنه كان يقرأ « ضياء » بغير واو فى قوله تعالى : « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً »[٥]

(١) نفس المرجع (٢) التفسير الكبير جـ ٢٠ ص ١٨٤
(٣) شرح العقيلة - المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية - الورقة ١٦
(٤) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٧٨
(٥) سورة الأنبياء / ٤٨

ويقول : خذوا هذه الواو ، واجعلوها ها هنا : (و) « ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ »(١)

وفي رواية : كان ابن عباس يقول : انزعوا هذه الواو ، فاجعلوها في : « ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ »(٢) .

وعندنا أنه يُسقط الروايتين الإختلافُ في أيّ الآيتين أراد ابن عباس نقل الواو إليها .

ثم إنه واضح أنّ « ضياء » – بغير واو – حال من الفرقان ، وأما الوارد في المصحف : فمعناه أن الفرقان — وهو هنا التوراة — أقرّ بها الله ضياء وذكرى للمتقين ، أي أنه – في نفسه – ضياء وذكرى(٣) .

* * *

٨ — وثمة رواية لا يسع من يُلقي إليها نظرة فاحصة إلا أن يرفضها . هذه الرواية هي أن أبا خلف مولى بني جُمَح دخل،مع عُبَيْد بن عُمَيْر، على عائشة ، فقال : جئتُ أسألكِ عن آية في كتاب اللهِ تعالى ، كيف كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرؤها ؟

قالت : أية آية ؟

قال : « والذين يأتون ما أتوا » أو « وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا »(٤)

(١) وهي في المصحف العثماني من غير واو (سورة آل عمران / ١٧٣) ، وانظر : السيوطي : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥ .

(٢) سورة غافر / ٧ ، وانظر : السيوطي : نفس المرجع

(٣) انظر : الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٧٨ والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١١ ص ٢٩٥

(٤) في المصحف العثماني : « وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا » (سورة المؤمنون / ٦٠)

قالت : أيهما أحبّ إليك ؟

قال : والذي نفسي بيده ،لأحدهما أحبّ من الدنيا جميعا .

قالت : أيّهما ؟

قال : الذين يأتون ما أتَوْا .

فقالت : أشهد أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذلك كان يقرؤها ، وكذلك أُنزلت ، ولكن الهجاء حُرّف(١) .

والاستخفاف بالتواتر في هذه الرواية واضح . وكأنما كانت عائشة – فيما يوحي به أسلوب هذه الرواية المنكرة – تبتغي فحسب مرضاة سائلها ، فأيّ القراءتين أحبُّ إليه هي قراءة النبي ، وغيرُها تحريف في الهجاء .

ثم إنّ أم المؤمنين المنسوب إليها هذا الطعن في هجاء المصحف ، بغير دليل ، ورد أنها سألت رسول الله ، فقالت : « وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ » :أهو الذي يزني ، ويشرب الخمر،ويسرق، وهو–على ذلك– يخاف الله تعالى ؟، فقال –عليه الصلاة والسلام – : لا ، يا ابنة الصديق ، ولكن هو الرجل : يصلّي،ويصوم ، ويتصدق ، وهو – على ذلك – يخاف الله تعالى(٢)

فهي – على خلاف ما في الرواية الأولى – تقرأ الآية على النحو الذي قرأ به المسلمون ، منذ عهد النّبوّة ، والذي أجمع عليه الصحابة ، فيما بعد، عند كتابة المصحف العثماني .

وقيل إن ابن عباس ، والنخعي قرآ : « والذين يأتون ما أتوا »

(١) السيوطي : الإتقان جـ ١ ص ١٨٤

(٢) الرازي : التفسير الكبير جـ ٢٣ ص ١٠٧ ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ١٣٢

مقصوراً من الإتيان ، وبرّر الفرّاء هذه القراءة ، فقال : « لو صحّت هذه القراءة ــ من عائشة ــ لم تخالف قراءة الجماعة ، لأن الهمز ــ من العرب ــ يلزم فيه الألف فى كل الحالات إذا كُتب ، فتكتب « سئل الرجل » بألف بعد السين ، و « يستهزئون » بألف بين الزاى والواو ، و « شيء » بألف بعد الياء . فغير مستنكر ــ فى مذهب هؤلاء ــ أن يكتب « يؤتون » بألف بعد الياء ، فيحتمل هذا اللفظ ــ بالبناء على هذا الخط ــ قراءتين : « يؤتون ما آتوا » و « يأتون ما أتوا » [1] .

وأظن أن الفرّاء تكلّف فى دفاعه ، وكان حسبه أن يرى ما فى الرواية من دلائل الوَهن ، وأن يعلم أن عائشة ــ فى حديثها مع الرسول ــ قرأت : « يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا » كما يقرؤها سائر المسلمين ، ومن ثمّ فالخلاف غير ذى موضوع .

* * *

٩ ــ وعن أُبىّ ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ــ فيما ادّعت بعض الروايات ــ أن قوله تعالى : « لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا » [2] أصلها : « حتى تستأذنوا » ، ولكن وقع خطأ أو وَهْم من الكاتب [3] .

والطبرى موفق إذ يعقّب على هذا بقوله : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره ، فإنّ مصاحف الإسلام كلّها قد ثبت فيها : « حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا » ، وصحّ الإجماع منها ، من لدن مدة عثمان ، فهى التى لا يجوز خلافها .

(١) القرطبى : المرجع السابق جـ ١٢ ص ١٣٢
(٢) سورة النور / ٢٧
(٣) الطبرى : جامع البيان جـ ٢ ص ٢١٣ و ٢١٤

وإطلاق الخطأ والوَهْم على الكاتب فى لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس ، وقد قال عزّ وجل : « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » [1] ، وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » [2]

وأورد الطبرى ــ بعد كلام ــ النص الآتى لابن عطيه : « ومما ينفى هذا القول عن ابن عباس وغيره : أنّ « تستأنسوا » متمكنة فى المعنى ، بيّنة الوجه فى كلام العرب . وقد قال عمر للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أستأنسُ يا رسولَ الله ؟ وعُمر واقف على باب الغرفة . . . (الحديث المشهور) ، وذلك يقتضى أنه طلب الأنس به ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكيف يخطّىء ابنُ عباس رسولَ الله فى مثل هذا ؟ » [3] .

ويكذّب القرطبى أيضا ذلك الإدّعاء ، فيقول : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وعن غيره ، فإنّ مصاحف الإسلام كلّها قد ثبت فيها : « حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا » ، وصحّ الإجماع منها ، من لدن عثمان ، فهى التى لا يجوز خلافها » [4] .

ولم يسع أبا حيان الأندلسىّ إلا أن يقول : « من روى عن ابن عباس أنه قال ذلك فهو طاعن فى الإسلام ، ملحدٌ فى الدّين . وابن عباس برىءٌ من هذا القول » [5] .

وعندى أنّ أقوى ما يُدحض هذه الرواية وأمثالها هو ما أشرتُ إليه

(١) سورة فصّلت / ٤٢
(٢) سورة الحِجْر / ٩
(٣) الطبرى : المرجع السّابق .
(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ٢١٤
(٥) البحر المحيط جـ ٦ ص ٤٤٥

قبلاً من أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب ، ولم تكن من الكتابة فى المقام الأول ، وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقى الشفوى المتواتر ، وهو خالٍ ـ هنا ـ من ذلك الإختلاف المزعوم .

* * *

١٠ — ونُسب إلى ابن عباس فى قوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوةٍ »(١) أنه قال : هى خطأ من الكاتب ، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة ، إنما هى : « مثل نور المؤمن كمشكاة »(٢) .

وقد أجاب ابن أشته عن هذا وأمثاله بأن المراد : هو أن الكتّاب « أخطأوا فى الاختيار وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة لا أنّ الذى كُتب خطأٌ خارج عن القرآن »(٣).

وعندنا : أن هذه إجابة متهافتة لا تكشف تماماً عن وجه الحق ، فالكتّاب لم يكتبوا إلاّ ما تواتر ، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية ، وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة ، وكان عملهم على ملأ من المسلمين ، فكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين .

ثم إنّ نسَق الآية لا يفيد أن المقصود بالتشبيه هو نور المؤمن ، ولا يسمح ـ حتى بحمل هذه الرواية على أنها فى التفسير لا فى القراءة ـ إلا بتكلّف شاقّ .

وإذن ، فالذى أذهب إليه هو أن تلك الرواية غير صحيحة أصلاً .

* * *

(١) سورة النور / ٣٥
(٢) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥
(٣) نفس المرجع

١١ — وادّعوا أنّ ابنَ مسعود وأبا الدرداء قرآ : « والذَّكَرَ والأنثى »(١) .

وقد قيل ـ فى هذا ـ إنه يجب الاعتقاد بأن مثل هذا كان قرآناً ثم نسخ ، ولم يعلم من خالف النسخَ ، فبقى على المنسوخ . يقول المازرى ، ونحن نؤيد قوله : « ولعلّ هذا وَقَع من بعضهم ، قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كلّ منسوخ ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان ، فلا يُظَنّ بأحدٍ منهم أنه خالف فيه »(٢) .

* * *

١٢ — ويُنسب إلى ابن مسعود أنه كان يحكّ المعوّذتين من مصاحفه ، وكان لا يقرأ بهما ، وكان يقول : إنهما ليستا من كتاب الله ، ويقول ـ فيما تنسب إليه رواية أخرى ـ : إنما أمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتعوّذ بهما(٣) .

ويكذّب النووى فى « شرح المهذب » هذه الرواية فيقول :

« أجمع المسلمون على أن المعوّذتين والفاتحة ، وسائر السّور المكتوبة فى المصحف قرآن ، وأنّ من جَحَد شيئاً منها كفر . وما نُقل عن ابن مسعود ـ فى الفاتحة والمعوّذتين ـ باطلٌ ، وليس بصحيح عنه »(٤) .

وينقل النووى عن المازرى قوله فى تعليل هذه الرواية ، فيما لو كانت صحيحة : « ويحتمل ما روى من إسقاط المعوّذتين من مصحف ابن مسعود أنه

(١) فى المصاحف العثمانية : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ » (سورة الليل / ٣)
(٢) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٠٨ — ١١٠
(٣) انظر : السيوطى : الإتقان جـ ١ ص ١٨٥
(٤) نفس المرجع ، وانظر : على القارى ، شرح الشفاء لعياض جـ ٢ ص ٥٥٢ (ط . تركيا سنة ١٣١٠ هـ)

اعتقد أنه لايلزمه كَتْب كلّ القرآن، وكَتَب ماسواها، وتَرَكَهُما لشهرتهما عنده، وعند الناس »(١) .

أما ابن حزم، فيقول: « هذا كذب على ابن مسعود، وموضوع. وإنما صحّ عنه قراءة عاصم، عن زرّ، عنه، وفيها المعوّذتان والفاتحة »(٢) .

ويقول الباقلانى، وحجته قاهرة: « إن ابن مسعود، لو كان قد أنكر المعوّذتين ـ على ما ادّعوا ـ :

(أ) لكانت الصحابة، تناظره على ذلك، وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا فى أقلّ من هذا.

(ب) وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟

(جـ) وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه فى المصحف، فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذّة المولّدة بالإجماع المتقرر والإتفاق المعروف؟

(د) ويجوز أن يكون الناقل أشبه عليه، لأنه خالف فى النظم والترتيب، فلم يثبتهما فى آخر القرآن، والإختلاف ـ بينهم ـ فى موضع الإثبات غير الكلام في الأصل »(٣) .

* * *

١٣ ـ ومن الروايات المرفوضة ما قيل من أنّ مصحف ابن مسعود تضمّن سورتين، بنصّ دعاء القنوت، هما: « الحَفْد » و « الخَلْع »، وأنه قرئ بهما، حتى فى الصلاة:

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٠٨ ـ ١١٠
(٢) انظر: السيوطى: الإتقان جـ ١ ص ٧٩
(٣) إعجاز القرآن ـ على هامش الإتقان للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٤ (بتعديل فى الشكل)

فقد أخرج الطبرانى عن أبى إسحق، قال: أمّنا أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك(١) .

وأخرج البيهقى، وأبو داود ـ فى المراسيل ـ عن خالد بن أبى عمران، أنّ جبريل نزل بذلك (يقصد: إنا نستعينك ونستغفرك) على النبى ـ صلى الله عليه وسلّم ـ وهو فى الصّلاة، مع قوله: « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ »(٢) .. الآية، لمّا قنت يدعو على مضر(٣).

وربّما كان الردّ على هذا كلّه هو ما ردّ به الباقلانى أيضا، عند كلامه عن أمور تتصل بالإعجاز، حيث قال ما نصّه ـ بعد تعديل بسيط ـ :

١ ـ أنه لا يجوز أن يخفى على العرب القرآنُ من غيره، وهم الذين نزل القرآن فيهم، وبلغتهم.

٢ ـ ثم إن عدد السّور ـ عندهم ـ محفوظ مضبوط، فالزيادة أو النقصان فيه مكشوفٌ لافت.

٣ ـ وربما كان ابن مسعود قد كتب القنوت فى مصحفه، لا لأنّه قرآن، وإنما ليكون الكلّ محفوظاً فى مجموعة واحدة.

٤ ـ والرواية المردود عليها مرويّة بخبر الواحد، فلا يمكن التعويل عليها، أو السكون إلى مثلها.

٥ ـ ويجوز أن يكون ابن مسعود كتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت

(١) السيوطى: الاتقان جـ ١ ص ٦٥
(٢) سورة آل عمران / ١٢٨
(٣) السيوطى: المرجع السابق

لئلا ينساه ، كما يكتب الواحد منا بعض الأدعية على ظهر مصحفه .

٦ — ولو كان الأمر أمر حروف معدودة يقع فيها الغلط أو النّسيان لجاز أن يكون شيئا عاديًا يقع مثله للحفّاظ ، أمّا أن يكون الغلط فى سورتين فهو ما لا يمكن تجويزه لأنه غير طبيعى[1] .

* * *

فكّرتُ فى هذه الإختلافات المزعومة ، فبدا لى أن تسجيل المصحف العثمانى الذى أجمع عليه المسلمون تسجيلاً صوتيا هو خير ما يعاضد هذا المصحف ، فضلا عن أنه سيكون ردًّا عمليًا على دعاة تلك الإختلافات المثيرة الضّارة : يبدّد أوهامهم ، ويصحّح أغلاطهم ، ويوهن رواياتهم ، ويجعلها عديمة الجدوى ، ويحمى من أذاها العقول والقلوب .

— ٤ —

ودعا إلى تفكيرى فى هذا التسجيل أمرٌ منكر آخر ، فقد نُسب إلى عكرمة أنه قال : لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان ، فوجد فيها حروفا من اللحن ، فقال : لا تغيّروها ، فإن العرب ستغيّرها ، أو قال : ستعربها بألسنتها ، لو كان الكاتب من ثقيف ، والملى من هُذَيل لم توجد هذه الحروف[2] .

وكان طبيعيًّا أن يتمسّك الملحدون الطاعنون فى القرآن ودين الإسلام برواية كهذه ، ومن الأمثلة لهذا فى عصرنا هذا أن طاعنًا على القرآن[3] جعل

---

(١) إعجاز القرآن — على هامش الاتقان للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٣ و ١٩٤

(٢) السيوطى : الاتقان جـ ١ ص ١٨٣

(٣) يسمّى نفسه الأستاذ الحداد، وقد ملأ بالطعن على القرآن كتابا من جزئين اسمه : « القرآن والكتاب » ، وهو مطبوع فى بيروت

هذه الرواية ضمن حججه المنقوضة فى الإدّعاء بأن القرآن بُدّل ، وفى السخرية من معجزة حفظ القرآن .

وأدعى للأسف أن تفلت هذه الرواية إلى معتقد رجل مسلم ، فيبنى عليها رأيا[1] ، كأنها صحيحة ، وكان الخيرُ لو محّصها .

* * *

ويقول السيوطى ، فى مثل هذه الرواية : « وهذه الآثارات مشكلة جدًّا » ، وكان الأولى — بالسيوطى — أن يقول إنها — من وجهة النظر الإسلامية — منكرة جدًّا . على أنه ، كما يقول هو[2] :

١ — كيف يُظَنّ بالصحابة أنهم يلحنون فى الكلام، فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللُّدّ ؟

٢ — ثم كيف يُظَنّ بهم فى القرآن الذى تلقّوه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — كما أُنزل ، وحفظوه ، وضبطوه ، وأتقنوه ؟

٣ — ثم كيف يُظَنّ بهم اجتماعُهم كلّهم على الخطأ وكتابته ؟

٤ — ثم كيف يُظَنّ بهم عدم تنبّههم ورجوعهم عنه ؟

٥ — ثم كيف يظَنّ بعثمان أنه ينهى عن تغييره ؟

٦ — ثم كيف يظَنّ أن القراءة استمرّت ، على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروىّ بالتواتر خلفا عن سلف ؟ .

ويمضى السيوطى ، فيقول محقًّا : هذا مما يستحيل عقلاً وشرعًا وعادةً[3]

---

(١) ابن الخطيب : الفرقان ص ٩٠

(٢) السيوطى : الاتقان جـ ١ ص ١٨٣ (بتصرف يسيط)

(٣) نفس المرجع

ويسوق ــ بعد هذا ــ أجوبةً ثلاثةً للعلماء ، فى هذا الشأن :

(أحدها) أن ذلك لا يصح عن عثمان :

(ا) فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع(١) .

(ب) ولأنّ عثمان جعل للناس إماما يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ؟

فإذا كان الذين تولّوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك، وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ؟

(ج) وأيضا ، فإنه لم يكتب مصحفا واحداً ، بل كتب عدة مصاحف. فإن قيل إن اللحن وقع فى (جميعها) ، فبعيدٌ اتفاقهم على ذلك ؛ أو (بعضها) فهو اعتراف بصحة البعض .

ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان فى مصحف دون مصحف. ولم تأت المصاحف قط مختلفةً إلا فيما هو من وجوه القراءة ، وليس ذلك بلحن .

(الثانى) أن ذلك ــ على تقدير صحة الرّواية ــ محمول على الرمز والإشارة ، ومواضع الحذف ، نحو : « الـكـتٰب » و « الصّٰبرين » وما أشبه ذلك(٢) .

(الثالث) أنه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها ، كما كتبوا : لا أوضعوا ــ لا أذبحنّه (بألف بعد لا) ــ جزٰؤا الظالمين (بواو وألف) ــ بأييد (بياءين) . فلو قرىء ذلك بظاهر الخط لـكان لحنا(٣) .

* * *

(١) يقول أبو عمرو الدانى إن هذا الحديث مرسل ، لأن ابن يعمر وعكرمة ــ المنسوبة إليهما الرواية ــ لم يسمعا من عثمان شيئا ، ولا رأياه (المقنع ص ١١٥ ــ النسخة المطبوعة)

(٢) السيوطى : المرجع السابق (٣) نفس المرجع

وَوَجْه هذا ، عند أبى عمرو الدانى ، أنه لو تلا تالٍ مثل هذه الـكلمات ــ على غير معرفة بحقيقة الرسم ــ « لصيّر الإيجاب نفياً ، ولزاد فى اللفظ ما ليس منه ولا من أصله » .

ويبنى الدانى ، على هذا ، أن عثمان قصد « أن من فاته تمييز ذلك ، وعَزَبَتْ معرفته عنه ، ممن يأتى بعده ، سيأخذ ذلك عن العرب ، إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم ، فيعرّفونه بحقيقة تلاوته ، ويدلّونه على صواب رسمه »(١) .

* * *

ويفنّد ابن الأنبارى أيضاً الأقوال التى عُزيت إلى عثمان ، فيحسن التفنيد ، يقول :

(ا) إنه لا تقوم بها حجّة ، لأنها منقطعة غير متصلة .

(ب) وما يشهد عقل بأن عثمان ــ وهو إمام الأمة الذى هو إمام الناس فى زمنه وقدوتهم ــ يجمعهم على المصحف الذى هو الإمام ، فيتبيّن فيه خللاً ، ويشاهد فى خطه زللا ، فلا يصلحه . كلا ، والله ! ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز .

(ج) ولا يُعتقد أنه أخّر الخطأ فى الـكتاب ليصلحه مَنْ بعده ، وسبيل الجائين بعده : البناء على رسمه ، والوقوف عند حكمه .

(د) ومن زعم أن عثمان أراد بقوله : « أرى فيه لحناً » : أرى فى خطّه لحناً إذا أقمناه بألسنتنا . . . كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف ــ من جهة تحريف الألفاظ ، وإفساد الإعراب ــ فقد أبطل ولم يصب ، لأن الخطّ ينبىء عن النطق ، فمن لَحَن فى كَتْبه فهو لاحنٌ فى نُطْقه .

ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً فى هجاء ألفاظ القرآن من جهة كَتْب

(١) المقنع ص ١١٦ (النسخة المطبوعة)

ولا تُعلَّق. ومعلوم أنه كان مواصلا لدرس القرآن، متقنا لألفاظه، واقفا على ما رُسم في المصاحف المُنفَذة إلى الأمصار والنواحي[1].

* * *

ويقول عبد الله بن هانىء مولى عثمان ـ وهو ما يتأيد به قول المدافعين عن عثمان:

كنتُ — عند عثمان — وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى ابن كعب، فيها: «لم يتسنّ»، وفيها: «لا تبديل للخلق»، وفيها، «فأمهل الكافرين».

قال: فدعا بالدواة، فمحا أحد اللامين، فكتب: «لِخَلْقِ اللهِ»[2] وكتب: «فَمَهِّل»[3]، وكتب: «لَمْ يَتَسَنَّهْ»[4]، ألحق فيها الهاء.

قال ابن الأنباري: «فكيف يُدَّعى عليه أنه رأى فسادا فأمضاه، وهو يُوقَف على ما كُتب، ويُرفَع إليه الخلافُ الواقعُ من الناسخين، ليحكم بالحقّ، ويُلزِمَهم إثبات الصواب وتخليده؟[5].»

* * *

ويروى القلقشندي أن تلك الرواية لا تجوز، فقد أجمع الصحابة على أنّ ما بين دفّتي المصحف قرآن، ومحالٌ أن يجتمعوا على لحن.

وهو يذكر أن هذه الرواية حُملت على أن المصاحف التي كُتبت — في زمن عثمان — كُتبت «بقلم جليل مبسوط، فربّما وقع — في بعض الأماكن — اللفظة، فيقطعها في آخر السطر، ويجعل باقيها في السطر الثاني.»

ثم يقول القلقشندي: على أن هذه الرواية غير مشهورة عن عثمان كما أشار إلى ذلك الشاطبي بقوله في الرائية:

(١) السيوطي: نفس المرجع.
(٢) سورة الروم / من الآية ٣٠
(٣) سورة الطارق / من الآية ١٧
(٤) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩
(٥) السيوطي: المرجع السابق

ومن روى: ستقيم العرب ألسنها لحنا به قولَ عثمان فما شُهرا[1]

* * *

والألوسي يقول:

«وأما قول عثمان إن في القرآن لحنا.. الخ فهو مشكل جدًّا:

إذ كيف يُظن بالصحابة ـ أولا ـ اللحنُ في الكلام فضلا عن القرآن، وهُمْ هُمْ؟

ثم كيف يُظن بهم ـ ثانيا ـ اجتماعهم على الخطأ وكتابته؟

ثم كيف يُظنّ بهم ـ ثالثا ـ عدم التنبه والرجوع؟

ثم كيف يُظنّ بعثمان عدم تغييره؟

وكيف يتركه لتقيمه العرب؟

وإذا كان الذين تولّوا جمعه لم يقيموه، وهم الخيار، فكيف يقيمه غيرهم؟

فلعمري إن هذا يستحيل عقلا وشرعا وعادة، فالحقّ أن ذلك لا يصحّ عن عثمان، والخبر ضعيف مضطرب منقطع. وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة نقلها»[2].

* * *

وثمة تأويل قد يكون مقبولاً للعبارة المنسوبة إلى عكرمة وسعيد بن جبير ـ على فرض صحتها ـ هو أنهما كانا يريدان ـ بكلمة «لحن» ـ القراءةَ واللغةَ.

«والمعنى: أن في القرآن ورسم المصحف وجهاً في القراءة لا تلين به ألسنة العرب جميعا، ولكنها لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعا بالمران، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه»[3].

وهذا قريب مما قدمه — آنفا — ابن الأنباري.

* * *

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨
(٢) روح المعاني ج ١ ص ٢٩
(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان ص ٣٨١.

وعندنا أنه أقرب من كل هذا وأصوب : أن ننفي الرواية عن عثمان أصلاً ، محتجّين بما أسلفنا .

والمهم أن تسجيل المصحف العثماني – كما هو – تسجيلاً صوتيا يعاضده : هو دحض عملي لهذه الرواية الضعيفة المضطربة بل المستحيلة – كما قال السيوطي والألوسي – « عقلا وشرعاً وعادة » ، والتي تحمل مع ذلك شراً كثيراً .

— ٥ —

وكان أيضا من دواعي تفكيري في التسجيل الصوتي لمصحف عثمان الذي عليه المسلمون ما قيل من أن مصحفنا من مصاحف عثمان أحقّ من مصحف . نسبوا إلى إبراهيم النخعي أنه قال :

قال لي رجل من أهل الشام : مصحفنا ومصحف أهل البصرة أضبط من مصحف أهل الكوفة .

قلت : لم ؟

قال : لأن عثمان بعث إلى الكوفة — لما بلغه من اختلافهم — بمصحف قبل أن يُعرض ، وبقي مصحفنا ومصحف أهل البصرة حتى عُرضا(١) .

وهذه الرواية متهافتة . ويُعْوِزُها ما يثبتها ، فضلا عن مناقضتها لما أجمع عليه المسلمون من أن مصاحف عثمان يطابق بعضها بعضاً تمام المطابقة إلا في كلمات معدودة نصّ عليها علماء القرآن ، وهي الكلمات التي تتضمن قراءتين أو أكثر ، والتي لم تُنسخ في العرضة الأخيرة ، والتي لا يحملها تجريدها من علامات الضبط محتملة لما ورد فيها من القراءات ، فقد رسمت هذه

(١) انظر : ابن أبي داود : المصاحف ج ٢ ص ٣٥ ، وابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٧ .

الكلمات ، في بعض المصاحف ، برسم يدل على قراءة ، وفي بعضها ، برسم آخر يدُلّ على القراءة الأخرى . وقد أسلفنا بيان هذا في حديثنا عن الجمع العثماني .

على أن ذلك الردّ – مع قوّته – لا يصحّ أن يصرف عن فكرة التسجيل الصوتي لمصحف عثمان ، فقد وَجدت تلك الرواية نوعاً من الحياة في بعض الكُتُب ، ولا يبعد أن تجد لها – يوماً – ساذجاً يُصدّقها ، أو ماكراً يتكلف تصديقها .

— ٦ —

وكذلك من دواعي معاضدة الجمع العثماني بجمع صوتي : ما نُسب إلى عليّ ابن أبي طالب ، من أنه قال : رأيت كتاب الله يُزاد فيه .

عن عكرمة – فيما ذَكَرَتْ إحدى الروايات – قال :

لما كان ، بعد بيعة أبي بكر ، قَعَدَ عليٌّ بن أبي طالب في بيته .

فقيل لأبي بكر : قد كره بيعتك !

فأرسَلَ إليه ، فقال : أكَرِهتَ بيعتي ؟

قال : لا ، والله !

قال : ما أقعدك عني ؟

قال : رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه ، فحدّثتُ نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاةٍ ، حتى أجمعه .

قال له أبو بكر : فإنك نعم ما رأيت !(١)

وقد أسلفنا القول في مناقشة هذه الرواية عند حديثنا عن جمع أبي بكر . ونضيف أنّ الجمعين : البكري والعثماني تاليان – في تاريخهما – لبيعة أبي بكر . فالزيادة المزعوم أن عليّا رآها لقيت – لو كانت وَقَعَتْ – ما منعها منعاً .

— ٧ —

وأفدح في محاولة إيقاع الشك في صحة الجمع العثماني الذي أجمعت عليه

(١) انظر : السيوطي : الإتقان ج ١ ص ٥٧ و ٥٨

الأمة ، وأبعث على التفكير فى جمع صوتىّ يعاضده : ما زعمه بعضهم من أن عثمان، بل أبا بكر وعمر أيضا، حرّفوا القرآن، وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره :

(ا) زعموا أن القرآن الذى جاء به جبريل سبعة عشر ألف آية ، مع أن المشهور أنه ستة آلاف وستمائة وست عشرة آية(١) .

(ب) وأنه كان فى « لم يكن »(٢) اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم(٣).

(جـ) وأن « أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ »(٤) ليس كلام الله ، بل محرّف عن موضعه ، والمنزّل — بزعمهم — : أئمة هى أزكى من أئمتكم(٥).

(د) وأن سورة اسمها سورة « الولاية » أُسقطت بتمامها(٦) .

(هـ) وأن سورة « الأحزاب » كانت مثل سورة « الأنعام » ، فأسقطوا منها فضائل أهل البيت(٧).

(و) وأنهم(٨) أسقطوا لفظ « ويلك » من قبل « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »(٩)

(ز) وأنهم أسقطوا(١٠) عبارة: « عن ولاية على » من بعد « وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ »(١١)

(١) انظر : الألوسى : روح المعانى جـ ١ ص ٢٣
(٢) يعنى سورة البيّنة
(٣) الألوسى : المرجع نفسه
(٤) سورة النحل / ٩٢
(٥) انظر : الألوسى : المرجع نفسه
(٦) نفس المرجع
(٧) نفس المرجع
(٨) نفس المرجع
(٩) سورة التوبة / ٤٠
(١٠) الألوسى : نفس المرجع
(١١) سورة الصافات / ٢٤

(ح) وأنهم أسقطوا(١) عبارة : « وبعلىّ بن أبى طالب » من بعد : « وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ »(٢) .

(ط) وعبارة « وآل محمد » من بعد « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ »(٣)

(ى) وأنه كانت فى مصحف عائشة بعد « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »(٤) « وعلى الذين يصلون الصفوف الأول »(٥).

(ك) وأن النبي قال لأُبىّ : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ، رسول من الله يتلو صحفا مطهرة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءتهم البينة . إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية . ومن يفعل ذلك فلن يكفره » . وفى رواية : « ومن يفعل صالحا فلن يكفره . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية . ما كان الناس إلا أمة واحدة ، ثم أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرون الناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده . أولئك عند الله خير البريّة . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن

(١) الألوسى : نفس المرجع
(٢) سورة الأحزاب / ٢٥
(٣) سورة الشعراء / ١٢٧
(٤) سورة الأحزاب / ٥٦
(٥) الألوسى : روح المعانى ص ٢٤

خشى ربَّه » . وفى رواية الحاكم : فقرأ فيها : « ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأُعطِيَه يسأل ثانيا فأعطيه يسأل ثالثا . ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب[1] . »

(ل) وأنه كان فى سورة الواقعة — فى مصحف الربيع بن خيثم من قراء الكوفة[2] — القراءة المفتراة، والمنسوبة إلى ابن مسعود، وأبىّ . «والسابقون بالإيمان بالنبي عليه السلام ، فهم علىّ وذريته الذين اصطفاهم الله من أصحابه ، وجعلهم الموالى على غيرهم ، أولئك الفائزون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ».[3]

ومنسوب إلى ابن مسعود أنه كان فى مصحفه — فى سورة المدثر — ، بعد « نَذِيرًا لِلْبَشَرِ »[4] : « نبيّنا وعليّنا هما خير البشر ، فمن شاء منهما أن يتقدم أو يتأخر »[5]

* * *

ولعلّه واضح جدا أن هذه دعاوى باطلة ضعيفة التأليف اختلق أغلبها غلاة الشّيعة .

وما كان إسقاط شىء من القرآن ليقع من مسلم ، فضلا عن أن يقع من ثلاثة هم من أشدّ المسلمين إيمانًا ، وأغيرهم على القرآن ، وأحفظهم له .

والتغيير فى القرآن هو — عند الإسلام — جريمة تُخْرِج منه فاعلَها ، فكيف يُقدم عليها هؤلاء الثلاثة ، وهم — من الإسلام — ماهم ؟

(١) نفس المرجع
(٢) أورده : ابن الجزرى ضمن من اشتهروا بالقراءة فى الأمصار (أنظر : النشر ج١ ص٨)
(٣) Jeffery : Materials for the History of the Text of the Quran. P. 306
(٤) الآية ٣٦ (٥) OP. Cit.P.353

والثابت أن المسلمين — فى جميع أيامهم — أَوْلوا القرآن أصدق عناية، وأشد ضبط ، فكيف سكتوا عن هذا الإسقاط ؟

ولقد حفلت أقوال العلماء والمفسرين — شيعةً وسنّيّين قُدامى ومحدثين — بالرُّدود الحاسمة على كل هذه الدعاوى ، فضلا عن أنّ المسلمين — على مدى القرون — كتبوا ألوف الألوف من المصاحف ، وزوّدوا بها المساجد، ودور العلم، فى مختلف البقاع ، فلم يُذكر أنّ مصحفا منها زاد أو نقص عن المصحف الذى أجمع عليه المسلمون[1] .

(١) من الأمثلة التى يمكن أن نسوقها تأييداً لهذا :

(ا) فى سنة ٣٨١ هـ ، أسّس أبو نصر سابور بن أردشير وزير بنى بويه داراً للعلم، فى الكرخ غربى بغداد ، كان بها مائة نسخة من القرآن، بأيدى أحسن النساخ (متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع — ترجمة محمد توفيق أبو ريده ص ٣١١ — الطبعة الثالثة)

(ب) وفى سنة ٤٠٣ هـ أُنزل فى مصر من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا من ختمات وربعات ، منها ما هو مكتوب كلّه بالذهب ، ومكّن الناس من القراءة فيها (تاريخ المسبّحى ، نقلا عن : على مبارك : الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٥ — ط ١٣٠٥ هـ)

(جـ) وأنزل الحاكم بأمر الله الفاطمى ، إلى جامع ابن طولون ، ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا، للقراءة فيها (على مبارك : المرجع السابق ص ٤٧) ، وجعل الحاكم فى مسجده عدة متصدّرين لتلقين القرآن الكريم (نفس المرجع ص ٨١)

(د) ولما تكامل بناء المدرسة المستنصرية نقل إليها كثير من الربعات الشريفة. (ابن الفوطى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السّابعة ص ٥٤ ط . بغداد سنة ١٣٥١ هـ)

(هـ) وكتب شخص واحد هو والد أسامة بن منقذ ثلاثة وأربعين مصحفا (أسامة ابن منقذ : كتاب الاعتبار جـ ١ ص ٥٣)

(و) ولا تزال الآن فى مكتبات العالم العامة والخاصة مصاحف خطية تعد بالألوف ، وكلها مطابقة للمصحف الذى بين أيدى الناس .

— ٨ —

ويلحق بهذا الباب من المطاعن الباطلة، والموجبة — فرأينا — لجمع المصحف العثماني جمعاً صوتياً يعاضده : ما يقوله بعض الخوارج من أن سورة يوسف ليست من القرآن ، وإنما هي قصة من القصص ، ومن أدخلها — في القرآن — فقد زاد فيه ما ليس منه[1] .

وهو قول يرده ما هو واضح لكل ذي بصر بالقرآن، وكل متذوق له من أن هذه السورة هي كباقي القرآن لغةً ، وأسلوباً، ومقاصدَ ، وهي كباقي القرآن أيضا تتحدى البلغاء أن يأتوا بمثلها فلا يستطيعون .

* * *

وكذلك، من المطاعن الموجبة — فرأينا — للجمع الصوتي: ما ادعاه بعض الغلاة من المنتسبين إلى الشيعة من أن علياً جَمَعَ القرآن ، فكان فيه ما سموه : « فضائح المهاجرين والأنصار » ، وأن عمر طلب إلى زيد بن ثابت أن يُسقط من القرآن هذه الفضائح ، وأن عمر لما استُخْلِفَ « سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن ،فيحرفوه فيما بينهم »[2] فأبى عليّ ، وقال: « إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من وُلْدى »[3] . وقد سأله عمر : فهل وقت لإظهاره معلوم ؟ فأجاب عليّ : « إذا قام القائم من وُلْدى يظهره ، ويحمل الناس عليه ، فتجرى ألسنة به »[4]

والبطلان هنا صارخ على نحو يكاد يكفينا مؤنة الرّدّ :

(أ) فالقرآن عاتب النبيَّ نفسه غير مرّة، ولم يُخْفِ في كلامه عن بعض الأنبياء

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٢٣

(٢) الكاشانى : الصافى ص ١٠

(٣) نفس المرجع (٤) نفس المرجع

الآخرين أيضا — ما لم يحمده لهم . وقد بقى هذا فيه يحفظه المسلمون أبد الدهر ، فهل المهاجرون والأنصار أعزّ على المسلمين من الأنبياء، فضلا عن النبي محمد الذى أحبوه أشدّ الحبّ ، واقتدوه أخلص الإقتداء ؟

(ب) وأشياء نزل بها الوحى ، وبلّغها النبي ، كيف لم يحفظها من المسلمين جميعهم غير علىّ ؟ أيكون النبي قد اقتصر فى إبلاغ بعض الوحى على علىّ وحده ؟ ولكن ، كيف ؟ والنبي مُرْسَلٌ للناس كافة ، وقد أدّى الأمانة ، وبلّغ الرسالة، فيما يؤمن به كل المسلمين ، وليس من الأمانة أبداً أن يحبس عن الناس ما نزل به الوحى ، ويُؤْثِر به شخصاً واحداً ؟

وكيف غابت هذه الأشياء حتى عن أقرب الصحابة إلى الرسول من مثل أبى بكر صديقه الأول ، وأولِ من آمن به من الرجال ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، والذى ضحّى ما ضحّى فى سبيل الرسول ، وفى سبيل دعوته ، والذى زوّجه ابنته ، والذى اختاره النبي ليؤم — مكانه — المسلمين فى الصلاة ، فاعتبروا ذلك إشارة إلى أحقّيته بالخلافة بعده ؟

كيف غابت حتى عن أبى بكر ، وهو الذى كان النبي يقول فيه : إنّ من أمَنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنتُ متخذاً خليلاً من أمتى لاتخذت أبا بكر خليلا[1] ؟

كيف غاب شىء من القرآن حتى عن أبى بكر ، فلم يعرفه إلا من المصحف المزعوم حين خرجت بالصُّدفة « فضائح القوم » ، فى أول صفحة فتحها ؟

كيف ، وهؤلاء القوم هم أتباع النبي ، وجنوده ، وأحبابه ، يعايشهم ويعايشونه فى مجتمع لم تكن امتدت أطرافه ؟

(١) انظر : البغوى الفراء : مصابيح السنة ج ٢ ص ١٩٤

(ح) وهذه الرواية — تَنْسب إلى عمر أنه رفض قرآنا ، وزوّر ما دُعِى قرآنا — ترمى عمر بالكفر الصريح ، وهو ما تنقضه سيرة عمر الذى كان سماعه القرآن سبب دخوله المفاجىء فى الإسلام .

(ى) وتوقيت ظهور القرآن بالشكل المزعوم « إذا قام القائم من وُلْد علىّ » قول فيه الغلوّ فى التشيع على أوضح نحو .

ولماذا لم يظهر القرآن على يد علىّ نفسه حين تولى الخلافة ؟

وهل كان ضروريا أن يدع التزوير قائما ، ريثما يظهر فى المستقبل المجهول حاكم من ولده ؟

وإذا لم يبادر علىّ — في خلافته — إلى تصحيح خطأ رآه هو نفسه فى كتاب الإسلام ، فأىّ شىء كان أحق عنده بالمبادرة[1] ؟

ثم لماذا لم يقرئ علىٌّ أهل بيته بالشكل المزعوم ، وهو على ذلك — لو شاء — قدير ؟

(هـ) و « الفضائح » المزعومة ليست عند غلاة الشيعة — فى ذلك الوقت — غير تقديم أبى بكر للخلافة من دون علىّ . وما ينبغى — من أجل اختلاف الموازين فى السياسة — التهور إلى ادعاءات هائلة كتلك .

(و) على أن هؤلاء — فيما يرى علماء المسلمين — قد خرجوا بما قالوا من الإسلام . ويصفهم ابن حزم بأنهم « طوائف » :

أشدّهم غلوّا : يقولون بالٓهيّة علىّ بن أبى طالب ، والٓهية جماعة معه .

وأقلهم غلوّا : يقولون إنّ الشمس ردّت على علىّ بن أبى طالب مرتين .

(١) انظر : على القارى : شرح العقيلة الورقة ٦ من المخطوطة ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

فقوم هذا أقل مراتبهم فى الكذب، أيُستبشَعُ منهم كذبٌ يأتون به ؟ ... إلى أن يقول : « وكل دعوى بلا برهان فليس يَستدِلُّ بها عاقل ، سواء كانت له ، أو عليه »[1] .

(ز) وعندى أن نسبة هذه المزاعم إلى الشيعة ـ بعامة ـ هو قول تنقصه الدقة، فضلا عن الصحة . فهذه طائفة من علماء الشيعة يبرأون من هذه المزاعم ، ويشاركون إخوانهم أهل السُّنّة الاعتقاد بأن القرآن الذى بين أيدى المسلمين هو هو القرآن الذى أنزله الله على محمد ، لم يزد عن هذا شيئا ، ولم ينقص شيئاً ، ولم يعتره أى تغيير .

١ — قال الشريف المرتضى فى : « جواب المسائل الطرابلسيات » ، فيما حكاه عنه صاحب « مجمع البيان » ، وهو شيعى هو الآخر :

« إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث العظام، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب ، فإن العناية اشتدت ، والدواعى توفرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى حدّ لم تبلغه فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية . وعلماء المسلمين قد بلغوا ـ فى حفظه وحمايته ـ الغاية ، حتى عرفوا كل شىء اختُلف فيه ، من إعرابه ، وقراءاته ، وحروفه، وآياته . فكيف يجوز أن يكون مغيّرا أو منقوصا ، مع العناية الصادقة والضبط الشديد » ؟ . .

وقال : « إنّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه ، فى صحة نقله ، كالعلم بجملته ، وجرى ذلك مجرى ما عُلم ضرورةً من الكتب المصنّفة ككتاب سيبويه والمزنى ، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها مايعلمون من جملتها ،

(١) الفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ٧٨

حتى لو أن مُدْخِلًا أدخل بابا من النحو فى كتاب سيبويه، أو من غيره، فى كتاب المزنى ، لعُرِف، ومُيِّز، وعُلِم أنه ملحق .

ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أكثر من العناية بكتاب سيبويه ودواوين الشعراء »[1] .

* * *

وقال أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥ — ٤٦٠ هـ)[2]

«وأما الكلام فى زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضا .

لأن الزيادة : فيه مجمع على بطلانها .

والنقصان فيه : فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا .. الخ » .

* * *

وقال أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى فى مقدمة تفسيره : «مجمع البيان لعلوم القرآن »[3] :

« أما الزيادة فى القرآن: فمجمع على بطلانها

وأما النقصان : فروى جماعة من أصحابنا ، وقوم من حشوية العامة أن فى القرآن نقصانا . والصحيح – من مذهب أصحابنا – خلافه ، وهو الذى نصره المرتضى » .

* *

وقال بهاء الدين محمد بن الحسين العاملى :[4]

« الصحيح أن القرآن محفوظ عن ذلك (أى عن التحريف) زيادة كان أو نقصانا ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « وإنّا له لحافظون »[5]

* * *

(١) انظر : محسن الأمين : نقض الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الدين فاطمة التركستانى ص ١٩٦ و ١٩٧ .
(٢) التبيان فى تفسير القرآن جـ ١ ص ٣
(٣) انظر : محسن الأمين : الكتاب السابق ص ١٩٨
(٤) الكتاب السابق. (٥) سورة الحجر من الآية ٩

ويقول محسن حكيم الطباطبائى :[1]

« إن سلف المسلمين كافة ، وعلماء الإسلام عامة — منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا — يرون أن القرآن — فى ترتيب سوره وآياته — هو كما بين أيدينا ، ولم يعتقد أحد من السلف فى التحريف » .

* * *

ويقول أبو القاسم موسوى خوجا :[2]

« إن أىّ حديث — حول أىّ تحريف فى القرآن — لا يعدو أن يكون خرافة ، فإنّ القرآن الكريم لم يعتره قط أى تغيير من أىّ نوع » .

* * *

ويقول هادى الحسينى الميلانى[3] :

« لم يطرأ على القرآن — بأىّ شكل — أى اختلاف فى الترتيب، أو أى حذف، أو أية إضافة . وكلّ جدال — حول التحريف — هو زائف ، وصفر من الحقيقة .

إن القرآن هو المعجزة الأبدية للنبى الكريم ، وقد أخذ الله — سبحانه — على نفسه « جَمْعَه وقرآنه » ، وقال : « وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ[4] » ، وقال عنه : « لَا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ[5] »

ويقول :

« القرآن الكريم مصون من التحريف ، لم تتطرق إليه يد الباطل بوجه من الوجوه ، وذلك معتقدنا »[6].

* * *

(١) S. V. Mir Ahmed Ali : A preface to The Translation of The Holy Quran . P . 95 A .
(٢) Ibid , P . 61 A .
(٣) Ibid , P . 63 A .
(٤) سورة الحجر/٩
(٥) سورة فصلت/٤٢
(٦) Op. Cit.P. 4 A .

وقال محمد بن بابويه القمى المعروف بالصدوق :(١)

« إن عقيدتنا — يقينا — هى أن القرآن الذى أنزله الله على النبى محمد صلى الله عليه وسلم — هو ما بين دفتى المصحف ، وهو ما بين أيدى الناس ، ولا شىء غير هذا » .

ويقول أيضا :

« فإذا عزا امرؤ إلينا — نحن الشيعة — غيرَ هذا فهو كاذب » .

— ٩ —

وقيل إن ترتيب السور والآى اختلف ، فى مصاحف الصحابة ، عما هو فى مصحف عثمان، على تفصيل أوضحته بعض الكتب(٢) .

وكذلك اختلف عدد السور(٣) .

والذى نراه — من أقوال الثقات ، ومن النقل المتواتر المجمع عليه ، ومن جلالة الأمر التى لا تسمح بتركه للاجتهاد الإنسانى — أن ترتيب القرآن ونظمه هو — كما قال القاضى أبو بكر فى « الانتصار » — : « ثابت على ما نظمه الله تعالى ، ورتبه عليه رسوله ، من آى السور ، لم يُقدَّم من ذلك مؤخَّر ، ولا أُخِّر منه مُقدَّم ، وأن الأمة ضبطت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — ترتيب آى كل سورة ، ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة »(٤) .

(١) Ibid , P . 68 A .

(٢) انظر مثلا :
السيوطى : الإتقان ج ١ ص ٦٢ و ٦٤ و ٦٥
وابن النديم : الفهرست ص ٢٦ و ٢٧

(٣) انظر : السيوطى : الإتقان ج ١ ص ٦٥

(٤) نفس المرجع ص ٦١

ونرى — مثل ما رأى ابن الحصار — أن ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى :

كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : ضعوا آية كذا فى موضع كذا .

وقد حصل اليقين ، من النقل المتواتر بهذا الترتيب ، من تلاوة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مما أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف(١) .

نعم ، إنّ ثمة أقوالاً بأنّ بعض السور لم يُعلم ترتيبها فى حياة النبى ، وأنه يمكن أن يكون قد فوّض الأمر — فيه — إلى الأمة بعده، ولكن الترتيب العثمانى — حتى على فرض صحة هذا — هو أهم الترتيبات ، وأكثرها ذيوعا ، ولذلك راعى الجمعُ الصوتىُّ الأول ، وسيظل — إن شاء الله — يراعى ما يجب من التزام الترتيب العثمانى للسور والآيات .

ونحن نرى — مع أغلب القرآنيين — أن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو معجز أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته .

وكذلك نلاحظ — مع الملاحظين — أنه « يقوم — بين جمل القرآن ، وآيه ، وسوره — تناسب بارع ، وارتباط محكم ، وائتلاف بديع ينتهى إلى حدّ الإعجاز ، خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجماً على السنين والشهور والأيام »(٢) .

* * *

وكان من الحوافز المباشرة لتسجيل مصحف عثمان، على وفق ترتيبه — سوراً وآيات — أنّ أفراداً — قدماء ومحدثين — رتّبوا سور القرآن ترتيبا خاصاً ، حسبما أشرنا قبلا .

ومن هؤلاء — فى العصر الحديث — نولدكه الذى أخذ ترتيبه عن كتاب

(١) نفس المرجع ص ٦٢

(٢) انظر : محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ص ٧٣ (الطبعة الثانية)

أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي من رجال القرن الخامس(١) .

ومنهم بلاشير الفرنسي .

وقد طالب فعلاً أحد الناس - قبل مشروع المصحف المرتل بسنوات قليلة - بترتيب سور القرآن ، على حسب نزولها ، من سورة العلق ، ثم المزمل ، ثم المدثر ، ثم الفاتحة ، وهكذا حتى يختم بسورة النصر(٢) .

وتضمنت هذه المطالبة قولاً جريئاً خطيراً هو أن « ترتيب القرآن - في وضعه الحالي - يبلبل الأفكار ، ويضيع الفائدة المطلوبة من نزول القرآن ، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعي الذي روعي في النزول ، ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة ، لأن القارىء إذا تنقل من سورة مكية إلى سورة مدنية ، اصطدم صدمة عنيفة ، وانتقل - بدون تمهيد - إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه ... الخ » .

وقد رُدّ على هذه الدعوة بما فحواه :

(ا) أن ترتيب السور توقيفيّ ، على ما يقرره جمهور العلماء . ولم يخالف سنيّ ولا شيعيّ في التزام هذا الوضع الذي كان عليه المصحف من أول يوم .

(ب) وأن احترام قدسية الوضع المأثور يقضي بالمحافظة على النسق القائم الآن ، في الآيات والسور جميعا ، وأن فكرة ترتيب المصحف - على حسب النزول - كانت تقضي بتغيير الوضع ، في السور والآيات جميعا ، بل هي - في الآيات - كانت أشد اقتضاء ، ومع ذلك فقد خولفت .

(١) انظر : الزنجاني : تاريخ القرآن ص ٧١

(٢) تقدم بهذا « يوسف راشد » بوزارة العدل ، في رسالة عنوانها : « رتبوا القرآن كما أنزله الله » . وقد كتب المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز تقريرا عن هذه الرسالة رفعه إلى إدارة الأزهر .

وانظر نص هذا التقرير في : مجلة كنوز القرآن ع . اكتوبر ونوفمبر ١٩٥١ .

(ج) وأن تغيير الترتيب يفتح مجال الشبهة ، أمام المصور للقبلة ، فيقول قائل منهم : إنه لم تبق لنا ثقة بأن هذا الكتاب بقي ، في كل العصور ، بعيداً عن كل تبديل ، لأنه ، في عصر ما ، غُيِّرت أوضاع السور فيه ، فلعله قد أصابته - قبل ذلك - تعديلات أخرى لم تصل إلينا أنباؤها .

(د) وأن هذه الدعوة خارقة لإجماع المسلمين ، ويحرّف بها الكلم عن مواضعه التي وضعه الله فيها ، ولن يكون من ورائها إلا إفساد النّسق وتشويه جماله(١) .

* * *

ولعلّ مما يؤيد هذا الردّ القويّ أن كاتبا في الشام(٢) وضع تفسيراً للقرآن(٣) ، فرأى أن يجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة(٤) ، واعتضد بفتويين :

قالت (إحداهما) : « إن التفسير ليس بقرآن يُتلى حتى يُراعى فيه ترتيبُ الآيات والسور »(٥) .

وقالت (الأخرى) : إن المنع من هذه الطريقة « يثبت فيما لو كان هذا الصنيع مسلوكاً من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفاً للتلاوة »(٦) .

ومع ذلك ، فقد اضطر الكاتب إلى مخالفة ترتيب النزول . يقول هو نفسه : « ولقد رأينا - مع ذلك - أن نخالف ترتيب هذا المصحف بعض الشيء ، فسُوَر : العَلَق ، والقَلَم ، والمزمل ، والمدّثّر التي وردت فيه كالسور الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة - بالتوالي - ليست كذلك إلا بالنسبة

(١) انظر التقرير المشار إليه آنفا .

(٢) هو : محمد عزة دروزه .

(٣) اسمه : التفسير الحديث

(٤) انظر : التفسير المذكور - المقدمة ج ١ ص ٨

(٥) ابو اليسر عابدين - انظر المقدمة ج ١ ص ٩

(٦) عبد الفتاح أبو هده - انظر المقدمة ج ١ ص ٨ و ٩

لمطالعها فقط على أحسن تقدير . . الخ[1] » .

على أن هاتين الفتويين تستحقان ـ فى رأينا ـ أن يعاد النظر فيهما : فتفاسير القرآن تتضمن ـ فى الأغلب الأعمّ ـ كلَّ نصوص القرآن مستقلة عن الشروح ، وكلها تلتزم ـ فى الأغلب الأعمّ أيضا ـ ترتيبَ المصحف العثمانى ، ومن هنا يقرأ كثير من الناس القرآن ، فى هذه المصاحف المفسّرة . وإذن ، فالأساس الذى قامت عليه الفتويان منهدم ، ويتعين المنع من مخالفة الترتيب المجمع عليه والمتواتر .

* * *

هذا ، ومما قيل ـ فى توقيفية ترتيب السور فى المصحف ـ : إن لهذا الترتيب أسبابا :

أحدها : بحسب الحروف ، كما فى الحواميم .

وثانيها : موافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر « الحمد » فى المعنى ، وأوّل البقرة .

وثالثها : للوزن فى اللفظ ، كآخر « تبت » وأول « الإخلاص » .

ورابعها : مشابهة جملة السّورة لجملة الأخرى ، مثل : « والضحى » و « ألم نشرح »[2] .

* * *

وبعد ، فقد رأيتُ أنّ أبلغَ ما يردّ به المسلمون على كلّ تلك الدعاوى وما يسجّلون به رفضهم لها ، وأخذهم بمصحف عثمان الذى أجمع عليه المسلمون ، وما يمنعون به أن يقع ـ فى وَهْم وَاهِم ـ أن هنالك ما يخالف النصّ الذى استقرّ

(1) نفس المقدمة ج 1 ص ١٦

(2) انظر : الزركشى : البرهان ج 1 ص ٢٦١

عليه الأمر ، هو أن يكون الجمع الصوتى الأول للقرآن ـ وهو جمع سيوجّه الأجيالَ المسلمةَ إلى يوم الدين ـ مقصوداً به جمع المصحف العثمانى وحده ، دون ما عداه من المصاحف ، وأن يكون الجمع على الترتيب الذى راعاه هذا المصحف دون أى ترتيب آخر .

والله المستعان .

الفصل الثانى

درء التحريف

الفصل الثانى

دراء التحريف

— ١ —

يقرر القرآن أنّ اليهود نقضوا ميثاقهم ، فطردهم الله من رحمته «فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ »(١)

ومن وجوه هذا النقض : كتمانهم صفة النبيّ محمد(٢)

ونبذهم الكتاب، وتضييعهم الحدود، والفرائض(٣) .

ويقرر القرآن أيضا أنّ اليهود حرّفوا ما أوحى به الله :

« مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ »(٤)

« يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ »(٥)

ويحتمل هذا التحريف ـ فيما يقرر المفسّرون ـ تحريف الألفاظ بالتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والزيادة ، والنقصان . ومصداق ذلك قول القرآن حكايةً عنهم : « وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ »

---

(١) سورة المائدة / ١٣

(٢) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير ج ١١ ص ١٨٦ — ١٨٨

(٣) انظر : الطبرسى : مجمع البيان فى تفسير القرآن ج ٢ ص ٥١ — ٥٤

(٤) سورة النساء / ٤٦ (٥) سورة المائدة / ١٣

وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »(١)

كما يحتمل تحريف المعانى، بسوء التأويل، وحمل الألفاظ على غير ما وُضعت له، والتحيّل لتبديل المعانى، من جهة اشتباه الألفاظ واشتراكها، ومثال ذلك ـ كما يقول ابن عطية ـ قولهم: « وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا »(٢)، ونحو ذلك(٣).

ويروى المفسرون أن التحريف وقع بالكتاب، أى بألفاظه ومعانيه معا، والمعانى هى تبع للألفاظ(٤).

وقد رُوى(٥) أنّ النبىّ ـ حين دخل المدينة ـ دعا اليهود إلى القرآن، فكذّبوه، فنزلت الآية: « أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »(٦)

فهكذا ـ فيما يقرر القرآن ـ كان تحريف اليهود لكتبهم تحريفاً مبكراً عنيداً متعمدا سىء القصد، حتى صار سبباً لذلك الاستفهام الذى توجّه الآية

(١) سورة آل عمران / ٧٨
(٢) سورة النساء / ٤٦
(٣) ابن حيان الأندلسى: البحر المحيط ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣، وانظر: الفخر الرازى: التفسير الكبير ج ١٠ ص ١١٨
(٤) انظر: الطبرسى: مجمع البيان فى تفسير القرآن ج ٢ ص ٥١ — ٥٤
ومحمد عبده: تفسير المنار ج ١ ص ٣٥٥ — ٣٦٦
(٥) انظر: الفخر الرازى: التفسير الكبير ج ٤ ص ١٤٨
(٦) سورة البقرة / ٧٥

إلى المسلمين ـ على سبيل الإنكار والاستبعاد ـ عن كيف يرجون من اليهود الإيمانَ والرُّشد.

والقرآن يقول: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ »(١). ويقول المفسّرون فى هذا إن اليهود كانت تعطى أحبارها بعض أموالها، على ما كانوا يضعونه لهم، مما ينتصرون به اليهودية. ويقال إن هؤلاء الأحبار كانوا يؤثّرون تكذيب النبى، ليأخذوا الرّشا على ذلك، ولتحصل لهم الرياسة(٢).

والمروىّ: أن بعض اليهود كتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة النبى محمد، وأخذت قُرَيْظَة ما كتبوه، فخلطوه بالكتاب الذى عندهم، ولم يكتفوا بهذا الكذب، حتى عضّدوه بقولهم إنه فى التوراة هكذا. وذلك ـ كما يقول أبو حيان المفسّر ـ « لفرط جرأتهم على الله، ويأسهم من الآخرة(٣)، فجعلوا يلوون ألسنتهم أى يفتلونها ـ أمام المسلمين ـ بقراءة هذا التحريف ليحسبه المسلمون من الكتاب الصحيح « وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »(٤)

وعن ابن عمر قال:

« أُتى النبى ـ صلى الله عليه وسلّم ـ برجل وامرأة من اليهود قد زَنَيا.

(١) سورة النساء / ٤٤
(٢) انظر: الطبرسى: مجمع البيان ج ٥ ص ١١٦
والفخر الرازى: التفسير الكبير ج ١٠ ص ١١٥
(٣) البحر المحيط ج ٢ ص ٥٠٣
(٤) سورة آل عمران / ٧٨

فقال لليهود : ما تصنعون بهما ؟

قالوا : نسخّم وجوههما ونُخزيهما .

قال : فأتوا بالتوراة : فاتلوها إن كنتم صادقين .

فجاءوا ، فقالوا لرجل ممّن يرضون : يا أعور ... إقرأ .

فقرأ ، حتى انتهى إلى موضع منها ، فوضع يده عليه .

قال : ارفع يدك .

فرفع يده ، فإذا فيه آية الرّجم تلوح .

فقال : يا محمد ، إنّ عليهما الرّجم ، ولكنا نكاتمه بيننا .

فأمر بهما ، فرُجما ، فرأيته يجانىء عليها الحجارة[1] » .

فهكذا تقول الروايات الإسلامية إن اليهود خضعوا للهوى خضوعاً أمالهم عن الحقّ ، وزيّن لهم تحريف كتابهم .

* * *

وفى القرآن : أن اليهود أخفَوْا كثيرا من كتابهم : « قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا »[2] — « يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَٰبِ »[3]

يقول أبو حيان الأندلسى : دلّت هاتان الآيتان على أنّ الذى أخفوه من الكتاب كثير ، ودلّ ـ بمفهوم الصّفة ـ أن الذى أبدوه من الكتاب قليل»[4]

* * *

وقد عُرفَتْ فعلاً كتب يهودية أحصاها المؤرخون ، وأخفاها اليهود ،

(١) انظر : صحيح البخارى ـ باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله .
وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ١٣ ص ٤٤٣ و ٤٤٤

(٢) سورة الأنعام / ٩١

(٣) سورة المائدة / ١٠

(٤) البحر المحيط ج ٢ ص ٥٠٣

مثل : سِفر يهوذا ، أو يهوديت ، وكتب الميكابيين ، وسفر يسوع ابن سيراخ[1] .

* * *

وربما أيّد وقوع التحريف ـ بالإضافة إلى النصوص السّابقة ـ أنّ من اليهود فرقة الصّادوقيين Sadducees لا تؤمن بأوّليات ما جاءت به الأديان السماوية من أنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وهى تنكر الملائكة ، وتنكر الروح ، وتُنكر القضاء والقدر ، ولا تشهد أن الحساب حقّ ، والنعيم حق ، والعذاب حق ، وترى أن العقاب والثواب كليهما يقعان فى الحياة الدنيا[2] .

* * *

ومما يلاحظ على التوراة الحاضرة أنها تعارض أشياء يراها المسلمون حقائق :

فهى تَعُدُّ النَّبِيَّيْن : داود ، وسليمان مجرد مَلِكَيْن ، وتَعُدُّ الأنبياء : إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب مجرد آباء قدامى Patriarchs[3] ، بينما يعدّهم المسلمون أنبياء من يكفر بهم أو لم يوقّرهم خرج عن الإسلام .

ويبدو أن هذه التسمية أثّرت فى كتّاب اليهودية والمسيحية ، فهم الآخرون يردّدونها[4] .

(١) انظر : على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٦ ، وانظر : ابن خلدون : المقدّمة ج ٢ ص ٥٩٣ ـ ٥٩٥ ، وانظر تعقيبات المحقّق .

(٢) نشأت هذه الطائفة اليهودية فى القرن الثانى قبل ميلاد المسيح ، لتواجه طائفة المكابيين ، وأخذت اسمها من صادق Zadok بوصفه سلف الطبقة الكهنوتية الرفيعة ، وربّما كانوا ممثلين الآن فى طائفة القرائيين Karaites ، وانظر :
The Encyclopedia Americana, Vol. 14 . P . P 99 & 100 .

(٣) انظر :
الكتاب المقدس : أعمال الرسل : الفصل ٤ ، الفقرات ١ و ٢ وما بعدها ، والفصل ٢٣ ، الفقرة ٨ ، وإنجيل متى : الفصل ١٦ الفقرات ١ و ٦ و ١١ .
وانظر : A. P. Stanely : History of Jewish Church . Vol. , III P835.

(٤) هذه مثلا كتب وقعت لنا : وفيها ، حتى فى عنواناتها ، يسمّى هؤلاء الأنبياء آباء قدامى Patriarchs

والعبارات والألفاظ فى أسفار العهد القديم تحمل ـ طبعاً ـ ماينمُّ عن زمن كتابتها ، وهو زمن متأخر كثيرا عن عهد موسى الذى أُنزلت عليه التوراة الحقيقية .

— ٢ —

والظن أنه ليس عسيرا على من يطالع التوراة الحاضرة من المسلمين أن يكتشف التبديل فى الألفاظ والمعانى ، فقد تضمنت أشياء لا يمكن المسلم التصديق بأنها من عند الله :

(ا) فالله ـ فيها ـ ليس مخالفاً للحوادث ، وهو كالبشر : يأكل ، ويصارع ، ويبكى ، ويتعب ، ويندم ، ويأتى أموراً شرِّيرة ، وهو ـ أحيانا ـ يكذب ، ويغشّ ، وفيه ـ أحيانا ـ ضعف ، وغرَارة ، وجهل ، وصفات أُخرى هى ـ عند المسلمين ـ مستحيلة فى حقّه ، منافية لجلاله ، مناقضة لكماله .

(ب) وثمة قبائح مستبشعة نَسَبَتْها هذه التوراة إلى الأنبياء والرّسل ، ولا يستطيع المؤمنون بالله ورسله التصديق بها :

١ — نَسَبَتْ ـ مثلا ـ إلى أبى الأنبياء : إبراهيم ـ الكذبَ ، والمتاجرة بزوجته الجميلة : سارّة ، مرّة فى مصر ، وفى أرض جرار مرة أُخرى ، نظير

---

a) Patriarchal Times or The Land of Canaan - in seven books, Founded on the Holy Scriptures, by Miss O, keeffe (London, 1820)
b) History of The Patriarchs, by A.Alex ander, (P hiladelphia, American Sunday - School Union)
c) The Patriarchal Age , by C harles F . Pfeiffer . (Baker Book House . Grand RaPids . 6 Michigan 1961 .)
d) The Patriarchs of Israel , by Gohn Marshall Holt (Vanderbilt University Press , Nashville 1964 .)
e) The Story of Patriarchs and Proshets ,
The Conflict of the Ages illustrated in Lives of Holy Men of Old. by Ellen G. White (Washington, 1959 .)

« غنم ، وبقر ، وحمير ، وعبيد ، وإماء ، وأُتُن ، وجمال »(١) .

٢ — ونسبت ـ مثلا أيضاً ـ إلى لوط أنّ ابنتيه أسكرتاه ، ففقد وعيه ، فزنى بهما ، فجاءتا ، منه ، بولدين هما أصل شعبيْ : المؤابيّين، والعمونيّين(٢) .

٣ — ونسبت ـ إلى النبى : داود ـ أنه زنى بامرأة متزوّجة أعجبته ، فحملت منه ، ولكى يخلو له وجهها ، هيّأ الأسباب لقتل زوجها الشّجاع الوفىّ الذى كان يحارب أعداء وطنه ، والذى أبت عليه همته ومروءته أن يأوى إلى بيته ، بعد اغترابه فى الجهاد ، ما دام له إخوان لا يزالون فى الصحراء يحاربون(٣) .

٤ — بل إنها نسبت ـ إلى النبى : هرون ـ أنه استجاب لليهود الخارجين من مصر ، لمّا طلبوا إليه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم ، فطلب إليهم نَزْعَ ما لديهم من حُلِىٍّ ذهبيّة ، فصوّرها بالأزميل ، وصنعها عجلا مسبوكا اتخذه اليهود معبوداً من دون الله ، وبنى له هرون مذبحا(٤) .

وواضح أنّ مخازى كهذه ـ فيها أقصى الخسّة ـ لا تقع غالبا من إنسان سَوِىٍّ ، فضلا عن أن تقع من رجال اصطفاهم الله لرسالاته ، وجعلهم أئمة يهدون بأمره .

* * *

(ج) والتوراة الحاضرة خالية من ذكر الآخرة ، والبعث ، والحشر ، والنشر ، والعذاب والنعيم الأخرويين ، والتبشير بالرسول محمد . فأين هذا من التّوراة التى يؤمن بها المسلمون ، والتى فيها ـ بنصّ القرآن ـ « هُدًى وَنُورٌ »(٥) .

---

(١) سفر التكوين : الإصحاحان ١٢ و ٢٠
(٢) نفس السفر : الإصحاح ١٩
(٣) سفر صموئيل الثانى : الإصحاح ١١
(٤) سفر الخروج : الإصحاح ٣٢
(٥) سورة المائدة / ٤٤

وكما يقول أبو حيان المفسّر : وأين هذا من قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ »[1]، وقوله تعالى ، وقد ذكر رسوله وصحابته ؛ : « ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ »[2]؟

— ٣ —

واعتور — فى رأى المسلمين — التحريفُ والتبديلُ أسفار الديانة المسيحية الحاضرة أيضا :

(ا) فهى تقرّر شيئا كما لا يمكن — عند المسلمين — أن تقوله السماء :

تقرر أن عيسى بن مريم إله وابن إله .

وتذكر أن الإله مركّب من ثلاثة أقانيم هى : الأب ، والإبن ، وروح القدس.

وقد جنحت المجامع المسكونية إلى تقرير الحرمان — وهو عقوبة بالغة الشدة — لكلّ من يتمسّك بما ورد فى بعض الأسفار عن تنزّه الله عن أن تكون له صاحبة أو ولد أو شريك .

(ب) وهى تختلف فى نسب المسيح ، وفى أخبار القبض عليه[3] . هذا

(١) سورة الأعراف / ١٥٧
(٢) سورة الفتح / ٢٩
وانظر : البحر المحيط ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣
(٣) انظر مثلا : إنجيل متى : الإصحاح ٢٦

فضلا عن الاختلاف فى مسائل العقيدة والعبادات[1] .

(ج) ومن المسيحيين الممتازى الثقافة والمتخصصين فى الدّراسات الدّينية المسيحية من يرون أن هذه الأسفار بشكلها الحاضر ، ليست مما نزل على عيسى ، وإنما هى من كتابة بعض حوارييه وأتباعه ، كتبوها بعد رفعه بسنين كثيرة :

تقول موسوعة الدين والأخلاق المطبوعة فى أمريكا[2] :

« كُتِبَ الإنجيل وأعمالُ الرّسل فى العشر السنوات التى بين ٩٥و١٥٠ من الميلاد تقريبا . ولسنا نبعد كثيرا عن الصّواب إذا قلنا — عامدين إلى رقم يبدأ بالصفر — إن هذا التاريخ هو السّنة المائة من الميلاد[3] » .

ثم ذكرت الموسوعة تاريخ كتابة كلّ إنجيل ، فقالت :

« إن إنجيل مارك كُتب بين سنتى ٦٥ و ٧٠ ميلادية

وإنجيل لوقا (والأعمال) كُتب فى سنة ١٠٠ ميلادية

وإنجيل متى كُتب فيما بين سنتى ٨٠ و ١٠٠ ميلادية ، وعلى أية حال قبل سنة ١١٠ .

وإنجيل يونس كتب بين سنتى ١٠٠ و ١١٠ بعد الميلاد .

(١) انظر : الشهرستانى : الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٢ (ط . مصطفى محمد سنة ١٩٦١)
(٢) Encyclopaedia of Religious A. Ethics .
(٣) Vol . VI P . 337 .

والمدة التى تلقى فيها الكاثوليك الأناجيل هى ما بين السنة المائة والسنة المائة والخمسين »[١]

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية[٢] أن التحقيقات العلمية والتاريخية تؤيد أن هذه الأناجيل كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ التابعين الذين تنسب إليهم[٣]

* * *

(د) وحتى الأسفار التى يعترف بها المسيحيون الآن ، ظلت عندهم هم أنفسهم ، حوالى أربعة قرون ، موضع شك فى صحة حقائقها ، وصحة نسبتها إلى أصحابها[٤] .

* * *

(هـ) ومن علماء المسيحيين أنفسهم أيضا من ينسبون إلى الكتاب المقدس الحاضر التحيز والبعد عن الإنصاف . ومن الأمثلة لذلك ما كتبه أستاذ اللاهوت الإنجيلى بمدرسة هارفورد اللاهوتية[٥] — عند حديثه عن الصادوقيين Sadducees الذين أشرنا إليهم قبلا ، فهو يقول إن كتاب العهد الجديد New Testament ربما كانوا — فى كتابتهم عن هؤلاء — قد تأثروا بطائفة الفاريسيك Pharisaic وقال إن جوزيفوس Josephus

(١) Ibid . P . 344

(٢) Soc . des Savants et des Gens des Lettres :
Le Grand Encyclopedie - Inventaire Raisonné des Sciences, des Lettres, et des Arts .

(٣) 6 ieme Vol . P . P 586-591

(٤) على عبد الواحد وافى : الأسفار الدينية ص ٩٤ و ٩٦

(٥) Edward E . Nourse , Professor of Biblical Theology ,Harford Theological Seminary .

كان يبغى — بكتابته — مرضاة القراء اليونان ، فقال إنهم كانوا أكثر استمساكا بالعدل المستقيم القاطع من « الفاريسيك » ، وأنها غلطة أن يسوّى بين الفريقين ، فالفاريسيك كانوا يريدون أن يوائموا بين دينهم وبين الأفكار والأفعال اليونانية ، ولو أهدروا — فى سبيل ذلك — الشريعة نفسها[١] .

— ٤ —

وقد سلِمَ القرآن — كما رأينا — من كلّ شىء من هذا القبيل ، ولم تنقطع أسانيده فى أىّ وقت .

وربما كانت أسباب التحريف فى الكتب الأخرى هى التى أوردها المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز[٢] ، وهى :

١ — أن الله لم يتكفل بحفظها ، وإنما طلب إلى الربّانيّين والأحبار حفظها « إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ »[٣]

٢ — وأن هذه الكتب جىء بها على التوقيت ، لا على التأبيد .

٣ — وأن القرآن جىء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ، ومهيمناً عليها ، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائداً عليها بما شاء الله

(١) The Encyclopaedia Americana . Vol . 14 , P . P 99 & 100 .

(٢) النبأ العظيم ص ٨ و ٩

(٣) سورة المائدة / ٤٤

زيادته ، وكان سادًّا مسدّها ، ولم يكن شيء منها ليسدّ مسدّه[1] .

* * *

غير أنّ أعداء القرآن ظلّوا على رغبتهم في محاولة دسّ التحريف فيه ، فكان لزامًا على المسلمين الحذر من هذه المحاولات ، ودرؤها ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وفي رأيي أنّ جمع القرآن صوتيا — فوق جمعه كتابةً — وسيلةٌ أكيدة إلى القضاء تماما على كل محاولة تحريفية .

— ٥ —

وكأنما جاء مشروعي هذا في أنسب مناسبة ، فبعد أن رجوت وزارة الأوقاف تمويله[2] ، وبعد أن مضيت في تسجيل رواية حفص عن عاصم ، بأموال هذه الوزارة ، وقع ما كانت خشيته ضمن بواعث المشروع ، ذلك أنّ إسرائيل جدّت — فعلاً — في محاولة تحريف القرآن ، وتوزيع النّسخ المحرّفة في : المغرب ، وغانا ، وغينيا ، ومالي ، ودول افريقية أخرى[3] . وقد اكتشفت سفارتنا

(١) هنا نذكر شيئا يتصل بمشروع المصحف المرتل ، فقد كان الدكتور دراز يرى أن تسمية القرآن بهذين الاسمين : « قرآن » ، و « كتاب » إشارة إلى أنّ من حقّه على الناس أن يُعنوا بحفظه في موضعين ، لا في موضع واحد ، يعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا ، أن تضلّ إحداها فتذكّر إحداها الأخرى

وقد عقّبَتْ على هذا مجلّة الأزهر (ع . يناير ١٩٦٣) منوّهة بمشروعنا ، فقالت : لعلّه لم يكن يدور بخلد فضيلته — رحمه الله — أنّ القرآن سيسجّل على اسطوانات وأشرطة ، فقد تيسّر بذلك ثالث من أسباب حفظه إنجازاً لوعد الله ، إذ يقول : « إنّا نحنُ نزّلنا الذّكرَ وإنا لهُ لحافظونَ » (الحجْر / ٩)

(٢) على عهد وزيرها السيد أحمد عبد الله طعيمة

(٣) مجلة آخر ساعة ع ١١ يناير ١٩٦١

بالمغرب هذه المحاولة ، فأخطرت بها القاهرة ، وبعثت إليها ببعض النسخ المحرّفة[1] .

* * *

وكان من الوسائل والمظاهر التحريفيّة التي اكتُشفت :

١ — إحداث أكثر من ألف خطأ مطبعيّ ولفظيّ ، في مائة ألف نسخة من القرآن ، وزّعت في البلاد الأفريقية والآسيوية[2] .

٢ — وحذف « لا » النافية ، من بعض المواضع ، ليكون المعنى عكس ما نزل به القرآن[3] .

٣ — وحذف كلمتي : « ليست » في الآية : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ »[4]

٤ — وحذف كلمة « غير » في الآية : « وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ »[5]

٥ — وإبدال هذه العبارة : « والله غفور رحيم » بعبارة « وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » في الآية : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً

(١) نفس المرجع

(٢) جريدة الأهرام ع ٢٨ ديسمبر ١٩٦٠

(٣) انظر تصريح أحد المسؤولين في وزارة الأوقاف ، في جريدة الأخبار ع ٢٠ ديسمبر ١٩٦٠ .

(٤) سورة البقرة / ١١٣

وانظر : سليمان حسن عبد الوهاب : تحريف اليهود للقرآن قديما وحديثا — مجلة منبر الإسلام ع جمادى الآخرة ١٣٨٥ ص ٩٢ — ٩٥

(٥) سورة آل عمران / ٨٥ ، وانظر نفس المقال

بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »[1]

٦ — وإسقاط الآيتين الآتيتين ، ومنع تدريسهما فى مدارس العرب والمسلمين فى فلسطين المحتلة :

«لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ »[2]

والقصد من هذا الحذف — فيما قيل وقتها — صرفُ الأنظار عن جرائم إسرائيل التى ارتكبتْها في حقّ العرب بإخراجهم من ديارهم[3] .

— ٦ —

واهتم المسلمون بهذا الحادث الخطير اهتماما كبيراً :

(ا) فبحث وزير الأوقاف مع شيخ الأزهر الإجراءات الواجب اتخاذها ضدّ هذا العدوان ، ومنها تشكيل لجنة مشتركة لمراجعة المصحف المحرّف وإبراز أخطائه ، وتحذير المسلمين من تداوله[4]

(١) سورة المائدة / ٣٨ ، وانظر نفس المقال
(٢) سورة الممتحنة / ٨ و ٩
(٣) جريدة الجمهورية ع ١١ يناير ١٩٦١
(٤) جريدة الأهرام ع ٢٩ ديسمبر ١٩٦٠

(ب) وأرسل شيخ الأزهر إلى رئيس الجمهورية برقية قال فيها :

«... إن إسرائيل التى قامت على البغى والطغيان والاعتداء على المقدّرات والمقدّسات ما زالت تعيش فى هذا العبث ، وتحيا فى إطار هذا الطغيان ، وإنها — بتحريفها القرآن الكريم — تريد القضاء على معتقداتنا وديننا ، وهى — بذلك — تمارس ما كان عليه آباؤهم من تحريف الكلم عن مواضعه ابتغاء كَبْتِ الدعوة الإسلامية وإعاقتها .

وإن المسلمين فى أنحاء الأرض يُهرعون إليكم — وكلّهم أمل فى قوة إيمانكم ،وغيرتكم على دينكم — أن تعملوا على حفظ كتاب الله ، فتقفوا فى وجه هذا العدوان الأثيم .

إن الأمة الإسلامية كلّها من ورائكم . . الخ »[1] .

(حـ) وأمر مفتى الديار السودانية كلَّ موظفى المحاكم الشرعية وأصحاب المكتبات العامة بضرورة مراجعة المصاحف — قبل تداولها — للتأكد من سلامتها من التحريف .

وأصدر شيخ العلماء فى السودان بياناً أهاب فيه بالمسلمين أن يتنبّهوا لهذا الخطر ، وأن لا يقبلوا أىّ مصحف إلا إذا كان موافَقاً عليه من الأزهر ، أو إحدى الهيئات الدينية الرسمية فى البلاد الإسلامية[2] .

(د) وأصدرت الحكومة الأردنية بيانا استنكرت فيه التحريف ، وذكرت ما تأدّى إليها من أنّ إسرائيل عرضت على الدول الأفريقية التى وُزّعت فيها المصاحف المحرّفة أن ترسل إليها مدرّسين لتدريس اللغة

(١) عدد الأهرام نفسه ، وعدد الجمهورية بنفس التاريخ
(٢) جريدة المساء ع ١٠ فبراير ١٩٦١

العربية، والنسخة المشوّهة من القرآن ، وطلبت الأردن إلى المسؤولين فى البلاد العربية إحباط أعمال إسرائيل الشريرة[1] .

* * *

وكان طبيعيا جدا أن يفيد المسلمون — فى ردّ هذا العدوان ومنعه — من مشروعنا الذى كأنما جاء فى ذلك الوقت على قَدَر :

١ — فانعقد ، فى ٣ يناير ١٩٦١ ، مؤتمر إسلامى ، برياسة وزير الأوقاف ، واستعرض جريمة التّحريف ، ثم انتهى إلى « اعتبار المصحف المرتل وسيلة فعّالة لمقاومة هذه الجريمة »[2] .

٢ — تقرر توزيع اسطوانات للمصحف المرتل في الدُّول التى وَزَّعَتْ إسرائيلُ فيها المصاحفَ المحرَّفة[3] .

٣ — وأيّد حِلْفُ العرب فى الهند مشروعنا ، واعتبره « حدثًا عالميًا لمكافحة تحريف إسرائيل للقرآن، و نشر اللّغة العربية، بين الشعوب الإسلامية غير النّاطقة بالعربية »[4] .

٤ — وقيل عن دَوْر المصحف المرتل فى درء التحريف : « وقد قيَّض الله ـ لصدّ تلك الحملة الظالمة على كتاب الله ـ رجالَ الجمهورية العربية المتحدة ، إذْ وفقهم الله لصنع قنبلة ذرّية نسفت عمل اليهود من القواعد، فأصبح هباء تذروه الرياح . . . »[5] .

---

(١) جريدة الأخبار ع ٨ إبريل ١٩٦١

(٢) جريدة الجمهورية ع ٤ يناير ١٩٦١

(٣) جريدة الجمهورية ع ٢ يناير ١٩٦١

(٤) تلق السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف وقتئذ رسالة بهذا (انظر : جريدة الأهرام ع ٣٠ إبريل ١٩٦٢)

(٥) سليمان حسن عبد الوهاب : المقال السابق .

الفصل الثالث

التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

الفصل الثالث

التمكين للغة العربية والوحدة الإسلامية

— ١ —

يعرف المتابعون لأفكار الغربيين ـ من مروّجي المسيحية ودعاة الاستعمار ـ أنّ بعضهم يحقدون على الإسلام دين القرآن حقداً شديداً ، لعلّ مبعثه أنّ الإسلام ، لما انتشر في القرون الوسطى ، كان سدًّا ـ أمام النصرانية ـ عاقها ، وأنّه سلبها مناطق نفوذ كانت لها [١] .

ويرى هؤلاء — في تعصّبهم لدينهم ، وحقدهم على المسلمين ، وفي خوفهم من قوة يرونها كامنة في الإسلام — أن المسلمين إذا انتظمتهم وحدة أمكن أن يصبحوا « لعنة على العالم وخطراً » ، أو « أن يصبحوا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم سيبقون بلا وزن ولا تأثير » [٢] .

ويرى هؤلاء — ورأيهم هذه المرة صائب تماما — أن وحدة المسلمين مفسدة للأطماع الاستعمارية الغربية ، فهم يحذّرون منها ، ويحاولون تعويقها [٣] .

---

(١) انظر : Becker C . H : Islamstudien , P. 183
وانظر : مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٣٦

(٢) نقلا عن الخالدي وفروخ : المرجع السابق ص ٣٧

(٣) انظر ـ في هذا الشأن ـ تفاصيل الجهود التي بذلها الغرب ضد الإسلام في المرجع السابق

— ٢ —

وكان من وسائل أعداء الوحدة الإسلامية ، إلى توهينها ، إيقاد نار الحرب على كلّ أسبابها وموجباتها . وهم — لا ريب — يعرفون أنّ القرآن هو أصل الأصول عند المسلمين فى كل أمورهم الدينية والدنيوية ، وأنه — فى وقت واحد — كتاب دين ، وكتاب حضارة ، وكتاب ثقافة ، وأنه — بهذا ، وبما هو أقدس مقدّساتهم — هو موضع كلّ التفاتهم ، وموضع كل التفافهم ، ومن ثم كان الظهور عليه — بطريقة ما — هو بيقين ، تقويضا لأهمّ أسس هذه الوحدة .

وإذْ كان القرآن عربىّ اللسان ، ويقتضى أتباعَه ، كى يدركوا جيّداً معانيه ، ويدركوا جيداً السُّنّة الشّارحةَ له ، أن يعرفوا لغته ؛

وإذْ أكدت التجارب المتكررة والمخلصة أن لا سبيل إلى ترجمة القرآن ترجمة يكون لها ما يماثل أو ما يدانى النصّ العربى ، فى الدّقّة والفصاحة ؛

فقد رأى أعداء الوحدة الإسلامية خطر لغته أيضاً على مطامعهم العدوانية ، مهما حفلت هذه المطامع بالدأب ، واللجاجة ، والحيلة .

* * *

والحق أن القرآن ولغته يصنعان وحدة وثيقة ممتدّة : هى وحدة الفكر والعقل والمشاعر ، بين مئات الملايين من المسلمين ، لا فى نطاق محلىّ أو قومىّ فحسب ، ولكن فى مختلف أرجاء الأرض .

والحقّ أيضا أن القرآن ولغته يمكّنان كلٌّ منهما للآخر دائما :

فالقرآن يهذب العربية ألفاظاً ، وأغراضاً ، وعبارات ، وأفكاراً ، ويقوّى

سلطانها منطوقةً ومكتوبةً : يقول بروكلمان : « بفضل القرآن ، بلغت العربية من الاتّساع مدًى لا تكاد تعرفه أية لغة أخرى من لغات الدنيا . والمسلمون — جميعا — يؤمنون بأن العربية هى وحدها اللسان الذى أُحِلّ لهم أن يستعملوه فى صلواتهم ، وبهذا اكتسبت العربية — منذ زمان طويل — مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التى تنطق بها شعوب إسلامية »[(١)] .

وأما اللغة العربية فهى — كما وصفها الثعالبي — : « أداة العلم ، ومفتاح التفقه فى الدين ، وسبب صلاح المعاش والمعاد ، ثم هى — لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة ، وسائر أنواع المناقب — كالينبوع للماء ، والزَّنْد للنار »[(٢)] . وهى — عند المسلمين — السبيل إلى « قوة اليقين فى معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة فى إثبات النّبوة الذى هو عمدة الإيمان »[(٣)] .

وعلى ما فى عبارات الثعالبي هذه من استعارات ، وتشبيهات ، وعاطفة دينية ، فإنّ معانيها — فى ميزان الحق — لا تُخسِر الموضوعيّة شيئا .

والمسلمون يعتقدون أنّ اللغة العربية لسان الله يوم القيامة[(٤)] ، ولذلك كان تعلّمها وتعليمها — عندهم — من الدّيانة .

* * *

(١) بروكلمان : موجز فى علم اللغات السّامية (بالفرنسية) ص ٤١ و ٤٢ ، نقلا عن : عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية ص ١٠٤ و ١٠٥

(٢) فقه اللغة ص ٣

(٣) نفس المرجع

(٤) ابن آجروم ، مقدمة متن الأجرومية

وفى صبح الأعشى للقلقشندى ، فى فضل اللغة العربية ، أن عمر بن الخطاب قال : « تعلموا اللحن والفرائض ، فإنه من دينكم » . قال يزيد بن هرون : « اللحن هو اللغة » ، ولا خفاء أنها أمتن اللغات ، وأوضحها بيانا ، وأذلقها لسانا ، وأمدّها رواقا ، وأعذبها ═

والغة العربية — كـكلّ اللّغات — لها علاقتها الوشيجة بنفسية الأمة الناطقة بها ، ولها أثرها الواضح فى تـكوين شخصيتها ، ولها شأنها الجليل فى اجتماعيات هذه الأمة ، فهى — على مدى الزمن — وعاء تاريخها ، وأمجادها ، وتقاليدها ، وشمائلها ، وفضائلها ، وتراثها الفـكرى ، والشعورى ، والأخلاق ، والاجتماعىّ . وهى المستودع الذى — عنده — يطلب أفراد الأمة الألفاظ والتّعابير التى هى أداة التفـكير .

* * *

واللغة العربية بالذات لها — من خصائصها وظروفها — ما جعل لها الغلبة على بعض زميلاتها السّامية ، وعلى اللّغات اليمنية القديمة ، فى منطقة بلاد اليمن ، واللّهجات الآراميّة ، في معظم بلاد العراق والشام ، والألسنة القبطيّة والبربريّة والـكوشيتيكية(١) .

بل إنه واضح أنّ للعربية من الخصائص والظروف ما جعل أثرها يزحف — بعد الإسلام — مقدّساً عميقاً إلى مجتمعات لم تـكن تربطها بها وشيجة من قبلُ ، كالمجتمعات الآرية والطورانية التى منها مجتمعات الهنود والفرس والتّرك.

ومع أن بعض هذه المجتمعات الـكبيرة احتفظ أحيانا بلغته الأمّ ، فقد اتّخذ اللغة العربية لساناً أوّل له ، وذلك على مدى قرون طويلة ، ويرضّى تذكيه العاطفة الدينية .

= مذاقا ، ومن ثم اختارها الله تعالى لأشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من بريّته ، وجعلها لغة أهل سمائه ، وسكان جنته ، وأنزل بها كتابه المبين » (ج ١ ص ١٤٨)

(١) Couchitiques نسبة إلى Cuch أحد أولاد حام بن نوح .
(انظر : سفر التكوين — إصحاح ١٠
وانظر : على عبد الواحد واق : علم اللغة ص ١٥٧)

واللغة العربية أيضا — كـكل اللغات — من أهمّ أركان القومية ، بالنسبة للناطقين بها .

وكما كانت وحدة اللسان — فى الدويلات القديمة المتعددة الناطقة بالألمانية ، وفي البقاع الناطقة باللغة البولندية — أهمّ دوافع الانتظام فى وحدات سياسية ، فإن مثل هذا الانتظام مكفول تماماً للبلاد الناطقة بالعربية ، والتى يوحّد القرآن أيضا طرق تفـكيرها ، ويوحّد — دينياً ودنيوياً — وسائلها وغاياتها .

* * *

أدرك أعداء الوحدة الإسلامية الصحيحة أن سبيل تحقيق بُغيتهم هو أن لا يجتمع العرب والمسلمون على ذلك الـكتاب ، وذلك اللّسان ، وأن تنشأ النابتة العربية المسلمة على غير اللغة العربية ، فينسلخوا تلقائيا من قوميتهم ، فرأوا — كما يعبّر كتاب « التبشير والاستعمار » — أن « تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتمّ ما دامت هنالك لغة واحدة يتكلمها العرب ، ويعبّر بها العرب والمسلمون عن آرائهم ، وما دام هناك حرف عربىّ يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضى ، فإذا حمل المستعمرون والمبشّرون العربَ على الـكتابة باللغة العامية أصبح لـكل عربى لغة خاصّة به ، أو لغات متعدّدة »(١) ، وواضح أن من شأن هذا أن تنفصم العرى بين العرب والمسلمين وتتمزق العلائق فيما بينهم ، ويصبح كلّ شعب عربى أو مسلم بمعزل عن باقى الشعوب الزميلة .

والذين يصرفون المسلمين عن لغة القرآن إلى اللهجات العاميّة المتغايرة حَسْبُهُمْ أن ينجحوا فى هذا ، ولا عليهم أن يبقى القرآن بلغته الفصيحة تقرؤه — بفهم قليل أو كثير — قلة متخصّصة ، ويقرؤه — فى مشقّة وبغير فهم — باقى

(١) ص ٢٢٥

المسلمين ، كما هو الشأن فى القبطية ، فى كنائس الأرثوذكس ، أو اللاتينية ، فى الكنائس الكاثوليكية .

— ٣ —

ومضى الغرب — فعلا — فى تنفيذ خطته ، ضدّ ترابط المسلمين :

فمثلا حارب الفرنسيون اللغة العربية ، فى : بلاد أفريقية الغربية ، وفى موريتانيا ، وهى بلاد إسلامية عربية اللغة أصلا .

ولا تزال آثار هذه الحرب واضحة تعانى منها القومية العربية هناك .

ومثل هذه الحرب صَلِيَتْ حرّها بلاد الشام حيناً .

ومثلها أيضا ما فعلته انجلترا — فى مصر — طوال عهد الإحتلال ، حين كانت الإنجليزية لغة المدارس ، حتى فى المرحلة الإبتدائية ، كما كانت لغةَ الدواوين . ولولا أن الأزهر كان يرعى جانباً تعليمياً آخر هو الجانب الإسلامى العربى ، ومن ثم لم تكن فيه لغةُ الإحتلال هى لغة التعليم ، لولا ذلك ، لعانت مصر مثلَ ما عانت زميلاتها من سياسة فرنسا[1] .

وقد فَصَلت انجلترا ما بين شمال السّودان وجنوبه ، ومنعت العرب والمسلمين — هناك — من الصلاة ، ومن التخاطب بالعربية أمام الجنوبيين .

* * *

وخطر هذه الحرب شديد غاية الشدة : فهى توهن الأمة ، وتضيع خطرها ، وتفكك أواصرها . يقول عباس محمود العقاد — فى منطق صائب — : « الحملة على لغتنا — نحن — حملةٌ على كلّ شىء يعنينا ، وعلى كلّ تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية ، وعلى اللسان والفكر والضمير ، فى ضربة واحدة ،

(١) انظر بعض تفاصيل هذه الحرب فى : محمود محمد شاكر : أباطيل وأسمار ص ١٦٤ .

لأنّ زوال اللغة — فى أكثر الأمم — يبقيها — بجميع مقوماتها — غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يُبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه عن سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم ، فلا تبقى له باقيةٌ من بيان ، ولا عرف ولا معرفة ، ولا إيمان[1] . »

ومن المؤسف أن بعض العرب المسلمين المقيمين فى غير بلاد الإسلام لا يفطنون إلى هذا الخطر المحدق بشخصيتهم وتاريخهم ، والممزّق لوحدتهم ، والذى سيباعد — وشيكا — بينهم وبين ماضيهم الزاخر المشرّف ، فيؤثرون الأسهل ، ويعلّمون أبناءهم لغتهم العاميّةَ الخاصةَ ، ويعلّمونها الأجانب الداخلين فى الإسلام . والخير لو كانت اللغة العربية الفصيحة التى نزل بها القرآن هى لغة هذا التعليم ، ومحلّ هذا الجهد .

— ٤ —

كانت هذه الأمور ومثلها ملء خاطرى حين كنت أستجمع الأغراض التى يمكن أن يحققها الجمع الصوتى الأول للقرآن .

وكنت محيطاً بحقيقة تستوجب الاهتمام هى : أن بعض المسلمين ، هنا وهناك ، — فى إيمانهم بالقرآن ، وحبّهم إياه ، واستهدائهم به — يعوزهم حسن الأداء فى قراءته ، وأنهم يتلهفون على وسيلة ميسورة يتعلمونه عن طريقها ، ويتلونه على نسقها ، تلاوة صحيحة يقوى عليها الفرد العادىّ . وكنت محيطا بأن الحاجة إلى هذه الوسيلة — هى بالنسبة للمسلمين من غير الناطقين بالضاد — أمسّ ، وكنت أذكر — فى تأثر — ما هو مشهور من تطلّع مسلمى الهند إلى حذق

(١) أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ص ١٢٧

العربية وإحياء تراثها ، وأذكر كيف تقدم المجلس النيابى ، فى باكستان ، باقتراح اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية هناك .

وقدّرت — منذ فجر المشروع — أن انتشار القرآن — بفضل الوسيلة الصوتية — سيكون أوسع وأيسر ، وطلابه سيكونون أكثر ، وأن هذه الوسيلة ستصرف الناس عمّا لا يتفق مع أساليب العربية الفصيحة ، وسيصرف عن هذه اللغة نفسها كثيراً مما يرتكبه أعداؤها من جنايات التعويق والتوهين .

* * *

وكنت أرى هذا الجمع — بخصائصه الجديدة — أعظم وسيلة إلى مطمح غال يحتدم به صدرى دائما ، هو أن تصبح اللغة العربية فى الصفّ الأول من اللغات العالمية القليلة . ولعل هذا المطمح أن لا يكون مسرفاً أو مجافيا — بأى شكل — لطبيعة هذه اللغة ، فهى لغة هذا الكتاب الذى تدين به ملايين البشر [1] ، وفيها تخلّى مسلمون كثير عن ألسنتهم الأصلية ، وإلى تعلّمها تمتدّ — عن طواعية لا يشوبها أىّ قهر — رغبات ملايين من المسلمين غير العرب .

وربما كان من مصدّقات هذا الرأى ، أن معهد اللغات الشرقية ، فى موسكو ، طلب إلى الجمهورية العربية المتحدة موافاته بنسخة من المصحف المرتل ، وقالت أستاذة اللغة العربية هناك : « إن المصحف المرتّل سيساعدها على تدريس النطق العربى الصحيح لطلبة المعهد ، على أساس أن القرآن أقوى مرجع فى اللغة العربية » [2] . ومن قبل هذا ، حين كنت أخطو بالمشروع خطواته الأولى ،

---

(١) فى تقديرنا ان عدد المسلمين الآن يقرب من ٨٠٠ مليون نفس .

(٢) انظر : الاهرام ع ٦ أغسطس ١٩٦٢ بعنوان ، موسكو تطلب اسطوانات للمصحف المقروء .

كتبت « الأهرام » تقول : « إن هذا المشروع يفيد بعض الدول الإسلامية التى لا تتكلم العربية مثل أندونيسيا وغيرها ، فيتعوّد أهلها النطق الصحيح للقرآن ، بعد سماع هذه الترتيلات » [1] .

وكذلك قرر إبراهيم إيناس الزعيم والداعية الإسلامى بغرب أفريقية : أنه استمع هو ، وبعض أتباعه ، إلى تسجيلات المصحف المرتل ، عشرات المرات فأفادهم ذلك حفظاً جيداً للقرآن ، واستقامة فى لهجتهم العربية [2] .

* * *

وأملت — منذ قديم — أن يكون مشروعى سببا خطيراً فى زيادة توثق العلاقات بين المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتوكيد العروبة على النحو الذى تنشده ثورتنا وتدعو إليه .

ونصصت — على هذا — صراحة يوم تقدّمتُ بمشروعى ، إلى الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم ، ثم فى يوم تال ، حين عقدت مؤتمرا صحفيا ، لتبشير الرأى العام الإسلامى ، بهذا المشروع ، ودعوة رجال الفكر والرأى إلى موافاتى بتوجيهاتهم وملاحظاتهم ، حتى تتحقق لفكرة المصحف المرتل ما هى كفاؤه من تنفيذ دقيق سليم [3] .

وبالله التوفيق .

---

(١) ع ١٦ مايو ١٩٥٩

(٢) نقل إلىّ هذا الأستاذ عبد الرحمن العدوى مدير المساجد السّابق .

(٣) أهدى المصحف المرتل — برواية حفص — إلى جميع سفارات الجمهورية العربية المتحدة فى الخارج ، وأهدى إلى جميع الحكومات الإسلامية ، والهيئات العلمية الكبرى ، فى كل بلاد العالم ، وإلى بعض الاذاعات

انظر مثلا : جريدة الاهرام :

ع ٢٥ يوليو ١٩٦١ ، بعنوان : إهداء المصحف المرتل للحكومات الاسلامية والاذاعات

وع ٥ أكتوبر ١٩٦١ ، بعنوان : أسطوانات القرآن فى مكتبة الكونجرس

وع ٩ مارس ١٩٦٢ ، بعنوان : إهداء المصحف المرتل إلى جميع سفاراتنا بالخارج .

. . . .

= و ع ٢٨ مارس ١٩٦٢ ، بعنوان : إهداء السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف المصحف المرتل إلى كل من إذاعتي نيجيريا والباكستان .

و ع ٢٢ إبريل ١٩٦٢ ، بخصوص إهداء السيد حسين الشافعي مجموعة المصحف المرتل إلى الحاج نوح بلما وزير الدولة بنيجيريا ، والسيد سالم عيسى والى مستشار الخارجية النيجيري .

و ع ١٢ مايو ١٩٦٢ ، بخصوص إهداء السيد حسين الشافعي مجموعات المصحف المرتل إلى وفد الحجاج الروس توضعها في مساجد الاتحاد السوفييتي .

و ع ١٨ يونية ١٩٦٢ ، بعنوان : الرئيس يهدي المصحف المرتل إلى رؤساء دول الدار البيضاء ، وفي هذا الخبر ، أن الملك الحسن أبدى رغبته في الاستماع إلى المصحف المرتل .

و ع ٦ أغسطس ١٩٦٢ ، بعنوان : موسكو تطلب اسطوانات المصحف المقروء .

و ع ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، بعنوان : المصحف المرتل : إهداؤه إلى الجزائر . وتضمن الخبر أيضا إهداء مجموعات من المصحف المرتل إلى السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو ، وإلى رئيس مجلس النواب ، وكبير الأمناء ، ووزير الداخلية هناك .

و ع ٣ أكتوبر ١٩٦٣ ، بخصوص برقية من احد أعضاء المجلس البلدي بنابلس ، يرجوفيها تزويده بالمصحف المرتل .

وانظر في : مجلة آخر ساعة ع ١٣ نوفمبر ١٩٦٣ خبرا بعنوان : مصحف مرتل هدية للإذاعة الإيطالية .

والأهرام ع ١٣ يناير ١٩٦٤ ، بخصوص إرسال ٤٢ مجموعة من المصحف المرتل إلى اليمن ، والجزائر ، ونيجيريا الشمالية ، والسنغال ، وغرب أفريقية ، وإمارة عمان ، واتحاد ماليزيا ، والفلبين ، ولبنان .

وقد زارني رسميا ، في فبراير ١٩٦٤ ، مندوبون من المؤسسة المصرية العامة للتجارة عدة مرات ، يرجون وزارة الأوقاف الموافقة على إدماج مجموعات المصحف المرتل في قوائم الصادرات المصرية إلى الهند ، وذكروا أن هذه أمنية غالية للشعب المسلم هناك . غير أن الدولة هنا لم تسترح إلى فكرة اعتبار المصحف سلعة تخضع لما تخضع له عروض التجارة ، وآثرت — وهي محقة في هذا — أن يظل المصحف المرتل هديتها الدائمة إلى العالم .

وقال وزير الأوقاف (الأستاذ الدكتور محمد البهي) في هذا الشأن لمندوبي الصحف إنه حريص على أن يكون المصحف المرتل هدية تحمل رسالة القرآن إلى العالم الإسلامي من مركز القيادة التاريخية في القاهرة . وقال : « إن المصحف ليس سلعة تجارية ، ولكنه دعوة تجمع الناس على لسان عربي مبين » (انظر : الجمهورية ع ٥ مارس ١٩٦٤ بعنوان : المصحف المرتل رسالة وليس سلعة)

خاتمة

خاتمة

أظن أنه — لتقييم مشروع المصحف المرتل — ينبغى النظر في بواعثه التى أوضحناها قبلا ، لننظر مدى جدّيتها .

* * *

وقد رأينا أن من هذه البواعث ما يتعلق بحفظ القرآن نفسه ، كما نزل به الوحى ، وكما قرأه الرسول ذاته ، وكما تلقّاه عنه أصحابه ، ثم كما تلقّته الأمة عنهم .

وهذا الحفظ إنما يكون عن طرق :

منها : طريق التلقى السّماعىّ الذى أجمع المسلمون على اعتماده من دون التلقى الكتابى ، وقد وَضح لنا خطر هذا التلقّى الأخير ما لم يصحبه التعليم الشفوى .

ومن طرق الحفظ أيضاً : أن يكون لكلّ قراءة ثَبَتَ أن الرسول قرأ بها حُفّاظ — بعدد التواتر — في كلّ بلد إسلامى ، وأن يعلم المسلمون أن التفريط فى هذا تفريط فى أساس الإسلام وقاعدته .

ومن الطرق أيضاً : أن نباعد بين الناس وبين القراءات التى لم تثبت قرآنيتها .

فإذا حقق مشروع الجمع الصوتى الأوّل للقرآن هذه الأغراض ، وسدّ هذه الحاجات ، كان ذلك فى ميزان تقييمه ، وعرفان جلاله وخطره .

* * *

ومن بواعث المشروع بواعثُ تعليمية :

فإذا حقّق المشروع أهداف هذه البواعث ، بأنْ وَضَعَ النماذج الصوتية للترتيل الشرعى الذى تستطيعه الكافة ، وعالج الأخطاء التى يقع فيها كثير من الناس :

وإذا يَسَّرَ القرآنَ للحفظ والتعلم ، وخاصّة فى عهود قلّ فيها حفّاظ القرآن ومدارس القرآن .

وإذا عالج مشكلة اختلاف الرّسم القرآنى عن الرسم الإملائىّ ، وهى مشكلة يعانى منها الناس على مدى الزمن ، وقد اختلف الفقهاء فيها اختلافاً هو — فى الحق — اتفاق على أن السبيل الوحيدة إلى علاجها هو المصحف المرتل . . .

إذا كان هذا كلّه ، فقد زاد ذلك فى قيمة المشروع ، وضمن له حقّه من التقدير .

* * *

وقد رأينا من البواعث الباعث الدفاعىّ . . .

فإذا كان المصحف المرتل معاضدة قوية للمصحف العثمانى المجمع عليه ، وإسقاطاً للشبهات والروايات الطاعنة ...

وإذا كان المصحف المرتل سبباً حاسماً فى درء التحريف عن القرآن ، وإبقائه مصوناً من أى تغيير أو تبديل ...

وإذا كان المصحف المرتل — فى البلاد العربية ، وغير العربية — داعيةَ دين ووحدة ، ومعلّم لغة وأخلاق ، وناشر حضارة وثقافة . .

إذا كان هذا كلّه أيضاً ، فهو حرىّ أن يرجّح كِفّة المشروع فى ميزان التقييم .

* * *

وقد يسأل سائل : هل أحسن المجتمع العربى والإسلامى تقييم هذا المشروع ؟

والردّ : أنّ كون أىّ مشروع ملء الأفواه وشُغْلَ الأذهان هو — على الحقيقة — تقييم حسن له ، وتكريم كبير لصاحبه .

وأشهد — إذا صحّ هذا الرأى — أنّ دنيا العروبة والإسلام أحسنت تقييم هذا المشروع ، وأكّدت تقديرها لصاحبه :

لما أرادت الجمهورية العربية المتحدة أن تكرم خدّام القرآن فى العالم ، فى مناسبة وضع الحجر الأساسى ، لدار القرآن ، يوم ١٥ من مارس ١٩٦٤ ، باهداء كلٍّ منهم مصحفاً شريفاً مكتوباً ، كان صاحب هذا المشروع — بهذه الصفة ، وبصفته المشرف على لجان المشروع — على رأس رجالات القرآن الذين سلّمهم نائب رئيس الجمهورية (١) المصاحف الشريفة .

* * *

وعندما رفعت وزارة الأوقاف — إلى رئيس الجمهورية — تقريرا عن منهجها فى خدمة القرآن فى المدّة من جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ هـ ، إلى جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ ، أشادت — لدى سيادته — بالمشروع ، وذكرت أنه

(١) السيد حسين الشافعى

« جاوب صدى فى نفوس المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وحقق أملاً جاشت به نفوسهم »(١) ، وذكرت أنه ـ بفضل تسجيل القرآن على هذا النحو ـ « يتيسّر تعلّمه وتعليمه لكافة الهيئات من مختلف المستويات ، فضلا عما يحققه من إجابة رغبات الدول الاسلامية غير العربيـة »(٢) . وقالت الوزارة ـ عن المصحف المرتل ـ ما نصّه : « إنه ميسّر للقارئ والكاتب ، وهو ميسّر للأمّىّ الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وللعربىّ ، وغير العربىّ ، والمسلم ، وغير المسلم ، والطفل ، والشيخ ، والذّكر ، والأنثى ، يتلق بالعين ، واللسان ، والسمع »(٣) .

* * *

وكتب وكيل هذه الوزارة لشؤون الدعوة إلى صاحب المشروع الذى كان يعمل وقتئذ مراقبا بوزارة الاقتصاد كتابا يتضمن أن وزارة الأوقاف تقدر الجهود التى أداها ويؤدّيها ، في سبيل الدين عامة ، والقرآن الكريم خاصة ، وأنها لذلك ترجوه المشاركة في امتحان « الأئمة ، والمفتشين ، والقرّاء ، والوعاظ المنوط بهم الوعظ ، ونشرُ الثقافة داخل الجمهورية وخارجها » ، وأنها أصدرت القرار الوزارى رقم ١ لسنة ١٩٦٣ متضمنا عضويته في لجنة هذا الامتحان .

* * *

وفي ٢٢ يناير ١٩٦٣ ، أحالت وزارة الأوقاف إلى صاحب المشروع كل ما كانت انتهت إليـه في شأن مشروعات التسجيل ليتولى الإشراف على تنفيذها .

* * *

(١) ص ١٠ من التقرير
(٢) نفس الصحيفة
(٣) نفس الصحيفة

وفي سبتمبر ١٩٦٣ ، في مناسبة انتهاء صاحب المشروع من الإشراف على تسجيل رواية الدُّورى عن أبى عمرو ، أقامت « العشيرة المحمدية » ، وهى هيئة دينية شعبية تمثل المجتمع الإسلامى بمختلف مستوياته ، أقامت حفلاً لتكريم صاحب المشروع مع ثلاثة علماء أجلاء(١) .

وكان مما قيل في هذا الحفل(٢) :

« عبد الحليم » غدا العميد   فقلت : يا نعم العميـد
وجلال مختتم التـلاوة   صاغه هذا (السعيد)
فهتفت شكـرا للقـاء   هنـا على هذا الصعيد(٣)

ومما خوطب به صاحب المشروع(٤) :

الفضل كل الفضل للخلصاء   وأراك فوق منـازل الفضلاء
ناديتَ من قلب كريم مؤمن   لتذيع صوت (الذِّكْر) فى الأرجاء
وظللتَ تدعو مخلصا متفانيا   لعقيـدة قدسيـة عصماء
واليوم حققتَ المنى ، فإذا الأثير يعانق الأصداء فى الجوزاء
عش (بالبيب) فأنت أسعد من دعا   وإجابةُ الرحمن خير جزاء(٥)

(١) منهم الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود ، بمناسبة تعيينه عميداً لكلية أصول الدين ، والاستاذ على عبد العظيم بمناسبة قرب عودته ـ وقتذاك ـ إلى عمله أستاذا بجامعة محمد الخامس بالمغرب .
(وانظر : مجلة « المسلم » ع . جمادى الأولى ١٣٨٣ ـ سبتمبر ١٩٦٣ ص ٢٢ ـ ٢٦)
(٢) من قصيدة للشاعر الأستاذ محمود جبر .
(٣) انظر نفس المجلة ص ٢٣
(٤) من قصيدة الشاعر الأستاذ قاسم مظهر
(٥) انظر نفس المجلة ص ٢٥

وقال شاعر ثالث[1] :

ذكّرتنا بالذى كنا نسيناه … هذا الذى لم يزل كالأمس معناه
(لبيب) : يا منعش الألباب توقظها … من السُّبات ، نِعمًا ما سمعناه
من الخلود ، وفيه السّرّ أجمعه … ومنه أمس وراء الأفق صُغْناه
وفيه ذكرى جراح عذّبتْ وطنى … لما تركنا كتاب الله بعناه
لما جملنا بأرض الكفر قبلتنا … قل لى بربّك : هل خير جنيناه ؟[2]

وقال شاعر رابع[3] :

بين أهلى وإخوتى الكرماء … وأحبّاى صفوة الأدباء
حاملى مشعل الحياة بأقلا … م تؤدّى رسالة الأنبياء
ناشرى العلم بين شرق وغرب … منهلا طاب ورده للظماء
حافظى الدين والأصول وآيات … كتاب الشريعة السمحاء
طاب لى اليوم أن أحيي وأشدو … بلحونى ومن رقيق غنائى[4]

ومن قصيدة أُلقِيَتْ فى هذا الحفل[5] :

أبشرْ (لبيب) ، فأنت أصل تلاوة … ستظل خالدة على الأزمان
لاحت كلاح الشهاب على الدجى … وبدت تباركها يد الرحمن[6]

* * *

(١) هو الأستاذ إبراهيم شعراوى
(٢) نفس المجلة ص ٢٥
(٣) هو الأستاذ محمد ضيف الله
(٤) نفس المجلة ص ٢٦
(٥) للشاعر أحمد المراغى
(٦) نفس المجلة ص ٢٦

ومن مثل هذا ، نشرت « الجمهورية »[1] تحقيقًا طويلا بعنوان : ٤٤ ألف أسطوانة من المصحف المرتل فى اليونسكو والكونجرس الأمريكى وكل عواصم العالم . وقد قدم لهذا التحقيق صاحبه[2] بالعبارات الآتية التى نوردها — أيضا — على استحياء شديد :

« قصة المصحف المرتل الذى يتجاوب صداه فى كل آفاق العالم الآن قصة مضيئة مشرقة ، بطلها رجل متواضع ، زاهد فى الشهرة ، بعيد عن الأضواء ، لم يحفل به أحدٌ من هؤلاء الذين تحدثوا عن هذا المشروع الخطير فى الصحف والمنتديات ، إنه لبيب السعيد المراقب العام بمصلحة الاستيراد ، والأستاذ المنتدب بجامعة عين شمس .

ودون مقدمات ، ندخل إلى القصة من أوّلها . . » .

وذكر الكاتب تاريخ المشروع ، منذ دعا صاحبه إلى المؤتمر الصحفى المعروف فى مارس ١٩٥٩ ، بدار الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم إلى أن تمت الطبعة الأولى ، وهى الخاصة برواية حفص عن عاصم ، وتجاوب صدى المشروع فى كل أنحاء العالم .

* * *

وفى مجلة (الصداقة) الصادرة فى ١٢ أكتوبر ١٩٦١ ، فى مناسبة إهداء الكونجرس والسفير الأمريكى فى الجمهورية العربية المتحدة نسخا من المصحف المرتّل ، قالت :

(١) ع ٢ مايو ١٩٦٢
(٢) الأستاذ عبد الوارث الدسوقى

« وفى جو من الودّ ، والصداقة ، والكرم ، والثقافة ، كان الوزير العربى (يقصد السيد أحمد عبد الله طعيمة) يستقبل السفير الأمريكى (الدكتور جون بادو) ، ولم يكن للزيارة علاقة بشؤون السياسة ، ولكنها كانت لتلقى هدية تسجّل حدثا تاريخيا هو الأول من نوعه فى تاريخ الإسلام ، إنه حدث تاريخى يزدهى به عهد الرئيس جمال عبد الناصر » .

واستطردت المجلة إلى الحديث عن المشروع : فكرته وبواعثه وإجراءاته التنفيذية . .

* * *

وخصّصت جمهوريتنا للمصحف المرتّل محطة إذاعة خاصة ، فكان ذلك آية تقدير كبير للمشروع ، وثقة بنجاح الآمال الكبرى المعقودة عليه ، واستجابة ناجزة لرغبات المسلمين .

ووردت فى هذه المناسبة ، كما وردت قبلا ، عندما بدئ بتوزيع المصاحف المرتلة ، وعندما بدئ بالاذاعة منها ، فى أوقات متفرقة من اليوم ، وردت — على دار الإذاعة ، ووزارة الأوقاف ، والصحف ، والمجلات — البرقيات والخطابات ، بالشكر والتقدير ، وبما ثبت منه ثبوتا مستفيضا متابعة الناس للمصحف المرتل ، وإقبالهم عليه عن رضى وغبطة ، وتطلّعهم إلى الإفادة منه.

* * *

بل إن علماء المسلمين عدّوا المشروع معجزة جديدة للقرآن ، فقال قائلهم :

« ...ولبيب السعيد هو صاحب فكرة المصحف المرتل الذى يعتبر المعجزة الجديدة للقرآن ، وكيف تكفل الله بحفظه ، فى الوقت الحاضر ، بهذه الفكرة ، حين

أخذ يتقلّص ظل التّواتر عن مستواه »(١) .

* * *

وسئل طه حسين ، فى ندوة تليفزيونية ، عَقَدَتْها معه ، فى منزله ، جماعة من أشهر أدباء العصر ، عن البرامج التى يؤثرها ، ويسمعها ، فأجاب : أنا لا أسمع غير المصحف المرتل !

* * *

وبعد ، فالمصحف المرتل الذى يؤدى رسالته الكبرى فى البلاد العربية ، يؤدى هذه الرسالة أيضاً فى البلاد التى لا تتكلم العربية ، وهى البلاد التى ليس فيها — غالبا — من علماء القرآن ومعلّميه أحد ، أو فيها قلّة قليلة ، وهى أيضاً البلاد التى لا تعين خصائصُ الألسنة فيها على النطق الصحيح للقرآن من غير معلّم . فكل شريط أو أسطوانة من تسجيلات المصحف المرتل هو — فى الحق — معلّم ، أو كتيبة من المعلّمين ... ترود كل مكان وتخاطب كل قوم .

وقد ازددت إدراكا لفضل الله علىّ ، وعلى النّاس ، إذ قدّر لهذا المشروع النجاح ، حين كنت خارج مصر ، فى بلاد بعيدة ، أستمع إلى المصحف المرتل ، من الإذاعة ، أو أستمع إليه ، فى دور السّفارات ، والقنصليات العربية ... لقد كان ينسلخ عنى وقتئذ — شأنى شأن كل مستمع مسلم عربى — الشعور بغربة اللسان أو غربة المكان .

وقد حكى لى غير واحد ممن سمعوا المصحف المرتل فى ديار الغربة أنهم لم يكونوا يملكون حبس دموعهم تأثرا وفرحا .

(١) مجلة المسلم — ربيع الأول ١٣٨٦ هـ

فليت أنّ المشروع يتم عاجلا ، وفق التخطيطات المرسومة له !

وليت أن الله صاحبَ الفضل والمنة ينفع بهذا المشروع ، كما نحبّ ، وخيراً مما نحبّ !

وليت أنه — سبحانه — يجعل هذا المشروع — دائما — عملاً خالصاً — تماما — لوجهه الكريم !

المصادر والمراجع

ثبت تفصيلى

عن المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم

(٢) ا. الاسكندرا — A. Alexander :
History of the Patriarchs.
(Philadelphia, American Sunday - School Union.)

(٣ — ٥) آرثر جفرى — Arthur Jeffery :
(a) Materials for the History of the Text of the Quran — the Old Codices.
(Leiden, EJ. Brill 1937).

(ب) مقدمة كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه

(جـ) مقدمة كتاب المصاحف لابن أبى داود

(٦) الآمدى : أبو الحسن على بن أبى على بن محمد (٥٥١ — ٦٣١ هـ)
الإحكام فى أصول الأحكام (٤ أجزاء)
بتصحيح السيد محمد البلاوى
القاهرة — دار الكتب الخديوية (١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م)

(٧) آندريه سرڤييه — André Sevier :
Islam and the Psychology of the Musulman.

(٨) إبرهيم الدسوقى الحضرى (اسمه عند بروكلمان : أحمد بن عبد الرحيم الطهطاوى الذى كان موجوداً سنة ١٢٢٣ هـ، والمتوفى سنة ١٣٠٢ هـ.)
اللطائف المحسنة فى مباحث الغنة
المخطوطة رقم ٢٨٢ قراءات، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٩) الأبشيهى : شهاب الدين أحمد (٧٩٠ — ٨٥٠ هـ) :
المستطرف فى كل فن مستظرف
القاهرة — المطبعة البهية، (سنة ١٣٠٠ هـ)

(١٠) ابن آجروم : محمد بن محمد بن داود الصنهاجى أبو عبد الله (٦٨٢ — ٧٢٣ هـ)

متن الأجرومية
القاهرة ـ المطبعة الميمنية
(١١) ابن أبي الإصبع المصرى : (٥٨٠ ـ ٦٥٤ ﻫ)
بديع القرآن
بتحقيق حفني محمد شرف
القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر بالفجالة (سنة ١٩٥٧ م)
(١٢) ابن أبي أصيبعة : موفق الدين ابو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدى الخزرجى (٦٠٠ ـ ٦٦٨ ﻫ)
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (جزءان)
القاهرة ـ المطبعة الوهبية (١٢٩٩ / ١٣٠٠ ﻫ)
(١٣) ابن أبي داود : أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى سنة ٣١٦ ﻫ)
كتاب المصاحف
نشر بإشراف وتقديم آرثر جفري
القاهرة ـ المطبعة الرحمانية (سنة ١٣٥٥ ﻫ)
(١٤و١٥) ابن الأثير : عزّ الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد الشيبانى (٥٥٥ ـ ٦٣٠ ﻫ : ١١٦٠ ـ ١٢٣٤ م)
(أ) أسد الغابة فى معرفة الصحابة (٥ مجلدات)
القاهرة ـ المطبعة الوهبية (١٢٨٠ ﻫ)
(ب) الكامل فى التاريخ (١٤ جزءا ، الأخيران منها فهارس)
ترتيب كارلوس يوهانس تورنبرج
ليدن (١٨٧٤ ـ ١٨٧٦ م)
(١٦) ابن الأثير : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى (٥٤٤ ـ ٦٠٦ ﻫ)
النهاية فى غريب الحديث والأثر (٥ أجزاء)
تحقيق محمود محمد الطناحى ، وطاهر أحمد الزاوى
القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ م)
(١٧) ابن إياس : محمد بن إياس الحنفى المصرى
تاريخ مصر المسمّى بدائع الزهور فى وقائع الدهور (٣ أجزاء)
القاهرة ـ مطبعة بولاق (١٣١١ ـ ١٣١٢ ﻫ)
(١٨) ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود (٤٩٤ ـ ٥٧٨ ﻫ)

الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم (مجلدان)
عنى بنشره ، وصححه ، وراجع أصله عزت العطّار الحسينى
القاهرة ـ مكتبة الخانجى (١٣٧٤ ﻫ ـ ١٩٥٥ م)
(١٩) ابن بطّة العكبرى : الأصولى والفقيه الحنبلى (المتوفى سنة ٣٨٧ ﻫ / ٩٩٩م)
كتاب الشرح والإبانة على أصول السّنة والديانة
ط . دمشق١٩٥٨ ، بإشراف Henry Laoust ، بالمعهد الفرنسى ، بدمشق .
(٢٠) ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى (٨١٣ ـ ٨٧٤ ﻫ)
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (١٢ جزءا)
القاهرة ـ دار الكتب المصرية (١٣٤٨ ـ ١٣٧٥ ﻫ : ١٩٣٠ ـ ١٩٥٦ م)
(٢١و٢٢) ابن تيمية : تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ ﻫ)
(أ) فتاوى ابن تيمية (٥ أجزاء)
القاهرة ـ مطبعة كردستان العلمية (سنة ١٣٢٦ ﻫ)
(ب) فى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أنزل القرآن على سبعة أحرف ... وما المراد بهذه السبعة ؟
القاهرة ـ مطبعة الظاهر (١٣٢٤ ﻫ)
(٢٣ ـ ٢٩) ابن الجزرى : شهاب الدين أبو الخير محمد بن محمد (المتوفى سنة ٨٣٣ ﻫ)
(أ) تحبير التيسير فى القراءات
النسخ الخطية أرقام ١٦و١٥١و٢٠٧ و٣٠٨و٣١٦ ، ٣٣٨ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(ب) الدرة المضيّة فى القراءات الثلاث المتممة للعشر (منظومة من بحر الطويل)
حققها وضبطها محمد سليمان صالح
القاهرة ـ جعفر محمد مصطفى (بدون تاريخ)
(ج) طيبة النشر فى القراءات العشر (منظومة من بحر الرّجز فى ألف بيت)
جمع وترتيب وتصحيح على محمد الضباع
ضمن مجموعة إتحاف البررة بالمتون العشرة فى القراءات والرسم والآى والتجويد

القاهرة ـ ط . مصطفى البابي الحلبي (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م)

(د) غاية النهاية في طبقات القراء (٣ مجلدات ، ثالثها فهارس الكتاب)
عنى بنشره ج . برجستراسر G. Bergstraesser
القاهرة ـ مكتبة الخانجي ـ مطبعة السعادة (١٣٥١ ـ ١٣٥٢ هـ : ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ م)

(هـ) منجد المقرئين ومرشد الطالبين
تحقيق : محمد حبيب الله الشنقيطي ، وأحمد محمد شاكر
القاهرة ـ مكتبة القدسي بالأزهر ، بشارع رقعة القمح (سنة ١٣٥٠ هـ)

(و) النشر في القراءات العشر (جزءان)
أشرف على تصحيحه ومراجعته على محمد الضباع
القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى (بدون تاريخ)

(ز) طبعة أخرى عنى بتصحيحها وطبعها محمد أحمد دهمان
دمشق ـ مطبعة التوفيق (سنة ١٣٤٥ هـ)

(٣٠) ابن جماعة : بدر الدين محمد إبراهيم سعد الله بن جماعة الكناني (المتوفى سنة ٧٣٣ هـ)
تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم
حيدر آباد الدكن (سنة ١٩٣٤ م)

(٣١ و ٣٢) ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ أو ٥١٠ ـ ٥٩٧ هـ)
(ا) أخبار الحمقى والمغفلين
دمشق (١٣٤٥ هـ)

(ب) تاريخ عمر بن الخطاب
تصحيح حسن الهادي حسين
القاهرة ـ مطبعة صبيح (١٩٢٩ م)

(٣٣) ابن الحاج : محمد بن محمد العبدري المعروف بابن الحاج المغربي الفاسي (المتوفى سنة ٧٣٧ هـ)
المدخل ، أو مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة
القاهرة ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م)

(٣٤ ـ ٣٨) ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أبو الفضل أحمد (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ)

(ا) الإصابة في تمييز الصحابة (٨ مجلدات)
القاهرة ـ شركة طبع الكتب العلمية (١٣٢٣ ـ ١٣٢٧ هـ)

(ب) تهذيب التهذيب (٩ مجلدات)
حيدر آباد الدكن ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية (١٣٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ)

(ج) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥ أجزاء)
حيدر آباد الدكن ـ ١٣٤٨ هـ

(د) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري (١٣ جزءا)
القاهرة ـ المطبعة البهية المصرية (١٣٤٨ هـ)

(هـ) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٤ أجزاء)
القاهرة ـ مطبعة مصطفى محمد (١٣٥٤ هـ)

(٣٩) ابن حزم الظاهري : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (المتوفى سنة ٤٥٦ هـ)
الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ أجزاء)
القاهرة ـ مكتبة الخانجي ـ المطبعة الأدبية (سنة ١٣١٨ ـ ١٣٢٠ هـ)

(٤٠ و ٤١) ابن خالويه : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ)
(ا) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم
ط . دار الكتب المصرية في ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م
(تحت إدارة جمعية دائرة المعارف النظامية في عاصمة حيدر آباد الدكن ، صانها الله من الشرور والفتن)

(ب) كتاب القراءات الشاذة
عنى بنشره وتصحيحه ج . برجستراسر ، وكتب مقدمته آرثر جفري
القاهرة ـ المطبعة الرحمانية (سنة ١٩٣٤ م)

(٤٢) ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد (المتوفى في حدود سنة ٣٠٠ هـ)
المسالك والممالك
بتحقيق M. J. De Goeje
ليدن ـ مطبعة بريل (١٨٨٩ م)

(٤٣) ابن الخطيب (محمد محمد عبد اللطيف)
الفرقان
القاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٨ م)
(محكوم بمصادرة هذا الكتاب في مصر)

(٤٤) ابن خلدون : عبد الرحمن محمد أبو زيد ولى الدين (٧٣٢ هـ — ١٣٣٢ م
٨٠٨ هـ — ١٤٠٦ م)
مقدمة ابن خلدون (٤ مجلدات)
بتحقيق على عبد الواحد وافى
القاهرة ــ لجنة البيان العربى (١٩٥٧ ـ ١٩٦٢ م)

(٤٥) ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبرهيم (المتوفى سنة ٦٨١هـ)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦ مجلدات)
حققه ، وعلّق حواشيه ، وصنع فهارسه محمد محيى الدين عبد الحميد
القاهرة ــ مكتبة النهضة المصرية (سنة ١٩٤٨ م)

(٤٦) ابن الخياط المعتزلى : أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان بن الخياط (توفى نحو سنة ٣٠٠ هـ ــ ٩١٢ م)
الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد
مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور بنرج الأستاذ بجامعة ابسالة من مملكة السويد
القاهرة ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥ م)

(٤٧) ابن رجب الحنبلىّ (زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادى ثم الدمشق (٧٣٦ ــ ٧٩٥ هـ)
كتاب الذيل على طبقات الحنابلة
وقف على طبعه ، وصححه محمد حامد الفقى
مطبعة السنّة المحمدية ، (١٣٧٢ هـ ــ ١٩٥٢ م)

(٤٨ و ٤٩) ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهرى البصرى (المتوفى سنة ٢٣٠ هـ)
(ا) الطبقات الكبرى (٨ أجزاء فى ١٠ مجلدات)
نشر ادوارد سخو
ليدن ــ مطبعة بريل (١٣٢٢ ــ ١٣٣٩ هـ)
(ب) طبعة أخرى بيروت (١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م)

(٥٠) ابن سلاّم : أبو عبيد الله القاسم الهروى (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ)
رسالة جليلة تتضمن ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل
(على هامش تفسير الجلالين ابتداء من ج ١ ص ١٢٣)
القاهرة ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٣٤٤هـ ــ ١٩٢٥م)

(٥١) ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ)
جامع بيان العلم وفضله
القاهرة ــ المطبعة المنيرية (١٩٢٨ م)

(٥٢) ابن عبد ربّه : أبو عمر أحمد بن محمد (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ)
العقد الفريد (٧ أجزاء)
نشره وحققه : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبرهيم الإبيارى
القاهرة ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ م

(٥٣) ابن عبدون الأندلسى : محمد بن أحمد بن عبدون التجيبى (المتوفى سنة ١٢٣٣ م)
رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة
(إحدى ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب)
بتحقيق ا . ليفى بروفنسال
القاهرة ــ مطبعة المعهد الفرنسى (١٩٥٥ م)

(٥٤) ابن عساكر : أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (٤٩٩ ــ ٥٧١ هـ)
التاريخ الكبير (٧ مجلدات)
اعتنى بترتيبه وتصحيحه عبد القادر بدران
دمشق ــ مطبعة روضة الشام (١٣٢٩ ــ ١٣٥١ هـ)

(٥٥) ابن الفوطى : أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى المعالى (المتوفى سنة ٧٢٣ هـ)
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة
وقف على تصحيحه والتعليق عليه مصطفى جواد
بغداد ــ المكتبة العربية (١٣٥١ هـ)

(٥٦ ــ ٥٨) ابن القاصح : علاء الدين على بن عثمان بن القاصح العذرى (المتوفى سنة ٨٠١ هـ)
(ا) سراج القارى المبتدى ، وتذكار المقرىء المنتهى
القاهرة ــ مطبعة عثمان عبد الرازق (١٣٠٤ هـ)
(ب) مخطوطة للكتاب ، رقمها ١٠٠ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، بعنوان :
« إرشاد المبتدى وتذكرة المنتهى » .
(ج) قرة العين فى الفتح والإمالة بين اللفظين
المخطوطة رقم ٢٦ مجاميع ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٥٩ ــ ٦١) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى (٢١٣ ــ ٢٧٦ هـ)

(ا) عيون الأخبار (٤ أجزاء)

القاهرة ــ دار الكتب المصرية (١٩٢٥ ــ ١٩٣٠ م)

(ب) القرطين ، أو كتاب مشكل القرآن وغريبه (جزءان)

جمع محمد بن مطرف الكنانى القرطبى

القاهرة ــ نشر محمد أمين الخانجى (سنة ١٣٥٥ هـ)

(ج) المعارف

حققه ، وقدم له ثروت عكاشة

القاهرة ــ ط . دار الكتب المصرية (١٩٦٠ م)

(٦٢) ابن قدامة : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد قدامة (المتوفى سنة ٦٢٠ هـ)

المغنى (٩ أجزاء)

القاهرة ــ ط . المنار (١٣٦٧ هـ)

(٦٣) ابن قدامة المقدسى : أبو العباس أحمد أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ابى عمر ابن قدامة المقدسى (٦٠٥ ــ ٦٤٣ هـ : ١٢٠٨ ــ ١٢٤٥ م)

مختصر منهاج القاصدين لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

دمشق ــ مكتبة الشباب المسلم ــ الطبعة الثانية (١٩٦١ م)

(٦٤ ــ ٦٦) ابن قيم الجوزية : محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى (٦٩١ ــ ٧٥١ هـ)

(ا) زاد المعاد

القاهرة (١٣٢٤ هـ)

(ب) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية

القاهرة ــ مطبعة المدنى (١٣٨١ هـ ــ ١٩٦١ م)

(ج) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة

القاهرة ــ مطبعة السعادة ــ ١٣٢٣ هـ

(٦٧) ابن ماجه : محمد بن يزيد أبو عبد الله (المتوفى سنة ٢٧٣ هـ)

سنن ابن ماجه (جزءان)

القاهرة ــ المطبعة العلمية (١٣١٣ هـ)

(٦٨) ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن جلال الدين بن مكرم الأنصارى الخزرجى الافريقى المصرى (٦٣٠ ــ ٧١١ هـ)

لسان العرب (١٥ مجلدا)

بيروت ــ طبع دار صادر (١٣٧٤ ــ ١٣٧٦ هـ : ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ م)

(٦٩) ابن المنيّر : ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنيّر الاسكندرى قاضى الاسكندرية (المتوفى سنة ٦٨٣ هـ)

كتاب الانتصاف (بذيل الكشاف فى ٤ أجزاء)

القاهرة ــ مصطفى محمد (سنة ١٣٥٤ هـ)

(٧٠ و ٧١) ابن النديم : محمد بن إسحق (المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى)

(ا) الفهرست

بتحقيق جوستاف فلوجل Gustav Flügel

ليبتزج Leipzig (١٨٨٢ م)

(ب) ونسخة أخرى مماثلة، ط. بيروت (١٩١٤ م)

(٧٢) ابن هداية الله : أبو بكر الحسينى الملقب بالمصنف (المتوفى سنة ١٠١٤ هـ)

طبقات الشافعية (تشتمل على أسماء الرجال الناقلين عن الشافعى والمنسوبين إليه فى كل طبقة)

بغداد ــ مطبعة بغداد (سنة ١٣٥٦ هـ)

(٧٣) ابن هشام : محمد عبد الملك (المتوفى فى أخريات العقد الثانى من القرن الثالث أو أوائل العقد الثالث منه)

سيرة النبى (٤ أجزاء)

راجع أصولها ، وضبط غريبها ، وعلق حواشيها ، ووضع فهارسها محمد محيى الدين عبد الحميد

القاهرة ــ المكتبة التجارية (١٩٣٧ م)

(٧٤) أبو حيان الأندلسى : أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف (المتوفى سنة ٧٤٥ هـ)

البحر المحيط فى تفسير القرآن (٨ أجزاء)

القاهرة ــ مطبعة السعادة (سنة ١٣٢٨ هـ)

(٧٥) أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستانى (٢٠٢ ــ ٢٧٥ هـ)

سنن أبى داود

القاهرة ــ (١٢٨٠ هـ)

(٧٦) أبو زيتحار : أحمد محمد

لطائف البيان فى رسم القرآن ــ شرح مورد الظمآن (جزءان)

القاهرة ــ مطبعة الأزهر (١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٣ م)

(٧٧) أبو شامه : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبرهيم المقدسى (٥٩٦ – ٦٦٥ هـ)

إبراز المعانى من حرز الأمانى

القاهرة — مطبعة مصطفى البابى الحلبي (١٣٤٩ هـ)

(٧٨) أبو عمرو البصرى

الفصول المشرة فى ضوابط القراءة

المخطوطة رقم ٥٧ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٧٩) أبو عوانة الإسفرايينى (المتوفى سنة ٣١٦ هـ)

مسند أبي عوانة (جزءان)

حيدر آباد الدكن — جمعية دائرة المعارف النّظاميّة (سنة ١٣٦٣ هـ)

(٨٠) أبو الفدا : ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشى (٧٠١ – ٧٧٤ هـ)

البداية والنهاية فى التاريخ (١٣ جزءاً)

القاهرة — فرج الله زكى الكردى (١٣٤٨ هـ)

(٨١) أبو معشر الفلكى (منسوب إليه)

طوالع الرجال والنساء (كتاب عامّ)

القاهرة — المكتبة المحمودية التجارية

(٨٢) أبو منصور الماتريدى : محمد بن محمد بن محمود الماتريدى السمرقندى (المتوفى سنة ٣٣٣ هـ)

بيان أوقاف الكفر ، أو بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد فى القرآن المبين

النسخ الخطية أرقام ٧ و ٣٠٤ و ٣٧٧ و ٤١٧ و ٤١٨ قراءات و ١١ مجاميع ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٨٣) أبو النصر الناصر الطبلاوى : منصور سبط ناصر الدين الطبلاوى الشافعى (المتوفى نحو سنة ١٠١٤ هـ)

مرشدة المشتغلين فى أحكام النون الساكنة والتنوين

المخطوطة رقم ٣٤٠ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٨٤) أبو نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق بن موسى بن مهران الأصبهانى (٣٣٦ – ٤٣٠ هـ)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠ اجزاء)

القاهرة — مكتبة الخانجى (١٣٠٧ هـ — ١٩٣٨ م)

(٨٥) أحمد أمين

قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية

القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٣ م)

(٨٦ — ٩٠) أحمد بن حنبل صاحب المذهب (١٦٤ هـ — ٢٤١ هـ)

(ا) الردّ على الجهمية والزنادقة فيما شكّوا فيه من متشابه القرآن وتأوّلوه على غير تأويله

القاهرة — مطبعة عيسى البابى الحلبي (بدون تاريخ)

(ب) كتاب العلل ومعرفة الرجال

نشره ، وعلق عليه : طلعت قوج بيكيت ، وإسماعيل جراح أوغلى

أنقرة (سنة ١٩٦٣ م)

(جـ) كتاب السنّة

مكة المكرمة — المطبعة السلفية (سنة ١٣٤٩ هـ)

(د) مسند أحمد بن حنبل (٦ أجزاء)

القاهرة — المطبعة الميمنية (سنة ١٣١٣ هـ)

(هـ) طبعة أخرى من مسند أحمد بن حنبل ، بتحقيق أحمد محمد شاكر (١٥ جزءاً)

دار المعارف (من ١٩٤٦ م)

(٩١) أحمد تيمور (المتوفى سنة ١٩٣٠ م)

الموسيقى والغناء عند العرب

القاهرة (١٩٦٣ م)

(٩٢) أحمد حسن الزيات

الوضع اللغوى ، وهل للمحدثين حق فيه

محاضرة ، ألقيت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى جلسة ٢٦ من ديسمبر ١٩٤٩ ، ونشرت فى مجلة الرسالة ع ٨٦٢ فى ٩ يناير ١٩٥٠

(٩٣) أحمد رضا

معجم متن اللغة : موسوعة لغوية حديثة (٢٥ جزءاً)

بيروت — دار مكتبة الحياة (١٩٥٨ — ١٩٦٠ م)

(٩٤) أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى

الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى (٢١ جزءا)

القاهرة (١٣٥٣ – ١٣٧٧ ﻫ)

(٩٥) إخوان الصفاء وخلان الوفاء (القرن الرابع الهجرى)

رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا (٤ أجزاء)

بيروت – دار بيروت (١٩٥٧ م)

(٩٦) الأدفوى : أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر (المتوفى سنة ٧٤٨ ﻫ)

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد

القاهرة – المطبعة الجمالية ، بحارة الروم (١٣٣٢ ﻫ – ١٩١٤ م)

(٩٧) الأزهر : مجمع البحوث الإسلامية

كتاب الأزهر — تاريخه وتطوره

القاهرة (سنة ١٩٦٤)

(٩٨) أسامة بن منقذ : مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر

(٤٨٨ – ٥٨٤ ﻫ)

كتاب الاعتبار

نشر بإشراف فيليب حتى

برنستون – مطبعة جامعة برنستون (١٩٣٠ م)

(٩٩) الأستاذ الحداد : (اسم رمزى لأحد الطاعنين على القرآن)

القرآن والكتاب (جزءان)

بيروت

(١٠٠ و ١٠١) الأصفهانى : أبو الفرج على بن الحسين (٢٨٤ ﻫ – ٣٥٦ ﻫ)

(ا) الأغانى (٢١ جزءا)

القاهرة – ط . ساسى

(ب) وطبعة أخرى فى ٢٠ جزءا

بولاق (١٢٨٥ ﻫ)

(١٠٢) الأصفهانى : أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى فى سنة ٥٠٢ ﻫ)

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء

القاهرة – مطبعة جمعية المعارف المصرية

(١٠٣) الأعشى : ميمون بن قيس

ديوان الأعشى الكبير

شرح وتحقيق محمد حسين

القاهرة – مكتبة الآداب

(١٠٤ و ١٠٥) ألفونس منجانا — Alphonse Mingana

a) An Ancient Syriac Translation of the Kuran, exhibiting new Verses and Variants . (Bull J. R. Lib 9 (1925) , P P. 188. 235 .

b) Leaves from three Ancient Qurans Possibly pre - Othmanic With list of their Vari ants.

Ed. by A. Mingana and A. S. Lewis. (Cambridge, University Press.)

(١٠٦) الألوسى : أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسى البغدادى (المتوفى سنة ١٢٧٠ ﻫ)

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (٣٠ جزءا)

القاهرة – المطبعة المنيرية (سنة ١٣٤٥ ﻫ)

(١٠٧ و ١٠٨) الأنبارى : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد

(٥١٣ – ٥٧٧ ﻫ)

(ا) الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين

(جزءان)

بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد

القاهرة – المكتبة التجارية (١٣٨٠ ﻫ – ١٩٦١ م)

(ب) نزهة الألبا فى طبقات الأدبا

القاهرة – (سنة ١٢٩٤ ﻫ)

(١٠٩) أوكيف — O, Keeffe (Miss)

Patriarchal Times, or the Land of Canaon, in 7 books, founded on the Holy Scriptures ,

(London, 1820)

(١١٠) ايلين . ج . هوايت — Ellen G. White

The Conflict of the Ages illustrated in Lives of the Holy Men of Old.

(Washington, 1869)

(١١١) الباقلانى : أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلانى (المتوفى سنة ٤٠٣ ﻫ)

إعجاز القرآن

على هامش « الاتقان » للسيوطى

القاهرة ـ ط . محمود توفيق (١٩٣٥ م)

(١١٢) البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ)

صحيح البخارى (٩ أجزاء)

مقابلة وتصحيح على بن محمد الهاشمى البوتيتى

(١١٣) برنارد شامبيجنل Bernard Champigneulle

تاريخ الموسيقى Histoire de la Musique

ترجمه ثروت كجوك ، وراجعه محمد رشاد بدران

من مجموعة الألف كتاب

الاسكندرية ـ الدار المصرية للطباعة والنشر .

(١١٤) البكرى : أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكرى (المتوفى سنة ٤٨٧ هـ)

التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه

القاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م)

(١١٥) (١١٦) البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ على الأرجح)

(ا) فتوح البلدان (٣ أجزاء)

نشره ، ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد

القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٦ ـ ١٩٥٩ م)

(ب) وطبعة أخرى ـ ليدن (١٢٨٤ هـ ـ ١٨٦٦ م)

(١١٧) البلوى : أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى المالكى الأندلسى (من علماء القرنين السادس والسابع الهجريين)

ألف با (جزءان)

القاهرة ـ المطبعة الوهبية (سنة ١٢٨٧ هـ)

(١١٨) البيضاوى : ناصر الدين عبد الله بن عمر (المتوفى سنة ٧٩١ هـ ـ ١٣٢٩ م)

أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ومعه حاشية شيخ زاده)

القاهرة ـ المطبعة العثمانية

(١١٩) بيكر : كارل هينريش Becker - Carl Heinrich

Islam Studien (1897)

(١٢٠) البيهقى : إبرهيم بن محمد البيهقى (نبغ فى خلافة المقتدر ، وقيل إنه من علماء القرن الخامس الهجرى)

المحاسن والمساوى

طبعة فردريك شوالى Friedrich Schwally

ليبزج (١٣٢٠ هـ)

(١٢١و١٢٢) الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره (٢٠٩ ـ ٢٩٧ هـ)

(ا) الجامع الصحيح

القاهرة ـ المطبعة المصرية (١٩٣١ م)

(ب) صحيح الترمذى : بشرح أبى بكر بن العربى المالكى (١٣جزءاً)

القاهرة ـ مطبعة الصاوى ، على نفقة عبد الواحد محمد التازى

(١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م)

(١٢٣) التهانوى : محمد بن على بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروق الهندى (القرن الثانى عشر الهجرى)

كشاف اصطلاحات الفنون (جزءان)

كلكته (١٨٥٤ م)

(١٢٤و١٢٥) التوحيدى : أبو حيّان (٣١٠ ـ ٤١٤ هـ)

(ا) البصائر والذّخائر

حققه أحمد أمين ، والسيد أحمد صقر

القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٣ م)

(ب) وطبعة أخرى حققها وعلق عليها إبرهيم الكيلانى

دمشق (أيلول ١٩٦٤ م)

(١٢٦و١٢٧) الثعالبى : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ)

(ا) فقه اللغة وسرّ العربية

القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦ م)

(ب) كتاب لطائف المعارف

ط . بريل E.J. Brill (١٨٦٧ م)

(١٢٨) ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٠٠ ـ ٢٩١)

مجالس ثعلب (جزءان)

شرح ، وتحقيق عبد السلام محمد هرون

القاهرة ـ دار المعارف (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩م)

(١٢٩و١٣٠) الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ)
(ا) البيان والتبيين (٣ أجزاء)
حققه وشرحه حسن السندوبى
القاهرة ـ مطبعة الاستقامة (١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م)
(ب) الحيوان
حققه ونشره عبد السلام محمد هرون (٧ أجزاء)
القاهرة ـ مصطفى البابى الحلبى (١٩٣٨ ـ ١٩٤٧ م)

(١٣١) جبّ : [illegible] Gibb — H. A. R.
Modern Trends in Islam.
The Ulniversty of Ghicago Press
(Ghicago, Illinois)

(١٣٢) جبهة علماء الأزهر
مذكرة بشأن حفظ القرآن الكريم
القاهرة ـ سبتمبر ١٩٥٩

(١٣٣) جريدة الأخبار
مجموعات السنوات من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٠م

(١٣٤) جريدة الأهرام
مجموعات السنوات من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٠ م

(١٣٥) جريدة الجمهورية
مجموعات السنوات من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٠ م

(١٣٦) جريدة المساء
مجموعة سنة ١٩٦١ م

(١٣٧) جمعية العلماء وأهل الآداب (بالفرنسية)
Soc. des Savants et des Gens des Lettres :
Le grand Encyclopedie — Inventaire Raisonné des Sciences, des Lettres, et des Arts'
(Belgique — Robinense)

(١٣٨) الجمل : سليمان بن عمر بن منصور العجيلى المعروف بالجمل (توفى سنة ١٢٠٤ هـ)
شرح الجمل على تفسير الجلالين ، أو الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير
الجلالين للدقائق الخفيّة
القاهرة ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٩٥٩ م)

(١٣٩) جواد على
لهجة القرآن الكريم
بحث فى مجلة المجمع العلمى العراقى — المجلد الثالث — الجزء الثانى
ص ٢٧٠ — ٢٩٤ (سنة ١٩٥٥م)

(١٤٠) جورجى زيدان (١٢٧٨ ـ ١٣٣٢ هـ : ١٨٦١ ـ ١٩١٤ م)
تاريخ آداب اللغة العربية (٤ مجلدات)
راجعه شوقى ضيف
القاهرة (١٩٥٧ م)

(١٤١و١٤٢) جولد تسيهر — إجنتس Goldziher Ignácz
(ا) العقيدة والشريعة فى الإسلام
ترجمة : محمد يوسف موسى، وعلى حسن عبد القادر، وعبد العزيز عبدالحق.
القاهرة - دار الكتب الحديثة (١٩٥٩ م)
(ب) مذاهب التفسير الإسلامى
ترجمة عبدالحليم النجار
القاهرة — مكتبة الخانجى — مطبعة السنة المحمدية (١٣٧٤ هـ —
١٩٥٥ م)

(١٤٣) جون مارشال هولت John Marshall Halt :
The Patriarchs of Israel '
(Vanderbilt University Press, Nashville 1964.)

(١٤٤) الجوينى : إمام الحرمين (٤١٩ ـ ٤٧٨ هـ)
الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد
بتحقيق : محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد
القاهرة — مكتبة الخانجى (سنة ١٩٥٠ م)

(١٤٥) حاجى خليفة : مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب شلبى (المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ)
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (جزءان)
استامبول — مطبعة وكالة المعارف التركية (١٩٤١ — ١٩٤٣ م)

(١٤٦) الحاكم النيسابورى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الحكم الضبى المعروف بالحاكم النيسابورى (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ)
المستدرك على الصحيحين فى الحديث (٤ أجزاء)
حيدر آباد الهند ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية (سنة ١٣٣٤ هـ)

(١٤٧ ـ ١٤٩) الحداد : محمد بن على بن خلف الحسينى

(ا) إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه فى رسم القرآن

على ذيل كتاب : الرحيق المختوم فى نثر اللؤلؤ المنظوم لحسن بن خلف الحسينى

القاهرة — مطبعة المعاهد بالجمالية (١٣٤٢ ﻫ)

(ب) السيوف الساحقة لمنكر نزول القراءات من الزنادقة

القاهرة — مطبعة المعاهد بالجمالية (١٣٤٤ ﻫ)

(ج) الكواكب الدرية فيما ورد فى إنزال القرآن على سبعة أحرف .. الخ

القاهرة — مطبعة مصطفى البابى الحلبى (محرم ١٣٤٤ ﻫ)

(١٥٠) حسن بن خلف الحسينى

الرحيق المختوم فى نثر اللؤلؤ المنظوم على أرجوزة الشيخ المتولى

القاهرة — مطبعة المعاهد بالجمالية (١٣٤٢ ﻫ)

(١٥١) الحسن محمد بن أحمد (ابن جبير) : الكنانى الأندلسى البلنسى (٥٤٠ — ٦١٤ ﻫ)

رحلة ابن جبير ، أو الرحلة إلى المشرق

بغداد — المكتبة العربية (١٩٣٧ م)

(١٥٢) الحصرى القيروانى : أبو إسحق إبرهيم بن على بن تميم (٣٩٠ ـ ٥٤٣ ﻫ)

زهر الآداب وثمر الألباب (جزءان)

بتحقيق على محمد البجاوى

القاهرة — مطبعة عيسى البابى الحلبى (سنة ١٩٥٣ م)

(١٥٣) حفنى ناصف (١٢٧٣ ـ ١٣٣٨ ﻫ : ١٨٦٠ ـ ١٩١٩ م)

تاريخ رسم المصحف : مقدمة كتاب فى قواعد رسم المصحف

نشر بالمقتطف ع . أول يوليو ١٩٣٣ م (٨ ربيع الأول ١٣٥٢ ﻫ)

الجزء الثانى من المجلد ٨٣

(١٥٤) حمزة فتح الله (١٢٦٦ ـ ١٣٣٦ ﻫ : ١٨٤٩ ـ ١٩١٨ م)

المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية (جزءان)

الجزء الأول طبع بمطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٣١٢ ﻫ

والجزء الثانى طبع بالقاهرة فى ١٣٢٦ ﻫ — ١٩٠٨ م

(١٥٥) الخازن : علاء الدين على بن محمد بن إبرهيم البغدادى الصوفى (٦٧٨ ـ ٧٤١ ﻫ)

تفسير القرآن الجليل ، المسمى : لباب التأويل فى معانى التنزيل (٤ أجزاء)

القاهرة ـ المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية (سنة ١٢٩٨ ﻫ)

(١٥٦) الخراز : محمد بن محمد الأموى الشريشى (أدرك آخر القرن السابع الهجرى وأول الثامن)

مورد الظمآن فى رسم القرآن (منظومة)

ضبطه وصححه عامر السيد عثمان

القاهرة ـ مطبعة الاستقامة (١٣٦٥ ﻫ)

(١٥٧ و ١٥٨) الخطيب البغدادى : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت (٣٩٢ ـ ٤٦٣ ﻫ)

(ا) تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام (١٢ مجلدا)

القاهرة ـ مكتبة الخانجى ١٩٣١ م

(ب) تقييد العلم

حققه ، وعلق عليه يوسف العشّى

دمشق ـ مطبوعات المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية (١٩٤٩م)

(١٥٩) الخفاجى : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى (المتوفى سنة ٤٦٦ ﻫ)

سرّ الفصاحة

بتحقيق على فوده

القاهرة — مكتبة الخانجى (١٣٥٠ ﻫ ـ ١٩٣٢ م)

(١٦٠) الدارمى : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى (المتوفى سنة ٢٥٥ ﻫ)

سنن الدارمى

دمشق — طبع بعناية محمد أحمد دهمان (سنة ١٣٤٩ ﻫ)

(١٦١ ـ ١٦٨) الدانى : أبو عمرو عثمان بن سعيد (المتوفى بدانية بالأندلس فى سنة ٤٤٤ﻫ)

(ا) التيسير فى القراءات السبع

تصحيح أوتو برتزل ، ونشر جمعية المستشرقين الألمانية

استامبول — مطبعة الدولة (سنة ١٩٣٠ م)

(ب) ونسخ خطية منه بأرقام ١٤ و٢١٨ و٢١٩ و ٢٢٤ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(ج) جامع البيان فى القراءات السبع المشهورة

المخطوطة رقم ٣ م قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(د) المحكم فى نقط المصاحف

عنى بتحقيقه عزة حسن

دمشق ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ مديرية إحياء التراث القديم (١٣٧٩ﻫ — ١٩٦٠م)

(هـ) المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ، مع كتاب النقط
بتحقيق محمد أحمد دهمان
دمشق — مطبعة الترقى (١٩٤٠ م)
(ز) نسخة خطية من هذا الكتاب رقم ٢٦٣ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(ح) المكتفى فى الوقف والابتداء
المخطوطة رقم ٢١٥ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(ح) النقط
المخطوطة رقم ٢٧ ، بدار الكتب ببلدية المنصورة

(١٦٩) الداودى : عبد السلام بن أبى الحسن على بن عمر
التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات
ضمن مجموعة خطية رقمها ١٠٣ م فى علم التفسير ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٧٠) دائرة معارف الأديان والأخلاق (بالانجليزية)
Encyclopedia of Religions and Ethics.
Edited by Games Hastings.
(New yark 1914)

(١٧١) دائرة المعارف الأمريكية (بالانجليزية)
Ths Encyclopedia Americana . (30 Vols.)
(1961 Edition in the U.S.A. by American Corporation.)

(١٧٢) دروزه : محمد عزة
التفسير الحديث (جزءان)
القاهرة — مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م)

(١٧٣) الدمياطى البنّا : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغنى (المتوفى سنة ١١١٧ هـ)
إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر
رواه ، وصححه ، وعلق عليه على محمد الضّباع
القاهرة — عبد الحميد أحمد حنفى (١٣٥٩ هـ)

(١٧٤ — ١٧٦) الذهبى : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ)
(ا) سير أعلام النبلاء (٣ أجزاء)
(الأول) : بتحقيق صلاح الدين المنجد ، و (الثانى) بتحقيق إبرهيم الابيارى ، و (الثالث) بتحقيق محمد أسعد أطلس
القاهرة — معهد المخطوطات العربية ، بالاشتراك مع دار المعارف (من ١٩٥٥ م)

(ب) كتاب تذكرة الحفاظ (٣ أجزاء)
حيدر آباد — الهند — مطبعة دائرة المعارف النظامية (١٣٣٣ هـ)
(ج) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٤ مجلدات)
تحقيق على محمد البجاوى
القاهرة — دار إحياء الكتب العربية (١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م)

(١٧٧) الرازى : فخر الدين أبو الفضل بن ضياء الدين بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى (٥٤٤ — ٦٠٦ هـ)
التفسير الكبير (٣٢ جزء)
الأجزاء من ١ إلى ٣ ط . المطبعة المصرية (١٣٠٢ — ١٣٠٤ هـ)
والأجزاء من ٤ إلى ٣٢ التزام عبد الرحمن محمد (من ١٣٥٧ هـ)

(١٧٨ — ١٧٩) الزرقانى : أبو عبدالله محمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى (المتوفى سنة ١١٢٢ هـ)
(ا) شرح على المواهب اللدنية للقسطلانى (٨ أجزاء)
القاهرة — دار الطباعة الميرية المصرية ، فى أيام الحضرة الخديوية السعيدية
(ب) وطبعة ثانية بالمطبعة الأزهرية المصرية (سنة ١٣٢٨ هـ)

(١٨٠) الزّرقانى : محمد عبد العظيم الزرقانى
مناهل العرفان فى علوم القرآن (جزءان)
القاهرة — مطبعة الحلبى (١٣٦١ هـ)

(١٨١) الزركشى : بدر الدين (٧٤٥ — ٧٩٤ هـ)
البرهان فى علوم القرآن (٤ أجزاء)
تحقيق محمد أبو الفضل إبرهيم
القاهرة — طبع ونشر عيسى البابى الحلبى (من ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م)

(١٨٢ و ١٨٣) زكريا الأنصارى : أبو يحيى (المتوفى سنة ٩٢٦ هـ)
(ا) الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى
وقف على طبعها ، وصدّرها بترجمة للمؤلف أحمدُ عبيد
دمشق — مطبعة الترقى (١٣٥٥ هـ)
(ب) تحفة نجباء العصر فى أحكام النون الساكنة والمدّ والقصر
المخطوطة رقم ٢١٦ و ٢١٧ و ٣٤ مجاميع ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٨٤ و ١٨٥) الزمخشرى : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (المتوفى سنة ٥٢٨ ه)
(ا) أساس البلاغة
القاهرة (١٩٦٠ م)
(ب) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل (٤ أجزاء)
القاهرة — مصطفى محمد (١٣٠٨ ه)
(١٨٦) الزنجانى : أبو عبد الله
تاريخ القرآن
القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٥٤ ه — ١٩٣٥ م)
(١٨٧ — ١٨٨) السبكى : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين بن عبد الكافى (٧٢٧ — ٧٧١ ه)
(ا) طبقات الشافعية الكبرى (٦ أجزاء)
القاهرة — المطبعة الحسينية (١٣٢٤ ه)
(ب) وطبعة أخرى بتحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح الحلو (صدر منها إلى الآن ٣ أجزاء)
القاهرة — مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٩٦٤ م)
(١٨٩) ستانلى ا . ب
Stanely. A. P.
History of Jewish Church.
(١٩٠) السخاوى : أبو الحسن على بن محمد بن عبد الصمد الهمدانى المصرى (٥٥٨ — ٦٤٣ ه : ١١٦٣ — ١٢٤٥ م)
جمال القراء
المخطوطة رقم ٩ م قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٩١) سليمان حسن عبد الوهاب
تحريف اليهود للقرآن قديما وحديثا
نشر فى مجلة منبر الإسلام ، (مجموعة سنة ١٣٨٥ه)
(١٩٢ و ١٩٣) سيبويه : أبو بشر عامر (توفى فى أواخر القرن الثانى الهجرى)
(ا) كتاب سيبويه المشهور فى النحو ، واسمه « الكتاب »
اعتنى بتصحيحه هرتويغ ودنبرغ
باريس — المطبع العامى الأشرف (سنة ١٨٨٥ م)
(ب) طبعة أخرى ، بهامشها تقريرات وزيد من شرح أبى سعيد السيرافى
القاهرة — المطبعة الأميرية ببولاق (سنة ١٣١٦ه)

(١٩٤) السيورى : جمال الدين المقداد بن عبد الله (المتوفى سنة ٨٢٦ ه)
كنز العرفان فى فقه القرآن
علق عليه محمد باقر شريف زاده
طهران — المطبعة المرتضوية (١٣٨٤ ه)
(١٩٥ — ٢٠٠) السيوطى : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر (المتوفى سنة ٩١١ ه)
(ا) الإتقان فى علوم القرآن (جزءان)
القاهرة — ط . محمود توفيق (سنة ١٩٣٥ م)
(ب) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة (جزءان)
بتحقيق محمد ابو الفضل إبرهيم
القاهرة — مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٩٦٤ — ١٩٦٥ م)
(ج) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة (جزءان)
القاهرة (١٢٩٩ ه)
(د) نسخة أخرى ، ط . المطبعة الشرقية بالقاهرة (١٣٢٧ ه)
(ه) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور
القاهرة — المطبعة الميمنية (١٣١٤ ه)
(و) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها
القاهرة — المكتبة الأزهرية — مطبعة السعادة (١٣٢٥ ه)
(٢٠١) شارل ف . بفيفر
Charles F. Pfeiffer
The Patriarchal Age
Baker Book House, Michigan (1961)
(٢٠٢ — ٢٠٣) الشاطبى : أبو إسحق إبرهيم بن موسى اللخمى (المتوفى سنة ٧٩٠ ه)
(ا) الموافقات فى أصول الفقه ، ويعرف بكتاب « التعريف بأسرار التكليف » (جزءان)
تونس — فاس سنة (١٣٠٢ ه)
(ب) الاعتصام (٣ أجزاء)
القاهرة — ط . المنار (١٣٣٢ ه — ١٩١٤ م)
(٢٠٤ — ٢٠٥) الشاطبى : القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبى (المتوفى سنة ٥٩٠ ه)
(ا) عقيلة اتراب القصائد فى أسنى المقاصد
شرحه موسى جار الله روستوفدوى (١٧٧٩ — ١٧٨٣ م)
قازان روسيا — المطبعة الكريمية (١٩٣٥ م)

(ب) متن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع

صححه وراجعه متولى عبد الله الفقاعى — مكتبة صبيح بالقاهرة

(٢٠٦ – ٢٠٧) الشافعى : أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ)

(١) الرسالة (٣ أجزاء)

بتحقيق أحمد محمد شاكر

القاهرة — مطبعة الحلبى (١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م)

(ب) كتاب أحكام القرآن

جمعه البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وعنى بنشره عزت العطار الحسينى

القاهرة — مكتبة الخانجى (١٣٧١ هـ — ١٩٥١ م)

(٢٠٨) الشرتونى : القس سعيد بن عبد الله بن ميخائيل الشرتونى اللبنانى المارونى

أقرب الموارد فى فُصَح العربية والشوارد (٣ مجلدات)

الشام — مطبعة مرسلى اليسوعية (١٨٨٩ — ١٨٩٣ م)

(٢٠٩) الشعرانى : عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى (المتوفى سنة ٩٧٣ هـ — ١٥٦٥ م)

الدرر المنثورة فى زبد العلوم المشهورة

نشره سميث (بطرسبورج سنة ١٩١٤ م)

(٢١٠) شعلة : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلى (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ)

شرح شعلة على الشاطبية المسمى كنز المعانى وشرح حرز الأمانى

تصحيح : متولى عبد الله الفقاعى ، ومحمد سليمان صالح

وطبع على نفقة الاتحاد العام لجماعة القراء

القاهرة (١٣٧٤ — ١٩٥٥ م)

(٢١١) الشهرستانى : الأفضل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ — ١٢٥٣ م)

الملل والنّحل

خرجه محمد بن فتح الله بدران

القاهرة — مطبعة الأزهر (١٩٥١ م)

(٢١٢) الشوكانى : محمد بن على بن محمد (١١٧٢ — ١٢٥٠ هـ)

نيل الأوطار ، شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار (٨ أجزاء)

القاهرة — المطبعة العثمانية (سنة ١٣٥٧ هـ)

(٢١٣) صديق حسن خان : أبو الطيب صديق بن حسن بن على الحسينى القنوجى (١٢٤٨ — ١٣٠٧ هـ : ١٨٣٢ — ١٨٩٠ م)

أبجد العلوم المسمّى بالوشى المرقوم والسحاب المركوم والرحيق المختوم

الهند — مدينة بهوبال (سنة ١٢٩٥ هـ)

(٢١٤) الصّفدى : صلاح الدين خليل بن أيبك (٦٩٦ — ٧٦٤ هـ)

الوافى بالوفيات (٣ أجزاء)

باعتناء هـ . ريتر — استامبول — جمعية المستشرقين الألمانية (١٩٣١ — ١٩٥٣ م)

(٢١٥) الصولى : أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (المتوفى سنة ٣٣٥ هـ)

أخبار الراضى بالله والمتقى لله — تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢ إلى ٣٣٣ هـ ، من كتاب الأوراق

عنى بنشره ج . هيورث

القاهرة — مطبعة الصاوى (١٩٣٤ م)

(٢١٦ – ٢٢١) الضّبّاع : على محمد

(١) إرشاد المريد إلى مقصود القصيد (شرح الشاطبية)

القاهرة — مطبعة صبيح (١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م)

(ب) بحث فى التجويد

القاهرة — مجلة كنوز الفرقان ع . مايو ويونية ١٩٥٠ م

(ج) جواب على سؤال من مكة المكرمة

القاهرة — مجلة كنوز الفرقان ع ١و٢ سنة ١٣٦٩ هـ

(د) خطبة فى حفل للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم

مجلة كنوز الفرقان ع . إبريل ١٩٤٩ م

(هـ) سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين

القاهرة — عبد الحميد أحمد حنفى (١٣٥٧ هـ)

(و) مبتدءات القراء فى قراءة القرآن الكريم

القاهرة — مجلة كنوز الفرقان ع . ربيع الأول ١٣٦٨ هـ

(٢٢٢ – ٢٢٤) طه حسين

(١) فى الأدب الجاهلى

القاهرة (١٩٢٧ م)

(ب) الفتنة الكبرى ـ عثمان
القاهرة ـ مطبعة المعارف (سنة ١٩٥١ م)
(جـ) مستقبل الثقافة فى مصر
القاهرة ـ مطبعة المعارف (١٩٣٨ م)

(٢٢٥) الطبرسى : أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ)
مجمع البيان فى تفسير القرآن (٣٠ جزءا)
لبنان ـ بيروت ـ دار الفكر ، ودار الكتاب اللبنانى (من ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م)

(٢٢٦ ـ ٢٢٧) الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)
(ا) تاريخ الأمم والملوك (١٣ جزءا فى ٧ مجلدات)
القاهرة ـ المطبعة الحسينية المصرية
(ب) جامع البيان فى تفسير القرآن الشهير بتفسير الطبرى (٣٠ جزءا)
القاهرة ـ المطبعة الكبرى الأميرية ، ببولاق بمصر المحمية (١٣٢٣ ـ ١٣٢٩ هـ)

(٢٢٨) الطحاوى : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدى (٢٢٩ ـ ٣٢١ هـ)
مشكل الآثار (٤ أجزاء)
حيدر آباد الدكن (سنة ١٣٢٣ هـ)

(٢٢٩) الطرطوشى : محمد بن الوليد ابو بكر الفهرى (٤٥١ ـ ٥٢٠ هـ)
سراج الملوك
القاهرة ـ مطبعة بولاق (سنة ١٢٨٩ هـ)

(٢٣٠) الطريحى النجفى : فخر الدين بن محمد على طريحة النجفى (٩٧٩ ـ ١٠٨٧ وقيل ١٠٨٩ هـ : ١٥٧١ ـ ١٦٧٤ م)
مجمع البحرين فى غريبي القرآن والأحاديث
طهران ـ طبع حجر (١٢٧٧ هـ)

(٢٣١) الطيالسى : أبو داود سليمان بن داود بن الجارودى الفارسى البصرى (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) .
مسند أبي داود الطيالسى
حيدر آباد الدكن (سنة ١٣٢١ هـ)

(٢٣٢) العاملى : بهاء الدين محمد بن الحسن العاملى (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ : ١٦٢٣ ـ ١٦٩٢ م)
أعيان الشيعة (٥ مجلدات)
دمشق (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦)

(٢٣٣) عبد العزيز البخارى : بن أحمد بن محمد علاء الدين البخارى (المتوفى سنة ٧٣٠ هـ)
كشف الأسرار على أصول البزدوى (أبي الحسن على بن محمد بن حسين)
(٤ أجزاء)
الآستانة (١٣٠٨ هـ)

(٢٣٤) عبد العزيز فهمى
الحروف اللاتينية لكتابة العربية
القاهرة ـ مطبعة مصر (أغسطس ١٩٤٤م)

(٢٣٥) عبد الفتاح إسماعيل شلبي
رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات
القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر ، بالفجالة (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م)

(٢٣٦) عبد الفتاح بن هنيدى بن أبي المجد
الأدلة العقلية فى حكم جمع القراءات النقلية
القاهرة ـ مطبعة الجندى ، بزين العابدين ، بالسيدة زينب (سنة ١٣٤٤ هـ)

(٢٣٧) عبد الله بن عبّاس
كتاب اللغات فى القرآن (أخبر به إسماعيل بن عمرو القارى ، عن عبدالله
ابن الحسين بن حسنون المقرى ، بإسناده إلى ابن عباس
حققه ونشره صلاح الدّين المنجد
القاهرة ـ مطبعة الرسالة (١٣٦٥ هـ ـ ١٩٦٤ م)

(٢٣٨) عبد المتعال الصعيدى
سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات
مقال فى مجلة الرسالة ع ٤٨٨ فى ٩ نوفمبر ١٩٤٢ م

(٢٣٩) عثمان (ابن جنى) : ابو الفتح عثمان بن جنى النحوى الموصلى البغدادى (٣٣٠ ـ ٣٩٢ هـ)
المحتسب فى تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها
المخطوطة رقم ٢٥٢ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٢٤٠) عثمان أمين

فلسفة اللغة العربية

القاهرة ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة (١٩٦٥ م)

(٢٤١) العجّاج والزّفيان

مجموع أشعار العرب، وهى تشتمل على ديوانى الأراجيز للعجاج والزّفيان

Die Diwane der Regez Dichter Elaggag und Ezzafayan.

W. Ahlwardt اعتنى بتصحيحها وترتيبها وليم بن الورد البروسى

ليبزج (١٩٠٣) م .

(٢٤٢) عريب بن سعد القرطبى

صلة تاريخ الطبرى (جزءان فى مجلد)

القاهرة ـ المطبعة الحسينية (١٣٢٧هـ)

(٢٤٣) عز الدين بن عبد السلام : عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم السلمى (٥٧٨ ـ ٦٦٠ هـ)

فائدة من أمالى عز الدين بن عبد السّلام

القاهرة

(٢٤٤) عزت عبيد الدّعاس

فن التجويد

حلب (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م)

(٢٤٥ و ٢٤٦) العسكرى : أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد (٢٩٣ ـ ٣٨٢هـ)

(ا) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف

بتحقيق عبد العزيز أحمد كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم سابقا

القاهرة ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م)

(ب) ونسخة مخطوطة رقم ٢ ـ مصطلح الحديث ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٢٤٧) العقاد : عباس محمود (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤م)

أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب

دار المعارف بمصر (سنة ١٩٦٣م)

(٢٤٨ و ٢٤٩) العكبرى : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى (المتوفى سنة ٦١٦ هـ)

(ا) إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن

تصحيح وتحقيق إبراهيم عطوة عوض

القاهرة ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٩٦١ م)

(ب) اللباب فى علل البناء والإعراب

المخطوطة رقم ٤٢٣ نحو ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٢٥٠) على بن أبى طالب (منسوب إليه الكتاب)

نهج البلاغة (جمع الشّريف الرضى) ـ (٣ أجزاء)

شرح محمد عبده ، ومعه زيادات من شروح ابن الحديد وابن ميثم البحرانى ،

وأشرف على الطبع عبد العزيز سيد الأهل

بيروت (١٩٥٤ م)

(٢٥١ ـ ٢٥٤) على بن سلطان القارى : على بن سلطان محمد الهروى (توفى سنة ١٠١٤ هـ)

(ا) شرح الشفا للقاضى عياض

تركيا (١٣١٠ هـ)

(ب) شرح عقيلة أتراب القصائد أو الهبات السّنية العلية

نسختان خطيتان رقم ٢٣ و ٢٤٨ قراءات، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(جـ) مرقاة المفاتيح ، شرح مشكاة المصابيح (٥ أجزاء)

القاهرة ـ المطبعة الميمنية (١٣٠٩ هـ)

(د) المنح الفكرية على متن الجزرية (وبهامشه شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى على مقدمة الجزرية)

القاهرة ـ المطبعة العثمانية، بحارة الفراخة ، بباب الشعرية (١٣٠٢ هـ)

(٢٥٥) على الجرجانى : على بن محمد بن على الجرجانى (٧٤٠ ـ ٨١٦ هـ)

Ali Ben Mohammed Dschoroschani.
Definitiones

التعريفات

Justavus Flugel (Lipsiae, 1845) بإشراف جوستاف فلوجل

(٢٥٦ ـ ٢٥٨) على عبد الواحد وافى

(ا) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام

القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر ، بالفجالة (١٩٦٤م)

(ب) علم اللغة

القاهرة ــ لجنة البيان العربي ــ الطبعة الثالثة (١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ م)

(جـ) فقه اللغة

القاهرة ــ لجنة البيان العربي ــ الطبعة الثالثة (١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ م)

(٢٥٩) على مبارك : بن سليمان بن إبرهيم الروحى (١٢٣٩ ــ ١٣١١ هـ)

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها و بلادها القديمة والشهيرة (٢٠ جزءاً فى ٥ مجلدات)

القاهرة ــ المطبعة الأميرية (١٣٠٥ ــ ١٣٠٦ هـ)

(٢٦٠) عياض : القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى ابن عياض (٤٧٦ ــ ٥٤٤ هـ)

الشفا بتعريف حقوق المصطفى (جزءان)

القاهرة ــ دار الكتب العربية الكبرى ، سنة ١٣٢٩ هـ

(٢٦١) الغزالى : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ)

إحياء علوم الدين (٤ أجزاء)

القاهرة (١٩٣٣م)

(٢٦٢) الفارسى : أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسى النحوى (المتوفى سنة ٣٧٧هـ)

الحجة فى القراءات (الجزء الأول)

مخطوطة رقم ١٩٥٥٣ ب ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢٦٣) الفراء : أبو زكريا الفراء يحيى بن زياد (المتوفى سنه ٢٠٧ هـ)

معانى القرآن (جزءان)

بتحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار

القاهرة ــ ط ، دار الكتب المصرية (سنة ١٩٥٥م)

(٢٦٤) الفراء البغوى: أبو محمد حسين بن مسعود بن محمد (المتوفى بمروروذ سنة ٥١٠ هـ وقيل سنة ٥١٦ هـ)

مصابيح السنّة (جزءان)

القاهرة ــ بولاق (١٢٩٤ هـ)

(٢٦٥) فوزى المغربى : عبد الله بن محمد بن عثمان

الفرائد الجلية والفوائد الجمية (منظومة)

المخطوطة رقم ٢٢٧٣٠ ب ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٢٦٦) الفيروزابادى الشيرازى : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد ابن إبرهيم بن عمر (٧٢٩–٨١٧هـ)

القاموس المحيط (٤ مجلدات)

القاهرة ــ مطبعة بولاق (سنة ١٢٧٢ هـ)

(٢٦٧) الفيومى : أحمد بن محمد بن على (المتوفى سنة ٧٧٠ هـ)

المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى

القاهرة : المطبعة الأميرية (سنة ١٩٢٦ م)

(٢٦٨) القاسمى : محمد جمال الدين (١٢٨٣ ــ ١٣٣٢ هـ : ١٨٦٦ ــ ١٩١٤ م)

تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل (١٧ جزءا)

وقف على طبعه وتصحيحه ، ورقمه ، وخرّج آياته وأحاديثه ، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقى

القاهرة ــ دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) ــ (١٩٥٧ م)

(٢٦٩) القالى : أبو على إسماعيل بن القاسم بن هرون بن عيسى القالى (٢٨٨ ــ ٣٥٦ هـ)

الأمالى (فى مجلدين)

القاهرة ــ دار الكتب المصرية (١٩٢٦م)

(٢٧٠) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١ هـ)

الجامع لأحكام القرآن (٢٠ جزءاً)

دار الكتب المصرية (١٩٣٣ ــ ١٩٥٠م)

(٢٧١) القَسْطَلانىّ : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلانى (المتوفى سنة ٩٢٣ هـ)

لطائف الإشارات فى علم القراءات

نسختان خطيتان : الأولى رقم ٤٩ ، والثانية رقم ٤٠٦ ــ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢٧٢) القفطى : جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف (٥٦٨ ــ ٦٤٦ هـ)

إنباه الرواة على أنباه النحاة (ثلاثة مجلدات)

بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة ــ دار الكتب المصرية (١٣٦٩ ــ ١٣٧٤ هـ : ١٩٥٠ ــ ١٩٥٥ م)

(٢٧٣) القلقشندى : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على (٧٥٦ — ٨٢١ هـ)

صبح الأعشى فى كتابة الإنشا (١٤ جزءا)

القاهرة — دار الكتب المصرية (١٩١٠ — ١٩٢٠م)

(٢٧٤) الكاشى : الفيض محمد بن مرتضى الكاشانى — ملا حسن فيض (١٠٩٨ — ١٦٧٩ م)

الصافى فى تفسير كلام الله الوافى

طهران — طبع حجر (١٣١١ هـ — ١٨٩٣ م)

(٢٧٥) الكتاب المقدّس

(٢٧٦) الكتّانى : عبد الحىّ بن عبد الكبير الحسنى الكتانى الإدريسى الفاسى

التراتيب الإدارية ، والعمالات ، والصناعات ، والمتاجر ، والحالة العلمية التى كانت على عهد تأسيس المدنيّة الإسلامية فى المدينة المنوّرة العلية (جزءان)

الرباط — (١٣٣٦ هـ)

(٢٧٧) الكتبى : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن صلاح الدين أو فخر الدين (٦٨٦ — ٧٦٤ هـ)

عيون التواريخ — الجزء الخامس بالمدة من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠هـ

منقول بالتصوير الفوتوغرافى عن المخطوطة رقم ١٤٩٧ تاريخ ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٢٧٨) كراوس : پول

« المصحف » — بحث بمجلة الثقافة ، ع ١١ مايو ١٩٤٣

(٢٧٩) الكرمانى : محمد بن يوسف بن على بن سعيد شمس الدين (٧١٧ — ٧٨٦ هـ : ١٣١٧ — ١٣٨٤م)

الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى (٢٠ جزءا)

القاهرة — المطبعة المصرية (١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م)

(٢٨٠) لبيب السعيد

العلاقات العالية الإنسانية وأيديولوجيتها فى المجتمع العربى (ج . ع . م)

القاهرة — الطبعة الثانية (مطبعة السعادة) — (سنة ١٩٦٧م)

(٢٨١) لجنة الفتوى بمصر

فتوى فى شأن الرسم القرآنى صدرت فى سنة ١٩٣٧ م

نشرت بمجلة الأزهر ع ، صفر سنة ١٣٦٨ هـ

(٢٨٢) لجنة نشر الثقافة القانونية بالقاهرة

مجموعة أحكام مجلس الدولة (المجلد الخامس)

القاهرة .

(٢٨٣) مالك بن أنس بن مالك (صاحب المذهب) ، (٩٥ — ١٧٩ هـ)

الموطأ

جزءان ، صححه ، ورقمه ، وخرّج أحاديثه ، وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقى

القاهرة — دار إحياء الكتب العربية ، سنة ١٩٥١ م

(٢٨٤) الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الشهير بالماوردى (٣٦٤ — ٤٥٠ هـ)

أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك

القاهرة — مكتبة الخانجى (سنة ١٩٢٩ م)

(٢٨٥) المبرّد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمر بن حسّان بن مالك ابن الحارث (٢١٠ — ٢٨٥ هـ)

الكامل فى اللغة والأدب والنحو والتصريف

بشرح وضبط سيد بن على المرصفى ، واسم الشرح :

رغبة الآمل من كتاب الكامل (٨ أجزاء)

القاهرة — مطبعة النهضة (١٩٣٠ — ١٩٣٧ م)

(٢٨٦) متى : (من رسل المسيح)

إنجيل متى

(٢٨٧) متز : آدم (Mez)

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (جزءان)

ترجمه محمد توفيق أبو ريده

القاهرة — بيت المغرب — المعهد الخليفى للأبحاث المغربية (١٩٤٠م)

(٢٨٨) مجلة آخر ساعة

مجموعات السنوات من ١٩٦١ إلى ١٩٦٥ م

(٢٨٩) مجلة الأدب : كان يصدرها أمين الخولى

مجموعة سنة ١٩٥٦

(٢٩٠) مجلة الأزهر

مجموعات السنوات ١٣٧٨ ــ ١٣٨٥هـ

(٢٩١) مجلة الثقافة

مجموعة سنة ١٩٤٣م

(٢٩٢) مجلة الرسالة

مجموعة السنوات ١٩٤٢ ــ ١٩٥٣م

(٢٩٣) مجلة الصداقة

مجموعة سنة ١٩٦٣

(٢٩٤) مجلة كنوز الفرقان (كان يصدرها الاتحاد العام للقراء برياسة على الضباع شيخ القارىء بالديار المصرية).

مجموعات السنوات ١٣٦٨ ــ ١٣٧٢هـ

(٢٩٥) مجلة لواء الإسلام

مجموعة سنة ١٣٦٨هـ

(٢٩٦) مجلة المسلم (تصدرها العشيرة المحمدية)

مجموعات السنوات ١٣٨٣ ــ ١٣٨٦هـ

مجموعة سنة ١٩٥٨

(٢٩٧) مجلة المقتطف

مجموعة سنة ١٩٣٣

(٢٩٨) مجلة منبر الإسلام

مجموعات السنوات ١٣٨٣ ــ ١٣٨٦هـ

(٢٩٩) مجلة نور الإسلام (التى كانت تصدر باسم الأزهر)

مجموعة سنة ١٣٥٣هـ

(٣٠٠) المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

توصيات الحلقة الثانية لبحث الموسيقى العربية (فى المدة من ١٩٦١/١١/٢٦ إلى ١٩٦٣/٢/١٨).

القاهرة (١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م)

(٣٠١) محسن الأمين

نقض الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الدين فاطمة التركستانى

بيروت (١٣٧٠هـ ــ ١٩٥١م)

(٣٠٢) محمد بخيت المطيعى

الكلمات الحسان فى الحروف السبعة وجمع القرآن

القاهرة (١٣٢٣هـ)

(٣٠٣) محمد بن أبى جمعه الهبطى

تقييد وقف القراءات

المخطوطة رقم ٢٤٣، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٣٠٤) محمد بن أحمد الاسكندرانى الطبيب (كان موجودا سنة ١٢٩٩هـ)

كشف الأسرار النورانية القرآنية (جزءان)

القاهرة ــ المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٧هـ

(٣٠٥) محمد بن حبيب الله الشنقيطى

إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام

القاهرة ــ مطبعة المعاهد بالجمالية (سنة ١٣٤٥هـ)

(٣٠٦) محمد بن الحسن الشيبانى (صاحب أبى حنيفة) ــ (١٣٢ ــ ١٨٩هـ)

كتاب الآثار

ط. محمد عبد الحى اللكنوى

در مطبع أنوار محمدى طبع كرديد

(٣٠٧) محمد الخضر الجكنى الشنقيطى مفتى المالكية بالمدينة المنورة

قمع أهل الزيغ والإلحاد عن الطعن فى تقليد أئمة الإجتهاد

القاهرة ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه (شوال ١٣٤٠هـ)

(٣٠٨) محمد راغب باشا (المتوفى سنة ١١٧٩هـ)

سفينة الراغب ودفينة الطالب

القاهرة ــ المطبعة الخديوية ببولاق مصر المعزية، تعلق الدائرة السنية (سنة ١٢٨٢هـ)

(٣٠٩) محمد رشيد رضا (١٢٨٢ ــ ١٣٥٤هـ: ١٨٦٥ ــ ١٩٣٥م)

تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار ــ على نهج تفسير محمد عبده (١٢ جزءاً)

القاهرة ــ مطبعة المنار (١٣٤٦هـ ــ ١٣٥٣هـ)

(٣١٠) محمد طاهر بن عبد القادر الكردى

تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه

جدّة (سنة ١٣٦٥هـ)

(٣١١) محمد طاهر الفتنى : جمال الدين محمد بن طاهر الصديق الهندى الفتنى الملقب بملك المحدثين

مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (٤أجزاء)

الهند — المطبع العالى (سنة ١٢٨٣هـ)

(٣١٢) محمد عبد الله دراز

النبأ العظيم — نظرات جديدة فى القرآن

القاهرة ـ مكتبة دار العروبة (١٩٦٠م)

(٣١٣) محمد غوث ناصر الدين محمد نظام الدين النائطى الأركانى

نثر المرجان فى رسم نظم القرآن (٧ أجزاء)

حيدر آباد الدكن ـ مطبعة عثمان پريس (سنة ١٣١٣ هـ)

(٣١٤) محمد قطة العدوى (مقابلة وتصحيح...)

ألف ليلة وليلة (جزءان)

القاهرة ـ مطبعة بولاق (١٢٥٢ هـ)

(٣١٥ ـ ٣١٦) محمد المتولى

(ا) الفوائد المعتبرة

جمع وترتيب وتصحيح على محمد الضباع

ضمن مجموعة «إتحاف البررة بالمتون العشرة، فى القراءات والرسم والآى والتجويد»

القاهرة ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م)

(ب) الوجوه المسفرة فى القراءات الثلاث

ضمن المجموعة المشار إليها آنفا

(٣١٧) محمد المقرى الشهير بالقادرى

مسعف المقرئين ومعين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتدا وعدّ الآى

المخطوطة رقم ٥٧ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣١٨) محمد مكى نصر الجريسى (من أبناء القرن الرابع عشر الهجرى)

نهاية القول المفيد فى علم التجويد

القاهرة ـ المطبعة الأميرية ببولاق (سنة ١٣٠٨ هـ)

(٣١٩) محمود عرنوس

قراءة القرآن بالألحان

بحث فى مجلة « لواء الإسلام » ع ، شعبان ١٣٦٧ هـ ـ يونية ١٩٤٨ م

(٣٢٠) محمود محمد حمزة ، وحسن علوان ، ومحمد أحمد برانق

تفسير القرآن الكريم (٣٠ جزءا)

القاهرة ـ دار المعارف

(٣٢١) محمود محمد شاكر

أباطيل وأسمار

القاهرة (١٣٨٤ هـ)

(٣٢٢) المراكشى : أبو محمد عبد الواحد بن على محيى الدين التميمى المراكشى (المولود سنة ٥٨١ هـ)

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب

ضبطه وصححه : محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى

القاهرة ـ مطبعة الاستقامة (١٩٥٠ م)

(٣٢٣) المرتضى : الشريف على بن الحسين الموسوى العلوى (المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)

غرر الفوائد ودرر القلائد (جزءان)

تحقيق محمد أبو الفضل إبرهيم

القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية ، (سنة ١٩٥٤م)

(٣٢٤ ـ ٣٢٥) مسلم بن الحجاج : بن مسلم القشيرى النيسابورى (٢٠٦ ـ ٢٦١هـ)

(ا) الجامع الصحيح (٨ أجزاء)

استامبول (١٣٢٩ هـ)

(ب) صحيح مسلم بشرح النووى : محيى الدين بن شرف بن مرى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ (١٨ جزءا)

القاهرة ـ ط . محمد محمد عبد اللطيف (١٩٢٩ م)

(٣٢٦) مصطفى خالدى ، وعمر فروخ

التبشير والاستعمار فى البلاد العربية .

بيروت ـ الطبعة الثانية (١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م)

(٣٢٧) مصطفى السّباعى

السنّة ومكانتها فى التشريع الإسلامى

القاهرة ـ مكتبة دار العروبة (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م)

(٣٢٨) مصطفى صادق الرافعي (المتوفى سنة ١٩٣٦م)

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية

القاهرة ــ الطبعة الثانية (١٣٤٥ هـ ــ ١٩٢٦ م)

(٣٢٩) مصلحة الاحصاء والتعداد ، بالجمهورية العربية المتحدة

الإحصاء السنوى العام لسنة ١٩٦٢ م

(٣٣٠) المقدسي المعروف بالبشاري : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا (من علماء القرن الرابع الهجرى)

أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم

ط . ليدن ــ مطبعة بريل ١٨٧٦ م

(٣٣١ ، ٣٣٣) المقريزى : تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد (٧٦ــ٨٤٥هـ)

(ا) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع

نشره محمود محمد شاكر

القاهرة ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٤١ م)

(ب) السلوك لمعرفة دول الملوك (٤ أجزاء)

تحقيق محمد مصطفى زيادة

القاهرة ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٠٨ م)

(جـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (جزءان)

القاهرة ــ المطبعة الأميرية ببولاق (سنة ١٢٧٠هـ)

(٣٣٤) مكيّ بن أبي طالب : ابن حموش بن محمد بن مختار القيسى القيروانى (٣٥٥ ــ ٤٣٧ هـ)

الإبانة عن معانى القراءات

تقديم وتحقيق وتعليق وشرح عبد الفتاح إسماعيل شلبي

القاهرة ــ مكتبة نهضة مصر (١٩٦٠ م)

(٣٣٥ ــ ٣٣٦) المناوى : شمس الدين محمد المدعوّ عبدالرؤوف (المتوفى سنة ٩١١ هـ)

(ا) شرح الجامع الصغير المسمى بالتيسير (جزءان)

القاهرة ــ مطبعة بولاق (سنة ١٢٨٦ هـ)

(ب) فيض القدير : شرح الجامع الصغير (٦ أجزاء)

القاهرة ــ مصطفى محمد (١٩٣٨ م)

(٣٣٧) مؤلف لا يعرف اسمُه

رسالة فى تجويد القراءات ، فيها رسم اللسان ومخارج الحروف

المخطوطة رقم ١٣٢٣ تيمورية ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (نقلا عن نسخة الأصل المحفوظة بالمكتبة الأحمدية بالجامع الأحمدى بطنطا برقم ١٥ تفسير)

(٣٣٨) مؤلف لا يُعرف اسمُه

صورة الفم واللسان ، وباقى الفم من الأسنان ، مع بيان مخارج الحروف

المخطوطة رقم ٦٠٦ تيمورية ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٣٣٩) مير أحمد على — Mir Ahmed Ali - S. V.

A Preface to the Translation of the Holy Quran.

(The Holy Quran with English Translation of the Arabic Text and Commentary according to the version of the Holy Ahlul Bait ,with Special notes from Ayotullah Agha Haji Mirza Mahdis Pooya Yazdi on the Philosophic Aspects of some of the verses). -
(Karachi — Pakistan, 1954)

(٣٤٠) النابلسى : عبد الغنى بن إسماعيل المعروف بالنابلسى (١٠٥٠ ــ ١١٤٣ هـ)

ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث (٤ أجزاء فى مجلد)

القاهرة ــ جمعية النشر والتأليف الأزهرية (سنة ١٣٥٢ هـ الموافقة ١٩٣٣ ــ ١٩٣٤ م)

(٣٤١) نجيب العقيقى

المستشرقون (٣ أجزاء)

القاهرة ــ دار المعارف (١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ م)

(٣٤٢) النسائى : أبو عبد الرحمن احمد بن على بن شعيب (٢١٥ ــ ٣٠٣ هـ)

سنن النسائى المسمى بالمجتبى (جزءان)

القاهرة ــ المطبعة الميمنية (١٣١٢) هـ

(٣٤٣) نظام الدين النيسابورى : الحسن بن محمد بن الحسين القمى (المتوفى سنة ٨٢٨ هـ)

غرائب القرآن ورغائب الفرقان (المطبوع منه إلى الآن ٤ أجزاء)
بتحقيق إبرهيم عطوة عوض
القاهرة ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي (من ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م)

(٣٤٤) نورس إدوارد ا. — Nourse Edward E.
Sadducees
The Encyclopedia Americana (vol. 24)
1961 Edition in the U. S. A' by American Corporation.

(٣٤٥ ـ ٣٤٦) نولدكه: تيودور (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠ م) — Nöldeke - Theodor
(a) Geschichte des Qorans (Gottingen, 1860)

(ب) مذاهب التفسير الإسلامى
ترجمه إلى العربية عبد الحليم النجار
القاهرة (١٩٥٥ م)

(٣٤٧) النووى: أبو زكريا محي الدين بن شرف (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ)
تهذيب الأسماء واللغات (مجلدان)
القاهرة ـ ط. منير الدمشقى (بدون تاريخ)

(٣٤٨) النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ — ٧٣٣ هـ)
نهاية الأرب فى فنون الأدب (المطبوع منه ١٨ جزءا)
القاهرة ـ دار الكتب المصرية (١٣٤٢ ـ ١٣٧٤ هـ: ١٩٢٣ ـ ١٩٥٥ م)

(٣٤٩) الهيثمى: نور الدين أبو الحسن على بن أبى بكر بن سليمان بن أبى بكر الهيثمى (٧٣٥ — ٨٠٧ هـ)
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠ أجزاء)
تحرير: العراقى وابن حجر
القاهرة ـ مكتبة القدسى (١٣٥٢ ـ ١٣٥٣ هـ)

(٣٥٠) الوصابى الحبشى (المتوفى سنة ٧٨٢ هـ)
البركة فى فضل السعى والحركة
القاهرة ـ مطبعة الفجالة الجديدة.

(٣٥١) وكيع محمد بن خلف بن حبان
أخبار القضاة

صححه، وعلّق عليه، وخرّج أحاديثه عبد العزيز مصطفى المراغى
القاهرة ـ مطبعة الاستقامة (١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م)

(٣٥٢ ـ ٣٥٣) ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى البغدادى ياقوت الرومى (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ)
(ا) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) — (٢٠ جزءا)
القاهرة: أحمد فريد رفاعى (١٣٥٥ ـ ١٣٥٧ هـ: ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ م)
(ب) وطبعة أخرى فى ٦ أجزاء، نشر د. س. مرجليوث ـ القاهرة ـ مطبعة هندية (١٩٢٦ م)

(٣٥٤) يوسف على — Youssef Ali
Commentaries on the Quran.
The Holy Quran Text, Translation and Cammentary.
(Printed in the U. S. A. by the American nternational printing Company, Washington, D. C.)

الفَــهَارِسُ

الفَــهَارِسْ

— ١ —

الأشخاص

(١) الرجال

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ب) النســـاء

٢

القبائل والجنسيات والقوميات واللغات

٣

الطوائف والجماعات الدينية والمذهبية والعلمية

٤
أصحاب المناصب والوظائف الرسمية

٥

المعروفون بألقاب خاصة

٦

البلاد والمواضع

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

٧
الجوامع والدور العلمية والثقافية

(ا)

(ج)

٨
الوزارات والإدارات والهيئات واللجان والجمعيات

٩

الصحف والمجلات ودوائر المعارف

١٠

المصطلحات والمسميات التى لم ترد فى الفهارس الأخرى

١١

الموضوعات

القسم الأول

تسجيل القرآن كتابيا وصوتيًا

الباب الأول

الجمعان الكتابيان

٣٣ — ٧٨

الفصل الأول : جمع أبي بكر

٣٤ — ٥٠

(١)

« الجمع » فى كلام أهل القرآن .

(٢)

لم يجمع القرآن على عهد النبي فى مصحف واحد — ما قيل فى أسباب ذلك — استحفاظ النبي أصحابه القرآن — كتابة القرآن مفرقاً بين يدى النبي ، وبأمره ، وبإقراره — الجمع فى موضع واحد ، وترتيب السور ، كانا ، على عهد النبي ، من حيث الحفظ فى الصدور لا من حيث الكتابة .

(٣)

قصة الجمع البكرى كما رواها البخارى

(٤)

منهج هذا البحث فيما اتّسق لنا :

١ — كل من تلقى شيئاً من الرسول يأتى به ، وذلك بالأحرف السبعة .

٢ — التسجيل بالكتابة .

٣ — قصر التسجيل على : (ا) ما كتب بين يدى النبي لا من مجرد الحفظ (ب) وما ثبت عرضه عام وفاته (حـ) وما ثبت أنه من الوجوه التى نزل بها القرآن .

٤ — مراعاة ترتيب الآيات والسور وضبطها حسب التلقى عن الرسول .

٥ — عدم قبول شىء إلا بعد شهادة شاهدين بتلقيه سماعاً .

٦ — قيام عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت بكتابة ما يشهد عليه الشاهدان — التزام الجامعين قواعد هذا المنهج .

(٥)

رضى المسلمين عن عمل أبي بكر .

(٦)

اعتراض الروافض على الجمع البكرى ، وخلاصة ما رُدّ به عليهم .

(٧)

هل سبق آخرون أبا بكر إلى جمع القرآن ؟

الروايات الشيعية المغالية ، والردّ عليها :

رواية أن عمر بن الخطاب هو الآمر بجمع القرآن — ورأينا : أن هذه الرواية لا تعدو الأخبار بأن عمر هو الذى أشار بالجمع .

رواية أنّ سالم مولى أبي حذيفة هو أول من جمع القرآن ، والشكّ فى هذه الرواية .

رواية أنّ ابن عباس كان من الجامعين ، ونقض هذه الرواية .

* * *

الفصل الثانى : جمع عثمان

٥١ — ٧٨

(١)

انتشار الصحابة بعيداً عن منزل الوحى ، ووقوع اختلافات يسيرة بينهم فى ألفاظ القرآن — نماذج الاختلافات .

(٢)

حذيفة بن اليمان فى العراق ، وغضبه من تنازع أهل الشام وأهل العراق فى القرآن — سعى حذيفة لدى الخليفة عثمان لجمع الناس على مصحف واحد ، وإقرار الصحابة لفكرة هذا الجمع .

(٣)

إجراءات هذا الجمع ، واختيار من يقومون به ، وملابسات اختيار كل منهم .

(٤)

غضب عبد الله بن مسعود لصرفه عن الجمع — أوجه احقّيته بهذه المهمة — عذر عثمان من عدم اختياره — مزايا زيد بن ثابت التى توجب خصوصيته بهذا الجمع .

(٥)

إرسال المصاحف الأئمة إلى الأمصار ـ تحريق المصاحف المخالفة ، ومنها ربعة حفصة ـ رضى الناس عن صنيع عثمان ـ الردّ على مشكرى هذا الصنيع .

(٦)

قول الطحاوى بارتفاع الضرورة الوقتية التى كان القرآن قد نزل من أجلها على سبعة أحرف ـ نفى ابن حزم أن يكون عثمان أسقط ستة أحرف واقتصر على حرف واحد ، وإبطاله أن يكون عثمان جمع الناس على مصحف واحد ـ قول ابن قيّم الجوزيّة إن عثمان جمع الناس على حرف واحد لمصلحة الأمّة ـ فى عمل عثمان من النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجراءة .

(٧)

منهج عثمان فيما اتّسق لنا أيضا .

١ ـ الإعتماد على ربعة حفصة .

٢ ـ تعاهد الخليفة بنفسه للعمل .

٣ ـ الجمع على ملأ من المسلمين .

٤ ـ الرجوع ـ عند الاختلاف ، فى أية آية ـ إلى من يكون الرسول أقرأها إياه .

٥ ـ الاقتصار ـ عند الاختلاف ـ على لغة قريش .

٦ ـ الجمع على القراءة المتواترة عن النبى .

٧ ـ الكلمات المحتملة لما اشتملت عليه من قراءات لا يُقصر النطق بها على وجه واحد .

٨ ـ تحديد ما يُمتنع من كتابته وسماعه .

٩ ـ الكلمات المتضمنة أكثر من قراءة ، ولم تنسخ فى العرضة الأخيرة :

(أ) المحتملة منها لما اشتملت عليه من القراءات : تكتب برسم واحد فى المصاحف كلها .

(ب) وغير المحتملة : تكتب فى بعض المصاحف برسم يدلّ على قراءة ، وفى بعضها برسم يدلّ على القراءة الأخرى .

١٠ ـ ترتيب آيات السور يكون على ما كان فى عهد النبى .

١١ ـ المراجعة أمانا من النسيان والخطأ .

الباب الثانى

الجمع الصوتى الأول ، أو المصحف المرتل

٧٩ ـ ١١٢

الفصل الأول : الفكرة

٨١ ـ ٩٥

(١)

تاريخ تسمية مجموعة القرآن مصحفا ـ تعريب لفظ (المصحف) عن الحبشية ـ تداول المسلمين لهذا اللفظ ، وروايات وروده فى بعض الأحاديث النبوية .

(٢)

تسمية الجمع الصوتى ، فى أول الأمر : (المصحف المسموع) ـ ما ورد فى القرآن فى شأن سماع الوحى ـ لفظ « السّماع » بالنسبة للقرآن .

(٣)

استبدال كلمة « المرتّل » بكلمة « المسموع » ـ الترتيل فى اللغة ـ الترتيل اصطلاحا ـ الترتيل أفضل مراتب القراءة ـ الترتيل فى السّنّة الفعلية والقولية ـ أقلّ الترتيل عند الشافعى ـ استحباب الترتيل عند الغزالى وغيره ـ الردّ على من يدّعوا مشروع المصحف المرتل بأن الجمع الكتابىّ كان عملا مستحدثا لم يفعله النبى ، ولكنّ الصحابة فعلوه لمطلق المصلحة .

(٤)

خطأ إطلاق اسم « القرآن المرتل » على مادّيات المشروع ـ الصحابة لم يسيغوا إطلاق اسم « القرآن » على المادّة التى سُجّل فيها القرآن ـ القرآن كلام الله القائم بذاته ـ القرآن ليس شيئا غير الوحى ـ لا يجوز على القرآن الإنفصال عن ذات الله ـ الأصوات التى تقرأ بها ليست كلام الله ـ رفض قول الحشوية إنّ صوت القرآن هو عين كلام الله ـ مجافاة تلك التسمية الدين والذوق السليم ـ اتفاقها مع استعمال الطاعنين على القرآن ـ إيقاظها فتنة خلق القرآن ـ رأينا فى وجوب تنزيه القرآن عن أن يكون متصلا بالأجسام وقائما بالأجرام .

(٥)

إجمال بواعث التفكير فى الجمع الصوتى .

* * *

ما يروى عن الغلطات التصحيفية فى القرآن ـ إفراد المسلمين علماً خاصا للتصحيف ـ من تاريخ هذا العلم ، ومن مؤلفات المسلمين وأقوالهم فيه ـ التصحيف لغةً ـ مناهج المسلمين فى التلقى الشفوى ـ الاكتفاء بالأخذ من المصحف المكتوب هو ، عند المسلمين ، حرام ـ أقوال حول التلقى الشفوى لابن حجر العسقلانى ، وللسيوطى ، ولابن الجزرى ، والدمياطى البنا ـ فى السنّة أن جبريل علم النبى القرآن مدارسة ـ بعث النبى إلى من كان بعيد الدار من الصحابة من يقرئهم القرآن ـ مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم يقرئان أهل المدينة ـ معاذ بن جبل يقرىء أهل مكة ـ عبادة بن الصامت يعلم أهل الصفة القرآن ـ عبادة، ومعاذ ، وأبو الدرداء يقرئون أهل الشام ـ بعث عثمان مع كلٍّ من المصاحف المكتوبة الأئمة عالماً لإقراء الناس ، فكأنما كان عثمان يتلمس فكرة كفكرة المصحف المرتل ـ المصاحف المكتوبة لم تمنع ، بزعم بعضهم ، اختلافات النطق لخلوها من النقط والشكل .

(٢)

المصحف المكتوب لا يكفى لتعليم أحكام القراءة ـ كتب تعليم التجويد لا تغنى عن التلقين الشفوى ـ الأحكام المكتوبة قد يصعب فهمها ـ الكتب التى تعلم التجويد بالرسم لم تمنع ، على تقدميتها ، الحاجة إلى التلقين الشفوى المتكرر ـ إزراء بعضهم بقواعد التجويد ـ هذه القواعد يسهل تعلمها لو وجدت النماذج الصوتية الدقيقة ـ الوقف والابتداء يحتاجان إلى التلقين الشفوى من المعلم المحسن .

(٣)

الخطأ أو الابتداع فى المصحف المكتوب يسهل دروؤه ، أما الابتداع الصوتى فيصعب استكشافه .

(٤)

بعض العلماء يخرجون من التواتر ما يرون أنه لم يوقف على كيفيته بالسمع ـ روايات فى هذا عن : ابن الحاجب ، وأبى حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، وابن خلدون ، ومصطفى صادق الرافعى ـ ثبوت أن النبى لقّن الصحابة كيفية المد ـ رد الزركشى فى شأن الإمالة والتفخيم وتخفيف الهمزة ونحوه ـ الدمامينى ينفى أن يكون نقل القراء لطرق الأداء أقل من نقل ناقلى العربية والأشعار والأقوال ـ لو تقدم الزمن بمشروع الجمع الصوتى للقرآن لا نعدم التشكك فى تواتر هيئات الأداء ـ المشروع يكفل التواتر بشكله الشرعى الواجب .

(٥)

الرد على من يقولون إن الإسناد لم يعد عاليا :

الإجماع على أن القرآن الآن ، بألفاظه وكيفية أدائه ، هو هو ـ الجهود الدائبة لصون الألسنة عن الخطأ فى النطق بالقرآن ـ استقباحهم اللحن فى الكلام فضلا عن القرآن ـ نشأة علوم خاصة لكفالة إحكام قراءة القرآن ـ سلامة المصاحف التى كتبت خلال

أربعة عشر قرنا من التغيير والتبديل ـ الزمن بيننا وبين الرسول ليس متماديا ـ قربنا كثيرا من الأسانيد المحكوم بعلوّها ، ومن الكتب المشهورة فى القراءة .

* * *

الفصل الثانى . المحافظة على القراءات المتواترة والمشهورة

١٥٩ ـ ٢٨٠

(١)

انشعاب اللهجات المتباينة من اللغات وأسبابه ـ صعوبة استبدال لهجة بأخرى ـ اختلاف القبائل العربية فى نبرات الأصوات وطريقة الأداء ـ الإختلاف بين القبائل فى شهرة بعض الألفاظ فى بعض المدلولات ـ الإختلافات المحدّدة لدى علماء القراءات فى بعض حروف القرآن وكيفياتها .

(٢)

إذا قرئت آية بقراءتين ، فهل قال الله بهما ؟ ـ خمسة آراء أوردها « الزركشى » فى كتابه « البرهان » .

(٣)

كثرة القول فى موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف ـ خطورة الخطأ فى هذا الباب ـ المقصود من القراءات التى يعنى الجمع الصوتى الأول بالمحافظة عليها ـ اختلاف القراءات لا يعنى أنّ فيها تنافيا أو تضاداً أو تناقضاً ، وكلها سواء فى الأسلوب والغاية .

(٤)

تفرق القراء فى البلاد واختلاف قراءاتهم ـ الإقتصار على قراءات الأئمة الفقهاء والأمناء كان ضروريا ـ كثرة الإختيارات فى القراءة ـ إضافة القراءات إلى القراء ليس إضافة رأى واجتهاد ، وإنما إضافة اختيار وملازمة .

(٥)

أنواع القراءات :

(ا) المتواتر : تعريفه ـ قراؤه السبعة ـ تاريخ الإقتصار عليهم ـ أهمية النقل المتواتر .

(ب) المشهور : تعريفه ـ قراؤه الثلاثة ـ إسقاط القول بعدم تواتر القراءات .

(ح) الآحاد : تعريفه

(ى) الشاذ : تعريفه

(هـ) الموضوع : مثاله

(و) ما زيد على وجه التفسير : أمثلة له

(٦)

سببان أوضحهما « الطبرسي » للاجماع على القراءات المتواترة والمشهورة .

(٧)

احتمال رسم المصحف العثماني لقراءات المتواترة والمشهورة تحقيقا أو تقديراً .

(٨)

من تاريخ التأليف في القراءات .

(٩)

القراءات سماعية وليست اختيارية .

الزمخشري يعيب قراءة لابن عامر ـ ردّ ابن المنير على الزمخشري ـ نقد من يهملون هذا الرد وأمثاله ـ ردود : أبي حيان الأندلسي ، ونظام الدين النيسابوري ، وابن الجزري على الزمخشري .

الزمخشري يعزو إحدى القراءات إلى فصاحة راويها ـ رد ابن المنير وغيره على الزمخشري ـ ابن عامر الذي عاب الزمخشري قراءته من أوائل التابعين ، وقراءته ليست هينة السند .

بعض النحويين ينكرون على بعض القراء اختياراتهم ـ ردود الزركشي والداني على النحويين ـ لايجوز الإعتماد على القياس في أمور الدين ـ القراءات نقل خالص وليست متفاوتة القدر ـ ردّنا ، في هذا الشأن ، على أبي العباس الطنافسي ، ومكي ابن ابي طالب ، والطبري ، وغيرهم ـ من دلائل عدم الاجتهاد في القراءات : الاتفاق ، في بعض المواضع ، على ياء أو تاء ، ثم التنوع في مواضع أخرى ـ المسلمون يجرّمون على منع ما لم ينقل متواتراً عن النبي ـ طرح بعض الناس لهذا الحق الواضح .

(١٠)

١ ـ طه حسين يعزو القراءات إلى القراء من القبائل .

ردنا عليه :

(أ) قوله يشكك في كون قراءتنا هي نفس قراءة النبي .

(ب) على فرض أن اللهجات هي سبب اختلاف « الأصول » فإن اختلاف البنية والإعراب ، أو اختلاف المعنى دون الصورة لا يمكن إرجاعه إلى تباين اللهجات .

(حـ) قول طه يعني ترك القرآن للناس يقرأونه بما يؤثرون من قراءات ولهجات ، وهذا إلغاء للقرآن .

٢ ـ تشكك طه حسين في تواتر القراءات السبع عن النبي ، متابعاً في هذا نولدكه .

ردنا على هذا :

حجية الحديث النبوي الصحيح ـ معنى قول طه : جواز الإضافة والاستحداث في القرآن ، وأن رواة القرآن جهلة أو كذابون تابعهم الناس ولم يتابعوا كلام السماء .

٣ ـ ينكر طه حسين ان المسلمين كفّروا منكري القراءات .

الرد على هذا :

(أ) تحقيق حديث : « فلا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر » (ب) قول للقاضي عياض (حـ) قول أبي عثمان الحداد (د) تحرز أبي العالية من إنكار أية قراءة . وأقوال على القاري وابراهيم النخعي في هذا الشأن : (هـ) الطحاوي يحل دم من يكفر بغير روايات الآحاد (و) فتوى لشيخ الشافعية أبي الحسن على بن عبد الكافي بأن القراءات العشر متواترة عند كل مسلم . (ز) غضب المسلمين على ابن شنبوذ وابن مقسم العطار لما قرآ بالشواذ (ح) المسلمون لا يزالون ينكرون على المارين في قرآنية القراءات (ط) الصحابة بحكم الصحبة والتلقي عن النبي ، قولهم هو الأجدر بالقبول (ى) البداهة تقتضينا الحكم بأن القرآن ظفر من الصحابة بأدق دقة . (ك) حتى لو كان الإختلاف الذي يعنيه طه حسين هو الإختلاف في الصورة والشكل لا في المادة واللفظ فهو قول مخوف ، لأن الاختلاف في الشكل يفضي إلى تغيير المعاني (ل) رفضنا إنكار قرآنية الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها ، والقراءات السبع أو العشر المختارة فيها بعد عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) .

٤ ـ تأثر طه حسين في بعض آرائه بابن جرير الطبري .

(١١)

عند « جواد على » أن اختلاف القراءات هو من خاصيّة القلم الذي دوّن به القرآن ـ هذا الرأي هو أصلا رأي المستشرقين : جولد تسيهر ونولدكه ـ الحقيقة أن هذا الرأي أقدم من هذين المستشرقين ، وقد دفعه علماء المسلمين وحاجوا أصحابه ـ القراءات لم تقع بالتشهي ، ولكن بالسماع عن النبي .

تفنيد رأي « جواد على » :

(أ) يبعد منطقياً ترك القرآن للبشر يقرأونه بالاجتهاد لا بالتلقي (ب) التبديل في القرآن بأي شكل معصية مخوفة (حـ) القرآن عاب المحرفين والمبدلين ، فكيف يدع المسلمون الذرائع ليقع في القرآن نفس الذي عابه ؟ (د) العقيدة تمنع السماح بأي تغيير في القرآن (هـ) المسلمون لم يعتمدوا على خط المصاحف ، وإنما على حفظ الصدور (و) لم يكن ثمة محل لقراءات غير التي أثرت عن الصحابة الآخذين عن النبي (ز) الإذن السماوي بإقراء القرآن على سبعة أحرف هو أصل اختلاف القراءات (ح) الاتفاق في بعض مواضع القرآن على ياء أو تاء ، والاختلاف في مواضع أخرى مماثلة (ط) عدم مطابقة خط المصحف ، في بعض المواضع ، للقراءات ، حتى بعد الشكل والضبط (ى) ثمة قراءات لا يقرأ بها ، مع أن الرسم يحتملها واللغة تجيزها (ك) الرأي الذي نعترض عليه يعني أن

القرآن ظل طوال عهد النبي وعهود الصحابة والتابعين غير محفوظ ولا مقطوع بكيفيات النطق به (ل) الإجماع على عدم التبديل ، والإجماع حجة (م) التاريخ يؤكد أن أصحاب القراءات كانوا لا يتمدون الأثر .

(١٢)

التواتر هو رأس شروط القراءات المطلوب جمعها صوتياً – التواتر اصطلاحاً – مدى تواتر القراءات في الوقت الحاضر – خطورة نقص التواتر بالنسبة لبعض الروايات في بعض البلاد – يُرجى أن يكون المشروع من أسباب تعميم التواتر .

(١٣)

من مخططات الجمع الصوتي — القراءات والروايات والطرق التي نختارها لذلك الجمع .

(١٤)

التزام عدم اختلاط الروايات بعضها ببعض ، ومنع التلفيق بين الطرق والأوجه تفصيل الطرق والأوجه المختارة لكل رواية ، لتكون مجرد نماذج .

١ — قراءة نافع : (أ) برواية ورش ، من طريق الأزرق (ب) برواية قالون من طريق أبي نشيط .

٢ — قراءة ابن كثير : (أ) برواية البزي ، من طريق أبي ربيعة (ب) برواية قنبل ، من طريق ابن مجاهد .

٣ — قراءة أبي عمرو البصري : (أ) برواية الدوري ، من طريق أبي الزعراء (ب) برواية السوسي ، من طريق ابن جرير .

٤ — قراءة ابن عامر : (أ) برواية هشام ، من طريق الحلواني (ب) برواية ابن ذكوان ، من طريق الأخفش .

٥ — قراءة عاصم (أ) برواية حفص ، من طريق عبيد بن الصباح (ب) برواية شعبة ، من طريق يحيى بن آدم .

٦ — قراءة حمزة : (أ) برواية خلف ، من طريق ادريس (ب) برواية خلاد ، من طريق ابن شاذان .

٧ — قراءة الكسائي : (أ) برواية أبي الحارث ، من طريق محمد بن يحيى (ب) برواية الدوري ، من طريق جعفر النصيبي .

٨ — قراءة أبي جعفر : (أ) برواية ابن وردان ، من طريق الفضل بن شاذان (ب) برواية ابن جماز من طريق أبي أيوب الهاشمي .

٩ — قراءة يعقوب : (أ) برواية رويس ، من طريق التمار (ب) برواية رَوْح من طريق محمد بن وهب .

١٠ — قراءة خلف البزار : (أ) برواية اسحق ، من طريق ابن شاذان (ب) برواية إدريس من طريق المطوعي .

(١٥)

القول بعدم صحة القراءة ببعض الروايات ، حتى ولو صح سندها وحسنت روايتها هو قول سطحي .

(١٦)

إيثار بعض القراء المعاصرين التسجيل برواية حفص عن عاصم – التخطيط لتسجيل رواية حفص مرات بما يكفل عدم خلط الطرق بعضها ببعض :

(أ) التسجيل الأول – من طريق « الفيل » ، على ما في « روضة المعدل » .

(ب) التسجيل الثاني – من طريق « زرعان » ، على ما في « روضة المعدل » أيضاً .

(حـ) التسجيل الثالث – من طريق الهاشمي ، عن « عبيد بن الصباح » على ما في الشاطبية .

(١٧)

النعي على خلط الروايات بعضها ببعض .

* * *

الفصل الثالث : المنع من القراءة بالروايات الشواذ

٢٨١ – ٣٠٢

(١)

القراءات الشواذ في مصطلح علماء القراءات – أمثلة لها – من أشهر المعتنين بالقراءات الشواذ .

(٢)

الاختلاف في حكم القراءات الشاذة من حيث جواز القراءة بها في الصلاة أو عدمه :

(١) رأي نقله ابن عبد البر (٢) رأي لابن الصلاح شيخ الشافعية في الشام (٣) رأي أصحاب الشافعي (٤) رأي فقهاء بغداد (٥) رأي لابن الحاجب المالكي (٦) روايتان عن أحمد بن حنبل (٧) رأي لمكي بن أبي طالب ولابن الجزري (٨) رأي لبعض الفقهاء (٩) أحد القولين عند أصحاب الشافعي وأبي حنيفة ، وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد ، ورأي ذكره النووي تبعاً للرافعي .

(٣)

تقييم القراءات الشاذة – خطرها – تمسك بعض القراء بها – تجاوز ما صح به جمهور الفقهاء في شأنها – ضرورة إقفال كل باب يفضي إلى سبب من أسباب الشذوذ في القراءة – أعمال السلف في هذا .

(٤)

حول أصحاب الشواذ والمتكلمين فيها :

١ ــ ابن محيصن : خروجه على الإجماع ــ روايات عنه قد تحدو إلى عدم الإنكار عليه .

٢ ــ عيسى الثقفي : مفارقته قراءة الجماعة ، واحتمال أن يكون رأيه عند بعض الناس وزن .

٣ ــ ابن شنبوذ : بعض ما خالف فيه الجمهور ــ من تفاصيل محاكمته ــ ثناء بعض المترجمين له عليه قد يعطي مسلكه تأييدا ــ مناقشة الإدعاء بأن دعاءه على الوزير ابن مقلة الذي رأس المحاكمة هو سبب نكبة هذا الأخير ــ دفاع عن هذا الوزير ــ تمحيص ابن شنبوذ توبته ، بعد ابن مقلة ، وعودة الحكومة إلى معاقبته .

٤ ــ ابن مقسم العطار : استخراجه وجوها للقراءة من اللغة والمعنى ، وذلك بالرأي دون الأثر ــ إذعانه بالتوبة ــ منزلته العلمية قد تمنح عمله عطف غير المتعمقين .

٥ ــ ابن هرمز الأهوازي : نعت بعضهم له بالكذب ــ مصنفاته قد تكسب ضلالته لونا كلون الأعمال المشروعة .

٦ ــ الزركشي : كان يقدر القراءات الشاذة .

٧ ــ ابن الجزري : أورد قولا ضعيفة الإسناد ــ وكان يرى أن الشواذ لا تخالف شيئا من الأحرف السبعة .

٨ ــ لا زالت القراءة بالشواذ محل ولع قلة نادرة من القراء .

٩ ــ مبررات الخوف من تسلل الشاذ إلى القرآن .

(٥)

القراءات الشاذة أفضت إلى الادعاء الكاذب بأن نص القرآن قد اعتراه تغيير ــ فكرة الجمع الصوتي إجراء إيجابي حاسم يمنع من توهم وجود ما يخالف النص الذي استقر عليه المسلمون .

الباب الثاني

التعليم

٥٠٣ ــ ٤٠٢

الفصل الأول : وضع النماذج الصوتية للترتيل الشرعي الذي تستطيعه الكافة

٣٠٧ ــ ٣٥٠

(١)

ابتداع ما ليس في قوانين الأداء القرآني ــ قراءة القرآن بطريقة الغناء ــ تحذير النبي من ذلك ــ اللحن في اللغة ــ حُسْن الصوت بالترتيل ــ القراءة الواجبة هي القراءة المتدبرة .

(٢)

السنّة تؤكد استحباب تحسين الصوت بالقرآن ــ الصحابة والتابعون يتابعون هذه السنة ــ في الآثار المتداولة عند المسلمين ما يؤيد احتفالهم بالصوت الحسن .

(٣)

وجوب تنوع أساليب التلاوة بتنوع أغراض القرآن ــ تلحين القرآن أمر قديم ــ من تعاريف الترتيل ــ وجه التحزين في قراءة القرآن ــ من تاريخ قراءة القرآن بالألحان .

(٤)

القرآن موسيقاه الخاصة .

من أنواع بدائع القرآن : (١) الإنسجام (٢) ائتلاف اللفظ مع اللفظ (٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى (٤) الإبدال (٥) التفويف (٦) التعديد (٧) المضارع (٨) حسن النسق (٩) المشاكلة (١٠) التجنيس (١١) الطباق بنوعيه : الحقيق والمجازي (١٢) رد الأعجاز على الصدور (١٣) التسجيع وصحة المقابلات (١٤) التوشيح (١٥) الترديد (١٦) التعطف (١٧) التسميط (١٨) المماثلة .

القرآن يوفر الانسجام بين ألفاظه وأصواته ــ الموسيقى في عبارات القرآن تساير المعاني .

(٥)

اختلاف الحكم على القراءة المقتبسة من الغناء :

ما روي ضدها :

(ا) رواية عن النبي تحذر من ترجيع القرآن ترجيع الغناء (ب) أنس بن مالك ينكر التطريب (جـ) قول بأن هذه الألحان محدثة (د) أبو هريرة يخاف أن يدركه اتخاذ الناس القرآن مزامير (هـ) بعض التابعين الذين كرهوا القراءة بالألحان (و) من تابعي التابعين الذين كرهوا الألحان أيضا (ز) ابن خلدون ينكر اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القرآن . (ح) الحارث بن مسكين قاضي قضاة مصر كان يضرب الذين يقرأون القرآن بالألحان ــ إنكار « ابن الحاج » على الطريقة التي كان قراء مصر يتبعونها .

الذين أجازوا الألحان في القرآن :

(ا) عمر بن الخطاب كان يدعو إلى التغني بالقرآن ، وأبو موسى الأشعري كان يقرأ « ويتلاحن » . (ب) رُوي أن ابن عباس وابن مسعود كانا يجيزان قراءة الألحان (جـ) وأن أبا حنيفة وأصحابه كانوا يستمعون هذه القراءة ، وأن الشافعي رؤي مع بعض أصحابه يسمعها ، وأن الطبري اختار هذا . (د) وروي عن ابن جريج أنه لم يجد بها بأسا (هـ) قول بحلها ما دامت لا تخرج الكلام عن وضعه .

رأى صاحب « زاد المعاد » ، وتمييزه بين ما يجوز وما لا يجوز — سماع النساء للرجال حلال : قصة فى هذا الشأن عن أبى موسى الأشعرى — رأى العقاد — تجميل قراءة المصحف كتجميل كتابته .

فكرة تلحين القرآن بمصاحبة الموسيقى :

١ — رأى خاطىء نشرته مجلة الأدب سنة ١٩٥٦ ، ورددنا عليه .

٢ — تلحين أحد مفتشى الموسيقى سوراً من القرآن تلحينا موسيقيا — خطر هذا .

٣ — القول بأن زكريا أحمد كان يفكر فى تلحين القرآن — حقيقة رغبته حسبما عرف منه صاحب مشروع المصحف المرتل .

الردّ على فكرة التلحين الموسيقى .

(٦)

الابتداع الصوتى المثير للنقد منذ قديم .

أهم المبتدعات الصوتية تفصيلا .

المماراة فى الأمور الصوتية يسيرة — تفشى المبتدعات واقتضاء اتخاذ الوسائل لمنعها — شرف تلاوة المعنى — القرآن أولى بالجمع والتسجيل من التراث الغنائى مثلا — المصاحف المرتلة الأئمة نماذج يحتكم ، عند الإختلاف ، لديها .

* * *

الفصل الثانى : تيسير القرآن للحفظ والتعليم

٣٥١ — ٣٦٦

(١)

عناية المسلمين، منذ قديم ، بتعليم أولادهم القرآن — القرآن أصل كل تعليم عندهم — القرآن مطلوب الحفظ لفظاً ومعنى — القرآن لازم الحفظ لتصح الصلاة .

(٢)

السن المناسبة لتعليم الطفل القرآن عند المسلمين — الإختلاف فى طريقة تعليم القرآن للصبية — الكتاتيب فى البلاد الإسلامية منذ قديم — عمر وإنشاء المكاتب وتقرير الراحة الأسبوعية لها — مسلمون يقرأون القرآن ولهم كتاتيب عند سد يأجوج ومأجوج .

(٣)

وقف الأموال على تعليم القرآن — معاهد الإقراء فى مصر — ترتيل القرآن فى مختلف المناسبات — الاعتقاد ببركة القرآن — دفع الله العذاب بقراءة الصبيان الكتاب — حفظ القرآن كان رأس واجبات المتعلم — الحفاظ كانوا « شتلات » صالحة تنقل إلى الأزهر فيزكو نباتها — مدارس كانت لا تقبل غير الحفاظ المجودين .

(٤)

قيام التعليم الرسمى المصرى أخيراً على أساس الوحدة العامة — صرف النشء إلى التعليم المدنى — الترخص فى شرط حفظ القرآن لطلاب الأزهر — التبطل بين الأزهريين والأمل فى علاج هذا بعد قانون سنة ١٩٦١ الذى يستهدف تأهيل الأزهرى للتخصص فى أعمال الخبرة والإنتاج — الجهود الشعبية فى تحفيظ القرآن — خطر نقص الحفاظ .

(٥)

النساء ومدى إفادتهن من المصاحف المرتلة :

المرأة فى ظل الإسلام — نساء النبى اللائى كانت لهن مصاحف خاصة — نساء خدمن القرآن — إمكان وجود الجارية العالمة بالقراءات — تعليم المرأة القرآن يصح أن يكون مهراً لها — جارية مؤثرة القراءة بالألحان — تلقى المرأة العلم عن الرجال مقيّد — المصحف المرتل كمعلم نموذجى يطمئن إليه ، بإطلاق ، الوضع الاجتماعى الإسلامى .

(٦)

المكفوفون وحفظ القرآن — المكفوفون المسلمون غير قليلين — طريقة « بريل » لا تحقق كل الأمل — المصحف المرتل هو للمكفوفين المعلم التقليدى المجوِّد الدقيق .

(٧)

استعمال اللاقط الصوتى فى الجهات غير المكهربة .

* * *

الفصل الثالث : علاج مشكلة اختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى

٣٦٧ — ٤٠٢

(١)

جريان مصطلح الرسم على غير قياس — أمثلة لاختلاف الرسم القرآنى عن الرسم الإملائى — نشأة علم الرسم القرآنى بسبب هذه الاختلافات .

(٢)

مخالفة الرسم الاصطلاحى ، وحجج القائلين بجواز هذا — أقوال ابن خلدون ، وعز الدين بن عبد السلام ، وأحمد حسن الزيات ، وابن الخطيب .

(٣)

القول بعدم جواز القياس فى الرسم القرآنى وتوقيفيته — من دلائل التوقيفية : كلمات : بسم ، وتبارك ، وبنات ، وأعناب ، وسبحان ، ورحمة .

حجج المتمسكين بالرسم القرآنى المأثور :

١ ــ كتب القرآن بحضرة النبي ، فكانه أقره ــ رأينا : أن الله تعالى لم يكن ليدع الخطأ في كتابة أصل شريعته وعماد دينه ، ولا يلهم نبيه تصحيحه .

٢ ــ القول بأن اختلاف الرسم الإصطلاحي عن القياسي هو لأسرار إلهية .

٣ ــ إجماع الصحابة على الرسم الاصطلاحي ، والإجماع حجة ــ الشافعي يؤيد آراء الصحابة ــ أبو البقاء العكبري يقرر أن العمل هو على المصحف الإمام ــ ردنا على القول بجهل الصحابة بقواعد الكتابة .

٤ ــ إجماع الفقهاء على الرسم الاصطلاحي ــ الرد على من يكفرون المخالفين في الرسم الاصطلاحي .

٥ ــ مخالفة الرسم الإصطلاحي تنافي الحفظ الذي أكده الله .

٦ ــ وجوب إبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة ، سداً للذرائع .

٧ ــ تغيير الرسم القرآني يهدم كثيراً من علوم الأداء .

٨ ــ قواعد الإملاء العادي متطورة ، ومختلف فيها ، والخير تنزيه القرآن عنها ــ وجوب الاحتياط من التحريف ــ رد على الذاهبين إلى أن تيسير قراءة المصحف المكتوب يكون بكتابته بالرسم الإملائي .

٩ ــ لا حاجة إلى التغيير ما دامت المصاحف مضبوطة بالشكل التام ، ومذيلة بالبيانات الإرشادية .

١٠ ــ مرجع الخلاف هو ما في الكلمات من قراءات يحتملها الرسم .

١١ ــ في الرسم العثماني فوائد منها : (ا) الدلالة على الأصل والشكل والحروف (ب) النص على بعض اللغات الفصيحة (ج) إفادة المعاني المختلفة بالقطع والفصل في بعض الكلمات . (د) أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد ، وأمثلة لهذا .

١٢ ــ اختلاف صورة الرسم عن صورة النطق : له نظائر في اللغات الأجنبية .

١٣ ــ العبرة بالأخذ من أفواه الرجال ، وكراهية تجهيل الناس بأوهايتهم .

(٤)

التلقي السليم من المصحف المكتوب وحده يشق حتى على المثقفين ــ أمثلة لهذا ــ بعض الكلمات مرسومة في بعض المواضع بما يغاير القواعد الإملائية ، ومرسومة في مواضع أخرى حسب هذه القواعد ، ونماذج لهذا ــ ثمة كلمات رسمت في المصحف بشكل الجمع ، واختلف القراء في إفرادها وجمعها ــ بيان هذه الكلمات .

(٥)

المشارقة والمغاربة يعانون من الصعوبة الخطيرة إذا قرأ أحد الفريقين في مصحف الآخر ــ اختلاف علامات الضبط في المصاحف ــ اختلاف مصاحف أهل الحجاز والعراق

والشام بعضها عن بعض ــ مصاحف المصر الواحد قد يكون فيها اختلاف في الرسم ــ الادعاء الباطل بأن اختلاف الرسم يعني اختلاف المصاحف ــ الشكل في المصاحف لا يقي وحده من اللحن والخطأ ــ المصحف المرتل هو الحل الأمثل لهذه المشكلات جميعها .

(٦)

المصحف المرتل كفيل بكل أغراض علامات الترقيم الحديثة ومصطلحات الضبط التي تذيل بها المصاحف الآن .

الباب الثالث

الدفاع

٤٠٣ ــ ٤٨٨

الفصل الأول : معاضدة المصحف العثماني المجمع عليه

٤٠٥ ــ ٤٥٧

(١)

الادعاء بأن المصحف العثماني يخالف في مواضع مصاحف بعض الصحابة وآل البيت ، وخطر هذا الادعاء ــ هذه المزاعم نوقشت منذ قديم وثبت بطلانها .

(٢)

المصاحف المقول بمخالفتها للمصحف العثماني ــ تحدث الكتب عن اختلاف المصاحف ــ إشارات إلى هذا الإختلاف في بعض كتب اللغة ــ روايات عن مصاحف الشيعة ــ كتاب نشره « منجانا » و « آجنس سميث » استعملا فيه لفظ « قرآن » بالإنجليزية بالجمع ــ جفري جمع الإختلافات المنسوبة إلى مصاحف الصحابة والتابعين ــ المستشرقون يفتحون من هذا الطريق ، أبواب الشكوك والزيغ ــ المستشرقون يصفون مصحف عثمان بأنه أدنى المصاحف إلى الأصل ، ولا يقولون إنه الأصل ــ فساد آرائهم ــ أسباب ما قد يكون موجودا في المصاحف من اختلافات يسيرة .

(٣)

التسجيل الصوتي للجمع العثماني هو حق العلم فضلا عن الدين ــ هذا التسجيل تأييد للجمع الذي انعقد به تصديق المسلمين منذ عهد الصحابة .

أشهر التحريفات للمدعاة ، وتفنيد كل منها :

١ ــ ما نسب إلى ابن مسعود من أنه أسقط الفاتحة من مصحفه .

٢ ــ ما نسب إلى ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير من أنهم قرأوا : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » بزيادة : (فى مواسم الحج) .

٣ ــ ما قيل من أن عائشة خطأت رسم المصحف فى الآيات : « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوةَ » و « إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِئُونَ » و « إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ » .

٤ ــ القول بتجاوز نص الآيتين : « ... ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ . . » .

٥ ــ ما نسب إلى ابن عباس وعلى من أنهما كانا يقرآن : « أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا . . » : أفلم يأس الذين آمنوا . . .

٦ ــ ما نسب إلى ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من أن قوله تعالى « وَقَضَى رَبُّكَ » هو : « ووصّى ربّك » .

٧ ــ ما رُوى من أن ابن عباس كان يقرأ : « ضياءً » بغير واو فى قوله تعالى : « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً » .

٨ ــ ما نسب إلى عائشة من أنها قرأت « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا » مقصوراً من الإتيان .

٩ ــ ما نسب إلى أبى وابن عباس وسعيد بن جبير من أنهم قرأوا : « حتى تستأنسوا » فى سورة النور : « حتى تستأذنوا » .

١٠ ــ ما نسب إلى ابن عباس من أنه كان يقول فى قوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ » إنما هو : « مثل نور المؤمن كمشكاة » .

١١ ــ ما ادّعوه من أن ابن مسعود وأبا الدرداء قرآ : « والذّكر والأنثى » بدلا من : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى » .

١٢ ــ ما نسب إلى ابن مسعود من أنه كان لا يرى المعوذتين من القرآن

١٣ ــ رواية أن مصحف ابن مسعود تضمن سورتين هما . «الحفد» و «الخلع» ، وأنه قُرىء بهما .

تسجيل المصحف العثمانى صوتيا هو ما يعاضده ، ويردّ عمليا على دُعاة الاختلافات .

(٤)

دعوى أنه لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللّحن ــ الرد على هذه الدعوى .

(٥)

ما قيل من أن مصحفا من مصاحف عثمان أدقّ من مصحف ــ تهافت هذه الرواية ــ اقتضاء التسجيل الصوتى .

(٦)

ما روى من أن علىّ بن أبى طالب قال : رأيت كتابَ الله يزاد فيه ــ تفنيد هذه الرواية .

(٧)

الزعم بان عثمان بل ابا بكر وعمر حرّفوا القرآن ، وأسقطوا كثيرا من آياته وسوره ــ الاختلاق والبطلان فى هذا الزعم .

(٨)

الادّعاء بأن سورة يوسف ليست من القرآن ــ ردّ هذا الادعاء ــ الادّعاء بأنه كان فى القرآن ما سمّوه : « فضائح المهاجرين والأنصار » ــ إبطال هذه الرواية ــ براءة علماء الشيعة من هذه المزاعم .

(٩)

ما قيل من أن ترتيب السّور والآى اختلف فى مصاحف الصحابة عما هو فى مصحف عثمان ــ مناقشة هذا .

* * *

الفصل الثانى : درء التحريف

٤٥٩ ــ ٤٧٦

(١)

القرآن يقرر أن اليهود حرّفوا ما أوحى به الله ــ صفة هذا التحريف ، وبعض تاريخه .

من مؤيدات التحريف : فرقة الصادوقيين لا تؤمن بأوليات ما جاءت به الأديان السماوية ــ التوراة الحاضرة تعارض أشياء يراها المسلمون حقائق ــ نظرتها إلى الأنبياء ــ عباراتها وألفاظها تحمل ما ينم عن زمن كتابتها ، وهو متأخر كثيرا عن عهد موسى .

(٢)

التوراة الحاضرة يسهل اكتشاف ما فيها من تغيير :

(ا) الله ــ فيها ــ ليس مخالفا للحوادث .

(ب) قبائح مستبشعة تنسبها إلى الأنبياء والرسل : (١) نسبت إلى إبرهيم الكذب والمتاجرة بزوجته (٢) وإلى لوط الزنا بابنتيه (٣) وإلى داود الزنا بامرأة محارب شجاع شهم ، مع تدبير القتل لهذا المحارب (٤) وإلى هرون أنه صنع العجل الذهب الذى عبده اليهود ، وانه بنى له مذبحا

(ج) الخلو من ذكر الآخرة والبعث والحشر والنشر ... الخ

تصويبات(*)

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٧	الأخير	الحسن	أحمد
٢٠	١٩	وَأَنْزَلْنَا	وَأَنْزَلْنَا
٢٣	١١	أبو على القالى	على القارى
٢٥	١٩	الفراء	الفرّاء البغوىّ
٤٣	الأخير	٩٤	١٢٩
٥٦	١١	الأنصار	الأمصار
٥٩	١٧	ص ٢٨٧	ج ١ ص ٢٨٧
٦٢	٢١	ص ٣٣٩	ج ١ ص ٣٣٩
٨٥	١٠	أفتصممون	أَفَتَطْمَعُونَ
٩٥	١	أنها مجرّد	أنها الآن مجرد
١١١	٢٢	يُضاف اسم : الشيخ محمود خليل الحصرى	
١١٦	٥	هشاماً	هشامَ
١٣١	١٣	ص ٢٨٠	ج ١ ص ٢٨٠
١٣٣	١٢	قراء	قراءة
١٣٦	٨	قبحهٌ	قبّحه
١٤٣	٢٨	بالقارى	بالقادرى

(*) يُرجى تصويب هذه التصحيفات المطبعية . وقد أغفلنا الغلطات المطبعية الأخرى الواضح صوابها لكل قارئ .

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٤٣	٢٩	٢٦٣	٢١٥
١٥٥	٢٠	تُضاف عبارة : واللفظ فى المصحف « الْـكَـٰفِرُونَ »	
١٦٣	١٣	أبو القاسم	القاسم
١٦٣	١٤	تُضاف عبارة : وابن عباس : كتاب اللغات فى القرآن	
١٦٨	١٩	الجزرى	ابن الجزرى
١٧١	١٨	بعد كلمة « العمانى » ، يضاف لفظ : « بحذف »	
١٧٢	١٠	مَـٰلِكَ	مَـٰلِكِ
١٧٣	١	الجوزى	الجزرى
١٧٣	١٩	أنبـاء	إنبـاه
١٧٥	٥	المدائنى	للدانى
١٧٩	١٩	٢٦	٢٦٤
١٨٠	٣	الخلفاه	الخلفاء
١٨٩	١	الْمَلَـٰٓئِكَةُ	الْمَلَـٰٓئِكَةَ
١٩٢	١٦	يَتْـلُوا	تَبْـلُوا
١٩٩	١٩	القراءات	القرآن
٢٠١	٣	العسلم	القـلم
٢٠١	١٦	لهجات	لهجـة
٢٠٦	٣	أتبيعْ	أتبيعُ
٢١٤	١٨	يُقرأ : الحجة ص ٢٤٧ ، من المخطوطة رقم ١٩٥٥٣ ب ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .	
٢١٤	٢٠	ابن	أبو

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٠	٧	ابن هشام	هشام
٢٥٠	١١	وقيهمْ السيئات	وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ
٢٥٦	٦	لَمَـا	لمَّـا
٢٥٧	٧	صفًا	صفًّا
٢٦٣	٢	يُقرأ : تقرأ هذه الكلمة بضم الهمز وكسر الميم كـ (حفص)	
٢٦٣	٥	قبل كلمة « أُمَّهَـٰتِكُمْ » يضاف : وبضمّ الهمز وفتح الميم فى :	
٢٦٩	٥	اخترتك	اخْتَرْتُكَ
٢٧٥	١٩	ثُمْ	ثُمَّ
٢٧٦	٣	يلهثَ ذَٰلِكَ	يَلْهَثْ ذَٰلِكَ
٢٨٧	١٢	(٢)	(٣)
٢٨٩	الأخير	١٧٨٢	١٨٧٢
٢٩٠	١٨ و٢١	الصدفى	الصَّفدى
٢٩١	١٣	شَكركم	شُكركم
٢٩٢	٩	العزيزِ الحكيمِ	العزيزُ الحكيمُ
٢٩٤	١٨	الراضى والمتقى بالله	الراضى بالله والمتقى لله
٢٩٥	١٧	س	ص
٢٩٥	١٩	الراضى والمتقى بالله	الراضى بالله والمتقى لله
٢٩٦		جاءت الحاشية رقم ٢ قبل مكانها الحقيقى ، وهى تحدّد تاريخ تقلّد ابن مقلة الوزارة ، وكان يجب أن تكتب علامتها فى السطر الأول من الصحيفة ٢٩٧ ، عند عبارة : (فى سنة ٣١٦ ﻫ) .	

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٣	١٠	لهجات	لهجة
٣١٧	١٩	المرجع السابق	نهاية الأرب
٣١٧	٢٠	دار الكتب	بولاق
٣٢٠	١	يقرأ : ومما يُعرّف به الترتيل ـ عند المسلمين ـ أنه . . .	
٣٢٣	٥	طيب من النغمة	طيّب النغمة
٣٣٠	٤	كلُ	كلٌّ
٣٣٢		يضاف فى نهاية الصحيفة : Gipp (H.A.R.) : Modern Trends in Islam. P.P. 4&5.	
٣٣٦	٨	بن	ابن
٣٣٩	٢٤	سوتانا	سوناتا (Sonata)
٣٤٣	١٣	تقحم	تقحم
٣٤٨	الأخير	بكر	مكى
٣٦٣	٢٢	ج ٢ ص ٣٦٠	ج ١ ص ٦١٥ ، الليلة ٤٣٨
٣٧٣	١٦	٨ يناير	٩ يناير
٣٩٢	٥و٦	يقرأ : وهذه مثلا كلمات اختلف فيها الرسم الاصطلاحى عن الرسم القياسى ، ولو اكتُفى ...	
٣٩٣	الأخير	لتَنَوا	لتَنْسَوُا
٣٩٥	١	جُزْؤُهُ	جَزْؤُهُ
٤١٠	١١	مقسم	ابن مقسم
٤١٣	٢	قيسان	كيسان

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤٢٠	الأخير	الكتانى	الكنانى
٤٤٥	١١	توفيق	عبد الهادى
٤٤٦	١١	علييا	عليًا
٤٤٨	١	تنسب	إذ تنسب
٤٦٢	١٦	ابن	أبو
٤٦٤	١٤	الكِتَبَ	الكِتَبِ
٤٦٥	٣	لا تؤمن	وهى لا تؤمن
٤٦٥		توضع فى نهايتها علامة = إشارة إلى أن الحاشية رقم ٤ بقية فى الصفحة التالية التى يجب أن توضع فى أول هامشها نفس العلامة للدلالة أيضا على نفس الغرض .	
٤٦٨	٤	عليهمْ	عليهمُ
٤٧١	٢	وأنها	وإنها
٤٧٤	٦	الدّين	الدّينِ
٥٠٣	١٤	Sevier	Servier
٥٠٦	١٧	العالم والمتكلم	العالم والمتعلم
٥٠٧	٦	الكاملة	الكامنة
٥٢٤	٢٧	هرتويغ	هرتونغ
٥٣٥	٢٥	توفيق	عبد الهادى
٥٤١	١٢	Pretace	Preface

تم بحمد الله طبع كتاب « الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ، أو المصحف المرتّل : بواعثه ومخططاته » في غرة رمضان المعظم ١٣٨٧ هـ (ديسمبر ١٩٦٧) ، في مطابع دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (فرع التوفيقية) بالقاهرة .

* * *

ومن صنع الله لهذا الكتاب ، أن يوافق وقت صدوره مناسبة تاريخية جليلة هي مناسبة انقضاء أربعة عشر قرناً على نزول الوحي بالقرآن الكريم ، على أشرف المرسلين وخاتمهم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم .

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة